الاستاذ الدكتور منير العجلاني

تاريخ البلاد العربية السعودية

الجزء الأول

الدولة السعودية الأولى

القسم الأول

سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته
سيرة محمد بن سعود وحروبه



تاريخ البلاد العربية السعودية

الجزء الأول

الدولة السعودية الأولى

القسم الأول

سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته
سيرة محمد بن سعود وحروبه

تأليف

الدكتور منير العجلاني

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

أستاذ تاريخ الحقوق في الجامعة السورية

(سابقاً)

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م


بسم الله الرحمن الرحيم



لم تكن كلمة « السعودية » أو « العربية السعودية » معروفة في زمان مؤسس الدولة محمد بن سعود ، ولا في زمان خلفائه ، حتى جاء الملك عبد العزيز ، فسمى بلاده : « المملكة العربية السعودية » .

ومن يقرأ تاريخ ابن بشر يتبين له أنهم كانوا يسمون ملك محمد بن سعود : الدرعية ، ثم العارض ، وكانوا يسمون شعبه : أهل الدرعية ، وأهل العارض .

ولما توسعت البلاد المنضوية تحت لواء الدعوة ، في عهد عبد العزيز بن محمد ، استعملوا كلمة : « نجد » و « أهل نجد » ، وكانوا يسمون البلاد العربية الأخرى التي تنضم الى الدعوة بأسمائها الخاصة ، وربما عمت الجميع كلمة « المسلمين » ، بمعنى خاص اصطلحوا عليه .

اخترنا لهذا الكتاب اسم : « تاريخ البلاد العربية السعودية » ، كما فعل فؤاد حمزة من قبلنا ، لأننا وجدنا هذه التسمية أوفى بالغرض من قول ابن بشر ، مثلا : تاريخ نجد ، وذلك لسببين :

الأول — أن المصطلحات تختلف باختلاف الأزمان ، وقد أصبحت كلمة العربية السعودية معروفة مألوفة ، و (نجد) تدخل في عمومها .

الثاني — أن البلاد التي حكمها الأئمة السعوديون كانت أقل من نجد حينا ، وأكثر من نجد أحياناً .

... وكنا نستطيع تسمية الكتاب : « تاريخ المملكة العربية السعودية » ، باسمها الحاضر ، لأنه أولى بالاعتبار .. ولكننا خشينا أن يقول قائل : ان هـــذا الاسم مختص بالدولة الحديثة التي أنشأها الملك عبد العزيز على أسس جديدة .

ومهما يكن الأمر ، فان استعمال كلمة تاريخ نجد قد يكون صحيحا في التعبير عن حياة جزء من هــذه البلاد في فترة ماضية ، ولكنه لم يعد صالحاً ، للتعبير عن تاريخها العام ، بعد ظهور المملكة العربية السعودية ، التي تجاوزت هـــذا المدلول كثيراً .

كلمة المؤلف

عن رحـــلاته في طلب المصادر

لما عزمت على تأليف هذا الكتاب ، لم أكتف بما تجمع لدي من المصادر ، وما اشتريت من الكتب ، وإنما عزمت على الرحلة في طلب الكتب والمراجع النادرة إلى المكتبات الخاصة ودور الكتب المعروفة .

وسأذكر ، هنا ، أهم المكتبات التي زرتها وأقمت بين جدرانها ، باحثاً وقارئاً :

في الرياض ، زرت مكتبة سمو الأمير الجليل عبد الله بن عبد الرحمن ، وهي مكتبة خاصة غنية ، تدل على مبلغ عناية صاحبها بالكتب وتتبعه للعلوم ، وذلك غير مستغرب من أمير عرف بسعة علمه وعقله ، وحرصه على خدمة المصلحة العامة وبذل النصح للحاكمين ، مع الزهد الكامل في المناصب . .

ولم تكن محبتي للمكتبة هي التي تدفعني إلى زيارتهـا ، ولكن حرصي على لقاء الأمير والإستماع إلى حديثه الممتع والإفادة من تنوع معرفته واطلاعه على تاريخ الدولة ، وخصوصاً أخبار أبيه عبد الرحمن وأخيه عبد العزيز وابن أخيه الفيصل .

ثم أكثرت من مراجعـــة الكتب في مكتبة وزارة المعارف ، وفي مكتبة « الدخنة » التي تشرف عليها دائرة الفتوى .

وقرأت فيها كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده ، وكتب سليمان بن سحمان ، وكثيراً من كتب الفقه والتاريخ والأدب .

وقرأت في مكتبة « معهد الإدارة العامة» في وزارة الماليـــة ، مجموعتي « أم القرى » و « القبلة » وغيرهما .

وفي جدة ، زرت غير مرة مكتبة خاصة غنية جمعها لنفسه الوجيه العالم الشيخ محمد نصيف ، في جدة ، وقد أهدى إلي صاحبها الفاضل كتاب « سمط النجوم العوالي » للعصامي ، وغيره من الكتب .

ووجدت في مكتبة شركة « الأرامكو » في الظهران كتباً كثيرة قيمة، ومنها كتاب « أنكيري » عن حملة ابراهيم باشا ، وأخذت عنها طائفة من الصور ومقتطفات ..

وفي بيروت ، زرت مكتبة الجامعة الأميركية ، وطالعت فيها كتباً كثيرة نادرة ، كما زرت « دار الكتب الوطنية » و « المكتبة اليسوعية » وقرأت فيها كتباً تاريخية ومجموعات من المجلات كالمشرق ولغة العرب والأبحاث .

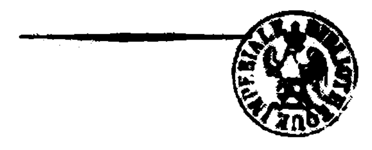
أول كتاب ظهر في أوروبا عن الوهابية

HISTOIRE
DES WAHABIS,

DEPUIS LEUR ORIGINE

JUSQU'A LA FIN DE 1809;

PAR L. A.***, (Corancez)
Membre de la Légion d'honneur.



DE L'IMPRIMERIE DE CRAPELET.

A PARIS,

Chez CHAPART, Libraire, rue et hôtel Serpente,
n° 16.

1810.

صورة فوطوغرافية لغلاف كتاب كورانسيز

في استانبول

اطلعت في مكتبات استانبول على وثائق خطية نادرة ، وصورت شيئاً منها ، وقرأت كتب جودت باشا وأيوب صبري وغيرهما من الأتراك ، وكنت أستعين على فهمها ببعض الأصدقاء الذين يحسنون العربية والتركية .

في باريس

كنت أكثر من زيارة المكتبة الوطنية ومكتبة السوربون وأقضي فيها أكثر أوقاتي . وقرأت فيها كثيراً من الكتب ونقلت مقاطع من بعضها ومن كثير من التقارير الرسمية وصورت طائفة منها . ومن الكتب التي صورتها كتاب كورانسيز.

في لندن

وفي مكتبة المتحف البريطاني ، في لندن ، قرأنا مخطوط « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » ، فصورناه ، وقد نقلنا منه في هذا الجزء صفحات كثيرة !

وهو مخطوط له قيمته ، وإن كان في أخباره شيء من الدس والكذب .

ويقول المستشرقون إن مؤلف الكتاب مجهول ، ولكننا وجدنا في ذيل صفحة منه ، ألحقت به ، محتوية على آخر الأخبار التي وصلت إلى المؤلف عن حروب عبد الله بن سعود ، هذه الكلمات :

« وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في يوم السبت السادس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ١٢٣٣ .

كتبه العبد الجاني :

حسن بن جمال بن أحمد الريكي

وعندنا أن « حسن الريكي » هو مؤلف الكتاب ، لا ناسخه .

لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبين المعضلات وكاشفها ومنشئ
الخليقة وبارئها والصلوة والسلام على من
ارسله من اعلى العرب واشرفها وعلى آله
وصحبه النائلي الفضايل احرزها وبعـــد
فلا يخفى على ذوي الالباب والبصائر من اهل
الذكى

نقل عن هذا الكتاب أكثر المستشرقين ، ثم أخذ عنهم كثير من كبار المؤلفين العرب ؛ ومن المؤسف أنهم تعلقوا بروايته الكاذبة عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العجم ، ولكنك لا تجد في أي كتاب عربي نقولاً صحيحة مأخوذة عن هذا المخطوط ، مباشرة ، بينما أوردنا نصوص اللمع بحذافيرها ، ما خلا كلمات قليلة لا يؤبه لها ، في الجزأين ، الأول والثاني ، من كتابنا !

ويعدّ هذا الكتاب ، بعد تاريخ ابن بشر ، أكثر كتاب رجعنا اليه في حديثنا عن تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ولم تحل دون ذلك أكاذيب فيه ... لأننا أشرنا اليها ، والحسنات يذهبن السيئات .

واطلعنا في مكتبة المتحف البريطاني أيضاً على مجموعة صحيفة «الخليج الفارسي» وصورنا كثيراً من صفحاتها ، وعلى مجموعات وثائق حكومة بومباي ، وطائفة من التقارير الرسمية ، والكتب المهمة وبعضها مفقود أو نادر .

وقد يحسن بي أن أضيف إلى أسماء هذه المكتبات ، دار الكتب الظاهرية ومكتبة الجامعة بدمشق ، ودار الكتب بالقاهرة ومكتبة الاسكندرية ، وإن كان العهد بها أقدم من البدء بوضع هذا الكتاب .

فإلى القائمين على هذه المكتبات وإلى موظفيها الشكر الخالص، والتقدير العميق، فإن كنت لم أذكر أسماءهم ، فذلك لجهلي ببعضها ، فلم أحب أن أفرق بينهم ، بتسمية فريق وإغفال فريق ، وكلهم سواء في الفضل .

مَدْخَل

الى

الجزء الأول

يتحدث الجزء الأول من كتابنـــا عن تأسيس الدولة السعودية الأولى ، في الدرعية .

وقد رأينا أن نضع بين يديه مدخلاً يتألف من ثلاثة فصول :

١ – **الفصل الاول** : كلمات مختصرة في التعريف بالمملكة العربية السعودية ومراحل تكوينها . ذلك ليعرف أننا إنما نتحدث ، في الحقيقة ، عن تاريخ هـذه المملكة نفسها ، لا عن تاريخ دولة سعودية أخرى تتصل بهـا بصلة نسب ، قريب أو بعيد !

إن الحديث عن تاريخ الدولة السعودية الأولى حديث ذو بال ، ولكن مكانة المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر ، تزيد النـاس شوقاً إلى قراءة تاريخها القديم وتوبق عليه بهاء جديداً .

٢ – **الفصل الثاني** : كلمة في جغرافيـــة المنطقة التي نشأت فيهـــا الدولة السعودية الأولى وكان اسم هذه المنطقة : «اليمامة» بمعنى ، و « نجد » بمعنى أوسع .

٣ – **الفصل الثالث** : كلمة عن الدعوة السلفية الإصلاحية .

الفصل الأول

المملكة العربية السعودية

- ١ -

مكانتها في العالم

للمملكة العربية السعودية مكانــة بارزة مرموقة في العالم ، لأسباب كثيرة ، منها :

١ – أنها الوطن الروحي للمسلمين ، الذين يؤلفون سدس سكان العالم تقريباً .

والأرض المقدسة التي تضم المدينتين المقدستين: مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ففي مكة ، بيت الله الحرام : « الكعبة » ، قبلة المسلمين التي يتجهون اليها في صلواتهم خمس مرات في اليوم وأكثر ، ويطوفون حولها في حجهم وعمرتهم .

وفي مكة وما حولها : مناسك الحج ، الذي فرض على كل مسلم أن يؤديه مرة في حياته على الأقل .

لذلك يفد الى المملكة كل عام مئات الآلاف من المسلمين، من مشارق الأرض ومغاربها ، ليحجوا ، ويتعارفوا ، ويتذاكروا أمورهم في أكــبر مؤتمر اسلامي

يعقدونه كل سنة .

ومكة ، الى ذلك : مسقط رأس النبي (ص.) ومهد الدعوة ومهبط الوحي الأول وفيها المسجد الحرام الذي تشدّ اليه الرحال .

وأما المدينة ، فهي مهاجر النبي (ص.) ومهبط الوحي الثاني ، ومنطلق الفتح ومقر الحكومة النبوية ، وفيها المسجد النبوي الذي تشدّ اليه الرحال أيضاً ، وفيها الضريح الطاهر ، فلا عجب اذا توافد المسلمون على مدينة النبي ليصلوا في مسجده ويزوروا قبره ويسلموا عليه ، صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ أنها مهد العرب ومستودع اصالتهم ، تشار كها ذلك سائر الجزيرة العربية ، فهي ، كما قال الفيصل : « قلب العروبة النابض ، ومهد الحضارة التي جمعت العرب حول قيمها الروحية ووحدت مشاعر أبناء الأمة العربية وآمالهم ، فان العربي مهما اختلفت أوطانه يرجع بأصوله الى شبه الجزيرة العربية . » .

لهذا يعدها العرب ، مهما تتعدد بلادهم : البلاد ـ الأم .

٣ ـ تعد المملكة من أغنى دول العالم ، بما اكتشف فيها من آبار البترول ، ومناجم الحديد وغيرهما من المعادن وأشباه المعادن .

٤ ـ حقق زعيما المملكة العربية السعودية العظيمان : الملك عبد العزيز ثم ابنه الملك فيصل ، تحولا عجيباً في حياة البلاد ، كان حدثاً فذاً نال عناية العلماء وتقديرهم ولفت اليه أنظار العالم كله .

كانت المملكة دولاً بل طوائف وقبائل متفرقة ، ضعيفة ، جاهلة ، فقيرة ، تسيطر على بعضها الدولة العثمانية ، ويتلعب ببعضها متغلبة فاسدون ، وتطمع بها دول الاستعمار .

فقام عبد العزيز بتحريرها وتوحيدها ، وجعلها دولة كبيرة قوية غنية ، وأنشأ فيها الهجر لتحضير البدو وأقام فيها المدارس وأدخل اليها المخترعات الحديثة وفتح أبوابها وعقول أبنائها لحضارة القرن العشرين .

وكان فيصل يساعد والده في حياته وينهض ببعض مهماته ، ثم دعي إلى رئاسة

الوزراء فالملك ، فأنقذ البلاد من أزمات وأخطار أفرغت خزينتها وتهددت سلامتها وكادت تودي بسمعتها ، وأخرجها من الخوف إلى الأمن ومن الهدم إلى البناء ومن القلق إلى الاستقرار ، وأعطاها تنظيماً حكومياً نقلها من أفق إلى أفق ، وطبق فيها قواعد اقتصاد سليم حر ، في ظل الأخوة والعدالة الاجتماعية والمناهج التقدمية الرزينة المدروسة ، فشاع في كل مكان الرخاء والأمل المشرق . [1]

---

١ – يقول « سنجر » ، معلقاً على كلمة المؤرخ البريطـاني الكبير « توينبي » عن تأثير الحضارة الغربية على بلاد العرب:

« ليس ثمة مكان ظهر فيه هذا التأثير اكثر مما ظهر في الجزيرة العربية ...

فبعد فترة جمود استمرت اثني عشر قرناً بدأت تتحرك مرة ثانية وتسير مع الزمن ...

وثمة عوامل دفعت الى هذا التغيير ، منها السيارات والطائرات واجهزة الراديو والحربان العالميتان ...

ولكن اكثر العوامل دفعاً هما بلا ريب اثنان :

الاول – وحدة الجزيرة في اغلبها تحت حكم قوي واحد (المملكة العربية السعودية)

والآخر – تدعيم الحاكم لمملكته ...

ونتيجة لذلك بدأ المجتمع القبلي ، الذي كان يعيش حياة مغلقة تقليدية ، يتفتح . .)

ويختتم سنجر بحثه بهذه الكلمات :

« لقد كان هذا الركن من العالم العربي قوة فعالة قرابة ستة قرون بعد ظهور الاسلام ، ثم خبت الجذوة ...

واذا استطاع ان يستوعب العلوم التقدمية ، مع احتفـاظه بهدوئه الكافي ، فان مستقبله سيكون احياء لماضيه التليد ، ولن يكون مجرد صدى ... »

– مقتبسة من محاضرات سيد نوفل عن « الاوضاع السياسية للخليـج العربي » –

علم المملكة وشعارها

علم المملكة : اللون الأخضر ، كتبت في وسطه بخط أبيض كبير ، شهادة :
« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . » .
وتحتها : سيف – يرمز إلى القوة في خدمة الحق ، والجهاد .
وشكل العلم مستطيل ، ضلع قاعدته ضعفا ارتفاعه .
وهو نفس الراية التي كانت تظلل جنود الدولة السعودية الأولى في عهد مؤسسيها الأولين : محمد بن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب . وجنود الدولة السعودية الثانية في عهد زعيميها الكبيرين : تركي بن عبد الله ، وفيصل بن تركي .

١– وكأنها أقوى الرموز إشارة إلى وحدة الدولة ، عبر الأزمان والحوادث!

٢– شعار المملكة : نخلة بين سيفين .



عاصمة المملكة واماكن اقامة الملك

عاصمة المملكة العربية السعودية هي مدينة : الرياض .
والرياض الآن مدينة حديثة ، بشوارعها الواسعة ، ومبانيها الكبيرة ،

وقصورها الجميلة ، وعدد سكانها حوالي مئتي الف نفس ، ويدخلها كل يوم عدد غير قليل من أهالي المملكة والأجانب للتجارة والعمل في الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة والأعمال الحرة .

وما تزال فيها بقية من طرقها الضيقة القديمة ومبانيها الطينية ، وكأنها تحدث الناس عما كانت عليه وما صارت اليه ...

*

ويمكننا القول ، تجوزاً ، ان للملكة أربع عواصم أخرى :

أولاً – عاصمة دينية ، وهي : مكة ، ويقيم فيها الملك خلال موسم الحج ويستقبل كبار الضيوف ويعقد فيها المؤتمر الاسلامي .

ثانياً – عاصمة ديلوماسية ، وهي : جدة ، على البحر الاحمر ، وفيها يقيم السفراء والوزراء المفوضون والقناصل ، وكثيراً ما يستقبلهم الملك فيها .

ثالثاً – عاصمة الاصطياف ، وهي : الطائف ، قرب مكة ، في أعالي جبال الحجاز ، ويقيم فيها الملك والوزراء ، خلال اشتداد الحر لارتفاعها وجودة هوائها[1]

رابعاً – عاصمة البترول ، وهي : الظهران ، حيث أقيمت منشآت البترول الضخمة وفيها أيضاً مطار دولي .

الشرق الاوسط

كنا نقول قديماً ، في تحديد مكان المملكة العربية السعودية من الأرض : إنها قطعة من جزيرة العرب ، أو إنها دولة آسيوية !

أما اليوم ، فلا بد لنا من استعمال مصطلح آخر ، حتى نلتقي بالغربيين على صعيد مفاهيمهم الحديثة .

لقد فرضوا علينا اسمين جديدين ، وهما : « الشرق الأوسط » و « الشرق

---

١ – يقول الاصمعي : دخلت الطائف فكأني كنت أبشر ، وكان قلبي ينضح بالسرور ، وما اجد لذلك علة الا انفساح جوها وطيب نسيمها .

الأدنى » .

والمملكة العربية السعودية هي جزء من كلتا المنطقتين ، ولكن اسم الشرق الأدنى لم يكتب له الانتشار والاشتهار ، فحسبنا أن نقول إن المملكة جزء من الشرق الأوسط .

تقول مجلة العالمين ان كلمة « الشرق الأوسط » ، اصطلاح حديث ، جغرافي وسياسي ، أوجدته القيادة البريطانية خلال الحرب العامة ، وكان مركزها في القاهرة ، وكان نشاطها يتناول أراضي مصر وليبيا وسورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والعربية السعودية وامارات الخليج العربي وايران ، فانتهى بها الأمر الى تسمية هذه البلاد كلها باسم : « الشرق الأوسط » .

أما الأمريكان ، فكانوا يستعملون اسمين :

أولاً – الشرق الأدنى ، وكانوا يطلقونه على منطقة تشمل تركيا واليونان وسورية وفلسطين والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وغيرها ..

ثانياً – الشرق الأوسط ، وكان يشمل عندهم منطقة تمتد من افريقية الى أقاصي الهند .

ويمكننا أن نقول اليوم ان المصطلح البريطاني هو الذي كتب له البقاء .

« ان الشرق الأوسط هو محور العالم القديم ، وملتقى الطرق التجارية بين القارات الثلاث : أوروبا وآسية وإفريقية ، ومهد الحضارات ، بل كان أكثر من ذلك ، كان ، هو وحده .. العالم المتمدن ، قبل أن يشركه غيره في هذه الصفة ، ويعود ، هو ، مرحلة من مراحل الحضارة فقط !

والشرق الأوسط ، الى ذلك ، مهد الديانات السماوية كلها : اليهودية والنصرانية والاسلام [١] . » .

---

١ – أنظر « لا روفوده دوموند » – عدد الشرق الأوسط الخاص عام ١٩٥٨ وتمضي المجلة قائلة : « ان ابراهيم ، وموسى ، وداريوس ، والاسكندر ، وبطليموس ، وكليوباطره ، والصليبيين ، وتجار البندقية ، وفاسكوده غاما ، وبونابارت ، ودوليسيبس ، والكولونيل لورنس ، والماريشال روميل ، وامراء العرب .. كل أولئك يقص علينا في اطار من الأساطير والحقائق – اطار الشرق الأوسط – قصصاً ممتعة عن فترات عجيبة من تاريخ الانسانية . »

الحضر والبدو

يقول « ليبسكي » ان عدد سكان المدن في المملكة : (٢٢ بالمئة) والزراع : (١٢ بالمئة) وعدد البدو (٦٦ بالمئة) .

وفي اعتقادنا أن نسبة البدو إلى مجموع السكان أقل من ذلك ، فكثير من البدو أصبحوا زراعاً في القرى أو عمالاً أو تجاراً أو جنوداً أو موظفين . وقد جذب رخاء المدن البدو إلى الحياة المدنية ، بالإضافة الى الحافز الديني الذي يحث على الهجرة الى المدن والقرى ، وهناك أيضا عامل سلبي لعب دوراً كبيراً في تحول البداوة الى الحضارة وهو : قلة الأمطار التي لازمت البلاد خلال سنوات طويلة ، فأهلكت الماشية إلا قليلاً وجعلت رعاية الماشية ، التي هي قوام الحياة البدوية ، أمراً متعذراً ، إلا بقياس ضيق ، وهكذا تخلى البدوي مكرهاً عن مألوف حياته. هذا إلى أن الدولة نشطت في تحويل البدو الى حياة الحضارة والاستقرار بما أنشأت لهم من « الهجر » ، وما وفرت لهم من أسباب الاستقرار .

والبدو ، في المملكة ، على كل حال ، لا يتمتعون بامتيازات خاصة ولا يستثنون من تطبيق قوانين الدولة ، كما هي حالتهم في بعض الدول العربية الأخرى ، ولكنهم مواطنون كسائر المواطنين ، تطبق عليهم الأنظمة ويخضعون لأحكام القضاء كغيرهم ، وكل فضيلتهم أنهم يتنقلون في الصحراء طلباً للكلأ ، ويعيشون تحت الخيام ، لا في بيوت الحجر والطين !

أما صورة الحياة البدوية التي كانت تعيش في خيالات بعض الغربيين — أعني صورة الغزو والسلب والتمرد على القانون — فهذا شيء لا وجود له في المملكة !

وحتى الجمل ... رفيق البدوي وأحد أعمدة الحياة البدوية ، الذي وصفه « سانجر » بقوله : ان العربي يمتطي ظهره ، ويلبس « وبره » ، ويفترش جلده ، ويستعمله في الصناعة ، ويستخدمه للحمل ، ويستخرج به المياه ، ويأكل لحمه ... هذا الجمل نفسه ، تعاونت عليه : قلة الامطار والسيارات ، فهو اليوم يتراجع ، أمام تقدم الحضارة الآلية .

مراحل تكوين المملكة السعودية

في مطلع هذا القرن ، كان « جبل شمر » امارة مستقلة يحكمها ابن الرشيد ، حليف الترك ، وكانت « الاحساء » ولاية تركية ، يحكمها والٍ تركي ، وكانت « القصيم » تحت حكم ابن الرشيد ونفوذ الترك ، وكان « وادي السرحان » يحكمه ابن شعلان .. وكانت « عسير » تحت سلطان الادارسة ، وكانت « الحجاز » تحت حكم الملك حسين بن علي ، وكانت بلاد « العارض » نفسها تحت سلطان ابن الرشيد .. فكيف تحررت هذه البلاد من جنود الترك ونفوذهم؟ وكيف توحدت، مع اختلاف « أوضاعها » وتباعد أطرافها .. لتؤلف بين عشية وضحاها : أول دولة عربية حرة موحدة ، مهيبة الجانب ؟

تلك معجزة حققها عبد العزيز !

ان عبد العزيز ، هو ، مؤسس « المملكة العربية السعودية »، وبفضل الله ، ثم بفضله ، تحررت أقطارها ، وتوحدت ..

وها نحن نذكر الخطوات التي خطاها عبد العزيز ، منذ ابتدأ معركته الأولى، حتى حقق وحدة بلاده ، في تسلسلها الزمني :

\- ١ -

في عام ١٣١٩ هـ = ١٩٠٢ م. فتح عبد العزيز الرياض ، وكانت وحدها ، خلال أشهر الدولة !

ثم انضمت إليها الخرج ، والأفلاج ، والحوطة ، والحريق ، والدواسر .

وفي عام ١٣٢١هـ= ١٩٠٣م. استولى عبدالعزيز على بلاد الوشم وسدير والمحمل

- ٢ -

وفي الاعوام ١٣٢٢ هـ ، الى ١٣٢٦هـ أتمّ عبد العزيز تحرير بـــلاد القصيم من الترك وابن رشيد والمتغلبة المحليين .

- ٣ -

وفي عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .

حرّر عبد العزيز « الأحساء » من الترك وضمها إلى نجد .

وهكذا اتسعت رقعة البلاد التي يحكمها عبد العزيز وزادت مواردها وتجاوزت ما كان يملكه والده الإمام عبد الرحمن ، قبل استيلاء ابن الرشيد على بلاده .

وكان من ثمرات هذه الانتصارات الباهرة التي حققها عبد العزيز ، أن تنادى علماء نجد ورؤساء القبائل وحكام الأقـــاليم والوجوه الى مؤتمر عقـد في الرياض « عام ١٩٢١ م . » نادوا فيه بأميرهم الشجاع العبقري ، عبد العزيز ، الذي حرّرهم من نير الترك والمتغلبين وردّ عليهم كرامتهم الوطنية : « سلطاناً » على نجد .

- ٤ -

وفي عام ١٣٤٢ هـ . - ١٩٢٣ م : تمّ اخضاع عسير

- ٥ -

وفي عام ١٣٤٤ هـ . - ١٩٢٥ م : تمّ فتح الحجاز .

وفي يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٤٤ هـ . - ١٠ يناير ١٩٢٦ م . بايع أهل الحجاز لعبد العزيز بالملك ، وأصبح لقبه :

« ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

وفي عام « ١٩٢٧ » م . نادى أهل نجد بعبد العزيز ملكاً على نجد وملحقاتها، فاصبح ملكاً على الجميع .

- ٦ -

وفي عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م : انضمت تهامة عسير « بـلاد الأدارسة » إلى ملك عبد العزيز ، وكانت من قبل مجرد حليفة أو « محمية » !

توحيد البلاد وتسميتها :

المملكة العربية السعودية

وفي ١٧ جمادي الأولى عام ١٣٥١ هـ. – « ١٨ » أيلول عام ١٩٣٣ م . أصدر الملك عبد العزيز أمراً ملكياً بتوحيد البلاد في دولة واحـدة ، موحدة ، تدعى : المملكة العربية السعودية .

وقد نشر هذا الأمر في الجريدة الرسمية وأبلغ إلى الدول الأجنبية. وهذا نصه:

الأمر الملكي رقم ٢٧١٦

بعد الاعتماد على الله .

وبناء على ما رفع الينا من كافة رعايانا في مملكتي الحجاز ونجد وملحقاتها ونزولاً على رغبات الرأي العام في بلادنا .

وحباً في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية .

أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى – يحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها الى اسم :

« المملكة العربية السعودية »

ويصبح لقبنا بعد الآن :

« ملك المملكة العربية السعودية »

المادة الثانية – يجري مفعول هذا التحويل من تاريخ اعلانه .

المادة الثالثة – لا يكون لهـذا التحويل أي تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات .

المادة الرابعة – سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل .

المادة الخامسة – تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة ، سواء في الحجاز أو في نجد وملحقاتها،على حالها الحاضر موقتا الى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد .

المادة السادسة – على مجلس وكلائنا أن يضم إلى أعضاء الوكلاء أي فرد أو أفراد من ذوي الرأي حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والاستنارة بمعلوماتهم .

المادة السابعة – اننا نختـار يوم الخميس الواقع في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ ، الموافق لليوم الاول من الميزان يوماً لاعلان توحيد هذه المملكة العربية .

ونسأل الله التوفيق

صدر في مقرنا في الرياض

هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادي الاولى سنة ١٣٥١

التوقيع : « عبد العزيز »

بأمر جلالة الملك :

نائب جلالته : « فيصل »

خطورة هذا الامر الملكي

هذا هو الأمر الملكي التاريخي الخطير ، نقلناه عن « أم القرى » ، ومـا زلنا نتعجب من اهمال كثرة المؤلفين له ، مع أنه وثيقة تاريخية بالغة الخطر ، عظيمة

القدر ، بل يكاد يكون شهادة « ولادة » المملكة ، في شكلها الحديث ، على الأقل .

قد يقال : ان المملكة كانت قائمة من قبل ، ولم يزد هذا الأمر الملكي على أن أعطاها اسماً جديداً ، فهو تغيير اسم ، وليس تغييراً في الأصول والأعماق !

وفي اعتقادنا : إن هذا الأمر الملكي أخطر من ذلك كثيراً ، فهو لم يغيّر اسم المملكة وحده ، وإنما غيّر صفتها أيضاً ، فقد كان كل من نجد والحجاز مملكة مستقلة — وإن كان « شخصُ » عبد العزيز يجمعهما ويشدّ بعضهما إلى بعض—فجاء هذا الأمر التاريخي يقيم الرابطة « الوطنية » مقام الرابطة « الشخصية » ، ويجمع البلاد في دولة « موحدة » ، لا « اتحادية » ، وينشىء حكومة نظامية حديثة ، ويعطي البلاد اسماً جديداً ، تغيب فيه النزعات الاقليمية ، بحيث يختتم مراحل تكوين المملكة من الداخل ، ولا يمنع من توسعها في المستقبل ، مع احتفاظها باسمها ، لأنه ليس اسماً اقليمياً !

قيمة هذا الأمر الملكي واتخاذه يوماً وطنياً

لم تغب عن الناس قيمة هذا القرار التاريخي العظيم وآثاره ، وزادهم تقديراً له ، أنهم شهدوا ، قبل صدوره ، فتناً قام بها جماعات من طلاب الزعامات والظهور ، أرادوا فصل الحجاز وعسير وتهامة عن الدولة ، وكانوا يجدون في استبقاء الأوضاع والأسماء الإقليمية السابقة غذاء لفتنتهم ، فلما صدر الأمر الملكي ، ووحد البلاد توحيداً كاملاً ، لا موضع فيه لنعرة إقليمية أو عصبية محلية ، استقبله الناس في كل مكان بالفرح والغبطة والأمل ، وتداعوا إلى الاحتفال به في كل مدينة وقرية ، وتباشروا به ، وتبادلوا التهاني ، وجرى له في مكة المكرمة احتفال كبير ، في دار الحكومة ، خطب فيه نائب الملك ، سمو الأمير فيصل فقال :

لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالجني من السرور في هذا اليوم ، الذي منّ الله به على هذه الأمة العربية المسلمة ، بتوحيدها ضمن مملكة واحدة ، وزوال جميع الفوارق بين أبنائها .

ثم شكر الجماهير باسم أبيه الملك غيرتها وإخلاصها، وتلا صورة الأمر الملكي، وأطلقت المدفعية مئة طلقة تحية لهذا اليوم المجيد .

وفي عام ١٩٦٥ م . بعد مبايعة جلالة الفيصل بالملك ، لم يشأ أن يكون يوم جلوسه عيداً وطنياً ، وأمر بأن يكون يوم توحيد البلاد وتسميتها باسم « المملكة العربية السعودية » هو اليوم الوطني الذي يحتفل به وتتقبل فيه التهاني .

تاريخ المملكة .. والتاريخ السعودي

رأينا ، قبل، أن اسم « المملكة العربية السعودية» إنما ظهر في عام«١٩٣٢»م. فهي دولة حديثة ، لها من العمر اليوم أربعة وثلاثون عاماً !

ولسائل أن يسأل : لماذا نتحدث عن دولة نشأت عام ١٩٣٢ م. وما هي صلتها بتاريخ المملكة ؟

والجواب إن المملكة العربية السعودية لم تولد فجأة ، وعلى غير مثال !

فهي جديدة ، قديمة .

جديدة باسمها وتنظيمها الحكومي الحديث .

ولكنها قديمة بتاريخها ، عريقة بأمجادها .

وجذورها تمتد إلى فجر التاريخ العربي !

ولكننا اذا أردنا الوقوف عند دلالة اسمها ، ورايتها ، وأسرتها الحاكمة، قلنا: إنها تبدأ منذ عام « ١١٥٧ هـ . » .

ففي هذا العام ، جاء إلى « الدرعية » الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، المصلح الديني ، الذي كانت دعوته إلى التوحيد ومكافحة الشرك تنتشر في شيء من الضعف وتكتسب إليها طائفة من الأنصار في سائر نجـــد ، واتفق مع صاحب الدرعية : الأمير محمد بن سعود ، على حماية الدعوة ونشرها ، ووضعا معاً أسس حكم إسلامي خالص من كل شائبة ،و بذلك نشأت : الدولة السعودية الأولى في نجد .

ثم هزم محمد علي هـــذه الدولة ، ولكنه لم يستطع القضاء عليها ، فعادت الى

الوجود.. بزعامة أمير سعودي مناضل، هو : تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود.

ثم حارب العثمانيون والمصريون هذه الدولة ، ولكن فيصل بن تركي استطاع استرداد ملك أبيه وتقويته

استطاع الترك وصنائعهم القضـــاء على الدولة السعودية مرة ثانية ، أو ثالثة ، ولكن البطلَ الأسطورة : عبد العزيز : أعـاد الدولة السعودية ، بعد أن يئس الناس من عودتها ، ولم يعدها في حدودها الضيقة ، كما كانت في عهد أبيه ، وإنمـــا أعادها كما كانت في أعظم أيامها من حيث المساحة ، وأكثر قوة ووحدة وتنظيماً .

فتاريخ المملكة العربية السعودية ، لا يقف ، كما ترى ، عند عام ١٩٣٢ م !

وقد أردنا أن نزيل الإلتباس الذي نشأ عـــن اسم المملكة ، فأسمينا كتابنا : تاريخ البلاد العربية السعودية .

ولو أننا أسميناه : تاريخ المملكة العربية السعودية ، لما منع ذلك من احتوائه على نفس المواضيع .

الفصل الثاني

نجد

(يقولون : نجد .. لست من شعب أهلها
وقد صدقوا .. لكنني منهم حبا)

– الشريف المرتضى –

نشأت الدولة السعودية الأولى في منطقة كانوا يدعونها : اليمامة ، ثم غلب اسم « نجد » على هذه المنطقة وغيرها .

الحجّ الى نجد

A Pilgrimage To Nejd

زارت الكاتبة الأنكليزية « لادي بلنت » ، قبل تسعين سنة تقريبا ، امارة آل رشيد في حائل، ولما عادت الى لندن، نشرت كتاباً أسمته : « حج الى نجد »، لقي رواجاً كبيراً ، ولكن بعض الناقدين أخذ عليها أنها غلطت في عنوان كتابها وحده غلطتين : الأولى قولها : « الحج الى نجد » ، مع أن المسلمين إنما يحجون إلى مكة ، والثانية أنها زارت بلاد شمر ، وجبل شمر ليس من نجد !

.. وردّت اللادي بلنت على ناقدها ، فكان ردها موفقاً رائعاً ..

ومما قالته، في ردها على « الملاحظة » الأولى : « **إن نجداً تثير في النفوس شعوراً عاطفياً يشبه الشعور الديني الذي يغمر المسلم المتعبد وهو في طريقه الى مكة ، فالحج الى نجد عاطفي ، ولا يقصد به معنى آخر .**

ان بلاد نجد ، في عيون العرب وخصوصاً البدو ، هي مسرح الشعر والخيال ، ومهد الآباء والأجداد ، وأرض الفروسية والكرم ، منذ عهد « عنترة» الذي قام بأروع أعمال الشجاعة والبطولة ، و «حاتم الطائي» الذي كان آية في السخاء والكرم ، الى اليوم ! »

ثم ردت على دعواهم ان حائل ليست من نجد قائلة :

« أهل البلاد أعرف منا ببلادهم ..

ان أهل شمر يقولون عن أنفسهم انهم نجديون ، بل هم يقولون : شمر .. قلب نجد .

ويقول « غوارماني: ان جبل شمر أحد أقسام نجد السبعة ، أو النجود السبعة، وقد سماها له شيخ عنزة هكذا :

في الجنوب : « العارض » و « الأحساء » و « الحريق »

في الوسط : « الوشم » .

في الشمال : « القصيم » و « سدير » و « جبل شمر » .

وقال لي الشيخ « حمد » من القصيم : ان نجد ،في المعنى الواسع، هي جزيرة العرب الوسطى كلها .

ويعرف « والين » نجد ، بأنها البلاد التي ينبت فيها الغضا ، وقد أخذ هـــذا التعريف الطريف عن البدو ، والغضا .. إنما يوجد في جبل شمر ووادي سرحان والنفود ، وسائر بلاد نجد .

و « كازيميرسكي » ، في معجمه الانكليزي العربي يقول ، هو أيضـــاً ، إن أهل الغضا .. هم أهل نجد .

ويعرف بلغريف نجد ، من الناحية اللغوية ، بأنها الأراضي التي تمتد من جبل شمر في الشمال الى الصحراء الكبرى في الجنوب ، ومن سلسلة جبل طويق فيالشرق الى جوار طريق الحج ، (أو درب الحج) في الغرب .

ويقسم أهل نجد بلادهم الى قسمين ، فأكثرهما ارتفاعاً يسمونه « عـالية نجد » أو نجد العليا ، وأما القسم الآخر فقد يسميه بعضهم نجـد السفلى ، أو يترك من غير وصف .

وإذا كان معنى نجد الأرض المرتفعة ، فجبل شمر أحق من غيره بهذا الاسم.. ولكن جبل شمر استقل تحتإمارة آل الرشيد،ولذلك لم يعده أهل نجد من بلادهم.

أما الأحساء والجوف ، فلا تستحقان لغوياً اسم نجد ، فالجوف ، مثلاً، واطئة ومنعزلة بحيث يصح أن تعد مدخلاً الى جزيرة العرب لا قطعة منها ، ومع ذلـك يعدونها من نجد .

والحسا ، تمتد سهولها الواطئة الى البحر ، وليس فيها مرتفعات تذكر،ولكنهم يعدونها من نجد أيضاً .. بل الأعجب من ذلك أن الترك ، حين استولوا على الأحساء ، دعوها ، هي وحدها : ولاية نجد .

والواقع ان ظهور الدولة السعودية أعطى كلمة « نجد » ، مدلولاً جديداً ، أو معنى سياسياً ، تغير بتغيير الأزمنة ، وكان يتبع أحوال الدولة السعودية ، توسعاً وانكماشاً ، ولم تعد كلمة نجد تعبيراً جغرافياً ، وإنما أصبحت تعبيراً أو مصطلحاً سياسياً .

جغرافية نجد

نجد أكبر مناطق المملكة مساحة وأكثرها سكاناً ، وهي كذلك أكثرها صحارى ، ففيها :

١ - الصحراء الكبرى ، التي تسمى « الربع الخالي » ، ومساحتها حوالى ربع مليون ميل مربع ، وتقع في القسم الجنوبي من نجد ، بين المملكة وعمان وحضرموت واليمن .

وفي كتاب آرامكو : أن طول الربع الخالي نحو (٧٥٠) ميلاً ، وعرضه حوالى (٤٠٠) ميل ، ومساحته تقريباً (٢٥٠،٠٠٠) ميل مربع ، أي مساحة ولاية « تكساس » تقريباً ، ولعله أكبر بقعة رملية مجتمعة في العالم كله .

والربع الخالي ، كاسمه ، خال من السكان ، إلا في الشتاء ، فيأتيه الرعاة . والبدو يسمونه : « الرملة » أو الرمال .. وفيه كثبان من الرمل، ثابتة ومتحولة.. وأعلى ارتفاع فيه ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قدم .

٢ - صحراء النفود ، أو النفود الكبرى ، وتقع في القسم الشمالي من نجد ، ومساحتها (٢٢٠٠) ميل مربع وتخرج من النفود خطوط رملية ، تتصل بجبل طويق .

٣ - صحراء الدهناء ، وهي بين الصحراء الكبرى والنفود الكبرى ، وتمتد الدهناء ، في قوس طوله (٨٠٠) ميل ، من النفود الكبرى في الشمال ، الى الربع الخالي في الجنوب .

وبين « الدهناء » وساحل الخليج العربي يمتد : « الصمّان » ، وهو قفر صخري ، يبلغ عرضه ما بين (٥٠) و (١٥٠) ميلاً . ويكون مرتفعاً أحياناً ، والعرب لا يسمون هذه المرتفعات جبالاً ، ولكن يسمونها « الهزم » أو «الذيل»، وربما سموا التلال الرملية « برقاناً » جمع أبرق ، وبرقة .. ويسمون الرأس الداخل في البحر : « خشماً » أي أنفاً .. [1]

---

١ - انظر كتاب آرامكو ، الذي أخذنا عنه أكثر هذه المعلومات .

أقسام نجد

١ - **العارض** : وأشهر بلدانه « الرياض » ، عاصمة المملكة .

واشتهرت من بلدانه ، في التاريخ الحديث :

« الدرعية » ، عـــاصمة الدولة السعودية الأولى ، التي خربتها حملة محمد علي وجعلتها أثراً بعد عين ، وهي الآن مزارع وفيها مركز للتنمية الاجتماعية .

وكانت فيه أيضاً : «العيينة» ، التي ولد فيها صاحب الدعوة الاصلاحية الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد خربت تماماً ، وكانت من أجمل بلدان نجـــد وأغناها .

٢ - **الخرج** ، وتعدّ من أخصب أراضي نجد وأغناهـــا بالمياه ، وقاعدتها : « الدلم » ، ومن بلدانها التي اشتهرت في تاريخ نجد الحديث : **منفوحة** ، **نعجان**، **السلمية** ، **اليامة** .

٣ - **الحريق** ، وقاعدته : الحريق .

٤ - **الأفلاج** ، وقاعدته : ليلى .

٥ - **وادي الدواسر** ، وقاعدته : الدام .

٦ - **الوشم** ، وقاعدته « الشقراء » ، ومن بلدانه ثرمداء .

٧ - **سدير** ، وقاعدته : المجمعة ، ومن بلدانه الزلفي ، جلاجل .

٨ - **القصيم** ، من أكبر المقاطعات النجدية وأعمرها ، ومن بلدانها المشهورة : « بريدة » ، « عنيزة » ، ثم « الرس » و « الخبرا » ..

٩ - **جبل شمر** ، وقاعدته بلدة « حايل » ، وتمتد بين جبلي أجا وسلمى .

١٠ - **الجوف في أقصى الشمال** ، فيه واحات صغيرة خصبة ، مثل سكاكة ، والطوير الخ ..

١١ - **الفرع** ، ومركزه : الحوطة .

١٢ - **المحمل** ، ومركزه : ثادق .

١٣ - **الشعيب** ، ومركزه : حريملاء .

الفصل الثالث

رأي المؤلف في حركة ابن عبد الوهاب ومستقبلها

قصة تأسيس الدولة السعودية الأولى في الدرعيـــة ، هي قصـة كفاح رجلين عظيمين ، وهما :

١ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢ - الأمير محمد بن سعود .

لذلك كان هذا الجزء من كتابنا وقفاً عليهما ، وحدهما !

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالماً مناضلاً ، من طراز ابن تيميـة ، ولابن تيمية عليه فضل السبق ، إلى علم أغزر وأسلوب في الكتابة أنضر ، ولكن الشيخ - ونعني بكلمة الشيخ مجردة : : الشيخ محمد بن عبد الوهـــاب - كان أجمع لصفات الزعامة وموهبة التحدث إلى الخاصة والعامة ، من ابن تيمية !

ولسنا الآن في مجال المفاضلة بين الرجلين الكبيرين ، فما أحب الشيخ أحداً من العلماء الذين جاؤوا بعد الإمام أحمد ، كما أحب ابن تيمية ، ولكننا أردنا أن نرد بهذا على فكرة انتشرت في كل مكان : وهي أن ابن تيمية أخفق في دعوته ، لأنه ظهر في بلاد الشام ، المتحضرة ، الغارقة في النعيم ، وابن عبد الوهـــاب انتصر ،

لأنه ظهر في بلاد نجد ، البدوية ، المتقشفة !

وليس هـذا « التفسير » في نظرنا صحيحاً ، وإن كان فيه بعض الحق ؛ فالصعوبات التي لقيها الشيخ في « البيئة » النجدية التي ادعوا سرعة استجابتها للدعوات الدينية كانت عظيمة ؛ ولكن الشيخ أوتي من صفات الزعامة وحلاوة الحديث فوق ما آتى الله ابن تيمية ، وشيء آخر جليل القدر جداً ، ضمن لدعوته النجاح بعد أن زلزلت الأرض تحتها ، هو :

إيواء محمد بن سعود ، أمير الدرعية ، للشيخ في بلده ، وحمايته لدعوته ونصرته لها وجهاده في سبيل نشرها جهاداً موصولاً لا هوادة فيه !

ومن هناك شبهوا هجرة الشيخ الى الدرعية ، بعد أن أخرجه أمير العيينة من بلدته ... بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، حيث حماه الانصار ومنعوه وجعلوا اليه زعامتهم العليا .

إن فضل الأمير محمد بن سعود في حماية الدعوة ونصرتها ، فوق الكلمات القليلة التي « صرفها » اليه ابن غنام وابن بشر ، وكان من حق هذا الأمير أن يتحدث عنه مؤرخا نجد حديثاً أطول وأفضل ... فكأن شدة تلألؤ كوكب ابن عبد الوهاب في تلك الأيام قد حجبت شيئاً من حسنات هذا الأمير الباهرة !

ولسنا نعني بهذا أن محمد بن سعود أعظم من محمد بن عبد الوهاب ، أو مثله ، فالشيخ هو صاحب الدعوة الدينية الاصلاحية التي حققت انقلاباً معجزاً في حياة نجد وبلاد العرب كلها .

ما في ذلك شك !

وكتابنا هذا يصف لك حياة الشيخ وجهاده ودعوته في مراحلها المختلفة .

ونحب الآن أن نتدارس مسألتين تشغلان الأذهان :

الأولى – هل صحيح أن بلاد نجد كانت ، عند ظهور الشيخ ، في ظلام حالك ، لا يكاد يتبين فيه الانسان « بصيص » نور ؟

الثانية – هل تستطيع حركة الشيخ ، بعد أن أدت رسالتها في الماضي ، أن تستمر ... وتحقق مطالب الزمن و « التطور » والأجيال الصاعدة ؟

المسألة الأولى

نقلنا أقوالاً وآراء لابن غنام وابن بشر ومؤلفين أجانب تصور حالة نجد ، في عصر الشيخ ، صورة مخيفة ..

فابن غنام وابن بشر يقولان إن الشرك طغى على الناس حتى عادوا الى عهد الجاهلية ، قبل الإسلام .. ولم يبق من الدين إلا اسمه ، بعد أن زال رسمه !

ونجد لأقوالهما صدى في كلام الرحالة الأنكليزي « بلغريف » الذي يقول :

« أصبح الدين .. ذكرى بعيدة غامضة .. وظهرت عبادة الجن ، في ظل شجرة أو في أعماق كهف ؛ وقدس الناس الموتى ونذروا للقبور .. وأحيوا عادات قديمة وثنية سيئة .. وأهملوا القرآن ، وتناسوا الزكاة ، والصيام ، والحج .. وما عادوا يعرفون أين تقع القبلة ! »

هكذا كان الدين .. أو « اللادين » !

أما في السياسة : فبداوة تسلب وتقتل وتفرض على المدن المتفرقة « الاخاوة » وتتهدد سلامتها .. وتقطع الطرق .. وحروب متصلة .. وغدر ..

وقد استعنا بكلمة للطبري، نصوّر بها تفرق بلاد نجد الى « دويلات » لا يحصى لها عدد ؛ ضعيفة ، متخاذلة ، متحاربة ، بحيث كانت نجد تجسيداً لقصة « ملوك الطوائف » الرهيبة ، قال الطبري :

« كل منهم كان ملكه قليلاً ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق ، وعدوه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، يغير أحدهم على صاحبه ، ثم يرجع كالخطفة » !

إن هاتين الصورتين القاتمتين ، لحياة نجد الروحية و « الدنيوية » ، قد يكون فيها بعض المبالغة ، فلا بد للصورة الفنية ، أحياناً ، من الإسراف والتبذير في الخطوط والألوان ، لتلفت اليها الأنظار والأفكار ...

وقد يرى بعضهم أن بلاد نجد كانت ، أيام الشيخ ، في بدء تفتح ، من ناحية الأقلية المتعلمة ، لأن فتياناً وكهولاً من نجد كانوا يدرسون الفقه الحنبلي وغيره ، ويرحلون في طلب العلم إلى الاقطار .

ولكن أثر هذه الاقلية في تهذيب الناس لم يكن عميقاً ، لأنهم كانوا يسايرون الناس في معتقداتهم الباطلة ، ويخوضون فيها مع الخائفين ، إلا النذر اليسير منهم ، وقد آثروا العزلة والعافية !

ولنسلم بأنه كان بين رجال الدين طبقة يفهمون الدين على حقيقته ، ولنسلم كذلك بأن البلاد لا تخلو من رجال يؤدون فرائض الدين ، فهل نستطيع أن نذهب أبعد من ذلك ، فندعي أن الجهل لم يكن غالباً .. وأن مظاهر الشرك والبدع لم تكن متفشية بين الخاصة والعامة ؟

والجواب : لا !

لذلك كان كفاح الشيخ لتعليم الناس وتخليصهم من الشرك والبدع والشعوذة والخرافة والانحطاط الخلقي كفاحاً مجيداً ، وكانت آثار دعوته عظيمة جداً ، لم تقف عند الناحية الدينية وحدها ، وإنما تجاوزتها إلى الناحية القومية ، فبفضل محمد ابن عبد الوهاب ومؤازرة محمد بن سعود له ، تألفت أول دولة عربية اسلامية قوية حرة في شبه الجزيرة العربية ، وقد عرف المؤرخون الغربيون المنصفون قدر الدعوة الوهابية فقالوا إنها تعدّ بدء تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، بل بدء تاريخ الشرق الأوسط !

إن الصفة المميزة الأولى للدول السعودية كلها هي تمسكها بالإسلام واتخاذه نظاماً لها ، والصفة الثانية تمسكها بعروبتها ، ولا تناقض بين الصفتين ، ورحم الله الشيخ حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب الذي قال :

« نعرف للعرب حقها وسابقتها وفضلها ونحبهم لحديث رسول الله (ص): « حب العرب من الايمان » . وبغضهم نفاق .

ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل ، فإن قولهم بدعة . »

وكان لهذه الدعوة أثرها العظيم في تغيير الأخلاق ..

بل إنك تجد خصوماً للوهابية ، كعثمان بن سند ، لا يملك نفسه عن التحدث بحسن آثارها في الناس ، فيقول :

« من محاسن الوهابيين أنهم أماتوا البدع ومحوها .

وأمنوا البلاد التي ملكوها ، وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده بلا خفر ..

ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض ..

وصار جميع العرب على اختـــلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كأنهم إخوان ، أولاد رجل واحد ..

وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش إلى الإنسانية ..

وتجد في بعض الأراضي .. بيت « عنزي » وبجنبه بيت « عيتبي » ، وبقربه بيت « حربي » ، وكلهم يرتع .. كلهم إخوان ، ولا تجد أحداً يقول : هذه ديرتي ، ولا يطأها الغريب ! »

كما هو ، مشاهد الآن ، مثلاً – في بعض البلاد ..

المسألة الثانيـــة

لا ينكر أحد على حركة محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية عظيم فضلها ، وأنها أحدثت انقلاباً خيراً في حياة نجد والعرب ، بل وصل أثرها إلى المسلمين في الهند فقام فيهم من يدعو الى مثل دعوة الشيخ ، ولكن هناك مؤلفين غربيين وشرقيين يقولون إن حركة محمد بن عبد الوهاب أدت رسالتها العظيمة في مرحلة من مراحل التاريخ ، ولا يجوز أن نستمر في تطبيق أفكار صاحبها في هذا العصر ، بعد أن تبدلت الدنيا وما عليها ، لأن معنى ذلك الجمود ، أو بتعبير آخر : « إرجـــاع عقارب الساعة – أو الزمن – الى الوراء » !

وهنا وجه الخطأ.

وسبب الخطأ : عدم التفريق بـــين فكرة الشيخ الأساسية ، وبين أساليب تطبيقها .

ثم عدم التفريق بين الدين الإسلامي السمح ، وبين موقف الغـــلاة ، الذين لا يخلو منهم دين ، ولا مذهب ، ولا عصر ولا بلد !

وهذه المملكة العربية السعودية، إنها تسلك في سياستها، سواء في عهد مؤسسها

الملك عبد العزيز ، أم في عهد زعيمها وملكها القائم الملك فيصل سياسة تقدمية ، في الداخل ، وسياسة متفتحة في صلاتها مع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ، فهل وقفت دون ذلك أفكار محمد بن عبد الوهاب ؟

لقد زعم بعضهم ان سياسة المملكة العربية السعودية سياسة وهابية ، وأنها تخاطب الناس من باب الإسلام الواسع ، لا من باب مذهبي محدود ، ضيق .

والحق ، إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يعلن دائماً إنه لا يدعو الى عالم ولا إلى مذهب، وإنما يدعو إلى الإسلام وحده،وسياسة الحكومة العربية السعودية ليست نقضاً لفكرة الشيخ الأساسية وإنما هي تأييد ونصر لها !

وقد يكون صحيحاً قولهم ان ابن عبد الوهاب أخذ بالشدة في أول ظهوره ، وفي بلده ، ولكنه كتب بعد انتشار حركته أقوالاً في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي حرية الناس باتباع اجتهادهم في أمور الدين ، وفي التفريق بين العادات والعبادات ، لا تدع مجالاً للشك في قدرة الآخذين برأي الشيخ ، الواعين لرسالته ، وعياً صادقاً ، على السير في الحضارة والتقدم إلى المدى الأبعد .

وقد نهى الشيخ نفسه عن التقليد ، فلو افترضنا ـ جدلاً ـ أنه أخطأ في بعض آرائه ، فهو لا يلزمنا بها ، لأنه كان داعياً إلى التحرر والتطور ، فكيف يجوز أن ينسب اليه الجمود أو التأخر ؟

إن العالم اليوم تغمره موجة من الأفكار المادية والإلحادية التي تهدد الديانات كلها ، وتعصف بقلوب الشبيبة ، فينبغي لأصحاب الديانات المختلفة فضلاً عن أصحاب الديانة الواحدة ، أن يتقاربوا ، للدفاع عن العقيدة والمثل الروحية العليا ، لأن زمان التنازع والتعصب ، والتمسك بجزئيات الأمور قد انقضى تماماً ، وهذا ما يدركه رجال الدين العقلاء ، في كل مكان .

وإن كلمة الإمام الأشعري ، تبدو اليوم ، أصدق من يوم تصعدت من أعماق نفسه ، بعد أن كان يتهم المخالفين له ويكفرهم ، قال ، قبيل وفاته :

« اشهدوا علي، إنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، فالجميع يشيرون إلى معبود واحد . وإنما هو اختلاف العبادات » .

الجزء الأول

تاريخ اليمامة القديم

يبحث هذا الكتاب في تاريخ الدولة السعودية ، منذ ظهورها في عهد محمد بن سعود ، وليس من اغراضنا تدارس تاريخ البلاد القديم ..

ولكننا نعرف ان التاريخ سلسلة ، تترابط حلقاتها وتتداعى ، واذا فقدت منها حلقة صعب على الانسان أن يفهم حلقاتها الباقيات ويستقصي اخبارها وحقائقها ..

لذلك راينا أن نقدم بين يدي هذا الجزء من كتابنا « توطئة » صغيرة ، نعرض فيها عرضا سريعا وجيزا ، تاريخ اليمامة القديم ، واما بقية مناطق المملكة ، كالحجاز وعسير ، مثلا ، فسنعرض لها متى تكلمنا عن العهد الذي انضمت فيه الى الدولة السعودية .

وسبب ابتدائنا بتاريخ اليمامة ، هو أن امارة الدرعية ـ منطلق الدعوة الوهابية ومهد الدولة السعودية الاولى ـ انما تأسست في هذا القسم من جزيرة العرب ، الذي كانوا يسمونه : « اليمامة » .

فما هي « الادوار » التاريخية التي مرت بها اليمامة ، قبل ان تقوم فيها الدولة العربية الاسلامية الصاعدة ؟

ذلك سؤال يرد على خاطر الرجل المثقف ، عند أول نظرة يلقيها على تاريخ نشوء الدولة السعودية ..

فاحببنا ان نضع له الجواب مختصرا ، ما أمكننا ذلك ..

غموض التاريخ العربي القديم

هل تمدنا الكشوف الأثرية بأخبار الماضي المجهول ؟

استطاع المؤرخون ، بفضل النقوش والآثار القديمة التي وجدت في اليمن والسواحل الجنوبية من جزيرة العرب وفي أماكن أخرى ، أن يضيفوا أشياء جديدة كبيرة القيمة الى ما كان معروفاً، قبل،من أخبار اليمن وعرب الجنوب،في العهود العريقة في القدم ، وأن يصححوا الكثير من الروايات السابقة أو يبطلوها .

وتاريخ اليمن كان ، فوق ذلك ، موضع عناية المؤرخين القدامى من الرومان واليونان ، لأن اليمن تحضرت قبل سائر بلاد الجزيرة العربية وكانت لها تجارة واسعة مع الشعوب الأوروبية، تصدر إليهم منتوجاتها المحلية وتستورد لهم أيضاً من الهند والصين ما يرغبون فيه ويقبلون على شرائه . وكان لليمن سمعة ثراء عريضة ، فطمع بخيراتها الرومان ، ولذلك جهزوا حملة لغزوها، سنة ٢٤ ، قبل الميلاد، قادها واليهم على مصر « ايليوس غالوس » ، ولكن الحملة المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل أخفقت اخفاقاً كاملاً بسبب جهلها بالطرق والمسالك وقوة الطبيعة ، فعادت من حيث أتت ، بعد أن خلفت وراءها خسائر كبيرة في الأنفس والأموال .

ومهما يكن من أمر هذه الحملة فقد لفتت أنظار الرومان بقوة نحو اليمن وجعلت المؤرخين الرومان يولون تاريخ اليمن وجغرافيتها مزيداً من عنايتهم .

أما تاريخ نجد ، بل تاريخ الجزيرة العربية الوسطى والشمالية ، فلم يزل

مجهولا ، لأسباب كثيرة ، قد يكون من أبرزها :

أولا – أن هذه المناطق كانت أقل اتصالا بالشعوب الاخرى القديمة من اليمن .

ثانياً – ان انتقالها الى دور الحضارة وبناء المدن جاء متأخراً عن جاراتها الجنوبيات ، ولعلها لم تعن مثل عنايتهن بتخليد وقائعها وأيامها ، بنقشها على الحجر او غيره .

ثالثاً – لم تجر كشوف أثرية تذكر في هذه البلاد . بعد ...

وتقول دائرة المعارف الاسلامية « النسخة الانكليزية » إن «أورانيوس» ألف خمسة كتب عن بلاد العرب ، لو قدّر لها البقاء لعرفنا بها شيئاً عظيماً عن تاريخ العرب القدامى ، ولكنها ضاعت ، وبذلك انحصرت مصادر التاريخ العربي القديم بما حفظ من اخباره في « السجلات الاشورية » ، والنقوش والكتابات النبطية والعربية ، الى مـــا تناقلته الروايات العربية التي يصعب علينا التفريق بين حقائقها وأساطيرها ، على فقرها وهزالها ...

كشوف جديدة :

قام علماء أمريكان – ساعدت أكثرهم شركة أرامكو وقـــامت هي نفسها باستدعاء بعضهم للتنقيب عن الآثار – بكشوف أثرية في منـاطق النفط وأبعـد من ذلك قليلًا ، وما تزال هذه الكشوف المحدودة موضع دراسة العلماء المختصين .

جنة الله على الأرض

وقـــد أثبتت الدراسات الجيولوجية ، والكشوف الأثرية ، التي ظهرت حتى الآن ، أن الجزيرة العربيـــة كانت ، في الأزمان العريقة في القدم ، قطعة من الفردوس منثورة على وجه الأرض ، تغمرهـــا الأشجار والأزهار ، وتتدفق فيها العيون والأنهار ، ويتكاثر فيها الحيوان والطير ، ويجد فيها الانسان رزقه بأهون

سبب ، بينما كانت أوروبا ، في تلك العصور ، بلاداً ميتة، ترقد تحت طبقات كثيفة من الجليد الدائم ، كالذي يشاهد في أقاصي القطب الشمالي .

ثم أخذت الطبيعة تتحول ، بفعل القادر على كل شيء ، فأصبحت الجزيرة بلاداً جافة حارة ، وغاضت ينابيعها ونضبت أوديتها وعادت جنانها صحارى مقفرة .. وكأن الفردوس انتقل عنها الى أوروبا ، فاذا المناطق الأوربية الميتة تبعث حيـة ، تفيض بالنعم والخيرات ، والأنهار والبحيرات ، وترتدي حللا سندسية من العشب النضير ، وتقوم فيها الرياض والغابات العجيبة .

في العصر الحجري

اكتشفت في « الدوادمي » أدوات من الصوان ، كالفؤوس وغيرهـــا ، كان يستعملها السكان في العصر الحجري، واستدل بذلك على أن الجزيرة العربية كانت، في العصر الحجري الأول ، موطناً للصيادين ، كما اكتشفت في الربع الخالي أدوات ترجع الى العصر البرنزي [1] .

حضارة الجنوب والأنباط

وتدل الكشوف الأثرية التي جرت في « جاوان » و « ثاج » وغيرهما على أن حضارة عرب الجنوب وحضارة العرب الأنباط كانتا تتعاقبان أو تتلاقيان وتمتزجان في سواحل الخليج العربي وعلى أرض نجد واليمامة ، في القرن الخامس للميلاد وقبل ذلك ، ولكننا لا نستطيع منذ الآن أن نجزم بشيء .. ولا بد لنا من انتظار فترة من الوقت للتثبت من محتويات الكشوف الأثرية ..

---

١ – دائرة المعارف الاسلامية « الطبعة الانكليزية » .

اليمامة قبل الإسلام

طسم وجديس

لا نجد في كتب التاريخ العربية القديمة ، من أخبار اليمامة ، قبل الإسلام ، إلا شيئاً يسيراً ، نقل أكثره من روايات ابن الكلبي ، التي تغلب عليها الصبغة « الأسطورية » .

وسننقل الآن شيئاً مما وجدناه في هذه الكتب ، وإن كانت النفس لا تطمئن اليه ، مضيفين اليه ما وجدناه في المصادر الغربية ، ولعل الدراسات التاريخية والأثرية الجديدة تكشف لنا غداً ، إن شاء الله ، عما نجهله اليوم من أحوال اليمامة .

قالوا : كان اسم اليمامة قديماً : جوا ، والقرية ، والعروض ، وكانت منازل لـ« طسم » و « جديس »[1] . ويزعم القلقشندي أنها كانت لبني هزان من العرب البائدة ، ثم غلبهم عليها طسم ،و هم من العرب البائدة أيضاً ، وينسبون في الأزد ، من قبائل اليمن .

أما الدينوري ، فيقول ، في « الأخبار الطوال » إن « طسم » هو ابن ارم بن سام بن نوح ، و « جديس » أخوه ، وأنهما أتيا من بابل ، فسكن طسم عمان

(١) أنظر معجم البلدان لياقوت . ويقول الجاسر إن (جو) ليس اسم اليمامة ، والقرية اسم سدوس ، وعندنا أن اسم (جو) أطلق على اليمامة في الشعر ، واسم القرية أطلق أيضاً على اليمامة ، كما أطلق على سدوس ، والله أعلم .

والبحرين ونزل جديس اليمامة .

ويقول الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » : « كانت جديس تسكن الخضرمة ، وكانت طسم تسكن الخضراء » ، وهو يعني بالخضراء بلدة حجر ، وكلتا الخضرمة وحجر في اليمامة .

أسطورة اليمامة

عاشت قبائل طسم وجديس فترة من الزمان متحابة متعاونة في ظل ملك واحد ، ثم ثارت بينهم الحرب ، وكانت سبب دمار بلادهم وزوال دولتهم .

يروي لنا « ابن الكلبي » قصة هذه الحرب – ولعلها أسطورة قديمة – فيفيض عليها ما شاء من شاعريته وخياله ، فهي إن لم تكن تاريخاً ، عُدّت من روائع الفن القصصي عند العرب ![1]

---

(1) وخلاصتها : أنه كان لطسم ملك ظالم ، مستهتر ، لا يمسكه شيء عن هواه ، يدعى : « عمليق » .

قالوا : تنازع رجل وامرأة – وكانا من جديس – في مولود لهما أراد أبوه أن يأخذه ، فأبت عليه ذلك أمه ، فارتفعا إلى الملك عمليق ، وأدلى كل منهما بحجته ، فأمر الملك بالغلام أن يقبض منهما ويجعل في غلمانه ! ...

فقالت المرأة ، وكان اسمها هزيلة :

« أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فأظهر حكماً في « هزيلة » ظالما !
لعمري لقد حكمت لا متورعا ولا كنت فيما يلزم الحكم حاكما »

فبلغت أبياتها الى عمليق ، فنقم على نساء جديس كلهن ، وأمر أن لا تزوج بكر من جديس حتى تدخل عليه ، فلقوا من ذلك هولاً وذلا .. حتى تزوجت « عفيرة » ، فحملوها ، قبل أن يدخلوها على زوجها ، الى الملك عمليق ، فامتنعت عليه ، فوجأها بحديدة في أسفل بطنها ، وخرجت والدم يسيل منها ، فمرت بأخيها سيد جديس ، وهو في جمع من قومه ، وأنشدت ، وهي تبكي :

« لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ? »

ثم قالت تخاطب قومها :

« أيجمل أن يؤتى الى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد الرمل ؟
فلو أننا كنا رجالاً وكنتمُ ... نساءً لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ... وكونوا كنارشب بالحطب الجزل »

قالوا : ثم دعا « الأسود » ، أخو عفيرة ، الملك عمليق وأشراف قومه الى مأدبة ، فلما حضروا وأكلوا ، وثب الأسود على الملك عمليق فقتله ، ووثب رجال جديس على ضيوفهم فقتلوهم ..

.. وفر رجل من طسم ، يقال له ، « رياح » ، الى الملك « حسان » الحميري ، يستغيث به فلقيه في نجران ، وقيل بمكة ، فأغاثه ، وزحف حسان بجيش كبير الى جو .. ، فلما كان على مقربة ليلة من جو ، عند جبل هناك ، قال له رياح : توقف أيها الملك : فان لي أختاً متزوجة في جديس ، يقال لها اليمامة ، وهي أبصر خلق الله على بعد ، فانها ترى الشخص من مسيرة يوم وليلة ، وإني أخاف أن ترانا وتنذر بنا القوم !

فأمر الملك رجلا أن يصعد الجبل فينظر ما يرى ، فلما صعد الجبل دخلت شوكة في رجله فأكبّ عليها يستخرجها ، فأبصرته اليمامة ، وأنذرت قومها ، فلم يصدقوها (١) ..

ثم أمر الملك أصحابه أن يقطعوا من الشجر أغصاناً ويتستروا بها ، ليشبّهوا على اليمامة ، كما أمرهم أن يكون مسيرهم ليلًا .. فقطعوا الشجر ، وأخذ كل رجل بيده

---

١ - وفي ذلك يقول الشاعر الأعشى :

« اذ أبصرت نظرة ليست بفاحشة ... اذ رفع الآل رأس الكلب فارتفعا
قالت أرى رجلا في كفه كتف ... او يخصف النعل لهفا أية صنعا !
فكذبوها بما قالت فصبحهم ... ذو آل حسان يزجي السمر والسلعا »

وهناك إمرأة أخرى عرفت بحدة البصر ، في الجاهلية ، وهي حذام ، وفيها يقول الشاعر :

« اذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام . »

غصناً حتى إذا دنوا من « جو » نظرت اليمامة ، فقالت :

إني أرى شجراً من خلفها بشر　　لأمر اجتمع الأقوام والشجر !..

ولم يصدقها قومها هذه المرة أيضاً ... وصبحتهم خيل حمـــير ، واستولوا على البلد ، وأمر الملك باليمامة أن تقلع عيناها وتصلب على باب « جو » ، ثم بدا له فأمر أن تسمى البلدة : « اليمامة » .

قالوا : « وخربت اليمامة من يومئذ ، وبقيت خراباً حتى جاءها بنو حنيفة » .

*

ذاك تاريخ اليمامة القديم ، كما تقصه علينا كتب التـاريخ والأدب العربي ، وهو ، كما قلنا ، أشبه بالأساطير . ويحددون زوال ملك طسم بالقرن الخامس للميلاد .

قلاع اليمامة وقصورها :

في كتب الأدب والتاريخ القديمة ذكر لبعض قلاع اليمامة وقصورها ، في عهد طسم وجديس ، ولعل الكشوف الأثرية ، في المستقبل ، تظهر لنا من أخبـــارها ما نجهله .

وقد ذكر « ياقوت » من هذه القـلاع والقصور : الشموس والمشقر والمعنق ، قال :

الشموس ، من أجود قصور اليمامة ، يقال إنه من بناء جديس وهو محكم البناء .

معنق ، قصر عبيد بن ثعلبة بحجر اليمامة ، وهو أشهر قصور اليمامة ، يقال إنه من بناء طسم ، وهو على أكمة مرتفعة وفيه وفي الشموس يقول الشاعر :

أبت شرفات من شموس ومعنق　　لدى القصر منا أن تضام وتضهدا

المشقّر ، كأنه مأخوذ من الشقرة وهي الحمرة ، أو من الشقر وهي شقائق النعمان .

قال ابن الفقيه : هو حصن بين نجران والبحرين ، يقال انه من بناء طسم وهو على تلّ عال ، ويقابله حصن بني سدوس ، ويقال انه من بناء سليمان بن داود عليهما السلام .

وقال غيره : المشقر حصر البحرين ، عظيم ، لعبد القيس .. قال الشاعر :

(تركت قريشا أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقّر)

ويقول جرجي زيدان :

« من أشهر مدن طسم وجديس : القرية في اليمامة ، ويقال لها خضراء حجر ، وهي حاضرة طسم وجديس ، فيها آثارهم وحصونهم وبتلهم ، الواحد بتيل ، وهو بناء مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء ، من طين ، وقد رآه المسلمون في القرن الثالث أو الرابع ، وذكر أحدهم أنه أدرك بتيلا طوله (٥٠٠) ذراع ، ولعل زرقاء اليمامة نظرت جيش تبّع من أحدها .

وفي اليمامة بلد إسمه (جعدة) فيه قصر يعبرون عنه بالعادي ، لقدمه ، ويذكرون أنه من بناء طسم وجديس وأنه حصن منيع .[1]

---

(١) جعدة إسم رجل لا إسم بلد ، وكانت البلدة مقرأ له ، فيصح القول إنها بلد (جعدة)!

عنزة وحنيفة

قال الدينوري ، في « الاخبار الطوال » :

(بقيت اليمامة والبحرين ، بعد مقتل جديس ، ليس بها احد ، الى ان كثرت ربيعة وانتشرت وتفرقت في البلاد ، فسارت عنزة بن أسد بن ربيعة تتبع مواقع الغيث ، وتقدمها عبد العزي بن عمرو العنزي ، حتى هجم على (اليمامة) ، فرأى بلادا واسعة ونخلا وقصورا .. فاقام (في اليمامة) أياما ، ثم تبرم بمكانه ، فمضى سائرا حتى سقط الى البحرين ، فرأى بلادا اوسع من اليمامة ، وبها من ولد كهلان حين هربوا من سيل العرم ، فاقام معهم .) .

ويقول ياقوت ، في معجم البلدان : « خرجت بنو حنيفة ... يتتبعون الريف ويرتادون الكلا ، حتى قاربوا اليمامة ، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة ، منتجعا باهله وماله يتتبع مواقع القطر ، حتى هجم على اليمامة ، فنزل موضعا يقال له : (قارات الحبل) ، وهو من« حجر » على يوم وليلة ، فاقام به اياما .. فخرج راعي عبيد حتى اتى قاع حجر ، فرأى قصورا ونخلا وأرضا ، وعرف أن بها شانا ، وهي التي كانت لطسم وجديس فبادوا .. فرجع الراعي حتى آتى عبيدا ، فقال :

والله اني رايت آطاما طوالا ، واشجارا حسانا ، هذا حملها ..

واتى بالتمر معه ، مما وجده منتثرا تحت النخل ، فتناول منه عبيد واكل ، فقال :

ـ هذا والله طعام طيب !

واصبح ، فامر بجزور ان تنحر ، ثم قال لبنيه وغلمانه : احترزوا حتى آتيكم .

وركب فرسه ، واردف الغلام خلفه ، واخذ رمحه ، حتى آتى حجرا ، فلما رآها لم يحل عنها ، وعرف انها أرض لها شان ، فوضع رمحه في الارض ، ثم دفع الفرس ، واحتجر ثلاثين قصرا وثلاثين حديقة ، وسماها (حِجرا) ، وكانت تسمى اليمامة .. ثم ركز رمحه في وسطها ، ورجع الى أهله ، فاحتملهم حتى انزلهم بها ..

وتسامعت بنو حنيفة ، ومن كان معهم من بني بكر بن وائل ، بما أصاب عبيد .. فاقبلوا فنزلوا قرى اليمامة . » .

دولة عربية نبطية في القرن الرابع بعد الميلاد

يقول ابن الكلبي : إن ملك حمير أزال دولة طسم وأقام مكانها دولة كندة . ولكن يبدو أن بلاد اليمامة ونجد خضعت، قبل استيلاء الكنديين عليها، إلى ملك عربي كبير، هو : « امرؤ القيس بن عمرو » الذي امتدت مملكته من نجد واليمامة إلى نجران إلى تخوم الشام، كما ثبت ذلك بكتابة نبطية، جليلة القيمة، وجدت على قبر امرىء القيس بن عمرو، بالقرب من حصن النمارة، من الشام، وهذه صورتها « الفوطوغرافية » :

1. תי נפש מראלקיש בר עמרו מלך אל-ערב כלה דו אשר אל-תג
2. ומלך אל·אשדין ונזרו ומלוכהם והרב מדחגו עכדי ונא
3. בזגי (?) פי הבג נגרן מדינת שמר ומלך מעדו ונזל בניה
4. אל-שעוב ווכלה לפרש ולרום פלם יבלע מלך מבלעה
5. עכדי הלך שנת 200 + 20 + 8 יום 7 בכשלול בלשעד [ד]ו ולדה

ترجمة النص

وقد قام الآثاريون بترجمة هذا النقش إلى اللغة الافرنسية، ونشر « دوسو » النص والترجمة في كتابه : « العرب في الشام قبل الاسلام »، وهذا تعريبه :

« ١ — هــــذا هو قبر امرىء القيس بن عمرو، ملك جميع العرب، ذلك الذي كلل بالتاج .

٢ — ذلك الذي أخضع قبيلتي أسد وقبيلة نزار وملوكها، هذا الذي شتت

شمل مذحج حتى يومنا هذا ، ونال

٣ ــ نجاحاً في حصار نجران ، مدينة شمر ، ذلك الذي أخضع قبيلة معدّ ، ذلك الذي ولّى أولاده .

٤ ــ على القبائل ، وندبهم لدى الفرس والرومان . لم يصل ملك إلى مجده .

٥ ــ حتى يومنا هذا . ومات عام « ٢٢٣ » في السابع من كسلول . لتنعم ذريته بالسعادة . »

ويقول « درسو » ، اعتماداً على هذا النقش وعلى روايات تاريخية أخرى ، إن أمرأ القيس بن عمرو ، كان ملكاً عربياً ، من الأنباط ، ألّف دولة عربية كبيرة ، في أوائل القرن الرابع للميلاد ، تضم تحت رايتها عرب الشام ونجد وتمتد إلى حدود اليمن ، وقد رَأّسَ كل ولد من أولاده على قبيلة من القبائل العربية الخاضعة لسلطانه ، واستطاع الظفر برضاء الدولتين المتنافستين ، فارس وبيزنطة ، لأن الفرس هم الذين كللوه بالتاج ، والعرب لا يعرفون ذلك ، ومع هذا رضي عنه الرومان وقبلوا سيادته ورئاسة أولاده على القبائل المقيمة في أراضي الشام ، التي كانوا يسيطرون عليها !

أما وصفه ، في النقش، بأنه ملك جميع العرب ، ففيه مبالغة ظاهرة، والمقصود هو أنه ملك عرب الحيرة ، ونجد ، والشام .

ولا يسعنا ، على كل حال ، أمام هذا الكشف الأثري ، الذي يثبت لنا قيام دولة عربية في نجد في القرن الرابع ، إلا أن نعيد النظر في رواية ابن الكلبي ..

وقد يكون التفسير المعقول لما حدث في اليمامة ، في نهاية ملك طسم ، هو أن جنود حمير وكندة غزت بلاد اليمامة ونجد ، في طريقها الى الحيرة ، ولكنها لم تؤسس دولة هناك فور هزيمة (طسم) ، وإنما تأسست الدولة بعد ذلك بفترة من الزمن .

وربما انتهزت القبائل العدنانية فرصة انهيار ملك طسم ، فتغلغلت في بلاد اليمامة ونجد أكثر فأكثر ..

ومهما يكن الأمر ، فسكان نجد واليمامة ، الذين تولى عليهم ملوك كندة لم يكونوا رجال طسم المهاجرين من اليمن، وإنما كانوا عرباً من ربيعة ومضر ..

مملكة كندة

نشأت مملكة كندة في نجد واليمامة ، بمؤازرة الدولة الحميرية اليمنية ، ولذلك كان ملوك كندة حلفاء طبيعيين لليمن .

ويقول « حتي » إن رؤساء كندة هم أول من تلقب من حكام العرب بلقب « الملك » ، فقد « جرى العرب عادة على اطلاق هذا اللقب على الملوك الأجانب »[1] .

وكانت الدول العربية الشمالية في عصر كندة ، هي :

١ — دولة الغساسنة ، في الشام .

٢ — دولة اللخميين ، في العراق .

٣ — دولة الكنديين ، في اليمامة ونجد .

وكان ولاء كندة لحمير ، وولاء الغساسنة للرومان « البيزنطيين » ، وولاء اللخميين في الحيرة لفارس ، وكانت هذه الدول تتنافس وتتحارب .. ولم تكن مستعمرات أو محميات ، ولكن ظروفها كانت تستوجب منها في بعض الأحيان محالفة الدول الكبيرة ، والقتال معها ، وقد تثور عليها متى سنحت لها الفرصة .

أما دولة كندة ، فبقيت حتى النهاية على ولائها لليمن ، لصلات القربى التي تصل بينهما ، فهما شعب واحد .

ومما يلاحظ أن هذه الدول الثلاث « الغسانية واللخمية والكندية » التي تأسست

---

١ — فيليب حتي : تاريخ العرب (المطول) .

في الجزء الشمالي من جزيرة العرب الذي نعتبره موطناً للعرب العدانية ، كانت كلها « قحطانية » ، كما يزعم المؤرخون والنسابون . ويتشكك الكاتب جرجي زيدان في « قحطانية » هذه الدول ، لأن لغتها عدنانية لا حميرية ..

مؤسس مملكة كندة

كانت عشائر كندة ، تقيم في حضرموت ، وقصبتهم فيها : بلدة « دمون » ، ويزعم بعض المؤرخين ان أصل كندة من البحرين ، ولكنها أجليت عنهـــا الى حضرموت ، وكان عدد رجالها ثلاثين ألف نفس . وقيل إن كندة اضطرت الى النزوح عن حضرموت اضطراراً،بعد هزيمتها في المعارك مع عشائر حضرموت، فهاجرت الى الشمال ونزلت في مكان من الجنوب الغربي من نجد يعرف باسم « غمر ذي كندة » .[1]

وفي القرن الخامس للميلاد غزا تبع اليمن « حسان » بلاد الحيرة وحلفاءها في نجد واليمامة ، فغزت معه عشائر كندة ، وكتب له النصر ، فأقام رئيس كندة ، واسمه « حجر آكل المرار » رئيساً على عشائر اليمامة ونجد كلها ولقبه بلقب الملك ، وكان حجر أخاً لحسان من أمه ، وخادماً مخلصاً له ، وبذلك نشأت «مملكة كندة» .

وقيل إن عشائر اليمامة ونجد هي التي أرسلت وفداً منها الى اليمن وطلبت من حسان ، ملك اليمن أن يولي عليها حاكماً من قبله ، فاستجاب لطلبها ، وملك عليهم أخاه « آكل المرار » ، لقب بذلك « لكشر كان فيه » ، كأنه أكل من العشب المر ، الذي تتقلص له ، عادةً ، مشافر الابل .[2]

ويقول جرجي زيدان ، ملخصاً بعض الروايات العربية ، إن سفهاء بكر بن وائل « غلبوا على عقلائها ، وغلبوهم على الأمر ، وأكل القوي الضعيـــف ، فنظر العقلاء في أمورهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي ، ورأوا

---

١ – دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانكليزية)

٢ – فيليب حتي : تاريخ العرب .

مع ذلك أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم إذ يطيعه قوم ويخالفه آخرون، فأجمعوا على أن يسيروا الى تبع اليمن « حسان » ، وكان التبابعــة للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين ، وطلبوا إليه أن يولي عليهم ملكاً ، وكان « حجر » المذكور ذا رأي ووجاهة فولاّه عليهم ..

فقدم حجر الى نجد ونزل « بطن عاقل » ، وكان اللخميون قد ملكو كثيراً من بلاد نجد ، ولا سيما بلاد بكر بن وائل ، فنهض حجر بهم وحــارب اللخميين وأنقذ أرض بكر منهم ، فأجمعت كلمة العرب على احترامه » .

ولا يستبعد العقل أن تكون قبائل كندة هي التي استدعت العرب اليمانيــة لنجدتها ضد دولة الحيرة وحليفاتها في نجد .

ملوك كندة

حجر آكل المرار

كان حجر آكل المرار أول ملوك كندة ، ويقول « القرماني » في تاريخه :

« ذكر صاحب البحر الزخار أن أول ملوكهم : « حجر »، بضم الحاء المهملة، وهو من أولاد سبأ ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم ، بغير مَلِك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما مَلَكَ حجر سدّدَ أمورهم وساسهم ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل أحسن العشائر والقبائل » .

عمرو بن حجر

خلف حجراً ، بعد موته ، ابنه « عمرو » وكان لقبه : « المقصور » ولم يطل ملكه ، فقد قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . ويقول صاحب « الأغاني » إنه كان لعمرو أخ يدعى « معاوية » ، ولاّه على « اليمامة » .

الحارث بن عمرو

خلف الحارث أباه عمراً ، بعد مصرعه .

ووجدنا في المعجم الكنسي ، الذي يبحث في تاريخ الكنائس المسيحية في كل بلاد العالم ، أن « الحارث بن عمرو » كان وثنيـــاً شديد التعصب لوثنيته ، وأنه اكتسح فلسطين عام ٤٩٧ م . وعذب كثيراً من المسيحيين فيها .

وفي عام ٥٠٢ م . عقد البيزنطيون صلحاً معه ، وقعه الحارث وأفراسيون ، نيابةً عن الأمبراطور انسطاس ، ولما أمن الحارث جانب الرومان ، انصرف الى محاربة المنذر ، وحلّ في عرش الحيرة محله ، ولكن فتنة نشبت في بعض قبائله في فلسطين اضطرته الى مغادرة الحيرة والعودة الى فلسطين ، فلحق به المنذر وتغلب عليه ، ويقال إن جماعة من بني كلب هم الذين قتلوا الحارث .

ويقول القرماني: لما عاد المنذر إلى ملك أبيه زمن « أنوشروان» ،هرب الحارث الى ديار بكر ، ثم فرق البلاد التي بقيت في ملكه بين أولاده .

ويقول مؤلف « الأغاني » إن الأشراف من قبائل ربيعة ومضر ، جاؤوا الى الحارث ، وقالوا له : « إنّا في دينك ، ونحن نخاف أن نتفانى، فيما يحدث بيننا، فوجه معنا بنيك ينزلون فينا ، فيكفون بعضنا عن بعض » .

فملك ابنه حجر ، على بني أسد بن خزيمة ،
وملك ابنه شراحيل ، على بكر بن وائل ،
وملك ابنه مسلمة ، على تغلب .
وملك ابنه معدي كرب ، على قيس عيلان .

زوال مملكة كندة ، وكانت : أول محاولة لتوحيد القبائل

يقول المؤرخ الكبير « حتي » إن أبناء الحارث اختلفوا فيما بينهم ، فكان ذلك سبب زوال ملك كندة، لأن كل واحد منهم كان يتزعم قبيلة، فأدى خلافهم «الى انحلال وحدة كندة وتلاشي الدولة ... أما الباقون من أبناء كندة فرجعوا الى

منازلهم بحضرموت،وبذلك انقرضت معالم دولة نشطت الى مناظرة الحيرة، فكانت هي وغسان الدولتين اللتين نازعتا الحيرة البقاء ...

.. ولا تنحصر أهمية كندة فيما أتى به أبناؤها من الأعمال، وما حازوه من مجد وسؤدد، ولكن بما لها من الفخار العائد الى كونها تمثل أول محاولة قام بهـا عرب الجزيرة الوسطى ، لجمع شمـل القبائل تحت زعامة واحدة مركزية يتولاها سيد واحد ، فكانت محاولتها من هـذه الناحية سابقة أفاد منها أهـل الحجاز والنبي محمد » .

حجر بن الحارث وابنه امرؤ القيس

كان حجر ، أعظم أولاد الحارث وأكثرهم شهرة بين القبائل .

ويقول المعجم الكنسي إن حجراً حارب القائد الروماني « رومانوس » فانتصر عليه القائد الروماني وأسره ، كما أسر أخاه معدي كرب ..

وفي كتب الأدب أن حجراً فرض على بني أسد إتاوة ثقيلة، وأرسل اليهم جباته ليحصلوها، فامتنعوا عن أدائها لهم، وضربوهم ومثلوا بهم، فسار اليهم حجر في كتيبة من جنده وأخذ يقتلهم بالعصا ، فسموهم : « عبيد العصا » .

ثم هدأت الأمور ، بعد وساطة الشاعر عبيد بن الأبرص ، ولكن كاهن بني أسد أبى إلا تحريض قومه على حجر ، ففاجأوه وهو في قبته وقتلوه ! وبموته زالت مملكة كندة .

وكان مقدراً لابن حجر : امرىء القيس ، الشاعر الجاهلي الكبير ، الذي لقبوه بالملك الضليل ، أن يتولى الملك بعد أبيه ، ولكن بني أسد ، الذين كان يرجى أن يكون ملكاً عليهم ، أصبحوا أعداء له .. فحاربهم وفعل بهم الأفاعيل ولكنه لم يملكهم ، ثم قتل المنذر إخوته ، وأراد قتل امرىء القيس نفسه فهرب إلى الروم ، ومات من قروح انتشرت في بدنه .

العرب والفرس

ربيعة ومضر

لم تنفرد ربيعة بسكنى اليمامة وما حولها ، وإنما كانت تجاورها في مساكنها ، أو تقاسمها بعضها ، قبائل من مضر ، كتميم وقيس عيلان .

انتشرت ربيعة بفرعيها الكبيرين : بكر بن وائل وتغلب بن وائل ، الى البحرين والعراق والشام وغيرها ، ولكن بقيت بطون وجماعات منهم كبيرة في اليمامة ونجد ، وخصوصاً « بني حنيفة » ، فقد استقروا كلهم في اليمامة ولم يرحل أحد منهم الى غيرها .

وأما مضر فقد انتشرت قبائلها ، هي أيضاً ، من اليمامة الى غيرها من البلاد ، ولكننا نستطيع القول ان تميم – وهي أعظم تلك القبائل المضرية – لم تهاجر بقضها وقضيضها ، كما فعلت تغلب ، وإنما بقيت منها في اليمامة ونجد أعداد ضخمة تساوي بني حنيفة أو تفوقهم .

و « بنو حنيفة » ، و « بنو تميم » هما ، على كل حال ، أعظم القبائل العدنانية في اليمامة ، وتمثلان فيها ربيعة ومضر ، وإن كانتا لا تنفردان بذلك ، ففي اليمامة قبائل أخرى عدنانية ، وهناك أيضاً قبائل قحطانية ، ولكنها لم تكن ذات شأن في اليمامة عند ظهور الاسلام .

قبائل العرب والفرس

كانت القبائل العربية في اليمامة ونجد ، وفي سائر البلاد التي انتشرت اليها ، ما عدا الشام ، موالية للفرس وللدول العربية المتحالفة معهم . وذلك ، طبعاً ، بعد زوال مملكة كندة ، الموالية لحمير .

استخدم ملوك لخم ، وخصوصاً النعمان بن المنذر ، في جيوشهم رجالاً من بكر ابن وائل وغيرهم من العرب، وكانت عنده كتيبة منهم ، يقال لها : « الصنائع ».

وقعة ذي قار .. ترفع سيطرة الفرس !

اصطدمت قبائل بكر بن وائل بالفرس مرتين : مرة في عهد شابور ، ومرة بعد البعثة النبوية ، في معركة مشهورة عرفت باسم : « وقعة ذي قار » أو « يوم ذي قار » .

لم تشترك حنيفة في هذه المعركة ، لانقطاعها عن قومها في اليمامة ، بل قيل ان حنيفة كانت معتزلة عن بكر بن وائل ، لا تنصرهم ولا ينصرونها .

واشترك في صفوف الفرس مقاتلة من تميم ومن اياد ، ولكنهم انسحبوا عند التحام المعركة .

ويقول الطبري ان سبب المعركة أن كسرى قتل النعمان ، وكانت حلقة النعمان عند بعض بكر بن وائل ، فطلبها كسرى فأبوا أن يسلموها اليه ، فعزم كسرى على استئصال شأفة بكر بن وائل فأشاروا عليه أن يفجأهم عند ذي قار ، لأنهم في القيظ يتساقطون على ماء ذي قار تساقط الفراش في النار ..

وهكذا أقبل الفرس ومعهم الفيول ..

وتوزعت بكر فيما بينها حلقة النعمان – يعني أسلحته – وحملوا حملة صادقة ، وتقدمت « عجـل » ، وأبلت بلاء حسناء ، وكانت امرأة منهم تقول ، تحض الرجال :

إن تَهْزِموا نعانقْ ونفرش النمارق
أو تهربوا نفارق فراق غير وامق .

ثم أرسلت « اياد » ، وكانوا في صف كسرى ، سراً الى بكر : أيها أعجب

إليكم ، أن نفرّ تحت ليلتنا فنذهب ، أم نقيم ثم نفر متى لاقيتم القوم ؟
قالوا : بل تقيمون ، فاذا التقى القوم انهزمتم بهم ..
وعند اللقاء ، انهزمت اياد ، كما وعدتهم » .

النبي (ص) يدعو لربيعة

كانت معركة ذي قار معركة رهيبة ، تخوضها قبيلة عربية بدوية ، ضد دولة الفرس الأكاسرة ، التي كانت من دول العالم المعدودة

وشاء الله سبحانه أن تنتصر القبيلة على الدولة. ولعل ذلك كان بشيراً بانتصار الإسلام ، فيما بعد ، على دولتي الفرس والروم .

روي أن النبي محمد (ص) ، مثلت له وقعة ذي قار ، وهو بالمدينة ، فقال :
« اليوم انتصفت العرب من العجم » ، وفي رواية : « وبي نُصِروا » .
وقيل إنه (ص) رفع يديه إلى السماء ، وقال :
« ليهن بني ربيعة . اللهم انصر بني ربيعة » .

ويزعم صاحب « الأغاني » ان بني ربيعة كانوا اذا حاربوا دعوا بشعار النبي (ص) ودعائه لهم ، وقال قائلهم : « يا رسول الله وعدك » !

وقد خلد الشعراء ذكر يوم ذي قار ، فقال الأعشى ، من قصيدة :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... وراكبها يوم اللقاء وقلّت
همُ ضربوا بالحنو حنو قراقر ... مقدمة الهامرز حتى تولت

ديانة العرب

وكان في اليمامة ، في عهد طسم وجديس : « بتل »، جمع بتيل، أو بيت ايل ، أي بيت الله ، وكانوا يتجهون اليه بالعبادة ، ويقول الهمداني، عند كلامه على القرية الخضراء ، يعني حجر اليمامة ، التي قامت الرياض على أرضها :

« هي حضور طسم وجديس ، وفيها آثارهم وبتلهم — جمع بتيل ، وهوهنّ مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء من طين .

قال أبو مالك : لحقتُ منها بناء طوله مائتا ذراع في السماء ، وقيل كان منها ما

طوله خمسمائة ذراع » .

وبعد فناء طسم وجديس ، بقيت الديانة المتفشية في اليامة ونجد ، بين القبائل العربية النازلة بها : الوثنية ، ديانة سائر العرب .

وكان فيهم عدد قليل من النصارى ، ويقول المعجم الكنسي : ان الدعوة المسيحية لم تلقَ أذناً صاغية في جزيرة العرب ، باستثناء نجد ، فقد تسربت اليها المسيحية في القرن السادس للميلاد .

وكانت قبائل تغلب بن وائل أكثر قبائل العرب نصارى .

ويقول صاعد الأندلسي، نقلاً عن ابن قتيبة : كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة .. وكانت المجوسية في تميم .

ويقال ان قبائل تميم عبدت : « الدبران » ، وان اياد وبكر بن وائل عبدتا صنماً اسمه : « ذو الكعبين » و « كعبة سنداد » . [1]

وقيل انه كان لبني حنيفة صنم يعبدونه من حيس – أي من تمر – فلحقهم في بعض السنين مجاعة فأكلوه ، فقال الشاعر :

أكلت حنيفة ربها   عام التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم   سوء العواقب والتباعة

وأكبر الظن أن هذا ضرب من التندر وأن شأن حنيفة كان كشأن قبائل ربيعة الأخرى ، في عبادة الأوثان .

وعبادة العرب للأوثان لا تعني ، على كل حال ، أنهم لم يكونوا يعبدون الله تعالى ، فقد كان جميع عبدة الأوثان من العرب ، كما يقول صاعد ، (موحدة لله تعالى ، وإنما كانت عبادتهم لها ضرباً من التدين بدين الصابئة، في تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقده الجهال بديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى الأوثان هي الخالقة للعالم، ودليل ذلك قوله تعالى: « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .)

---

١ – قسم صاعد الاندلسي عبادة الكواكب بين القبائل العربية .. فقال : « كانت حمير تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وتميم الدبران ، ولخم وجذام المشتري ، وطيء سهيلا ، وقيس الشعرى ، وأسد عطارد . »

اليمامة في الإسلام

كانت صلات بني حنيفة بالفرس حسنة ، حتى أن كسرى توج «هوذة بن علي» من رؤسائهم ملكاً ، وكان مقره في موضع الخضرمة أو اليمامة في الخرج .

وكان في اليمامة ، بالمعنى الواسع ، زعيم آخر ، يدعى : « ثمامة بن أثال » ، وكان مقره في بلدة « حجر »[1] - أي « الرياض » اليوم .

وتذكر لنا كتب السيرة والتاريخ أن النبي محمد (ص) أرسل إلى هوذة بن علي كتاباً يعرض فيه عليه الاسلام ، فأبى إلا إذا جعل له من الأمر شيء ..

أما ابن أثال فجاء الى مكة للعمرة ، فأسره المسلمون ، فعرض على النبي (ص) أن يفتدي نفسه بمال ، ولكن النبي مَنّ عليه وأطلقه بغير شيء ، فأسلم ، ورجع إلى بلاده ، فتابعه على الإسلام عدد من سكان القرى ، ثبتوا على إسلامهم معه الى النهاية .

وفود بني حنيفة

وفي عام الوفود ، جاءت الى النبي جماعات من بني حنيفة وغيرهم ، من اليمامة ونجد ، فأسلموا وعادوا إلى بلادهم .

---

١ - انظر مقالات العالم المحقق الاستاذ حمد الجاسر في جريدة « اليمامة » عن تاريخ مدينة الرياض .

مسيلمة الكذاب

كان بين وفود بني حنيفة الى النبي (ص) رجل منهم ، اسمه : مسلمة بن حبيب ، أسلم وبايع وعاد الى اليمامة ، ولكنه لم يكد يصلها ، حتى زعم لقومه أن النبي محمد (ص) قبل مشاركته في النبوة ، وشهد له على ذلك الرجال بن عنفوة ، الذي كان معه في الوفد ، وتبعه فريق من الناس خدعوا بـــه أو تخادعوا له ، ونقول « تخادعوا » ، لأن بعضهم ما تابعوه إلا ليتخلصوا من دفع الزكاة ..

وربما مال اليه آخرون لمجرد أنه حنفي ، فقد روي عن طلحة النمري أنه جاء مسلمة ، فقال له : أنت مسلمة ؟ قال : نعم ! قال : من يأتيـك ؟ قال : رحمان ! قال : في نور أم في ظلمة ؟ قال : في ظلمة .

قال : أشهد أنك كاذب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر !

ويقال إنه كان لمسلمة مؤذن يدعى « حجيرا » ، فكان إذا أذن يقول : أشهد أن مسلمة يزعم أنه رسول الله .. فقال له مسلمة : أفصح حجير ! فذهبت مثلاً ..

لم يصب مسلمة نجاحاً كبيراً في حياة الرسول (ص) ، وقـــد حذر الرسول (ص) النـاس منه وأسمـــاه « مسيلمة » ، بصيغة التصغير تحقيراً له ، ونعتـــه بـ « الكذاب » ، فصار يعرف باسم « مسيلمة الكذاب » ..

ومن الخطأ الظن أن بني حنيفة تابعوه كلهم ، بعد وفـاة النبي محمد (ص) ، فقد ذكر الطبري وغيره أن العلاء بن الحضرمي ، لما ذهب الى قتال أهـــل الردة في البحرين ، انضم اليه « ثمامة بن أثال » ، في من معه من مسلمي بني حنيفة ، الذين ثبتوا على إسلامهم .

ويقول الألوسي في كتابه بلوغ الأرب ، إن مسيلمة أدعى النبوة قبـــل هجرة محمد (ص) الى المـدينة ، « فما زال يخفى ويظهر ، ويقوى ويضعف ، وأهل اليمامة فرقتان : احداهما تعظمه وتؤمن به ، والأخرى تسخفه وتضحك منه ..

وكان يقول : أنا شريك محمد في النبوة ، وجبريل ينزل علي كما ينزل عليه ..

وكان يقول أيضاً : يا بني حنيفة ، مـــا جعل الله قريشا أحق بالنبوة منكم ،

وبلادكم أوسع من بلادهم وسوادكم أكثر من سوادهم ؟!

ولما قدم النبي (ص) المدينة ، وجد الناس يتذاكرون مسلمة وما يبلغهم عنه من قوله وقول الناس فيه ، فقام يوما خطيبا ، فقال :

« أما بعد .. فهذا الرجل الذي تكثرون فيه فكذاب ، بثلاثين كذاباً قبل الدجال » .

فسماه المسلمون : مسيلمة الكذاب ، وأظهروا شتمه وعيبه وتصغيره ، وهو باليمامة ، يركب الصعب والذلول في تقوية أمره .. وكان يقرأ ما يزعم إنه وحي ، يريد به تقليد محمد (ص) مثل قوله : « والشمس وضحاها ، في ضوئها وجلاها ، والليل اذا عداها ، يطلبها ليغشاها » .

وكتب مسيلمة الى النبي (ص) كتاباً يقول فيه : « أما بعد ، فاني أشركت معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريش قوم يعتدون ولا يعدلون » .

فأجابه الرسول (ص) : « سلام على من اتبع الهدى . أما بعد، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين » [1] .

حروب الردّة

قويت شوكة مسيلمة ، بعد وفاة النبي (ص)، وتجمع حوله كثير من الناس كانوا يكرهون دفع الزكاة .

وكان أبو بكر قد اعتبر الامتناع عن دفع الزكاة ارتداداً عن الاسلام ، لأن الزكاة ركن من أركان الاسلام من جحده لم يعد مسلماً ، ووجب قتاله ، ولذلك جهز أبو بكر الجيوش وأرسلها إلى البلاد الممتنعة عن أداء الزكاة لقتالها ، وسميت الحروب التي جرت بين المسلمين وبين الممتنعين عن الزكاة : حروب الردّة. ومنها الحروب التي جرت في اليمامة بين المسلمين وأنصار مسيلمة الكذاب .

١ – كما ظهر في حنيفة مسيلمة ، ظهرت في تميم « سجاح » ، امرأة ادعت النبوة ، وظهر في أسد طليحة ولم يطل أمرهما .

الحرب بين المسلمين ومسيلمة

قال البلاذري ، في فتوح البلدان :

« ... لما توفي رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر (ر) بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة وأمره بمحاربة مسيلمة الكذاب ، فلما شارفها ظفر بقوم من بني حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة بن سلمى ، فقتلهم واستبقى مجاعة ، وحمله معه موثقاً ...

وعسكر خالد على ميل من اليمامة ...

ثم التقى الناس ، فكان أول من لقيهم الرجال بن عنفوة ، فقتله الله ، واستشهد وجوه الناس وقراء القرآن ، ثم إن المسلمين فاءوا وثابوا ، فأنزل الله عليهم نصره ، وهزم أهل اليمامة ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم قتلاً ذريعاً ، وألجأوا الكفرة إلى الحديقة ، فسميت يومئذ : « حديقة الموت » ، وقتل الله مسيلمة في الحديقة .

فبنو عامر يقولون : قتله خداش ... من بني عامر .

وقال بعضهم : قتله عبدالله بن زيد .

وكان وحشي بن حرب الحبشي ، قاتل حمزة (ر) ، يدعي قتله ، ويقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

وقال قوم : إن هؤلاء جميعاً شركوا في قتله ...

وكان معاوية بن أبي سفيان يدعي أنه قتله ، ويدعي ذلك له بنو أمية .

وقيل : كان شعار المسلمين يومئذ : « يا أصحاب البقرة » [1].

الصلح مع أهل اليمامة

قالوا : وكانت الحرب قد نهكت المسلمين وبلغت منهم ، فقال مجاعة لخالد :

---

١ – للمؤرخ فيليب حتي رأي خاص في حروب الردة ، فهو يرى ان الاسلام لم تبلغ دعوته، في زمن النبي (ص) . الى كل افراد العرب في الجزيرة ، لسعة البلاد وقلة المواصلات وصعوبتها ، والرؤساء الذين بايعوا عن اقوامهم لم يكونوا يمثلون العرب كلهم ، ولا يستطيعون تبليغ رسالة الاسلام الى كل شعوبهم ، ولذلك اسفرت حروب الردة عن انتشار الاسلام في بلاد لم ترتد اهاليها ، لانهم لم يدخلوا الاسلام من قبل ...

« ان أكثر أهل اليمامة لم يخرجوا لقتالكم ، وإنما قتلتم منهم القليل ، وقد بلغوا منكم ما أرى ، وأنا أصالحك عنهم » .

فصالحه على نصف السبي ، ونصف الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع .

ثم ان خالد توثق منه ، وبعثه إلى أهل اليمامة .

فلما دخل « مجاعة » اليمامة ، أمر الصبيان والنساء ، ومن باليمامة من المشايخ أن يلبسوا السلاح ويقوموا على الحصون ، ففعلوا ذلك ، فلم يشك خالد والمسلمون حين نظروا اليهم أنهم مقاتلة ، فقالوا : لقد صدقنا مجاعة .

وكان ذلك خدعة من مجاعة ورحمة بقومه ، وقد تبين خالد ذلك فيما بعد ، ولكنه أمضى الصلح » .

وتذكر كتب التاريخ أن الحديقة التي لجأ اليها مسلمة كانت بأرض « عقرباء » ، وان عدد الذين استشهدوا من المسلمين في معارك اليمامة كان كبيراً جداً ، وكان في مقدمة الشهداء : « زيد بن الخطاب » الذي يقول فيه أخوه عمر بن الخطاب : « ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إلي أني أشمّ ريح أخي زيد » .

ويذكر المؤرخون أيضاً أن عمر بن الخطاب ما وافق على كتابة القرآن إلا لكثرة من استشهد من القراء في معارك اليمامة .

ويقال ان عدد قتلى بني حنيفة كان أربعة عشر ألفاً .

ولما صالح خالد أهل اليمامة ، اشترط عليهم الدخول في الاسلام، فأسلموا، وولى خالد عليهم « سمرة بن عمرو العنبري » ، وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة .

اليمامة في زمن الأمويين والعباسيين

كانت اليمامة ، في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة ، مرتبطة بهم ، يولون عليها من أرادوا .

ولما جاء الامويون ، فالعباسيون ، صاروا يرسلون الولاة الى اليمامة والبحرين من قبل أمرائهم في مكة أو المدينة أو العراق ، وربما جمعوا اليمامة والبحرين لوال واحد .

وذكر كتاب «الأغاني» كثيراً من أسماء ولاة الأمويين والعباسيين في اليمامة،

كالمهاجر بن عبد الله الكلابي – وكان الشاعر جرير صديقاً له – وأبي حفصة، الوالي من قبل مروان ، و « سفيان بن عمرو » ، و « محمد النوفلي » و «القثم بن عباس».

وفي « معجم البلدان » : « العقير باليمامة .. وبها قبر الشيخ ابراهيم بن عربي ، الذي كان والياً على اليمامة في أيام بني أمية . » وذكر معجم الأدباء جملة من أسماء ولاة اليمامة، كعمارة بن حمزة، ومروان بن أبي الجنوب، والمعلى بن طريف الخ..

ذكرنا كل هذا ، ليعلم فساد قول بعضهم .. انهم لم يعثروا على اسم وال واحد أرسله الأمويون الى نجد أو إحدى مقاطعاتها [1] وربما التبس عليهم الأمر من جهة اسم اليمامة .

بنو الاخيضر

في أواسط القرن الثالث الهجري ظهر بنو الاخيضر في الحجـــاز ، وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية ، ويقول « القرماني » إن المعتز أرسل جيشاً إلى محمد ابن يوسف من بني الاخيضر، فهرب محمد ، وسار إلى « اليمامة » ، فملكها ، وملك أولاده بعده ، فيقال لهم « الاخيضرون وبنو يوسف أيضاً » .

ويقول القلقشندي في صبح الأعشى إن استيلاء بني الاخيضر على اليمامة إنمـــا كان في زمن المستعين ، الخليفة العباسي ، أي قبل سنة ٢٥٥ للهجرة ، وإن ملكهم استمر حتى غلب عليهم القرامطة [2] سنة ٣١٧ .

---

١ – انظر تاريخ الدولة السعودية ، الجزء الاول ، لأمين سعيد .

٢ – في الطبري ان اول ظهور القرامطة ، كان في سواد الكوفة في اواخر القرن الثالث ، وينسبون الى « قرمط » ، وانما سمي كذلك لشدة حمرة عينيه ومعنى قرمط بالنبطية احمر العينين – وأصل اسمه « حمدان » ، وقرمط لقبه ولكنه صار يعرف به ، احدث ديناً غير الاسلام ، وكان يرى السيف على امة محمد.وزعموا ان القرامطة يقولون في أذانهم،بعد الله اكبر:

« أشهد ان ابراهيم رسول الله ، أشهد ان موسى رسول الله ، أشهد ان عيسى رسول الله ، أشهد ان محمداً رسول الله ، اشهد ان احمد بن محمد الحنفية رسول الله . » .

وقيل عن القرامطة اشياء كثيرة ... ولكنها غير ثابتة .

وقد نزعوا الحجر الاسود من الكعبة ، ثم اعادوه اليها بعد فترة من الزمان ... وعظم سلطانهم وخافهم الناس ووصلوا في غزواتهم وحروبهم الى مصر نفسها ...

اليامة .. وأشراف مكة

تفرقت بلاد نجد واليمامة ، بعد القرن الرابع بين عدد كبير من الامراء والشيوخ ، وكانوا ينبعون اسماء الدول الاسلامية الكبيرة ، التي حلت في السلطة محل الخلفاء العباسيين ، وربما جعلوا امرة بلاد نجد الى امير المدينة ، او امير مكة ، ولما صارت الخلافة الاسلامية الى سلاطين ال عثمان ، اهملوا أمر نجد ، لفقرها وبعدها وصعوبة الوصول اليها ، ولكن شرفاء مكة كانـــوا يعتبرون بلاد اليمامة ونجد من مناطق نفوذهم ، وكانوا ياخذون من شيوخها الامـوال ، ويغيرون عليهم اذا امتنعوا عن ادائها ، ويمكننا القول ان الفترة التي تمتد من القرن الرابع حتـــى ظهور الدولة السعودية الاولى كانت فترة مضطربة في حياة نجد ، فلم تقم فيها آية امارة قوية ، ممـا حيأ لامراء الاحساء وأشراف مكة ان يبسطوا نفوذهم على كثير من امراء نجد المتفرقين ، بـــل المتعادين .

ولكن بلاد نجد واليمامة ، على كل حال ، بقيت حرة من النفوذ الاجنبي ، فلم يدخلها جنود الترك ولا غيرهم ، وقد زار الرحالة التركي المعروف « حاجي خليفة » بلاد اليمامة وتعجب مـن امرائها وشيوخها .. لانهم لا يدينون بالولاء للسلطان العثماني .. ولا يعرفونه ! (١)

نجد شركة بين أميرين

ومن اطرف الاخبار ، التي رواها المقريزي في كتابه « السلوك » ، ان امير المدينة المنورة الشريف مقبل بن جماز بن شيحة ، قدم الى القاهرة عام (٧٠٩) ، فولاه الملـــك المظفر نصف الامرة بنجد ، يظهر ان امرة نجد كانت شركة بينه وبين اخيه منصور .

ولما قوي شان شرفاء مكة ، بسطوا سلطانهم على ما يستطيعون الوصول اليه مـن الاراضي النجدية ، وكان سلطانهم يتمثل : في جباية الاموال واخذ الهدايا ..

---

(١) حاجي خليفة : « جهان نما » . وصلاح العقاد : الدولة السعودية الاولى .

نجد تحت نفوذ الأشراف

لا نعرف متى بدا نفوذ اشراف مكة يتغلغل في نجد ، ولعله بلغ قمته في عهد الشريف أبـي نمي ، الذي يعد من أعظم الامراء الذين تولوا منصب الامارة في مكة .

وينقل ابن بشر من تاريخ العصامي وغيره اخبارا تدلنا على تدخل الاشراف في امور نجد ، وهذا بعض ما يرويه في مواضع مختلفة :

في عام (٩٨٦) ، سار الشريف حسن بن أبي نمي الى نجد ، وحاصر « معكال » ، المعروف في الرياض ، ومعه الجند نحو خمسين الفا ، وطال مقامه فيها ، وقتل فيها رجالا ، ونهب اموالا ، وأسر منهم اناسا من رؤسائهم ، واقاموا في حبسه سنة ثم اطلقهم ، على أنهم يعطونه كل سنة ما يرضيه ، وأمر فيهم محمد بن فضل .

وفي عام (٩٨٩) ، سار الشريف حسن بن أبي نمي الى ناحية الشرق من نجد ، فـي جيش كثيف ومدافع كبار ، ففتح مدنا وحصونا تعرف بالبديع والخـرج والسلمية واليمامة ، ومواضع في شوامخ الجبال ، ثم عين من رؤسائه من ضبطها ، على امـور اقترحها واشترطها ، وعاد راجعا ..

وفي عام (١٠١١) ، ظهر الشريف ابو طالب على نجد ،

وفي عام (١٠١٥) ، ظهر الشريف محسن ، وقتل أهـل (القصب) ، ونهبهم ، وفعل الافاعيل العظيمة ..

وفي عام (١٠٦٩) ظهر الشريف زيد بن محسن على نجد ، ونزل قرى التويم ، وقدم في سدير واخر ، واخذ واعطى ..

وفي عام ١٠٨٨ ظهر محمد الحارث الى نجد وقتل غانم بن جاسر .

وفي عام ١٠٩٦ (او ١٠٩٧) : « ظهر احمد بن زيد على نجد ونـزل عنيزة وفعل باهلها مـا فعل) .

وفي عام (١١٠٧) ظهر سعد بن زيد الى نجد ونزل بلد اشيقر المعروف وحاصر اهلها وطلب ان يخرج اليه الشيخ حسن .. ابا حسين .. ومحمد القصير ، فخرجا اليه فحبسهما .

وفي عام (١١٠٩) ظهر سرور بن زيد على نجد ونزل روضة سدير وفعل فيها ما فعل ثـم رحل منها ونزل قرى جلاجل وربط ماضي بن جاسر امير الروضة ثم نزل الغاط .

كل هذه النقول التي اخذناها من ابن بشر ، وهي في (العصامي) وغيره ، تدلنا علـى ان اشراف مكة لم ينقطعوا من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر عن التدخل فـي شؤون نجد ، وغزو بعض بلدانها ، ونهبها ، وحبس طائفة من ابنائها ، وقد تجاوزت حملاتهم منطقة اليمامة الى غيرها من اقاليم نجد ، ونلاحظ ، في كثير من الاسف ، ان سيرة الاشراف مع اهل نجد لم تكـن حسنة ، وانما كانت نهبا وتقتيلا واذلالا .

ضعف شرفاء مكة وتخاذلهم

لم يتدخل الشرفاء ، ابتداء من القرن الثاني عشر ، في امور نجد ، وانقطعت عـن تلـك

المنطقة غزواتهم ورحلاتهم .. ولم يكن ذلك تعففا منهم . ، ولكنهم كانوا في شغل شاغل من منازعاتهم او « حروبهم » ، التي كانت تقوم بين الاخ واخيه ، والعم وابن اخيه ، وتهدر فيها الدماء ، وتستحل الحرمات ، فكان (معدل) ولاية الامير على مكة سنة أو سنتين ، لكثرة الاغتيال ، والغدر ، والخلاف !

يذكر (جيرالد ده غوري) في كتابه (حكام مكة) قصة الشريف مسعود (وهو الذي حج ربيعة أمير الدرعية ، وأخوه مقرن ، جد آل سعود ، في زمانه ، وكان السيل قد غمر مكة وهدم الكعبة قبل ذلك بقليل) ، قال ما ترجمته :

« في عام ١٦٣٠ م. وصل مكة ، حاكم اليمن الجديد ، قونصوه باشا ، في طريقه الى اليمن على راس جيش كبير ، وكان تلقى امرا بمعاقبة شريف مكة ، الشريف احمد ، بسبب قتله مفتي مكة !

ولما بلغ الشريف مسعود بن ادريس بن حسن قرب وصوله ، خاف من انتقام الشريف احمد منه ، كما فعل مع غيره ، فهرب الى ينبع .

وذهب الشريف أحمد للقاء قونصوه باشا ومعه ثلاثة من اقربائه الشرفاء ، فادخلوا على معسكر الباشا وصدحت لهم الموسيقى ، ودعوا الى لعب الشطرنج ، وفي المساء ، فوجئوا .. بدخول من قطع راس الشريف احمد ، ثم قيل للباقين : اذهبوا الى مكة وقصوا على الناس ما رايتم !..

وذهبوا الى مكة فوجدوا أن الشريف مسعود قد اصبح حاكما على مكة !

ويقول المؤلف ، في مكان آخر :

ارسل السلطان مراد الرابع مهندسا هو (رضوان آغا) ، الخصي ، لاصلاح الحرم ، ولما مات مسعود ، تولى رضوان آغا الحكم في مكة ، ريثما يتفق الشرفاء على اختيار امير منهم خلفا لمسعود !

تدخل السلطان والباشا في أمور الحجاز

ويظهر ان السلطان العثماني كان يوكل احيانا امر الاشراف على حكم الحجاز الى واليه على مصر ، فكان يعزل ويولي من يشاء ، باسم السلطان ، ويذكر لنا (العصامي) أن باشا مصر ارسل كتابا الى مكة ، بولاية الشريف احمد بن غالب ، وكان أمير مكة يومئذ الشريف سعيد ، ففوجيء بذلك ، واستنكره ،وقال :

(ان كان بيد أحمد بن غالب .. امر سلطاني ، فلياتوا به ونحن مطيعون للامر السلطاني ، وان كان غير سلطاني فحكم الباشا على مصر وصعيدها ، يعزل فيه ويولي من شاء وما دون مكة الا السيف !)

وكان جزاء سعيد انهم قتلوه ، وولوا الشريف أحمد مكانه قبل ان يدفنوه .

منصب الشرافة !

ويدل المرسوم الخاقاني الذي يرسل الى الشريف على ان مهمتـه اصبحت قاصرة علـى السهر على راحة الحجاج وحماية الامن من عدوان العربان ، وهذا شيء مما في المراسيم السلطانية المتضمنة ولاية الشرفاء :

« قد انعمنا بولاية الحرمين الشريفين عليكم واسندنا حماية المحلين المنيفين اليكم ، والحث على القيام بواجب السادة الاشراف .. والوصية بالعلماء والصلحاء والمجاورين وحماية الحجاج والزوار والمسافرين ، والالتفات الى تامين الطرق والبلدان وقمع اشقياء العربان .. »

ثلاثون شريفا خلال قرن واحد !

لقد تعاقب على امارة مكة ، خلال القرن الثاني عشر وحده ، نحو ثلاثين شريفا ، لـم ينعم واحد منهم بالاستقرار ، وتقول « جاكلين بيرين » : (1)

« احسن (نيبوهر) تصوير الحالة المؤسفة التي آلت اليها المدينتان المقدستان ، تلـك الحالة التي اثارت سخط محمد بن عبد الوهاب ودفعته الى الاقدام على الاصلاح ، وهـو يقول ان شريف مكة.. فقد سلطته الروحية في نظر المسلمين .. وبما أن المدعين الشرعيين لحكـم البلدة ، وهم فرع من سلالة النبي .. المتحدرة من الحسن .. يبلغ عددهم ثلاثمائـة ، غـدت السلطة مثار نزاع لا نهاية له ، يفرض افواهم على الآخرين ، ويتدخل السلطان التركي احيانـا في النزاع ليجلس على العرش احد الاخصام ، ولا يتورع هؤلاء الامراء المتنازعون عن ان يصلوا بمعاركهم الى قلب الاماكن المقدسة ، مخالفين بذلك نصوص القرآن » .

شرفاء ضعفاء ، ولكنهم يمنعون الوهابيين من الحج !

تلك حالة شرفاء مكة ، في اول ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ما كانوا قادرين علـى اي عمل ضد نجد او غيرها من البلدان ، لضعفهم وتخاذلهم وخوف بعضهم من بعض ، ولكـن هذا لم يمنعهم من اتخاذ « تدابير سلبية » في مكة نفسها ضد الوهابيين ، فقـد اعتبروهـم خصوما للدين .. ومنعوهم من الحج !

ولعلهم كانوا يظنون انهم في مأمن تام من انتقام الوهابيين ، لضعفهم وبعدهم وصعوبـة وصولهم الى مكة .

---

(1) انظر كتابها « اكتشاف جزيرة العرب » ترجمـة الاستاذ قـدري القلعجي .

الجزء الأول

الدّولة السّعودية الأولى

ينقسم هذا الجزء ثلاثة أقسام :

القسم الأول – عهد التأسيس . وهو عهد محمد بن سعود ، بعد اتفاقه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

القسم الثاني – عهد التوسع . وهو عهد عبد العزيز بن محمد وابنه سعود ابن عبد العزيز .

القسم الثالث – عهد النكسة والفوضى . وهو عهد عبدالله بن سعود ومن جاء بعده من الحكام والمتغلبة ، حتى ابتداء ولاية تركي بن عبد الله .

القسم الأول

عهد التأسيس

تتألف مباحث هذا القسم من مقدمة وخمسة أبواب، هي:

١ – المقدمة :

أ ـ فى ظهور الدعوة السلفية وأنها مبدأ تاريخ نجد الحديث..

ب – في أن مؤسسي الدولة السعودية الاولى هما : محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب .

٢ – الباب الاول : في تاريخ أمراء الدرعية قبل الدعوة.

٣ – الباب الثاني : رئاسة محمد بن سعود وعشيرته وآباؤه ونسب ال سعود .

٤ – الباب الثالث : اللقاء التاريخي بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، وتأسيس الدولة في الدرعية

٥ – الباب الرابع : سيرة محمد بن سعود. مراحل انتشار الدعوة . معارك الدعوة .

٦ – الباب الخامس : سيرة محمد بن عبد الوهاب .

٧ ـ الباب السادس: الدعوة السلفية، وآثارها، وما كتب عنها.

المقدّمة

ظهور الوهّابيّة مبدأ تاريخ نجد الحديث والجزيرة العربيّة والشّرق الأدنى

- ١ -

مبدأ تاريخ نجد الحديث

« يبدأ ابن بشر تاريخ نجد الحديث بالسنة التي هـاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، ففيهـا بدأت نجد .. تكتشف نفسهـا ، وتعي رسالتها ، وتصنع وحدتها ، وتبني نهضتها .

وقبل ذلك ، وحتى القرن الثاني عشر ، كانت « نجـد » تعبيراً تاريخيـاً أو « جغرافياً » ، في الكتب القديمة ، وأمـا « في الواقع » ، فما كان شيء يذكّر بوحدتها أو وجودها .. وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشيخات، تنفرد كل واحدة منها بسلطانها ، وتعتز باسمها ولا ترى شيئاً فوقه ، وقد تتحالف

أحياناً لقتال الآخرين واستباحة ديارهم وأموالهم ، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها ، عادت تتقاتل فيما بينها ، ولما يجفّ مداد عهدها ، ودم جندها .

كانت كل عشيرة في نجد دولة ، وكل بلدة إمارة أو مشيخة ، بل حدثونا أن بلدة واحدة صغيرة قسمت أرباعاً ، فكان يتولى كل ربع فيها رئيس .[1]

وكانت الحرب ، بين هذه الدويلات الصغيرة العجيبة قائمة موصولة ، كأنها جزء من طبيعتها ، فكانت البلاد تعيش في رعب دائم ، بين عدو يأخذها بالقهر ، وحليف يأخذها بالغدر ، وما كانت تعرف السكينة والأمن والحرية إلا قليلاً ، ففي الحرب يُقتل أبناؤها ، ويدمّر بناؤها ، ويحرق نخيلها ويتلف زرعها ، وفي فترات السلم يُحبس الناس في بلدانهم ، فما يستطيعون الإبتعاد عنها الا بمغامرة ... لأن الطرق مرصودة ... بالجن ... وقطاع الطرق ... وطلاب الغرّة !

هكذا كانت نجد ... تجديداً وتجسيداً لقصة ملوك الطوائف ، الذين قال فيهم المؤرخ الكبير « الطبري » :

« كل منهم كان ملكه قليلاً ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق ، وعدوّه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، يغير أحدهم على صاحبه ، ثم يرجع كالخطفة »[2]

وقال صاحب « لمع الشهاب » يصف نجداً في تلك الأيام :

« ليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم ، بل كل من الحكام حاكم بلده .. والبداة إذ ذاك قبائل شتى ... وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها ، وكل من تقدم كرماً وشجاعة رضوا به كبيراً لهم ، وفيهم مشايخ صغار

---

١ - قال ابن بشر : « قتل صاحب التويم ... فقسموا البلد أرباعاً ، كل واحد شاخ في ربع فسموا المربوعة ... وانما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها نعمة الاسلام والجماعة ، فان هذه القرية ضعيفة الرجال والمال ، وصار فيها أربعة رؤساء ... »

٢ - يطلق اسم ملوك الطوائف ايضاً على رؤساء الدويلات الاندلسية ، الذين أضاعوا بلادهم، لتفرقهم وتخاذلهم وتحاسدهم،وكانوا مع حقارة شأنهم على جانب كبير من الغرور،حتى قال شاعرهم:

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد .

في نفس القبيلة الواحدة يخالفون رأي المشايخ الكبار ، وكان البدو يتحاكمون في قضاياهم الى العرف ، لا الى الشرع ، وقد يأخذ العرف منهم الرشوة ، وهي ... ما يعطى لإبطال الحق ...

والحكام طاغون ، يصدّون الناس عن أحكام الشرع ... وكان أهل المدن، من أهل نجد ، دائماً يحارب بعضهم بعضاً ... ».

قالت لادي بلنت :

« لم تكن الجزيرة العربية خاضعة للسلطنـــة العثمانية المركزية ، وكانت كل بلدة تبدو مستقلة بذاتها .

وكانت الديانة — الا في شكلها البدوي البدائي - قد زالت من الجزيرة.

وكان عنصر البداوة هو المسيطر ، فكانت كل مدينـــة ، بل كل قرية في جزيرة العرب ، تعدّ ملكاً أو اقطاعاً لأحد شيوخ العشائر ، الذي يقيم على حدودها وتدفع اليه (الإخاوة) — أي الضريبة — لقاء ما يدعيه من حماية لها ! ...

وقد يتخذ الشيخ لنفسه قصراً ضمن أسوار البلدة — وإن بقيت خيـامه وخيـام عشيرته منثورة في البادية — ويجعله داراً للضيافة ، ثم يفرض نفسه حاكماً على سكان البلدة ، يمارس السلطة، ويقيم العدل، ويؤلف من الفتيان حرساً، ويجبي الضرائب.. فيخاطبه الناس ، لا باسم الشيخ ، ولكن باسم : « الأمير » . »

خلاصة القول : إن حالة نجد ، في تلك الأيام ، كانت شبيهة ، من النـــاحية السياسية ، بحالة ملوك الطوائف ، وأما من الناحية الدينية ، فكانت تشبه حـــال الجاهلية ، إلا من عصم ربك ، ولم يكن الرحالة « بلغريف » مسرفاً حين وصف الدين ، في الديار النجدية قديماً ، بأنه « ذكرى بعيدة غامضة ، محتها الأيام ! ... ذلـــك أن عبادة الجن ، في ظل شجرة ، أو في أعماق كهف ، وتقديس الموتى ، والنذر للقبور ، كل أولئك كان يختلط عند أهل نجد بعـــادات «للصابئة» قديمة أحيوها ، بينما أهملوا القرآن ، وما عادوا يعرفون في أية جهة تقع القبلة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج ...

تلك كانت « ديانة » نجد ، لما وصل اليها المصلح محمد بن عبد الوهاب ، ليبعث فيها أجمل أيام الإسلام » [1]

نجد بعد الدعوة

كانت نجد ، في تفرق كلمتها وضعف عقيدتها ، تحتاج الى زعيم ملهم ، يعلمها الدين ويحملها على اتباعه ، ويطوي أعلام التفرقة ، وينشر راية الوحدة ، ليجمع الناس في ظلها .

وقد حقق الله ذلك لنجد ، فجعل هدايتها إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وقيادتها الى الأمير محمد بن سعود ، وكانا كالرجل الواحد ، أو الروح الواحدة في جسدين ، ما اختلفا قط .

ففي عام ١١٥٧ هـ . ، جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، وما كاد ينزل في دار من أوائل دورها ، حتى سار اليه أميرها محمد بن سعود بنفسه ، وبدأه الزيارة ، وبالغ في تكريمه، ووعده الحماية والنصرة ، وتعاهدا على ميثاق ، ان يكن غير مكتوب ، فقد وعته الضمائر والقلوب ، وهو التناصر بصدق وقوة في الدعوة الى اخلاص العبادة لله وحده ، ومكافحة الشرك والبدع ، واقامة حكم الشرع .

قال أرمسترونغ :

« كان ابن سعود ، أمير الدرعية ، طموحاً ، وعرف منزلة ابن عبد الوهاب وقدره ، فاتفق معه ، واستطاعا حمل العرب على الدخول في الدين ، ببركة الدعوة وقوة السيف .

وكان نجاحها سريعاً .

كان ابن سعود زعيماً وقائداً ،

---

١ - انظر كتاب ندره مطران : « سورية الغد »

1) Nadra Moutran - La Syrie de demain

وكان ابن عبد الوهاب هادياً وداعياً الى الله ، تسيطر كلماته على خيال العرب. وبفضل تعاونهما : حُطِّمَت الأوثان ، وهُدِّمت الأبنية المقامة على أضرحة الأولياء، ونُفذت أوامر القرآن ، وأكره الناس على الصلاة خمس مرات في اليوم، وعلى صوم رمضان، ومُنِع شرب الخمرة والدخان ، وخضعت القبائل، واحدة بعد الأخرى ، لدولة التوحيد » .

وقال « كونراد ملتبورن » :

« أظهر محمد بن عبد الوهاب دعوته ، فتبعه ابن سعود ، وتقوى كل واحد منهما بالآخر، قوّى ابن عبد الوهاب دعوته بسيف محمد ، وقوّى ابن سعود إمارته بدعوة ابن عبد الوهاب ، فكان الأول هو الزعيم الديني ، وكان الثاني الحاكم والزعيم السياسي ، ثم استمر ذلك بعدهما ، فصارت ذرية كل منهما تتولى عمل أسلافها » .

تحوّلت الدرعية بعد هجرة الشيخ من بلدة ضعيفة فقيرة ، الى مدينة كبيرة غنية ، صارت قاعدة دولة عظيمة ، بسطت سلطانها ، في عهد محمد بن سعود ، على أكثر بلدان العارض ، وبعض بلاد نجد ، ثم ضمت اليها ، في زمن عبد العزيز وابنه سعود ، بلاد نجد كلها ، والأحساء ، وجبل شمر ، وأجزاء من اليمن وعسير وبلاد الحجاز وامتد نفوذها الى الخليج .

قالت لادي بلنت ، تصف الدولة السعودية : « انها أول دولة عربية ، تنشأ بعد عصر الرسول ، وتوحد تحت رايتها جزيرة العرب على أساس من الشرع والتنظيم الاداري المحكم » .

لذلك كان ابن بشر على حق ، حين بدأ كتابه في تاريخ نجد ، بالسنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية، وقد استنتج بعض المؤرخين من ذلك أنه يشبه هجرة الشيخ بهجرة النبي (ص). إلى المدينة المنورة، وليس كل الناس يستحسن هذا التشبيه ...

والحق إن أبعاد الهجرتين مختلفة ، فليس شيء يماثل هجرة النبي (ص) . ولكن التشابه لا يعني التطابق والتساوي، وحسبنا من أوجه الشبه أن دعوة الشيخ كانت، قبل هجرته الى الدرعية ، دعوة خافتة مضطهدة ، ولكنها أصبحت بعد هجرته دعوة

قوية ، لها رايتها ، ولها جيشها ، ولها دولتها ، ولها منعتها ... فلا يستطيع أمير أو سلطان أن ينفي الشيخ من بلده ، أو يسجنه ، أو يحمله على الصمت ، فالأمر في الدرعية للشيخ نفسه ، ودعوته هي دستور الدولة ومادة حياتها !

لم تكن في نجد دولة لها قوتها التي يرهبها أعداؤها ، ولها مثلها العليا التي يلتف حولها أبناؤها ، ويقدمون بين يديها التضحيات ويصنعون أحداث التاريخ ، فلما تأسست دولة الإسلام في الدرعية ، أخذت الصفوف تتجمع ، والبلدان تتوحد ، فنشأت وحدة في العارض ، ثم وحدة في نجد ، ثم توسع مدلول نجد نفسه ، فنشأت دولة نجد الكبرى – إن صح هذا التعبير !

- ٢ -

مبدأ تاريخ الجزيرة العربية .

لم تكتف الدولة السعودية بتحرير نجد وحدها ، وانما تجاوزت ذلك كثيراً ، وكانت لحركتها الاصلاحية ، وحروبها الظافرة، وتحديها لدولة السلاطين العثمانيين، آثار باهرة في سائر البلاد العربيـــة والاسلامية ، فليس من الانصاف أن نعتبر ظهورها فاتحة تاريخ نجد وحده .

في عام ١١٥٧ هـ . كان محمد بن سعود أميراً على بلدة واحدة : الدرعية .

ولما توفي ابنه عبد العزيز – أي بعد ستين سنة – كان ملكه أكبر من الدرعية ألف مرة .. وأكبر من العارض .. وأكبر من نجد ..

وفي عهد سعود الكبير، توسعت دولة نجد توسعاً جديداً ، فضمت اليها الحرمين (مكة والمدينة) وسائر الحجاز ، وجبت الزكاة من بوادي العراق والشام .

وكان آل سعود في طريقهم الى تحقيق حلم .. دولة عربية واحدة ، من البحر المتوسط الى الخليج ، ولكن الترك حسدوهم وخافوهم، فاستعدوا أنصارهم عليهم ، وحاربوهم واستطاعوا تدمير عاصمتهم الدرعية ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن سعود .

قال طـه حسين : « .. لولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هـــذا المذهب ، وحاربوه في داره بأسلحة لا عهد لأهل البادية بها ، لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ، كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الأول » .

ظن الأعداء ، بعد انهيار الدولة السعودية الأولى ، أن حركة احيـــاء الدين والعروبة التي بدأت في الدرعية قـد انطفأت شعلتها وهمدت جذوتهـا ، ولكن الله سبحانه أبى الا ان يتمّ نوره ، فعادت الدولة السعودية سيرتهـــا الأولى ، وصمدت للدسائس والمكائد والحروب الحاقدة ، وانتصرت في النهاية نصراً مؤزراً .

وتقديراً للآثار التي ترتبت على نهوض الدولة السعودية من كبوتها ، بهذه السرعة الخارقة ، وللانتصارات التي حققتها والأفكار التي نشرتها ، ذهب غـــير واحد من المؤرخين الى أن ظهور الوهابية لا يُعَدّ مبدأ تاريخ نجد فحسب ، ولكنه .. مبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث .

قالت صحيفة « الخليج الفارسي » :

« ان تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، وليس تاريخ نجد وحدها ، يبدأ بظهور الوهابية ، لأنها غيرت مجرى الحوادث في الجزيرة تغييراً أساسياً .

كانت الوهابية في أول أمرها حركة دينية خالصة ، غايتها اصلاح عادات المسلمين والرجوع بهم الى بساطة الاسلام الأول وصفـــائه ، وكانت رد فعل ضد البـدع والخرافات والترف في المعيشة ، ومتى عرضت الوهابية على مقياس القرآن والحديث الصحيح وجدت مطابقة للأصول المجمع عليها .

ان اعتناق عدد محدود من سكان الجزيرة العربية للوهـــابية ، دون غيرهم من المسلمين ، أراق على الحركة الوهابية في نجد صبغة سياسية وقومية ، وجعل لهـــا خطورة عسكرية . وقد مهدت وحدة العقيدة طريق الخضوع الى سلطـــة ادارية مشتركة ، فأطاع الأفراد القانون ، وتوحدت البـلدان والقرى – التي كانت من قبل في قتال دائم – تحت سلطان امارة واحدة قوية ، حسنة التنظيم ، وبعد أن تحققت هذه الوحدة الداخلية ، نشطت الدعوة الى نشر مبادئها في الخـــارج ، ولم يكن ذلك غريباً عن الرغبة التي استيقظت في النفوس للتخلص من الحكام الحجازيين واليانيين .

ويمكن القول ان الخلافات الدامية التي وقعت بين الوهـابيين وبين جيرانهم ، كانت ناشئة عن أخطاء ارتكبها كلا الفريقين ، فقد كان الوهـابيون يعتبرون

مناظريهم – من الترك خاصة – مخالفين في سلوكهم للاسلام ، بينما كان الترك ، مع اعترافهم أحياناً بصحة العقيدة الوهابية ، يكرهون تشددها وميل أتباعها إلى تكفير الآخرين ، وبالنهاية ... أخذ كل فريق يزعم إن الآخر خرج عن دائرة الإسلام ...

والحق ان معارضة الناس للوهابية ، كان يغذيها أشخاص كشريف مكة تأثرت مصالحهم المادية بابطال الوهابية لتقديس القبور وزيارة المقامات والمشاهد ، ونحو ذلك ، يضاف الى هذا تشدد الوهابيين في أمور طفيفة جعلوها ذات بال ، كتحريم الدخان والحرير والذهب ، والسبحة » .

ويقول الدكتور فيليب حتي ، في كتابه « تاريخ العرب » :

« لا يبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، حتى ظهور الموحدين في منتصف القرن الثامن عشر ، وكانت حركتهم حركة احياء للدين وتمسك شديد بنصوصه ، بدأها محمد بن عبد الوهاب . فبعد أن طاف في الحجاز والعراق وسورية ، عاد إلى وطنه ، وقد تأثر بفكرة . . وهي أن الإسلام ، كما يمارسه معاصروه ، قد انحرف كثيراً ، علمياً ونظرياً ، عن طريق السنة التي استنها القرآن والنبي ، وقرر أن ينقيه هو بنفسه ، ويعيده إلى حالته البدائية زمن السلف الصالح ، وقد استمد إلهامه من ابن حنبل ، كما شرحه ابن تيمية .

وجد هذا المصلح الجديد الملهم في محمد بن سعود خير نصير ، وكان هذا زعيماً من زعماء أواسط الجزيرة وأصبح صهراً لابن عبد الوهاب . وهذه حادثة أخرى يقترن فيها الدين والسلطة ، وقد نتج عنها انتشار سريع لحركة الموحدين ونفوذ ابن سعود في كل وسط الجزيرة العربية وشرقيها .

وكان خصوم الحركة يدعون أتباعها : (وهابيين) ، فلصق بهم هذا الاسم .

وفي غيرة هؤلاء واندفاعهم لتنقية الاسلام من عقيدة تكريم الأولياء وغيرها من البدع ، اجتاحوا كربلاء عام ۱۸۰۱ ، وفتحوا مكة عام ۱۸۰۳ ، والمدينة عام ١٨٠٤ ، وهدموا القبور وكل ما يشتمّ منه رائحة الوثنية ، وفي السنة التالية

هاجموا سورية والعراق ووسعوا ملكهم من تدمر حتى عمان ، فكان أكبر ملك في الجزيرة ، منذ أيام النبي ، وقد فسر نجاحهم بأنه اشارة من الله سبحانه وتعالى الى انه غير راض عن الترك » .

- ٣ -

مبدأ تاريخ الشرق الأدنى

كتبت دائرة المعارف الاسلامية – النسخة الانكليزية – الطبعة الجديدة – فصلاً عن الوهابية[١]، تجاوزت فيه قول حتي وصحيفة الخليج الفارسي ، اذ اعتبرت الحركة الوهابية بداءة تاريخ الشرق الأدنى كله ، في الزمن الحاضر .

قالت الأنسكلوبيديا المذكورة :

« ان دعوة ابن عبد الوهاب الذي جعل وحدانية الله فوق كل شيء ، وجرّد الديانة من البدع ، قد تجاوبت أصداؤها في كل العالم الاسلامي ، من افريقية الغربية الى الهند الشرقية ، وهزّت أفكار السلفيين الجدد ، وكان لها – كحركة عربية مناهضة للسلطنة العثمانية البعيدة الفاسدة – أثر كبير في الحركات القومية التي نشأت عند العرب ، في القرنين التاسع عشر والعشرين .

أما في الجزيرة نفسها فقد تمّ ، بفضل الوهابية ، تحقيق وحدة سياسية ، حلت محل الاقليمية الضيقة ، ونشأت فيها حكومة نظامية تؤدي رسالتها في صورة حسنة لم تعرف الا قليلاً في الماضي » .

---

(١) التعبير بالوهابية أو (الحركة الوهابية) عندما ننقلها من المصادر فإنما ننقل مصطلحاً لتقريب المعنى من باب خطأ شائع أفضل من صواب لا يدرك، وإلا فليست الوهابية مذهباً ولا طريقة وإنما دعوة لتصحيح الممارسات الدينية.

مؤسس الدولة السعودية الأولى

من هو مؤسس الدولة السعودية ؟

يتفق أكثر المؤرخين على أن مؤسس الدولة السعودية الأولى في نجد هو :

محمد بن سعود

ويشركون معه في شرف التأسيس : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وهناك من يزعم ان مؤسس الملك السعودي ، هو :

سعود بن محمد بن مقرن

وآخرون يقولون انه :

عبد العزيز بن محمد

فالمؤلفون – كما ترى – موزعون بين محمد ، وأبيه ، وابنه .. وها نحن نرد على أصحاب الرأيين الأخيرين .

سعود بن محمد :

يقول فؤاد حمزة ، في كتابه « قلب جزيرة العرب » ، ان سعود الأول .. هو « مؤسس الحكم السعودي « وانه » كان مقيماً في الدرعية وتمكن بدهائه وحنكته من تثبيت امارته في الدرعية وما جاورها من الواحات الصغيرة ، ووضع بعمله هذا أساس مملكة آل سعود » .

وفي اعتقادنا أن سعود بن محمد لا يستحق لقب « مؤسس » ، لأنه لا يختلف في شيء عن رؤساء الدرعية الذين سبقوه.

والقول بأن سعود هو مؤسس السعودية ، كالقول بأن عبد الوهاب هو مؤسس الوهابية ، ومنشأ ذلك خطأ في فهم النسبة .. والصواب هو ان السعوديين منسوبون الى « ابن سعود » لا الى سعود ، والوهابيين منسوبون الى « ابن عبد الوهاب » ، لا الى عبد الوهاب .

ان تاريخ الدولة السعودية ، بل تاريخ نجد الحديث ، إنما يبدأ بهجرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الى الدرعية ومبايعة محمد بن سعود له على اخلاص العبادة لله وحده واتباع حكم الاسلام الصحيح في سياسة البلاد ، و « سعود » مات قبل ذلك ، في فترة يشبهونها بالجاهلية ، فكيف تنسب دولة الدعوة .. الى رجل لم يعرف الدعوة ولا صاحبها ؟

عبد العزيز بن محمد :

القائلون بأن مؤسس الملك السعودي هو عبد العزيز بن محمد بن سعود ، يحتجون لرأيهم بأن الفتوحات العظيمة جرت في عهده ، فبلغت الدولة من سعة الرقعة وكثرة الموارد وقوة الجيش وعظم الهيبة واستقرار الحكم وشيوع الأمن مبلغاً كبيراً ، فخرجت من دائرة « المشيخات » الضيقة الى بحبوحة الدولة ...

جاء في كتاب « عرض البريمي » ، الذي قدّمه الزعيم العربي عبد الرحمن باشا عزام ، باسم الحكومة العربية السعودية ، الى لجنة التحكيم الدولية ، ما يأتي :

« ... مات محمد بن سعود ، أول حاكم من آل سعود نشط لنشر الدعوة الى التوحيد في سنة ١١٧٩هـ ، في وقت كان فيه نفوذ الحركة ينتشر تدريجاً ، واقتصرت فتوحاته على بعض المناطق في نجد ، وأصبح ابنه عبد العزيز ، الإمام الجديد في الدرعية : مؤسس الدولة السعودية الأولى ، التي دان لها بالطاعة والولاء القسم الأكبر من جزيرة العرب » .

وهذا كلام صحيح ... من حيث اتساع الدولة في زمن عبد العزيز ، ولكننا نرى أن كل دولة تكون في أول أمرها ضعيفة ، محدودة الموارد ، بل هذا شأن كل دولة ناجحة ، تبدأ صغيرة ثم تكبر ، بفعل الزمن و « زخم » الخبرة الأولى ، وما كان التأسيس ، على أي حال ، ليعني الفراغ من البناء والتزيين ، وإنما هو وضع الأساس ، والأساس : رسالة مقدسة ، وإيمان بها ، وجهادٌ في سبيلها .

وذلك ما توافر لمحمد بن سعود ، فكان هو المؤسس ، وكان ابنه عبد العزيز ثم حفيده سعود مكملين لرسالته ، ولكل نصيبه من الفخر .

ومتى ذكرنا اسم ابن سعود ، وجب علينا أن نذكر أيضاً اسم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي وضع معه أسس الدولة ، فكان شريكه في التأسيس، وان لم يشاركه في الملك ، وقد عاش بعده، وشهد كثيراً من الفتوحات التي تمت في عهد عبد العزيز !

البَابُ الأول

أمرَاء الدّرعيّة قبل الدّعوة

- ١ -

مانع المريدي

تأسيس الدرعية

كانت الدرعية ، في منتصف القرن التاسع الهجري ، اسمـــاً لقرية في نواحي القطيف ، يسكنها فرع من عشيرة يقال لها : « الدروع » ، وكان رئيس هذا الفرع يدعى : « مانع » .

وفي عـــام ٨٥٠ هـ . كتب اليه ابن عم له ، يتزعم فرعاً آخر من الدروع في اليمامة ، وهو ابن درع ، صاحب « حجر » و « الجزعة » ، قرب الرياض ، يعرض عليه القدوم عليه والنزول في جواره وأملاكه ، فقبل ذلك مانع ، وربما كان سبب قبوله ضيق المعيشة في ناحيته ، وهاجر بأولاده ورجاله من القطيف ، وأتى ابن عمه في حجر ، فأعطاه أرض « المليبيد » و « غصيبة » المعروفتين ، فنزلها هو ومن معه .

قال ابن بشر : « .. واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها ، وعمرها ذريته من بعده وجيرانهم .. وكان ما فوق المليبيد وغصيبة لآل يزيد – آل دغيثر اليوم – ومـــا فوق ذلك من سمحة ومن الوصيل الى بلد الجبيلة الى الأبكين ، الجبلين

المعروفين في تلك الناحيـــة ، الى موضع حريملا : لحسن بن طوق – جـد آل معمر » .

وهكذا زالت بليدة الدرعية من القطيف ، بعد أن هجرها أهلهـــا ، ولكنها بعثت وجدّدت في أرض اليمامة ، في نجد ، حيث بنى مانع وابناؤه بلدة جديدة ، فأطلق عليها اسم قريتهم القديمة : « الدرعية » ، وكانت في أول أمرهـــا منزلاً متواضعاً لعشيرة الدروع، ولكنها أصبحت ، فيما بعد ، أعظم بلدان نجد ، وقاعدة مملكة كبيرة ، ومنطاق دعوة جليلة ، وعنوان تاريخ جديد !

فهل كان شيء من ذلك يدور في خلد « مانع » ، وهو يضع أساس أول بيت بناه في المليبيد ؟

لا ندري ! ومهما يكن الأمر .. فقـد كان مانع مؤسس الدرعية وأول رئيس فيها .

هل كان مانع ملكاً ؟

لا يذكر لنـــا ابن بشر من أخبـار مانع سوى أنه كان رئيس الدروع ، في القطيف ، وأنـــه كان أول من بنى وغرس في الأرض التي عرفت باسم عشيرته وبلدتها القديمة : الدرعية .

وتقول لادي بلنت: « ان الأمير مانع كان ملكاً على الأحساء والقطيف وقطر وعمان في القرن الخامس عشر للميلاد .. » .

ويقول أمين الريحاني: « .. ومن كبار أجداد مقرن الأولين: الأمير « مانع» ، الذي بسط سيادته على الأحساء والقطيف وقطر . وهوجد (الموانعـــة) الأسرة المعروفة في نجـد ومؤسس الدرعية . ولكن ملكه الذي تجاوز حدود نجـد لم يدم طويلاً .. »

ويقول سليمان الدخيل ، الذي قرأ كتاب « مثير الوجد » في أنساب ملوك نجد » – وهو مصدر الريحاني أيضاً – : « إن مانعاً هو الذي وضع أساس الدرعية وبناها ، وجدّد بناء الأحساء والقطيف وقطر وعمان ،وهو أول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون المكينة والأسوار الشاهقة ،وكان مستقلاً بالإمارة في سنة ٨٥٠ هـ . (١٤٤٦ م .) ، ومن ذريته « المنانعة » ، الموجودون اليوم في نجد ، وهم أسرة كبيرة شريفة متفرقة في كثير من الديار العربية وغيرها . »

وقد رجعنا الى تاريخ الأحساء ، في القرن التاسع ، فوجدنا أمراءها ، في تلك الأيام ، أبنـــاء زامل العقيلي الجبري ، وكان أولهم « سيف » ثم شقيقه « أجود » ثم أولاد أجود .. ولم نجد ذكراً لإمارة مانع ، وبذلك تتهافت رواية لادي ومن قال بقولها ، فمانع لم يكن قط أميراً على الأحساء ، فضلاً عن عمان وقطر ..

وأما آل مانع ، فاسم أسرة تميمية ، من الأحساء ، لا تربطها صلة قرابة بمانع المريدي ، مؤسس الدرعية .

٢ – ربيعة بن مانع

لما مات مانع ، خلفه ابنه ربيعة ، واستفاضت شهرته ، وحارب آل يزيد [١] .

٣ – موسى بن ربيعة

ظهر موسى في حياة أبيه ، وتولى قيادة المعارك والغزوات، وصار – كما يقول ابن بشر : « أشهر من أبيه ، واستولى على الحكم في حياة والده ، واحتال على قتـل أبيه ربيعة ، فجرحه جراحات كثيرة ، وهرب « ربيعـة » الى حمد بن حسن بن طوق ، رئيس العيينة ، فأجاره وأكرمه ، لأجل معروف سابق له عليه » .

---

(١) – انظر ابن بشر . ويقول سليمان الدخيل ان ربيعة أخضع الأحساء والقطيف وقطر ، وهذا الزعم ، فيما نعتقد ، باطل لا أساس له .

ثم ان موسى جمع قومه المردة ، وضم اليهم « الموالفة » ، وغزا آل يزيد ، في النعمية والوصيل ، وقتل منهم ثمانين رجلاً ، وأجلاهم عن أراضيهم ، وكان يضرب بهذه الواقعة المثل في زمانهم ، فيقال : « صبّحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد » . !

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه المعركة الظافرة : الاستيلاء على ملك آل يزيد وضمه الى الدرعية .

ويقال إن سبب المعركة كان شدة التزاحم بين آل يزيد وأهل الدرعية على عيون الماء في وادي حنيفة ، وإن موسى استنجد بأمير العيينة ، فأنجده [1] .

٤ – ابراهيم بن موسى

مات موسى ، فخلفه ابنه ابراهيم . وكانت لابراهيم ذرية كثيرة العـــدد من أولاده الأربعة : مرخان وعبدالله وعبد الرحمن وسيف [2] .

٥ – مرخان بن ابراهيم

تولى مرخان رئاسة الدرعية ، بعد وفاة أبيه ابراهيم .

وفي زمانه ضاقت الدرعية بذرية ابراهيم لكثرتهم ، ففكر قسم منهم بالهجرة الى أماكن أخرى أوسع ، بينما آثر الآخرون البقاء ، فمن الذين اختاروا البقاء : مرخان ، الذي أصر على الاحتفاظ بملك الآباء والأجداد ، وتابعه على ذلك أخوه

---

(١) – انظر مخطوط (الدولة السعودية الاولى) ، باللغة الفرنسية ، لصلاح العقاد .

(٢) – يقول سليمان الدخيل ، في مجلة لغة العرب ، ان الأمير ابراهيم كان في عهد العباسيين أميراً قائماً بنفسه ، صاحب الأمر والنهي في جزيرة العرب . ولم نظفر بنص يؤيد هذا الزعم .

(٣) – يقول ابن بشر : « كان لابراهيم عدة اولاد : عبد الرحمن ، وعبد الله ، وسيف ، ومرخان .

فأما عبد الرحمن ، فهو الذي استوطن بلد (ضرمي) ونواحيها ، وذريته آل عبد الرحمن المعروفون بالشيوخ .

واما سيف فمن ذريته آل ابي يحيى ، اهل بلد ابا الكباش المعروف .

واما عبد الله ، فمن ذريته الوطيب وآل حسين وآل عيسى وغيرهم .

عبدالله، وأما أخواه عبد الرحمن وسيف ففضلا الانفصال عن أخيهما وذهبا بأولادهما ومن معهما الى ضرمي وأبا الكباش ..

ويظهر أن هجرة الأخوين ساعدت على تثبيت امارة مرخان ، وسنرى أن امارة الدرعية ، بعده ، انحصرت في ذريته ، دون ذرية إخوته . ويقول فيلبي إن هجرة أخويــه عبد الرحمن وسيف كانت مشروطة بتنازلهما عن حقوقهما وحقوق ذريتهما في إمارة الدرعية ، وربما كان هذا الزعم باطلاً ، ويرجح عندنا بطلانه أن أخا مرخان الرابـع (عبد الله) لم يهـاجر .. ومع ذلك لم يكن له ولا لأولاده أي نصيب في إمارة الدرعية . ولعل أفضل تعليل لانحصار الإمـارة بذرية مرخان هو تكاثر أولاده وقوتهم وشهرتهم واشتغالهم بالغزوات والأمور العامة ، بينما انصرف الآخرون عن ذلك زمناً ، فسقط حقهم أو تنوسي بتقادم العهد .

أنجب مرخان عدة أولاد ، ولكن إمارة الدرعية انحصرت في عقبه من ولديه:

١ – ربيعة

٢ – مقرن

وربيعة هو الابن الأكبر، ولكن ذريته عرفوا باسم ابنه (وطبان) ، فيقال لهم: « آل وطبان »، لأن وطبان كان له أربعة عشر ولداً أو أكثر، غير البنات..

وعرفت ذرية مقرن باسم « آل مقرن » .

وكان يتعاقب على حكم الدرعية الأكبر من هذين الفرعين ، لأن قاعدة السن كانت كالسنة المتبعة في تنصيب أمراء نجد وشيوخها .

٦ – ربيعة بن مرخان

بعد وفاة مرخان ، خلفه أكبر أولاده ربيعة ، ولا نعرف متى كان ذلك ، ولكن ابن بشر نقل من بعض الكتب التاريخية أن ربيعة حج عام (١٠٣٩هـ) ، وكان يومئذ أميراً للدرعية .

فترة مضطربة وحكم أجنبي

لا يذكر لنا ابن بشر أسماء أمراء الدرعية بعد ربيعة ، تاركاً فراغاً كبيراً بين ربيعة ومحمد بن سعود ، ولكننا نستطيع سداد بعض هذه الثغرة ، بما نستخرجه من النقول التي يوردها ابن بشر في أماكن مختلفة من كتابه باسم : « سابقة » ، وبما كتبه مؤلفون آخرون ، ولكننا ملزمون بالقول ان الفترة التي تمتد بين ربيعة ومحمد المذكورين ما تزال غامضة في نظرنا ، ومعلوماتنا عنها قابلة للشك . .

مرخان بن مقرن بن مرخان

لم يشر أحد من المؤرخين ، الذين اطلعنا على كتبهم ، الى أن مقرن بن مرخان تولى إمارة الدرعية ، فلعله مات في حياة أخيه ربيعة .

ويقول بعض المؤلفين ان مرخان بن مقرن تولى إمارة الدرعية ، بعد عمه ربيعة .

وطبان بن ربيعة

لم يرضَ أبناء ربيعة عن ولاية مرخان ، وعدّوه مغتصباً ، لأن كبير أبناء ربيعة : وطبان بن ربيعة ، كان أحق منه بخلافة ربيعة ، فقاموا على مرخان ، وقتلوه ، ويقال ان وطبان نفسه هو الذي قتله وحلّ محله .

محمد بن مقرن

لا يذكر لنا ابن بشر شيئاً من أخبار محمد بن مقرن ، بعد مقتل أخيه مرخان ، وفي بعض الكتب أن محمد بن مقرن ثأر لأخيه مرخان ، فقتل وطبان بن ربيعة وتولى مكانه .

ناصر بن محمد بن وطبان

يذكر ابن بشر في سابقة : أن ناصر بن محمد أمير الدرعية قتل عام ١٠٨٤ هـ.

ويقول فيلبي ان ناصر بن محمد حكم الدرعية خلال حياة أبيه ، ويقول غـيره من المؤلفين ان محمد بن مقرن تخلى عن حقـه في ولاية الدرعية الى ابنه ناصر ، وقد يستنتج من ذلك أن ابنه ناصر هو الذي تولى امرة الدرعية بعد مقتل وطبان .

محمد بن مقرن

تولى محمد بن مقرن بن مرخان ، بعد مقتل ابنه ناصر ، امارة الدرعية ، وبقي فيها حتى وفاته عام ١١٠٦ .

أبناء وطبان

بعد وفاة محمد بن مقرن انتقلت امارة الدرعية الى آل وطبان ، فتولاها كبيرهم : « مرخان بن وطبان بن ربيعة » ويظهر أن الخلافات استحكمت بين أبناء وطبان ، فقتل أحدهم واسمه « ابراهيم » مرخان ، فتولى الامـارة مكانه أخوه : « ادريس بن وطبان » .

لم يستطع ادريس بن وطبان التغلب على فساد اخوته وشقاقهم ، فكان حكمه ضعيفاً متخاذلاً ، فطمع بإمارة الدرعية الطامعون .. بعـد أن سيطرت الفوضى على البلد .

الحكم الأجنبي

يذكر ابن بشر ، في سابقة له ، مقتل « سلطان بن حمد القيس » ، أمـير الدرعية، عام (١١٢٠) ثم يذكر مقتل « عبد الله بن حمد القيس » أمير الدرعية، عام (١١٢١) ، ولكنه لا يضيف الى ذلك شيئاً من أخبارهما ..

ويسمي فيلبي هذه الفترة ، التي امتدت من سنة (١١٠٧) الى سنة (١١٢١): فترة « الحكم الأجنبي » ، ويقول ان سلطان بن حمد رجل مغمور ، من بني خالد ، من الاحساء ، وقد استطاع أهل الدرعية قتله ، بعـد أن طال حكمه وكرهه الناس ، فتولى مكانه أخوه عبد الله فقتل في العام التالي لولايته .

وبمقتله ، كما يقول فيلبي ، انتهت فترة الحكم الأجنبي ، في الدرعية وعادت البلد

الى « حكامها الشرعيين » .

موسى بن ربيعة بن وطبان

في عام ١١٠٧ ، بعد مصرع عبد الله بن حمد القيس ، تولى إمارة الدرعية كبير فرع آل وطبان : « موسى بن ربيعة بن وطبان » ، وبقي في الإمارة إحدى عشرة سنة .

وفي عام (١١٣٢) ، ثار عليه أهل الدرعية ، وربما كان على رأس الثائرين سعود بن محمد بن مقرن ، وخلعوه من الامارة ، ونفوه من البلدة ، فذهب الى « العيينة » ، حيث عاش لاجئاً أو « جلوياً » ، كما كانوا يقولون في تلك الأيام ، وفي عام ١١٣٩) أصابته رصاصة طائشة فمات منها .

سعود بن محمد بن مقرن .

بعد خلع موسى بن ربيعة ونفيه عام ١١٣٢ ، تولى الإمارة في الدرعية كبير فرع آل مقرن : « سعود بن محمد بن مقرن » ، وبقي فيها حتى وفاته في ليلة عيد رمضان عام ١١٣٧ هـ .

وقد خلف سعود أربعة أولاد : محمد ، وثنيان، ومشاري، وفرحان [1] .

زيد بن مرخان .

تولى الامارة بعد وفاة سعود كبير آل وطبان : زيد بن مرخان بن وطبان .

مقرن بن محمد .

كان زيد بن مرخان ضعيف الرأي ، سيء التدبير، فاستطاع مقرن بن محمد ،

---

(١) يقول فيلبي في كتابه (اليوبيل العربي) Arabain Jubilee صفحة (٢٠٥) ان سعود بن محمد بن مقرن ، توفي عام ١٧٤٧ م . كحاكم فعلي للدرعية ، بعد قليل من ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية وعام ١٧٤٧ . يقابله عام ١١٦٠ هـ . وهذا خطأ فاحش ، لأن سعود المذكور مات عام ١١٣٧ هـ . اي عام ١٧٢٤ هـ . وفي هذا التاريخ ، لم تكن الدعوة الاصلاحية قد ظهرت بعد في نجد لأن الشيخ لم يكن قد عاد من رحلته ..

أخو سعود بن محمد ، انتزاع الإمارة منه ، وانفرد بحكم الدرعية ، ثم بدا له أن يصالح زيداً ، فطلب منه أن يزوره « لتام الاستئناس به والثقة ، فخاف منه زيد ، وقال : لا آتيك حتى يكفل لي محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله بن مقرن ، فكفلا له . فأتاه زيد في جماعـــة ، فـهَـمّ مقرن بقتله وبدت منه شواهد الغدر ، فوثب محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله .. وحملا عليه فألقى بنفسه .. فأدركوه (وقتلوه) ، وردّوا زيداً إلى مكانه [1] » .

وهكذا شارك محمد بن سعود في قتل عمه مقرن، استنكاراً للغدر ووفاء بعهده لزيد ودفاعا عن حياة رجل مظلوم ، وقد عدّوا عمله مكرمة لا اثماً ، لأن الظروف التي كانت تحيط به لم تترك له حرية الاختيار : كان بين أن يهرب ويتنكر لعهده ويدع مكفوله يلقى مصرعه ، وهذا معناه القبول بالغدر والذل ، وبين أن يقف بوجه الغدر ويكافح الشر ، فاختار القتال دون عهده وكرامته ، وشاء القدر أن ينتهي الصراع بقتل المعتدي .

ولاية زيد الثانية ومصرعه

أعيد زيد بن مرخان ، بعد مصرع مقرن بن محمد ، إلى إمارة الدرعيـــة ، فأراد القيام بعمل باهر ، يكسبه مالاً كثيراً وسمعة ، فبدا له أن يغزو العيينة ، لأن الوباء فتك بأهلهـــا فمات رئيسها واكثر رجالها ولم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها ، وفيها أموال كثيرة طمع بنهبها !

جمع زيد جموعه من الحاضرة وأشرك معه البدو ، وسار إلى العيينة ، فلما دنا منها ، أرسل إليه أمير العيينة الجديد ، واسمه محمد ، وكان يلقب « بخرفاش» ، رسولاً يقول له : لماذا تريد إشراك البدو في نهب العيينـة ؟ دعهم ، وأقبـل إلي ، وأنا أعطيك حتى ترضى !

لقي عرض محمد خرفاش هوى في نفس زيد ، لأنه يرضي جشعه ونهمه ، فجاء إلى العيينة في أربعين من رجاله ، وأحسن خرفاش استقبالهم وأجلسهم في مكان معد

---

(١) ابن بشر .

لهم ، ثم تركهم فجأة - وكان قد بيّت أمراً - فإذا رجال خرفاش المسلحون يصوبون بنادقهم إلى زيد ويقتلونه !

ولما رأى ذلك محمد بن سعود ورجاله، التمسوا موضعاً أميناً ، وصعدوا إليه، وتحصنوا فيه ولم ينزلوا منه حتى جاءتهم (الجوهرة) بنت عبد الله بن معمر ، وأمنتهم ، وعادوا إلى الدرعية !

الباب الثاني

رئاسة

محمد بن سعود

وعشيرته وآباؤه ونسب آل سعود

رئاسة محمد بن سعود

وعشيرته وآباؤه ونسب آل سعود

التف أهل الدرعية ، بعد مقتل رئيسهم زيد ، حول محمد بن سعود ، وبايعوه بالرئاسة ، وكان ذلك عام ١١٣٩ هـ.

وبقي محمد بن سعود رئيساً للدرعية ، قبل هجرة الشيخ إليها ، نحو عشرين سنة – أي منذ عام ١١٣٩ الى عام ١١٥٧ – ولسنا نعرف شيئاً من أخبار هذه الفترة الطويلة ، ولعله لم يكن فيها شيء يستحق الذكر . ولكن استمرار ولايته كل هذه المدة يدل على الاستقرار والأمن ، وقد يدلّ كذلك على حكمة الرجل ودهائه ، لأنه استطاع القضاء على دسائس المنافسين في الداخل ، والدفاع عن بلاده ضد الأعداء والطامعين من الخارج !

وكان من أعاظم جيرانه ، في ذلك الوقت : أمير « العيينة » ، وأمير «الرياض» ، وأبعد من ذلك أمير « الأحساء » .

ويبدو أن محمداً كان على صلة حسنة بالعيينة ، لأنه زوّج ابنه عبد العزيز ببنت أمير العيينة عثمان بن معمر .

أما رئيس الرياض ، دهام بن دواس ، فيقول لنا ابن غنام إنه كان مديناً

لمحمد بن سعود ببقائه في الإمارة ، لأن أهل الرياض كرهوه وأرادوا الخلاص منه ، فاستنجد بأمير الدرعية ، فأنجده بعدد من الجنود ، وبذلك أخضع الثائرين واستقر له الحكم !

كان شرفاء مكة يعدّون نجداً واليمامة من مناطق نفوذهم ، ويجبون منها الأموال ويأخذون الهدايا .. ويؤدبون المتمردين .. ولكننا لم نسمع بشيء من أخبارهم في « الدرعية » ، ولعل الدرعية كانت يومئذ من الفقر بحيث لا تغريهم فحفظها منهم فقرها ، الى شجاعة أبنائها ، والله أعلم !

ويظهر أن أمراء الأحساء خلفوا شرفاء مكة في بسط نفوذهم على دويلات نجد وجباية الأموال منها .. أو شاركوهم ذلك أحياناً ..

عشيرة ابن سعود وأسرته .

الدروع والمردة

كانت عشيرة (مانع) ، الجد الأعلى لمحمد بن سعود ، ومؤسس الدرعية ، تعرف باسم (الدروع) ، وكانت مواطنهم في اليمامة والقطيف ، كما ذكرنا ذلك من قبل ..

ويطلق ابن بشر وابن عيسى على (مانع) ، رئيس دروع القطيف لقب (المريدي) ، نسبة الى (المردة) ، ولم نظفر بنص يبين لنا وجه تسميتهم بالمردة ، ولعلهم انما سموا كذلك لجسامتهم وطولهم وقوتهم ، وما ندري إن كان هذا اللقب خاصاً بهم ، أم يعم أيضاً دروع اليمامة .

والدروع اسم يطلق اليوم على عشيرة يقيم أفرادها في واحات البريمي وعمان ، ولكنها عشيرة قحطانية ، فليس بينها وبين دروع اليمامة والقطيف صلة ، وانما هو تشابه الأسماء .

ويذكر فيلبي ان الدروع كانت عندهم ابل ممتازة ، استفاضت شهرتها في سائر بلدان الخليج ، ولكنه لا يشير الى مصدره .

آل مقرن

في القرن الحادي عشر ، على الأرجح ، اختص فرع من « أبناء مانع ، رئيس الدروع »، باسم : (آل مقرن)، نسبة الى جدهم (مقرن بن مرخان) ، وتمييزاً لهم عن أسرة (آل وطبان)، الذين ينتسبون الى(وطبان بن ربيعة بن مرخان)،

وقد تناوب أفراد من هاتين الأسرتين الحكم في الدرعية ، ثم استقر الأمر أخيراً في آل مقرن ، وحدهم .

وتقول صحيفة الخليج الفارسي: « إن صيحة آل مقرن التي كانوا ينتخون بها في الحرب هي :

« خيال العوجا .. انا ابن مقرن » .

أو :

« راعي العوجا ، انا ابن مقرن » .

وكانوا ينطقون قاف « مقرن » ، كالجيم المصرية ، ويعنون بالعوجا : (الدرعية) ، لأن وادى حنيفة يتعوج عندها ويتعرج [1] .

---

(١) من يرجع الى قواميس اللغة يجد ان (العوجاء) هي الضامرة من الابل ، ولذلك قال احد الكتاب في جريدة (ام القرى) ان نخوة اهل العارض كانت :

« اهل العوجا . اهل العوجا » .

وزعم ان العوجا اسم للقطيع من الابل ، وان هذه الكلمة كان لها (تأثير الكهرباء ، لأن العرب اشتهروا بالدفاع عن انفسهم وانعامهم .) ثم حلت محل هذه النخوة نخوة دينية ، بعد ظهور الوهابية ، وهي :« خيال التوحيد ، اخو من اطاع الله » .

نسب آل سعود

محمد بن سعود

هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخـــان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع .

هـــذه هي سلسلة النسب التي نجدهـــا في كل كتاب يبحث في تاريخ الدولة السعودية ، لأنها قريبة العهد ، وأما ما فوق مانع من الآباء ، فبعض المؤلفين يهمله، وبعضهم ينقص منه ، وبعض يغلط فيه ، ولكن المؤلفين يجمعون على أن (مانع) يتحدر من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وبذلك يلتقي نسب ابن سعود بنسب النبي محمد (ص) في جدهما المشترك : (نزار) .

ولو أنك سألت كثيراً من أفراد آل سعود عن أسماء أجدادهم ، بعد مانع ، لعجزوا عن تسميتهم لك ، لأن أسماءهم — أو طائفة منها ، على الأصح — بقيت غير مدونة ، لأسباب مختلفة من الحروب والهجرات وقلة العناية بالتدوين وتقادم العهد.

وهذا غير مستغرب ، فأسماء آباء النبي (ص) ، فوق جده الأعلى (عدنان) ، بقيت مجهولة لنفس الأسباب .. ولما عرض النسابون على النبي (ص) سلسلة كاملة بأسماء آبائه حتى اسماعيل ، رفضها وكذب النسابين ، فاكتفى المؤرخون بذكر اسماء آباء النبي (ص) حتى عـدنان ، ثم قالوا إن عدنان هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم .

فهل نفعل مثل ذلك، فنقول — بعد تعداد أسماء آباء ابن سعود حتى مانع — : ومانع من سلالة ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ؟

قد يكون هذا الرأي أسلم الآراء.. ولكنه لا يعفينا من جهد نبذله في استقصاء

نسب (مانع) ، فإن لم نوفق إلى معرفة أسمــــاء آبائه كلهم ، عرفنا طائفة منها على الأقل !

حنفيون

يقول ابن بشر إن مانع ، جد آل سعود : (مريدي) ، أي أنه من قبيلة « المردة » ، من بني حنيفة ، من قبائل بكر بن وائل ؛ وقد نقل ابن بشر ذلك من كلام محمد بن سلوم ، الذي نقله بدوره ، من كلام راشد بن حنـــين ، قاضي الخرج .

فإذا صح لدينا أن (مانع) مريدي حنفي،عرفنا بذلك أسماء آبائه من «حنيفة» حتى « عدنان » ، لأن نسب حنيفة معروف ومدوّن في كتب الأنساب .

وهذه هي أسماء آباء حنيفة :

« حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » .

عنزيون

يذهب كثير من المؤلفين الغربيين – ويجاريهم في رأيهم كثير من المؤرخين العرب – الى أن آل سعود .. عنزيون ، من قبيلة عنزة .

والكلمة « عنزة » مدلولان مختلفان .. ولعل أكثر الذين نسبوا آل سعود الى عنزة يجهلون ذلك ، فهم لا يعرفون إلى أية عنزة نسبوهم !

يعني بعض المؤلفين بعنزة أو العنزيين : سلالة عنزة بن أسد .

ويعني بها آخرون : سلالة عنز بن وائل .

والمعنى الأول هو الذي نجده في أكثر الكتب القديمة ، ولكن المعنى الثاني هو الأحدث والأشهر بين رجال العشائر اليوم .

ويقول العلامة البكري في كتابه « معجم ما استعجم .. » إن اسم « عنز » ،

في الأصل ، هو : « عبد الله » ، و « عنز » لقب لقبوه به ، لأن رأسه كان محدّداً يشبه رأس العنزة .

عنز بن وائل

فمن المؤلفين الذين ينسبون آل سعود في عنز بن وائل :

١ – الأستاذ عباس العزاوي ، الذي يقول في كتابه « عشائر العراق » :

« قبائل عنزة .. من قبائل العرب الكبرى .. والمعروف أنها من أولاد عنز بن وائل . »

وأما قبيلة عنزة بن أسد ، فيرجح المؤلف أنها اندمجت في قبيلة عنز بن وائل أو درجت .. لأن عنزة اليوم «تحفظ أنها من وائل، وأن جدها «عناز» – والتقارب في اللفظ ظاهر بين عنزة وعناز – ومن مؤيدات هذا ما جاء في أنساب «الجواني»، المنقول عن « نهاية الأرب » ، قال :

« وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربعة : تغلب ، وبكر ، وعنز ، وعمرو. فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان وهما: (١) رفيدة بن عنز، (٢) أراشة ابن عنز ، وفيها عدة أفخذ أو عشائر » .

ثم يقسم الاستاذ العزاوي قبيلة عنزة الى جذمين كبيرين : بشر ومسلم ، فمن قبائل بشر : ضنا عبيد (الاسبعة والفدعان) والعمارات ، ومن قبائل مسلم أو ضنا مسلم :

(١) الجلاس « رولة ، محلف » . (٢) الوهب – ويعرفون الآن باسم « ولد علي » ومن فروعهم المنابهة والمساليخ – وكفاهم فخراً أن ابن سعود ملك الحجاز ونجد منهم .

٢ – أحمد وصفي زكريا ، الذي يقول، في كتابه « عشائر الشام » :

« عنزة : أعظم القبائل العدنانية بل العربية عدداً ، وأعلاها شأناً ، وأمنعها جانباً ، وأكثرها انتشاراً . ويرتقي نسبها الى عنز بن وائل ، من جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . »

وفي أسطورة يتناقلونها عن سبب تسميتهم بعنزة ، أن جدّهم الأعلى قتل رجلاً بعنزة ، وهي الرمح القصير .

والمعروف .. ان عنز بن وائل.. هو أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل.. وان بني وائل هم بطن من ربيعة .. وهم كثيرون لا يكادون يحصون ، وكل فرع منهم يماثل في عدده أكبر العشائر .

... وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود هو من فرقة المساليخ من «الأحسنة»، وهو يجلّ قدراً الوافدين عليه منهم .

و « الأحسنة » ، « عشيرة عنزية صغيرة من ضنا مسلم وبطن الوهب وفخذ المنابهة ، فهم بذلك أبناء عم الرولة والمحلف وأشقاء الولد علي .

وأفخاذ الوهب وعشائره يتمرجحون بين نجد والشام ، وكثرتهم الغالبة اليوم في المملكة العربية السعودية . »

(٣) فؤاد حمزة الذي يقول : « ان آل سعود ينتمون الى قبيلة « ولد علي » من عنزة التي جدّها عنز بن وائل ، ومن عنزة بعض العشائر المتحضرة في نجد وأهمها في العارض والحريق والحوطة والافلاج وسدير والقصيم ، وبعضهم يسكن في هجر أنشأها لهم الملك عبد العزيز ، وهم عشائر عديدة لا يؤلفون وحدة سياسية بينهم ، وليس لهم نخوة عامة » .

٤ ــ الشيخ حسين .. خزعل ، الذي يقول ، في كتابه « تاريخ الكويت السياسي » : « عنزة وهم بنو عنز بن وائل .. ومن عنز تنحدر بكر بن وائل التي التي تنتسب اليها البيوت الثلاثة : آل سعود وآل خليفة وآل الصباح » .

وقد تورط هذا المؤلف في تناقض غريب : فكيف يتحدر أبناء بكر من عنز، عمهم ، لا من أبيهم بكر ؟

عنزة بن أسد

المفهوم القديم لعنزة ، كما قلنا ، هو : عنزة بن أسد .

جاء في « لسان العرب » :

« عنزة قبيلة من العرب ينسب اليها ، فيقال : العنزي، والقبيلة اسمها «عنزة» . وعنزة أبو حي من ربيعة ، وهو : « عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان » .

ويتفق « صبح الاعشى » و « العقد الفريد » و « تاريخ ابن خلدون » في نسبة عنزة الى أسد بن ربيعة .

وفي معجم القبائل ، لعمر رضا كحالة ، ما تلخيصه :

« عنزة بن أسد ، أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر ، تنسب الى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ، وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادي السرحان فالحماد فبادية الشام حتى حمص وحماة وحلب .

ويمكن تقسيم هـذه القبيلة الى ثلاثة بطون كبيرة : (مسلم) ، (وائل) ، (عبيد) .

وتقسم عنزة بحسب مواقعها الجغرافية الى:عنزة الحجاز،وعنزة العراق، وعنزة الفرات والجزيرة وعنزة حماة وعنزة حمص (الأحسنة) وعنزة دمشق وحوران : (الولد علي) ، (الرولة) ، (المحلف) .

ومن القائلين بنسبة آل سعود الى عنزة بن أسد :

(١) حمد بن ابراهيم الحقيل، مؤلف كتاب (زهر الآداب في معرفة الانساب ومفاخر العرب) الذي يقول :

« ومن ربيعة : اللهازم : وهم عنزة بن أسد بن ربيعة ، وعجيل بن لجيم وتيم الله وقيس الخ .

ومن عنزة : بعض العشائر المتحضرة أهمها الابطال المجالدون والائمة المجاهدون الملوك العظام والسادة الكرام : آل سعود ، الذين عناهم من قال :

« والسابقون الأولون السادة	آل سعود الكبراء القادة
هم الغيوث والليوث والشنف	ونصرةالاسلاموالشمالأنف»

(ب) أمين سعيد الذي يقول ، في كتابه « تاريخ الدولة السعودية » : يعد

الشيخ مانع المريدي العنيزي ، المؤسس الأول للبيت السعودي ، وهو في الأصل من شيوخ قبيلة عنيزة بن أسد [1] .

(ج) مؤلف « تاريخ الاحساء » الذي يقول : إن نسب آل سعود يتصل الى عنزة بن أسد .

نسبة آل سعود الى عنزة ، عند الانكليز

يجمع المؤلفون الانكليز ، تقريباً ، على نسبة آل سعود الى عنزة ، ومصادرهم التي يرجعون اليها في تقرير ذلك ، هي ، فيما نعلم :

(١) كتاب دوتي : « أريبيا ديزيرتا » : وقد جاء فيه أن « وائل » تزوج امرأة قحطانية وأنجبت له أولاداً منهم « عنز » و « معز » وهما جدا قبيلة عنزة ، وأن عنز ولد له « مسلم » .. ومنه ينحدر المنابهة ومن فروعهم اليوم « الأحسنة » وهم العرب الضاربون في شمالي الشام ، قرب حلب ، ومن « الاحسنة » الاسرة الشهيرة من أمراء نجد الشرقية : أبناء سعود .

(٢) كتاب بوركارت « مواد لتاريخ الوهابيين » : وقد قال فيه : ان آل سعود هم من المساليخ ، من عنزة .

(٣) صحيفة الخليج الفارسي ، التي تقول في مجموعتها التاريخية الشهيرة : ان محمد بن سعود ، من أسرة معروفة باسم آل مقرن ، من المساليخ ، من ولد على ، من عنزة .

(٤) كتاب مختصر تاريخ الوهابيين ، للسير هـ . ج . بريد جس ، وفيه يقول أيضاً ان القبيلة التي ينتمي اليها محمد بن سعود ، هي : عنزة.

(٥) تقرير حديث وضعته المخابرات البريطانية عام ١٩١٧ باسم « شخصيات - الجزيرة العربية - جاء فيه ، في معرض الكلام عن الملك عبد العزيز : أن جده الاعلى محمد بن سعود « من عشيرة الاحسنة ، من عنزة : نسب عريق نبيل » .

---

(١) يظهر أن ورود كلمة العنزي بهذه الصيغة « العنيزي » انما هو خطأ مطبعي وكذلك « عنيزة » ، فالصحيح انها « عنزة » ..

عنزة عند الافرنسيين

لا ينظر المؤلفون الافرنسيون القدامى الى « عنزة » نظرتهم الى قبيلة من أب واحد ، وانما يعدونها مجموعة قبائل ، أو اتحاداً كبيراً من القبائل المتباينة الانساب .

يقول أوغست دونرسيا في رسالة له صغيرة عن العرب وفرقة الوهابيين طبعت عام ١٨١٨ م ما يأتي :

« لا أتحدث عن القبائل والعشائر ، فهي تتغير دائماً .. ففي كل فترة من الزمان تنشأ عشائر جديدة ، وتتوحد عشائر مختلفة تحت زعامة رجل يلمع اسمه .

.. ان عشرين قبيلة، لعلها كانت في أول أمرها مجموعة من الاسر،تعرف اليوم باسم « عنزة » ، وهي تتنقل في رحلاتها المستمرة بين الفرات والبحر الاحمر حتى نجد – ونجد مهدها .

ومنهم : شيخ الدرعية « محمد بن سعود » ، ومنهم أيضاً شيخ عربان الرولة ، الذين يؤلفون قسماً من القبيلة الكبيرة : « الفدعان » .

ويقول كورانسيز في كتابه « تاريخ الوهابيين » :

« ينحدر محمد بن سعود،من قبيلة صغيرة «لعلها المردة» كانت تعيش مع عنزة و « عتيبة » [1] وهذه القبائل الثلاث اتحدت بالمصاهرة مع أن القبائل العربية لا تتزاوج عادة الا فيما بينها ، كما قبلت أن ينضم اليها المتشردون[2]، وهكذا أصبحت قوية ، ونشأ منها شعب جديد ، وجد في بؤسه سر عظمته » .

ويقول المستشرق لاوست :

« ينتمي محمد بن سعود الى اتحاد القبائل الكبير ، الذي أطلق عليه اسم « عنزة » » .

---

(١) رسم المؤلف الفرنسي عتيبة في كتابه هكذا : « عتوب » ، ولعله سمعها بهذه الصيغة من البدو او حرفها ..

(٢) لعل المؤلف يعني بالمشردين او التائهين : « الموالفة » الذين كانوا مع قبيلة المردة ، والله اعلم !

من ذهل بن شيبان

إن كان المؤرخان النجديان (ابن بشر) ، و (ابن عيسى) ينسبان آل سعود في بني حنيفة ، والمؤرخون الغربيون وبعض العرب المحدثين ينسبونهم في عنزة ، بعنيها ، فهنـــاك مؤرخون يرجعونهم الى ذهل بن شيبان ، لأن مؤلف كتاب « مثير الوجد في أنساب أهل نجد » زعم ذلك !

ومن هؤلاء المؤرخين :

١ - سليمان الدخيل ، صاحب جريدة « الرياض » التي كانت تصدر في مدينة « البصرة » قبيل الحرب العامة ، وهو نجدي المولد والمنشأ ، ويدعي لنفسه قرابة بآل سعود ، فقد كتب في مجلة « لغة العرب » البغدادية سلسلة مقـــالات عن جزيرة العرب ونجد ، خلال الأعوام ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ وهـــذا بعض ما كتبه عن نسب أمراء آل سعود :

الأمير « سعود » ، هو ابن الأمير « محمـــد » بن الأمير « مقرن » بن الأمير « مرخان » - وقد كان أميراً مستقلاً - بن الأمـير « ابراهيم » - الذي كان في عهد العباسيين أميراً قائماً بنفسه صاحب الأمر والنهي في جزيرة العرب - وهو ابن الأمير « موسى » - الذي كان مستبـــداً بنجد ، وربمـــا تولاها في آخر أيام الدولة العباسية وهو ابن الأمير « ربيعة » ، وقد كانت تخضع له الأحساء والقطيف وقطر ، وهو ابن الأمير « مـانع » ، الذي وضع أساس الدرعية وبنـاها ، وجدّد بناء الأحساء والقطيف وقطر وعمان وأول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون المكينة والأسوار الشامخة ، وكان مستقلاً بالإمارة في سنة ٨٥٠ هـ . « ١٤٤٦ م. » ومن ذريته المنانذة الموجودون اليوم في نجد . وهم أسرة كبيرة شريفة متفرقة في كثير من الديار العربية وغيرها .

وهو ابن « المسيب » بن « المقداد » بن بدران بن مالك بن سالم بن مـالك بن حسان بن ربيعة بن مر بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همـام بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن دعمى بن جديلة بن معد بن عدنان .

فنسب الأمير سعود يتصل بعدنان ، وفي غير كتب خطية يتصل نسبه بابراهيم ، لكننا نعتمد على الأول لوضوحه وجلائه . »[1]

٢ – أمين الريحاني ، الذي نشر في كتابه « تاريخ نجد وملحقاته » سلسلة نسب الملك عبد العزيز كما يأتي : « الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن مانع بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن عدنان» وأضاف في الحاشية هذه الكلمات: محذوف من أجداده أكثر من « ١٥ » ![2]

٣ – خير الدين الزركلي ، الشاعر الكبير وصاحب : « قاموس الأعلام » ، فقد ذكر في قاموسه الجليل أن مانع جد السعوديين ، هو « مانع بن المسيب بن المقداد بن بدران ، المري ، الذهلي ، الوائلي ، أمير نجد وأطرافها .. كان مستقلاً في إمارته سنة ٨٥٠ هـ . ومن ذريته المنانعة من سكان نجد ، وكان عمرانياً كثير الآثار في الأحساء والقطيف وقطر وعمان ، وهو أول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون والأسوار ومن آثاره الدرعية بنجد » .

ويشير الزركلي إلى مجلة « لغة العرب » كمرجع من مراجعه .

٤ – الشيخ عبد العزيز خلف، مؤلف كتاب « دليل المستفيد »، الذي يقول، في كتابه ، إن صاحب كتاب التقية والإعلام ، في ذكر النجباء الفخام ، حكى عن نسب آل سعود الأوائل .. فقال .. « مانع بن المسيب بن المقلد بن بدران ، المري الذهلي الوائلي، أمير نجد وأطرافها، كان مستقلاً في إمارته منذ سنة ٨٥٠ هـ .» الخ ..

٥ – الشيخ أمين التميمي. وهو رجل فاضل، متتبع لأخبار أسرة آل سعود،

---

١ – راجع مجلة « لغة العرب » لصاحبها الاب انستاس ماري الكرملي ، الجزء الخامس من السنة الثالثة عدد ذي الحجة ١٣٣١ . وعنوان المقال : (جزيرة العرب) .

٢ – من اعجب الاشياء ان جريدة (ام القرى) الرسمية ، نشرت هذه السلسلة يوم وفاة الامام عبد الرحمن بن فيصل ، عام ١٣٤٦ هـ ! ..

في الزمن الحاضر ، ويكاد يكون ، فيما بلغنا عنه ، « سجلاً » حياً لأخبار ولاداتهم ووفياتهم ومصاهراتهم ، وكأنه « ضابط أحوال مدنية » لهـــذه الأسرة الكريمة ، وله عناية خاصة بأخبار المغفور له الملك عبد العزيز .

وضع الشيخ التميمي شجرة نسب للملك عبد العزيز ، تنتهي إلى عدنان، وقد انخدع بهـــذه الشجرة بعض المستشرقين ، وصوّرها بيلي ويندر في صدر كتابه «العربية السعودية » في القرن التاسع عشر .

ولعل ويندر لا يؤمن مثلنا بهذه الشجرة ، التي لا يستطيع أحد قراءة الأسماء « المطموسة » .. التي تحملها أغصانها وأوراقها . ولكنه أراد أن يزين كتابه بقطعة فنية زخرفية تريق عليه صبغة شرقية .

وهذه هي شجرة التميمي: « عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبـد الله بن محمـد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع » ...

وإلى هنا لا يجادل أحد من صحة هذه الأسماء ، فهي معروفة مشهورة ، مدونة من كل كتاب التواريخ !..

ولكن التميمي يتابع هذه السلسلة فيقول :

« .. مانع بن المسيب بن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالـــك بن غسان بن ربيعة بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ابن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » .

ويلاحظ أن هذه السلسلة تشبه السلسلة التي أوردها سليمان الدخيـــل ، ولكنها تنقص عنها أربعة أسماء بل وخمسة ، وهي « ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي » وسعد بن مرة ...

وفي اعتقادنا أن شجرة التميمي هـذه غير صحيحة ، لاننـــا لم نجد أحداً من مؤرخي نجد الأثبات يذكر ذلك ، والشجرة ، بعد ، تنادي على نفسها بكذبها .. لأنها تجعل بين « مانع » ، الذي عاش في القرن التاسع للهجرة ، وبين « سعد بن همام » الذي عاش في الجاهلية : عشرة آباء ... وبين مانع وسعد فترة من الزمان

تتجاوز ألف سنة ، فهل يعقل أن يعيش كل واحــد من هؤلاء الآباء أكثر من مائة سنة ؟ !

شجرة « لمع الشهاب »

وفي كتاب « لمع الشهـاب » ، المخطوط المحفوظ في مكتبة المتحف البريطـاني بلندن ، شجرة نسب لآل سعود ، نثبتها لمجرد العلم بما يقال ، مع معرفتنا ببطلانها، وهذه هي ، ابتداء من محمد بن سعود :

« محمد بن سعود بن محمد بن عمر بن فيصل بن أحمد بن سعدان بن عبدالله بن عثمان بن ياسر بن جبر بن عبدالعزيز بن عمر بن سليمان بن زيد بن عبد الرحمن بن سليم بن عدوان بن صـالح بن فضل بن حميد بن ضـاحي بن نجم بن معمر بن علي ابن سيار بن زامل بن حيـان بن سمرة بن عوير بن داعس بن هـلال بن زاهر بن سمعان بن مسجل بن زيد بن دارم بن ضبية بن بكر بن مداج بن وهب بن زمعة ابن بكر بن وائل بن داحس بن عمرو بن قضاعة بن مصعب بن مطعم بن جبير ابن ربيعة بن مضر . » .

ومن عيوب هذه الشجرة الصارخة أن صاحبها يخطىء في آباء بكر بن وائل ، مع أن كتب الأنساب والتاريخ لا تترك له مجالاً لهذا التخليط العجيب الذي وقع فيه ، وختمه بأن جعل ربيعة ابناً لمضر ، وهو أخوه !

حنفيون أم عنزيون أم نهليون ؟

سألت صاحب السمو الملكي ، الأمير الجليـل عبد الله بن عبـد الرحمن ، عميد أمراء آل سعود اليوم ، ومن أفقههم وأعرفهم بالتـــاريخ ، عن رأيه في نسبـــة آل سعود إلى عنزة ، فكان جواب سموه : « نحن حنفيون . » !

قلت : وقصة عنزة ؟

فقـــال سموه : « ان كانت « عنزة » ، عند بعضهم ، مرادفة لربيعـــة أو « وائل » ، فيمكن القول ، تجوزاً ، إننا من عنزة ... بمعنى أننا من ربيعة ! . »

وما يقوله سموه ، في اعتقادنا ، هو الحق ، وفيه اشارة واضحة إلى تطور مدلول « عنزة » وتوسعه ، بحيث استغرق عشائر ربيعة كلها ، ولم يعد قاصراً على عشيرة « عنزة » وحدها !

وكثير من أمراء آل سعود ، إذا سألتهم عن نسبهم القبلي ، أجابوك أنهم من عنزة ، وربما ذكروا لك كلمة حفظوها عن مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة ، المغفور له الملك عبد العزيز ، تؤكد هذه النسبة !

يقول أمين الريحاني ، في كتابه : « ملوك العرب » :

« أما العمارات والرولا ، فهما فخذان من أفخاذ عنزة ، وكانوا يسكنون نجداً، خصوصاً القصيم ، ومشايخهم بنو الهذال وبنو الشعلان . وبنو الشعلان : هم أبناء عم آل سعود ومن رعاياهم .

... كثيراً ما سمعت السلطان يقول : هم رعايا آبائنا وأجدادنا ، بل هم أبناء عمنا .

... وعنزة - كما هو مدون في كتب الأنساب - أخو وائل من ربيعة ، ونسب ابن سعود « السلطان عبد العزيز » يتصل ببكر بن وائل ، فقبيلة عنزة إذن هي كلها ، جمعاء ، ابنة عمه ، وله عليها حق الرعاية » ..

أخطأ الريحاني بقوله إن عنزة، « والأصح عنز » هو أخو وائل .. فهو «ابنه »، وليس أخاه .. ولكنه أصاب كثيراً باشارته اللطيفة إلى أن أبناء بكر بن وائل ، سواء أكانوا من عنز أم من حنيفة هم أبناء عمومة !

ويرفع المستشرق الانكليزي « دوتي » التناقض بين النسبة الحنفية وبين النسبة العنزية ، بقوله : إن بني حنيفة في واد يحمل اسمهم منذ زمن النبي (ص) . وهم عرب قدامى ، من عنزة ، وجدهم المشترك هو وائل !

وهكذا يدخل « دوتي » ، حنيفة كلها ، في « عنزة » ، مطلقاً هذا الاسم الأخير على كل من كان من ولد وائل !

الخلاصة :

إن المؤرخين – وان اختلفوا في بعض الطرق – متفقون ، في كثرتهم ، على أن آل سعود من وائل ، من ربيعة ، من عدنان .

أما نسبتهم إلى «عنزة» ، فليست نسبة بنوة ، ولا نسبة قرابة – مع أن القرابة قائمة ، ولكنها بعيدة – وانما هي نسبة « سياسية » ، فقد توسعت « عنزة » كثيراً بما انضم اليها من القبائل والاسر والأفراد ، فأصبحت شعباً كبيراً جداً أو « اتحاد قبائل »، ولم يعد الانتساب اليها يعني حتماً قيام صلة نسب بين كل فرد من أفرادها وبين شيخ القبيلة الأول .

ان النسبة العنزية أشبه « بالجنسية القومية » أو السياسية ، منها برابطة النسب والدم .

وكان يرجى للنسبة القبلية أن يعظم خطرها ، ولكن قيـــام الدول العربية الحديثة ومساعيها الموصولة في سبيل تحضير البدو ، ووضع الحواجز أمام تنقلهم من دولة الى دولة ، كل ذلك من شأنه تفكيك الروابط القبلية والاكتفاء برابطة الأمة والوطن والأسرة !

آل سعود

لم يظهر اسم « آل سعود »، فيا نعتقد، إلا بعد وفاة محمد بن سعود ، وتوسع الدولة التي أنشأهـــا ، وتلك سنة من سنن الكون ، فمتى تكاثر أفراد الأسرة ، وظهر بينهم كوكب لامع جديد ، تجمع حوله ابناؤه وأحفاده ، وانتسبوا إليه واختصوا به ، وانفصلوا بذلك عن أبناء عمومتهم الآخرين ..

ومن الخطأ القول بأن الأسرة السعودية تنسب إلى سعود ، والد محمد ، فرأس الأسرة السعودية المالكة ، هو محمد بن سعود ، وإليه ينسب أفرادها [1] .

إن مناداة الرجل بابن فلان او أبي فلان ، عادة مألوفة عند العرب وعند غيرهم من الشعوب ، ولكنهم حين ينسبون اليه تحذف كلمة « الابن » و « الأب » من صيغة النسبة فيقال ، مثلاً ، « حنبلي » ، في النسبة إلى « ابن حنبـــل » ، لا إلى حنبل،و «وهابي » ، في النسبة إلى ابن عبد الوهاب لا إلى عبد الوهاب و«سعودي»، في النسبة الى « ابن سعود » لا الى سعود ، وربما كان سبب ترجيحهم استعارة اسم الأب في النسبة الى كل من « محمد بن سعود » و « محمد بن عبد الوهـــاب » : الخوف من الالتباس والخروج من الخصوص الى العموم : ذلك أن النسبة اليهـــما

---

(١) قد يقال ان ابناء سعود من غير ولده محمد يتسمون هم ايضاً باسم آل سعود ، ولا نستطيع حرمانهم من الانتساب الى جدهم ، وهذا حق .. ولكننا هنا انما نبحث الأمر من ناحية الأسرة المالكة ونشوء النسبة تاريخياً .

« محمدي » ، وكل مسلم محمدي ![1] .

ابن سعود

انطلق الناس في الشام والعراق وفي سائر البلاد العثمانية ، يتحدثون عن « ابن سعود » في معرض كلامهم على ظهور الدعوة الوهابية، وهم إنمـــا يعنون به طبعاً: « محمد بن سعود » .

ثم تحدث الناس عن « ابن سعود » بعد الحملة التركية المصرية التي قادها محمد علي باشا وولداه طوسون وابراهيم،وكانوا يعنون به: «عبد الله بن سعود الكبير».

ثم أطلقوا اسم « ابن سعود » على تركي بن عبد الله ، ثم على ابنه « فيصل » ، من بعده .

وأخيراً ، جاء مالىء الدنيا وشاغل الناس ، الملك عبد العزيز ، فدعـاه الناس وخاصة رجال الغرب : « ابن سعود » ، كأن « ابن سعود » ، لقب كل أمير من أمراء هذه الاسرة الكريمة، ولم تكن لعبد العزيز في ذلك حيلة ، فقد فُرِضَ عليه اسم « ابن سعود » فرضاً ، لأن قصص البطولة الخارقة وأحاديث العبقرية الفذة ، كلها ، تعلّقت بهذا الاسم ، ولم يكن شيء يدعوه الى تغييره ، فهو اسم أصيل ، عريق ، وهو ، إلى ذلكَ ، مُضمّخٌ بعبير اليمن والبركة والسعد .. والسعود !

لذلك ارتضى عبد العزيز هذا الاسم ، لنفسه ، ولأسرته ، ولمملكته[2] !

---

(١) قد يقال ، هنا ايضاً ، انهم كانوا يستطيعون دعوتهم آل محمد .. على وجه من وجوه الاختصاص .. ولكنك متى تصورت امكان دعوة اسرة آل الشيخ واسرة آل سعود بال محمد ادركت ما يثير ذلك من الملابسات .

(٢) تقول صحيفة الخليج الفارسي : « الأسرة المالكة هي آل سعود ، والحاكم منهم يسمى « ابن سعود » . ومن حق الزعيم الوهابي ان يلقب بالامام ، ولكن طغيان السياسة على امور الدين جعلتهم يلقبونه بالامارة .

وشم ال سعود ، الذي يوضع على ابلهم وماشيتهم هو: ●—●

ويظهر ان هذا الوشم الذي ذكرته صحيفة الخليج كان لال مقرن ، لأن وشم ال سعود المعروف هكذا : ● ●|●

الباب الثالث

اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير وتأسيس الدولة في الدرعية

اللقاء التاريخي

خرج الدين ، يطلب سيفاً يحميه .
وانطلق السيف، ينشد ديناً يهديه .
وتلاقيا ، عام « ١١٥٧ » ، في «الدرعية» !

قال الدين للسيف : أعطيك الملك والنصر !
وقال السيف للدين : أعطيك الجهاد والصبر !
.. وكان العهد المسؤول !
.. وكان الجهاد الموصول !
.. وكان المجد المأمول !

تلك قصة اللقاء التاريخي :
بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
وبين الأمير محمد بن سعود .

.. ففي هذا اللقاء :
وضع ميثاق الدرعية،
وولدت الدولة السعودية ،
وبدأ تاريخ نجد الحديث ،
.. بل تاريخ الجزيرة العربية !

الفصل الأول

اللقاء التاريخي
بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود
وميثاق الدرعية

رواية ابن بشر

يصف لنا « ابن بشر » قدمة الشيخ الى الدرعية وصفاً شعرياً ، بجنح الأخيلة ، فيقول إن أمير العيينة ، بعد أن طلب من الشيخ الخروج من بلده ، أمر فارساً عنده ، يقال له « الفريد » ، مع خيالة معه منهم طوال الحراني ، وقال :

اركب جوادك وسر بهذا الرجل الى ما يريد !

فقال الشيخ : أريد الدرعية .

فركب الفارس جواده، والشيخ يمشي راجلاً أمامه ، وليس معه إلا المروحة، وذلك في غاية الحر في فصل الصيف .

فقال ابن معمر لفارسه ، إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب ، فاقتله عنده !

– وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً ، قُتِلَ ظلماً بين الدرعية والعيينة ، وجُعِلَ

في غار جبل هناك ، على قارعة الطريق ، ونسب الشيخ الى اخوته لأجل الصلاح —

فسار الفارس ، والشيخ أمامه ، وهو لا يلتفت ، ويلهج بقوله تعالى :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر !

والفارس لم يكلمه ، فلما همّ بقتله ، كفّ الله عنه يده وأبطل كيده وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدماً، فحرف جواده وانصرف الى العيينة ، وقال لعثمان : إنه أصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي !

وأما الشيخ فإنه صار الى الدرعية ، فوصل إلى أعلاها وقت العصر ، فقصد الى بيت محمد بن سويلم العريني ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من ابن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جاشه ، وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً .

فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية ، فقرّر لهم التوحيد واستقر في قلوبهم ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه ، فأتوا الى زوجته موضى بنت « ابي وهطان من آل كثير »[1] ، وكانت ذات عقل ومعرفة ، فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلبها معرفة التوحيد وقذف الله في قلبها محبة الشيخ، فلما دخل عليها زوجها محمد ، أخبرته بمكانه، وقالت ان هذا الرجل أتى اليك ، وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته !

فقبل قولها ، وألقى الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد أن يرسل اليه ، فقالوا : سر إليه برجلك في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس أن يكرموه !

فسار إليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم ، وقال :

« ابشر ببلاد خير من بلادك ، وابشر بالعز والنعمة » .

فقال الشيخ :

---

(١) في الأصل بياض . والزيادة من كتاب « الحيدري » : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد .

وأنا أبشّرك بالعز والتمكين . وهـذه كلمة « لا إله إلا الله » ، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله (ص). وما دعا إليه وما عليه أصحابه رضي الله عنهم من بعده ، وما أمروا به وما نهوا عنه وأن كل بدعة بعدهم ضلالة ، وما أعزهم الله به بالجهاد في سبيل الله، وأغنام به وجعلهم إخواناً ، ثم أخبره بما عليه أهل نجد اليوم من مخالفتهم ،بالشرك بالله تعالى،والبدع والإختلاف والجور والظلم .

فلما تحقق،(محمد) معرفة التوحيد، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، قال له :

– يا شيخ ! إن هذا دين الله ورسوله ، الذي لا شك فيه . وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد !

ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين :

١ – نحن اذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله ، وفتح الله لنا ولك البلدان ، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا !

٢ – والثانية أن لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم ، في وقت الثمار ، وأخاف أن تقول : لا تأخذ منهم شيئاً !

فقال الشيخ :

أما الأولى ، فابسط يدك . الدم بالدم والهدم بالهدم [1] .

---

(١) « جاء في لسان العرب » : « وفي الحديث أن أبا الهيثم بن التيهان ، قال لرسول الله (ص) :

ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها ، فنخشى ان الله أعزك واظهرك ان ترجع الى قومك .. فتبسم النبي (ص) . ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . انا منكم وانتم مني !

فالهدم القبر ، يعني اقبر حيث تقبرون ، وقيل هو المنزل اي منزلكم منزلي .

والهدم بالسكون وبالفتح ايضاً هو اهدار دم القتيل ، والمعنى : ان طلب دمكم فقد طلب دمي ، وان هدر دمكم فقد اهدر دمي !

عن ابن الاعرابي : العرب تقول : دمي دمك وهدمي هدمك ، وهذا في النصرة والظلم .

قال ابن الازهري : ومن رواه الدم الدم والهدم الهدم ، فهو على قول الحليف ، تطلب بدمي وانا اطلب بدمك ، وما هدمت ، اي عفوت عنه واهدرته ، فقد عفوت عنه وتركته !

أما الثانية ، فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها .

« فوقع تحقيق ظنه رحمه الله تعالى ، فإنه اتى إليه غنيمة عظيمة ، فقال له الشيخ : هذا أكثر مما أنت أخذته على أهل بلدك ! فتركها بعد ذلك » .

ثم إن محمداً بسط يده، وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده !

نقد رواية ابن بشر

تلك قصة اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، كما قصها ابن بشر ، وهي لوحة فنية معبرة ، تستحق البقاء والخلود ، وقد تناقلها الناس في الشرق والغرب، لروعتها وبراعتها .

وفي رأينا ، أن هذه القصة ، على براعتها وحسنها ، تريد نسج هالة « أسطورية » حول اسم الشيخ ، ليس الشيخ محتاجاً إليها ، لأنه صنع لمجد الإسلام ولمجد العرب ما يغنيه عن « الأساطير » والروايات الموضوعة !

أسطورة « الفريد » .. وخوف ابن سويلم !

وأول ما يؤخذ على رواية ابن بشر أنه جعل الشيخ يخرج من العيينة ، في فصل الصيف ، وفي غاية الحر وماشياً على قدميه ..

وعلى هذ الصورة أيضاً أخرجه ابن بشر ، قبل ذلك ، من البصرة !..

ثم هو اصحبه بفارس همّ بقتله مراراً ، تنفيذاً لأوامر سيده ابن معمر ، ولكن الله سبحانه القى في قلب الفارس الرعب وصرف عن الشيخ كيده ..

وأخيراً يدخل« ابن بشر » الشيخَ في مدينة الدرعية،على حين غفلةٍ من أميرها، وينزله في دار رجل من أنصاره ، امتلأ قلبه رعباً من قدومه عليه ، لما يخشاه من غضب الأمير .. ولولا « وساطة » زوجة الأمير .. لما صلحت الأحوال .. ولما

استطاع أن يقرّر للأمير التوحيد .. ويجعله من أشد أنصاره !

كل أولئك مبالغ فيه إن لم نقل : غير صحيح !

وفي اعتقادنا أن الشيخ ، لم يخرج من العيينة ، الا بعد أن دعته الدرعية اليها ، ولم تكن الدرعية غريبة عن دعوة الشيخ ، فقد كان الشيخ قبل التجائه الى الدرعية ، على صلة وثيقة بعدد غير قليل من كبار رجالها ، يكتب إليهم ويكتبون إليه ويفدون عليه، بل دخل بعضهم في دعوته وأصبحوا من أشد أنصاره، كالأميرين ثينان ومشاري من إخوة الأمير محمد بن سعود ، وأولاد سويلم ، وغيرهم ، وقد نستطيع أن نضم الى جدول أصدقاء الشيخ اسم مطوع الدرعية نفسه ، وولده – وإن تقلبت ببعضهم الأحوال – ، وقد نستطيع أيضاً أن نضم إلى أنصار الشيخ الفتى عبد العزيز ، ابن أمير الدرعية ، الذي كتب الشيخ ، من أجله واستجابةً لطلبه ، تفسيراً لسورة الفاتحة ، شرح له من خلاله عقيدة التوحيد ؛ وكذلك زوجة الأمير محمد !

فهل كان الأمير محمد بن سعود ، يجهل كل ذلك ؟ ولو أنه كان – كما زعموا – عدواً للشيخ ولدعوته .. فهل كان يترك ولده عبد العزيز يراسل الشيخ ؟

ان المنطق يدعونا إلى الشك في أقوال ابن بشر !

ويزيدنا تشكيكاً في روايته ، ما قرأناه في كتاب المؤرخ الافرنسي الكبير « مانجان » ، الذي استقى معلوماته من آل الشيخ وآل سعود ، الذين كانوا منفيين في مصر ، فقد نقل عنهم أن أنصار الشيخ في الدرعية، لما عرفوا حرج موقف الشيخ في العيينة وتنكر أميرها له ، أبلغوا أمير الدرعية ذلك ، فأرسل الى الشيخ مع بعضهم رسالة قد تكون « رسالة شفوية » ، يدعوه فيها للمجيء الى الدرعية، ويعده الحماية والمنعة .

ويضيف المؤرخ الإفرنسي الى ذلك :

« إن الأمير محمد أبلغ سلفاً باليوم الذي سيقدم فيه الشيخ على الدرعية ، فأرسل إليه عدداً من الفرسان ، لاستقباله ومواكبته على مسافة طويلة من البلدة » .

ويقول « هوتسما » ، إن الشيخ صحب معه الى الدرعية عائلته وأمواله،وكانت

شيئاً عظيماً .

ويقول مؤلف « لمع الشهاب » ، وهو مصدر هوتسما وغيره ، «إن الشيخ خرج من العيينة بعياله وخدامه وأمواله ، وإن أخاه هو الذي طلب منه الخروج ، فقال الشيخ إنه لا يخرج إلا بأمان ، له ولعياله ولأمواله ، فأعطوه ذلك» ، « فهيأ نفسه وعياله ومن يتبعه للخروج ، فخرجوا ذلك اليوم ، قبيل غروب الشمس ، فأتوا .. قرية محمد بن سعود .. ولما وصلوا قريباً منها بنصف ساعة ، أخبر به محمد بن سعود ، فخرج يتلقاه ، هو وابنه عبد العزيز وكثير من أهل بيته وأهل بلده ، بالقبول والإكرام ، فأنزله أعلى مقام ، وأخلى بيته لأجله » .

قد تكون رواية اللمع غير صحيحة ، في بعض تفاصيلها ، ولكنها في جملتها أدنى الى المنطق من رواية ابن بشر ..

أما أمير العيينة ، عثمان بن معمر ، الذي جاء الى الدرعية ، بعد مدة قصيرة من هجرة الشيخ اليها يطلب منه الرجوع الى العيينة ، فهل يعقل أن يأتي اليه ويطلب منه هذا الطلب .. لو أنه كان أمر فارسه بقتله ، كما زعم ذلك ابن بشر ؟

يقول صاحب اللمع ، في إحدى رواياته ، إن عثمان بن معمر طلب من الشيخ الخروج من العيينة لمدة سنة أو سنتين ، ثم يعود ، متى خف غضب أمير الأحساء . وهذا ما وقع فعلاً ، فقد جاء ابن معمر الى الدرعية وطلب من الشيخ العودة الى العيينة .

اننا لا نجد عند ابن غنام هذه المخاطر والأهوال التي أحاط بها ابن بشر خروج الشيخ من العيينة ومسيره الى الدرعية ، فابن غنام يقول لنا ببساطة ان الشيخ نزل في أوائل الدرعية في بيت تلميذه ابن سويلم ، فلما سمع به الأمير محمد بن سعود قام من فوره مسرعاً اليه ، وسلم عليه ، وأبدى له غاية الاكرام ، ووعده الحماية والمنعة ، وطلب منه العهد والميثاق « أن يبقى في الدرعية ولا يرحل منها الى غيرها من البلدان » .

لا شك عندنا في أن رواية ابن غنام أقرب إلى الحقيقة من رواية ابن بشر ، ولكنها ، مع الأسف ، بسيطة جداً ومختصرة جداً ، ونكاد نقول : باردة .. وهذا

اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، يستحق وصفاً حاراً شعرياً، ووصف ابن بشر، وان أنكرنا بعض تفاصيله ، أحب الى قلوبنا من وصف ابن غنام ..

ولعل عذره .. أن قصته تتكلم بلسان الحال ، ان لم تكن بلسان المقال .

رواية شاذة .. عن فتور اللقاء الأول

وجاء في مخطوطة « الدولة السعودية الأولى » ، لصلاح العقاد :

« هناك كتاب مخطوط ، في دار الكتب الوطنيـــة بباريس ، لا عنوان له ، تحت رقم : « ١٠٦٦ » ، ولا يعرف مؤلفه ، ذكر فيه، أن لقاء ابن سعود للشيخ أول الأمر كان فاترا .» .

وصف اللقاء في رواية اللمع

يقول صاحب « لمع الشهاب » :

« .. لما اجتمع الأمير بالشيخ ، قال له :

هذه القرية قريتك ، والمكان أنت واليه ، فلا تخش أعداءك .

والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا » .

فقال الشيخ للأمير :

أنت كبيرهم وشريفهم ،أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين، والرئاسة والامارة فيك وفي ذريتك بعدك ، وان المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من بعدي أبداً ، بحيث لا ينعقد أمر ولا يقع صلح ولا حرب الا ما نراه كذلك ، فان قبلت هذا فأخبرك أن الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين ، وتكون عاقبة أمورك محمودة عند الله ، لأنك اتبعت الدين ونصرته، ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله (ص) . وأي منزلة أعلى من هذه المنزلة ؟

فقال محمد بن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك .

فتبايعا ، واشترط كل منهما على صاحبه » .

ويضيف صاحب اللمع الى ذلك ، في مكان آخر من كتابه ، ان مبايعة محمد ابن سعود الشيخ على اقامة الشرع وترويج الدعوة ، ومبايعة الشيخ للأمير على الزعامة والملك ، قد أكدت « بالحلف والعهود والمواثيق ، واتخذ على ذلك شهود .. فصفا الأمر بينهما باطناً وظاهراً »

وفي اعتقادنا أن الشيخ لم يشترط لنفسه ولا لعقبه شيئاً من المناصب ، وان كانت رئاسة الشؤون الدينية ، كالفتوى والقضاء والتدريس ونحوها ، لا منصب الامامة ، كانت بيد الشيخ في حياته ، ثم صارت الى أولاده بعد موته ، غير ان ذلك لم يكن بفضل الشروط والمعاهدات .. وانما وقع التسليم به بطبائع الأشياء ، لمكانة الشيخ وخلفائه من بعده في نفوس القوم ، ولقوتهم وأمانتهم وعلمهم وصلاحهم .

الفصل الثاني

الدرعيّة في عهدها الجديد

الدرعية قبل هجرة الشيخ اليها

كانت الدرعية ، قبل وصول الشيخ اليها ، بلدة صغيرة ، ويقال ان عدد بيوتها ما كان يتجاوز السبعين ، وكان رئيسها محمد بن سعود يديرها على أسلوب عشائري ابتدائي ، ويأخذ من أهلها ضريبة كانوا يسمونها : « القانون » أو الأخاوة أو « الخوة » – ولعلها تحريف للأخوة – وذلك لقاء حمايته لهم واقامته الأمن والعدل بينهم ..

وكان أهل الدرعية حنابلة ، ولكن اسماً لا حقيقة ، وكان لهم «مطوع» ، ولكنه لم يكن مطوعاً يدعو الى الدين الصحيح ، وانما كان ، كسائر المطوعين في نجد ، منغمساً في البدع ، يكتب للناس الحجب والطلاسم ، ويتقبل منهم النذور لغير الله ، وكان الناس يؤمنون بقدرة أوليائهم المحليين على جلب الخير اليهم ودفع الضرر عنهم ، وكانوا يعتقدون مثل ذلك ببعض الأشجار والأحجار .

قال ابن غنام: « ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب ، فيدعونه لتفريج الكرب .. وكان ذلك في الجبيلة مشهوراً ..

وكذلك « قريوة » ، في الدرعية ، يزعمون ان فيها قبوراً أصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً ، فصار حظهم في عبادتها موفوراً ، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون .. وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة .

وفي أسفل الدرعية غار كبير .. يزعمون ان الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى : « بنت الأمير » ، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت ، فانفلق لها الغار .. فكانوا يرسلون اليه اللحم والخبز .

وعندهم رجل من الأولياء يسمى « تاج » .. صرفوا اليه النذور والدعاء ، واعتقدوا فيه النفع والضر .. ويأتي اليهم من بلدة الخرج الى الدرعية ، لتحصيل ما له من النذور .. ويزعمون انه أعمى ، وانه يأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده .. »

الدرعية بعد هجرة الشيخ

سنة هجرة الشيخ

يختلف المؤرخان ابن غنام وابن بشر في تحديد السنة التي هاجر فيها الشيخ الى الدرعية ، فابن غنام يقول إنها كانت عـــام ١١٥٧ وابن بشر يجعلها عام ١١٥٨ ، ونحن نرجح رواية ابن غنام ، لأنه يؤيدها بقوله إن الشيخ بقي في الدرعية سنتين يدعو الى الدين بالنصح والوعظ ، سلما .. ثم بدأ الجهاد بعد انقضاء السنتين ، وكان هذا عام ١١٥٩ .

أصحاب السابقة من الأنصار

يذكر ابن غنـــام أسماء طائفة من أصحاب الشيخ الذين آزروه في الدرعية مؤازرة صادقة وأعانوه في نشر دعوته وقاموا بذلك أحسن قيام،منذ الأيام الأوائل وهم : اخوة محمد بن سعود الثلاثة (ثنيان ومشاري وفرحان) ، والشيخ أحمـد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقري ومحمد بن حسين وأخوه ، وغيرهم .

هجرة الانصار

ولما استقر الشيخ في الدرعية وجهر بالدعوة ، أخذ كثير من انصاره وتلامذته،

(٧)

في مختلف بلدان نجـد ، يقدمون عليه ويهاجرون اليه ، وكان في مقدمتهم جماعة من رجال العيينة .

ولما رأى ذلك عثمان بن معمر ، أمير العيينة ، جاء بنفسه الى الشيخ ، وألح عليه في العودة الى العيينة وبايعه على السمع والطاعة ، ووعده المنعـــة والنصرة ، ولكن الشيخ آثر البقاء في الدرعية ، لما مضى من عهده لمحمد بن سعود .

وفي ابن بشر أن الشيخ قال لعثمان : « ليس هـــذا الي ، انما هو الى محمد بن سعود ، فان أراد أن أذهب معك ذهبت ، وان أراد أن أقـــيم عنده أقمت ، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره الا أن يأذن لي .

فأتى عثمان الى محمد ، فأبى عليه ، ولم يجد الى مـــا أتى اليه سبيلاً ، فرجع الى بلاده » .

وكان الشيخ ينفق ، مـــا استطاع ، على المهاجرين من أنصاره ، وكان عددهم يتكاثر يوماً بعد يوم ، وكانوا في كثرتهم فقراء ، وكان أهل الدرعية أنفسهم يومئذ في ضيق يقرب من الفقر فما يستطيعون مساعدتهم ، لذلك كان المهاجرون ، كما يقول ابن بشر : « في أضيق عيش وأشد حاجة ، وابتلوا بلاء شديداً ، فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون ، وفي النهـــار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة » .

بناء مسجد كبير وفرشه بالحصا

ويقول صاحب « اللمع » :

«قال محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز : ابنوا لنا مسجداً كبيراً ، ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة .

فأمر محمد بن سعود ببنائه ، وهمّ أهل الوادي بالبناء حتى تمّ .

فقال الشيخ : ينبغي أن لا يفرش في هذا المسجد الا الحصيات ، لأن مسجد الرسول (ص) . كان كذلك » .

الصلاة في المساجد الزامية

فأخذ يأمر الناس بالذهاب الى المسجد للصلاة جماعة ، وكان يقول :
« كل من لا يحضر الصلاة ، مع قدرته عليها ، عزرناه » .

دروس للرجال والنساء

ثم انه وضع درس التوحيد في المسجد صباحاً ومساء ، كل يوم .
وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس ليستمعوا قواعد التوحيد منه .
وقد نقل الينا أن رجلاً من اهل الوادي ، ما كان يحضر الدرس ، فامر محمد بن عبد الوهاب باحضاره ، فقال له : لم لا تحضر مع الجماعة للدرس ؟
فاخذ الرجل يتعذر ، فقال محمد بن عبد الوهاب : لا بد لقبول توبتك من أن تحلق لحيتك أو تغرم مائة ذهب .
وكان الرجل متوسط الحال فرضي باداء المال ، لأن حلق اللحية أقبح ما يكون شرعاً وعرفاً عربياً .

التوحيد وثلاثة الاصول

ويقول ابن بشر إن الشيخ بـدأ بتعلم الناس التوحيد ، فأمرهم بتعليم معنى « لا اله الا الله » وأنها نفي وأثبات ، « فلا اله » تنفي جميع المعبودات .
و « الا الله » ، تثبت العبادة لله وحده ، لا شريك له .
ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول ..
فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد .. أشربت قلوبهم محبة الشيخ ، وأحبوا المهاجرين وآووهم .

اجماع أهل الدرعية

استطاع الشيخ خلال سنة واحدة أن يدخل أهل الدرعيه كلهم في الدين الحق

ويعلمهم جوهر التوحيد ، ويقول مؤلف « اللمع » في ذلك : « كان الشيخ يجلس للدرس .. ومضى على هـذه الحالة سنة ، يرغب أهـل الوادي في ذلك المذهب ، ويحرضهم على الصبر على عداوة من يخالفه ، فلما تمت السنة صار أهل الوادي كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، على دينه وتحت طاعته ، الا أربعة رجال .. فانهم خرجوا بأهاليهم .. فسكنوا بلداً في الوشم يقال لها ثرمداء » .

مكاتبة أهل البلدان

وأرسل الشيخ كتباً إلى العلماء والمطوعين في بلدان نجد ، وكانت رسائله « أو نشراته وبياناته بلغة اليوم » ، تصل الى مختلف المدن والقرى ويتداولها الناس ، فيرضى عنها فريق ويسخط عليها فريق ، شأن كل دعوة اصلاحية .

الشيخ يخترع أسلحة نارية

ومن أعجب ما يرويه صاحب « اللمع » أن الشيخ اخترع أسلحة نارية حديثة ، قال :

« كان محمد بن عبد الوهاب .. عاقلاً مدبراً متأملاً في الأشياء ، عارفاً بجميع العلوم ومن جملة نكته التي تشعر بتدبير الحروب أنـه كان يأمر أهـل الدرعية بتعلم رمي البندق ، وهو الذي استخرج لهم هذه البنادق التي عندهم ، وكانوا قبل ذلك ، في نجد ، لهم « تفقان » دون هذه ، على طور ما لأهل اليمن . »

اكرام محمد بن سعود وأولاده للشيخ

ويشير صاحب اللمع الى اكرام الأمير للشيخ ، فيقول : « كانت العادة جارية بأن محمد بن سعود يزور الشيخ كل يوم مرتـين ، صباحاً ومساء ، هو وابنه عبد العزيز وبقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين ، لا ينطقون بشيء ما لم يحادثهم بـه أولا ، ويدرسون على يده علم التوحيد الذي صنفه ، لكن يدرسهم درساً خاصاً في مجلس على حدة » .

وصف التغيرات المدهشة التي طرأت على الدرعية

تغيرت الدرعية بعد هجرة الشيخ اليها تغييراً كاملاً ، وقـد نستطيع تلخيص مظاهر هذا التغير بما يأتي :

أولاً – ابطِلَ الاسلوب « العشائري » الذي كان يُحكم به الناس ، وحل محله حكمٌ نظامي ، مدني ، دستوره الإسلام .

ثانياً – أبطلت الإخاوة ، أو « القانون »، وأصبحت موارد الدولة هي الموارد الشرعية من الزكاة والغنائم ، ونحوها من الموارد التي أحلها الله .

وكان الناس يسمون رجال الأمير الذين يأخذون منهم الأموال مكاساً وعشاراً، ولما دخلت الدرعية في الدعوة صار الأمير يرسل « العمال » لقبض الزكاة وخرص الثمار .

ثالثاً – أقيم قضاة لفصل الخصومات بين الناس بالحق ، ولم تعد القوة حكماً في الخلافات التي تقوم بين الناس ، وبذلك تنعّم الجمهور بنعمة الأمن والاستقرار والعدل ، وكان محروماً منها ، لأن القوي كان يعتدي على الضعيف ويأخذ منه ما أراد ، فلا يجد من يشكو إليه ليرد عليه حقه .

رابعاً – نشطت حركة التعليم نشاطاً عظيماً،وتولى الشيخ بنفسه مهمة التدريس والإشراف على المدرسين في الدرعية ، وفي سائر البلدان التي تنضـم إلى الدعوة ، فأصبحت الدرعية « مدينة جامعية » ، يتوافد إليها الطلاب من كل مكان ، ويجتمع

إليها العلماء من مختلف البلدان .

قال الفقي : « كان من أهم ما خدم به الشيخ ابن عبدالوهاب الناس،أن رفع عن قلوبهم غشاوة الجهل .. فحارب الأمية بكل ما استطاع من قوة ، وكان يلزم كل واحد من أتباعه تعلم القراءة والكتابة مهما كانت سنه ، ومهما كانت منزلته ، حتى كان الأمراء يقرأون مثل بقية الناس ، فصار منهم العلماء المدرسون ، كالإمام سعود الكبير » .

وكان تعليمه إياهم بتعليم كتابة القرآن وحفظه ، كما يصنع مع صبية المكاتب ، ثم وضع الرسائل السهلة العبارة ، القريبة إلى عقول البسطاء ، في بيان التوحيد .

وكان يلزم الناس أن يحفظوا القرآن ، ثم يطالعوا هذه الرسائل ويحفظوها ، فكان ذلك من أقوى الأسباب لانتشار هذه الدعوة وسرعة انتقالها إلى ما وصلت اليه من بقاع الأرض .

وذلك طبعاً كان يستند إلى سيف آل سعود ونصرتهم .

خامساً — حمل الناس على تنفيذ أوامر الدين والانتهاء عن نواهيه ، وكانوا يُكرهون بالقوة على حضور الصلوات في الجوامع .

ويقول ابن بشر : « اجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الاسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها ، وتعلمها الصغير والكبير ، والقارىء والأمي ، بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصائص» .

وانتفع بعلمه أهل الآفاق ، لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه ، فيقال لهم : يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر ، ويقال لهم : إن أهل نجد يقتونكم لذلك. فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه ؛ وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية،في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة والأحساء ونجد وغير ذلك، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن غيره ، حاشا الرياء ، الذي قال فيه النبي (ص) « إنه أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل »

وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي ، يسألون الناس في المساجد كل يوم، بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة أصول ، وهي : معرفة الله ، ومعرفة دين الإسلام،ومعرفة أركانه، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن،ومعرفة محمد (ص) . ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه ، وهي : « لا إله إلا الله » ومعرفة معناها ، والبعث بعد الموت ، وشروط الصلاة ، وأركانها وواجباتها وفروض الوضوء ونواقضه ، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد ، في أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله ، كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة ، وغير ذلك .

سادساً – حل الجهاد لإعلاء كلمة الدين ، محل الغارات العشائرية القديمة ، التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان .

ويقول هوتسما : « إن الشيخ كان يشرف على تعليم الناس فن استعمال الأسلحة النارية » .

ويقول ابن بشر : « ان الشيخ كان يجهز الجيوش ويبعث السرايا ، فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وتابعوا » .

سابعاً – أصبحت الدرعية مركزاً للدعوة، ينطلق منه الدعاة، وترسل الكتب، وتأتي إليه الوفود والضيوف ، وكان الشيخ يقوم باستقبال الوافدين وإكرامهم ، وقد يتحمل الشيخ من ماله الخاص ، أو يستدين أحياناً ، للانفاق على ضيوف الدرعية .

وقد جاء الى الدرعية عدد غير قليل من أنصار الشيخ وتلامذته ، الذين لم يستطيعوا البقاء في بلدانهم لظلم متغلبتها ، أو طلباً للعلم عند الشيخ ، فكانوا أول الأمر ، في غاية الضيق ، وكانوا يعملون ليلاً [1] ويدرسون نهاراً ، ثم وسع الله عليهم في الرزق ، بما يأخذونه من الغنائم ، وقد دفع عبد العزيز مرة غنائم احدى

---

(١) ابن بشر

المعارك كلها – بعد أن تخلى المقاتلون عـــن حقهم فيها – إلى الشيخ ، لينفقها على طلابه المحتاجين .

لم تكن الدرعية مركزاً للدعوة فحسب ، ولكنها كانت كذلك قاعدة الدولة، فأخذت تتسع في رقعتها ، وفي عمرانها ، وفي عدد سكانها، وبدأت تظهر عليها دلائل الرخاء ، وأصبحت « مدينة » ، بعد أن كانت « قرية » .

البَابُ الرّابع

سِيرَة محمد بن سعُود
ومراحِل انتشار الدّعوَة ومعارك الدّعوَة

محمد بن سعود

الاسم : محمد
اسم الأب : سعود
اسم الأسرة : آل مقرن
مكان الولادة : الدرعية
سنة الولادة : ١١٠٠ هـ. – ١٦٨٧ م. (تخميناً) .
سنة رئاسته للدرعية : ١١٣٩ هـ
سنة الوفاة : ١١٧٩ هـ. – ١٧٦٥ م.
مدة حكمه : ٤٠ سنة (نصفها قبل الشيخ ، ونصفها معه) .
أولاده الذكور : فيصل وسعود (استشهدا في حياته) وعبد العزيز وعبد الله .
من زوجاته : ١ – موضى بنت أبي وهطان ، من آل كثير .
٢ – بنت الإمام محمد بن عبد الوهاب .
أولياته : مؤسس دولة نجد . رأس الأسرة السعودية المالكة.
لقب يستحقه : أبو الشهـــدين .

الفصل الأول

سيرة محمد بن سعود في الكتب العربية

في كتابات مؤرخي نجد

يقول ابن غنام :

« كان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة معروفاً ، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً ، مشهوراً بذلك ، دون من هنالك . »

ويقول ابن بشر ان محمد بن سعود آوى الشيخ ، « ولم يخش لوم اللائمين ولا كيد الأعداء المحاربين .. فشمر في نصرة الاسلام بالجهاد وبذل الجد والاجتهاد ، فقام في عداوته الأصاغر والأكابر وجروا عليه المدافع والقنابر ، فلم يثن عزمه على ما قاله المبطلون . » .

هذا كل ما ذكره مؤرخا نجد الكبيران في وصفهما لمحمد بن سعود ، وهو يبدو أقل القليل .. متى قورن بما يقوله ابن بشر عند وفاة كل أمير ، اذ يصف أخلاقه ، وعلمه ، وحديثه ، وسياسته ، وادارته المالية ، وطريقته في الحياة ، ومجالسه ، ثم يعدّد ولاته وقضاته ، بل يتجاوز ذلك إلى نقل طائفة من كلماته ورسائله ، فيعطي

القارىء صورة أمينة أو مقاربة لشخصية كل أمير يترجم له .

لقد اكتفى مؤرخا نجد بتحديد السنة التي توفي فيها الأمير محمد بن سعود ، ثم قصا علينا طائفة من الغزوات التي تمت في عهده ، وكأن اسمه لم يكن أكثر من عنوان لتلك المغازي .

وما ندري.. لعل الأيام تكشف لنا عن مخطوطات مجهولة، في نجد، عني أصحابها بتتبع سيرة محمد بن سعود وغيره من زعماء نجد السابقين ، وإن كنا في شك من ذلك ، لأن أهل نجد ، كما يقول ابن بشر ، لم يكونوا يعنون قديماً بتسجيل تاريخهم .

وفاء محمد بن سعود وثباته وخلقه

وحسبنا الآن ، من أقوال ابن غنام وابن بشر ، أنهما يصفان لنا محمد بن سعود ، بالوفاء والثبات وحسن الخلق ، وهذا وصف صادق ، فثبات هذا الأمير في تأييد الدعوة كان ثباتاً عجيباً ، رفعه الى مستوى الأبطال .

قال الشيخ سليمان بن سحمان :

« من عجيب ما اتفق لأهل هذه الدعوة أن محمد بن سعود ، لما وفقه الله لقبول هذا الدين ، بعد تخلف الأسباب وعدم الناصر ، شمّر في نصرته ولم يبالِ بمن خالفه من قريب أو بعيد ، حتى أن بعض أناس ممن له قرابة به ، عذله عن هذا المقام الذي شمر اليه ، فلم يلتفت الى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب ، بل جدّ في نصرة هذا الدين ، فملكه الله تعالى في حياته قرى كل من عاداه من أهل القرى ، ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته ، يسوسون الناس بهذا الدين الذي يجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء » .

في الكتب العربية الحديثة

لم يحاول أحد من المؤلفين العرب المحدثين، فيما نعلم، درس سيرة محمد بن سعود

واستقصاء أخباره ، وكلهم يمرّ به مروراً خاطفاً ، وأكثرهم يكتفي بذكر اسمه.. ومن المؤسف أن كلام هؤلاء المؤلفين عن مؤسس الدولة السعودية ، على قلته ، مشحون بالاخطاء .

واليك بعض الامثلة نأخذها من ثلاثة مؤلفين معروفين ، لا من « التفاهات » التي تغمر الأسواق ..

١ – يقول أمين الريحاني ، في كتابه « تاريخ نجد وملحقاته » :

« .. كان سعود الأول إذا أخذ بلداً يولي عليه أحد أبنائه – أي أبناء الوجهاء من ذلك البلد – كما فعل في العيينة ، التي كان عثمان بن معمر متولياً الإمارة فيها لصاحب الحساء .. فقتل في المسجد بالدرعية ، فولى سعود ابنه مشاري بن معمر مكانه .. وذلك برأيه ، كما يقول ابن بشر لا برأي الناس الذين أرادوا انقراض بيت معمر » .

أخطأ الريحاني في إطلاقه اسم سعود على محمد بن سعود .. فمن غير المعقول أن نجعل الابن أباً !..

وأخطأ في قوله ان ابن معمر قُتِل في الدرعية ، فقد كان مصرعه في بلدته : العيينة !

وأخطأ في قوله ان مشاري هو ابن عثمان بن معمر ، أمير العيينة القتيل ، وانما هو : مشاري بن ابراهيم بن معمر !

وأخطأ في نسبته تولية مشاري الى سعود – يعني محمد بن سعود – فالذي فعل ذلك هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب !

وأخطأ أخيراً ، في ادعائه أن ابن بشر هو صاحب الكلام الذي استشهد به .. فالحقيقة هي أن قائل هذا الكلام – بعد تصحيحه – هو : « ابن غنام » ، لا ابن بشر . قال ابن غنام :

« .. عجل الشيخ الى العيينة المسير .. وقدم عليهم ثالث يوم ، فهدأت لمقدمه نفوس القوم .. والكل بما يوافق مراده مشير ، إلا أن أهل التوحيد والايمان ..

حاولوا ان لا يؤمر من حمولة ابن معمر .. انسان .. فــلم يوافقهم الشيخ في مرادهم .. فرأس عليهم مشاري » .

٢ - ويقول فؤاد حمزة في كتابه : « قلب جزيرة العرب » :

« حين وفاة .. سعود.. كان له اربعة أولاد: ثنيان وفرحان ومحمد ومشاري، وقد كان ثنيان قائداً مجرباً وبطلاً مغواراً في الحروب ، بينما كان أخوه محمد فارساً من فرسان السيامة الفطاحل .

... وحينما توفي ثنيان عام ١١٦٠ هـ. ١٧٤٧ م. اعترف الجميع لمحمد أخيــه بالإمامة الدينية والزعامة الزمنية المطلقة » .

ان وصف ثنيان بأنه بطــل مغوار في الحروب .. مسألة فيهـا نظر . فالمؤرخ النجدي الكبير ابن بشر يذكر لنا في كتابه أن « ثنيان » هذا كان ضرير البصر ، فكيف يخوض المعارك

وأما القول بأن الأمامة الدينية والزعامة الزمنية لم يعترف بهما لمحمد بن سعود الا بعد موت ثنيان ، كأن ثنيان كان يحول دون ذلك ، فكلام غريب ، لأن محمد بن سعود كان مستقلاً برئاسة الدرعيـــة ، وكان أخوه ثنيان ، كما يقول ابن بشر ، عضداً له ، وهو المشير عليه بالقبول للشيخ والمؤازرة له على الدعوة .

٣ - ويقول أمين سعيد ، في كتابه : « تاريخ الدولة السعودية » إنه سيورد « سيرة كاملة لمحمد بن سعود» ، وقد شغلت هذه السيرة الكاملة خمس صفحات فقط من كتابه ملأها بذكر معارك وقع قسم منها في عهد عبد العزيز .. وتحدث عن محمد بن سعود بهذه الكلمات : « .. أنجب مقرن محمداً ، وهو والد سعود، رأس الأسرة السعودية ، واستولى سعود هـــذا على الدرعية ، انتزعهـا من آل معمر ، وجعلها قاعدة له ، وتوفي سنة ١١٤٠ هـ . فخلفه نجله محمد ، وهو الذي لجأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليه وأولاه الحماية والرعاية .. »

والصحيح : أن سعود لم ينتزع الدرعية من آل معمر ، ليجعلها قاعدةً له .. لأن آل معمر كانوا في العيينة لا في الدرعية ، وسعود توفي عام ١١٣٧ هـ . لا عام

١١٤٠ ، وولده « محمد » لم يخلفه عند وفاته ، وإنما تولى إمارة الدرعية بعده : زيد بن مرخان ، فمقرن بن سعود ، فزيد بن مرخان مرة ثانية ، وبعد ذلك جاء محمد بن سعود .

ليست غايتنا من ايراد هذه النصوص وبيان أخطائها ، الحط من قيمة الكتب التي وضعها هؤلاء الأفاضل ، ففيها أشياء كثيرة جليلة القدر ، عظيمة النفع ، ويعد تاريخ الريحاني في نظرنا من أحسن المراجع لتاريخ الملك عبد العزيز ، ولكننا أحببنا أن ننبه إلى اهمال المؤلفين لسيرة محمد بن سعود إهمالاً يكاد يكون كاملاً..

الفصل الثاني

محمد بن سعود في كتابات الغربيين

لم يعن الغربيون بالكتابة عن تاريخ نجد ، الا بعد استيلاء المصريين على مكة ومسيرهم منها الى الدرعية ، فقد لفت ذلك الأنظار الى أحداث الجزيرة العربية ، فكلفت الدول الأوربية الكبرى سفراءها وقناصلها وعملاءها وجواسيسها .. في كثير من بلدان الشرق الأوسط ، كاستانبول والقاهرة وبغداد ودمشق والبصرة وغيرها ، أن يرسلوا اليها التقارير عن أحوال البلاد النجدية والحجازية وسائر بلاد الجزيرة ، ثم ذهب الرحالون والعلماء والمستشرقون الى البلاد العربية – ولم يكن وصولهم الى بعض مدنها أمراً سهلاً ، بل دفع بعضهم حياته ثمناً لهذه المغامرة – وقد نشروا كتباً ومقالات عن رحلاتهم كان الجمهور يقبل على قراءتها اقبالاً عظيماً ، وكأن أسرار الشرق الساحرة ، وكنوزه العجيبة الباهرة ، كانت تتفتح لهم من خلالها ..

ولم تقف كتابات الغربيين عن نجد ، عند عهد سعود الكبير وابنه عبد الله ، وإنما تجاوزت ذلك إلى تاريخ مؤسس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود وابنه عبد العزيز ، وإن كانت وثائقهم ومعلوماتهم التي تخص هذين الأميرين قليلة ومضطربة .

وأخيراً .. اكتشف المستشرقون ، في مكتبة المتحف البريطاني بلندن مخطوطة اسمها : « لمع الشهاب » في سيرة محمد بن عبدالوهاب » ، فجعلوها عمدتهم في دراسة تاريخ السنوات الأولى من حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والمصدر الأكبر لكتاباتهم عن محمد بن سعود .

وسنبدأ بإيراد شيء مما كتبه الغربيون عن محمد بن سعود ، ثم نتبع ذلك بالنصوص الكاملة للفقرات التي تحدث فيها صاحب اللمع عن محمد بن سعود وأسلوب حكمه .

أول عربي استخدم روايات غربية
في كتابته عن ابن سعود

أول كاتب عربي ، استخدم رواية رحالة أوروبي في كتابته عن محمد بن سعود ، هو : ندرة مطران، في كتابه : « سورية الغد »، الموضوع باللغة الفرنسية خلال الحرب العامة الأولى .

ينقل مطران عن الرحالة المشهور « بلغريف » وصفه للأمير محمد بن سعود ، فيقول إنه كان سياسياً حكيماً ، وكان ماهراً في اخفاء مقاصده « التوسعية » ، فكان يستولي ببطء شديد على البلدان المجاورة له ، حتى لا يستفز جيرانه الأقوياء ويؤلبهم عليه !

ثم يقص علينا قصة طريفة،سمعها من فم«الجريجيري»،أثناء إقامته فيباريس[1]..

---

١ - و « بركات » ، هو اسم رفيق « بلغريف » في رحلته وترجمانه ودليله ، ومصدر أكثر الأحاديث التي وردت في كتابه ، وهو اسم مستعار ، أما اسمه الحقيقي فهو:«بطرس الجريجيري»،وهو مسيحي كاثوليكي من لبنان، رافق بلغريف في رحلته واعترف بأن الامبراطور الافرنسي نابليون الثالث هو الذي دفع نفقات رحلة بلغريف ، لأغراض سياسية، ولما عاد الجريجيري من رحلته في نجد الى لبنان انضم الىصف الكهنوت،ومضى بفضل مواهبه العالية صعدا فيسلم المناصب الدينية، حتى بلغ القمة، اذ انتخبوه «بطريركاً»للروم الكاثوليك باسم «بطرس الرابع».

قال الجريجيري : استدعى محمد بن سعود ، وهو في مرض الموت ، ولديه عبد العزيز وعبدالله الى حجرته ، فقال لعبد العزيز انه اختاره خلفاً له ، وكلف الثاني القيام ببعض الأعمال المهمّة ، ونصحهما ، وطلب منهما أن يكونا رحيمين بالضعفاء والمغلوبين .

ثم أوصاهما أن يجتهدا في الغزوات والفتوح ، ولكن .. في حكمة وحذر ، وقال لهما كلمته المشهورة :

« لا تفجروا الصخر ! »

وهذه الوصية انما كانت تعني ضرورة الامتناع عن استفزاز الجيران الأقوياء ، وخصوصاً الدولة العثمانية ، فهذه الدولة ضعيفة ، في الظاهر ، ولكن متى تحداها الأعداء وأثاروها ، تفجرت قواها وسحقت خصومها .

قال مطران : لو تذكر حفيد الأمير هذه الوصية .. لما كانت كارثة الدرعية ، ولما أضاع عبدالله بن سعود ملك آبائه وأجداده ومات قتيلاً » .

وقد نقلت صحيفة الخليج الفارسي كلمة محمد بن سعود بهذه الصيغة :

D'ont undermine the cliff

ومعناها : لا تثر عليك الدول القوية الساكتة عنك، بأعمال تفجر غضبها عليك، كما يفجر اللغم صخراً ساكناً في مكانه ، فتتهاوى شظاياه وتقتل[1] ..

---

(١) وفي عام ١٩٢٠ نشر الأب لويس شيخو في مجلة« المشرق » في بيروت بحثا حول جزيرة العرب ، تحدث فيه عن دولة نجد ومؤسسها « محمد بن سعود » ، أخذ فيه هو أيضاً عن مصدر غربي ، قال :

« صار الأمر بعد سعود الى ابنه محمد ، وكان هذا رجلاً ذا عزم واقدام، حريصاً على السيادة، راغباً في توسيع نطاق امارته ، فسار سيراً حسناً في قومه وأبطل المظالم وألغى المكوس ، وآلف قلوب عشيرته ، ثم أخذ يسعى في مد سيطرته على قبائل نجد فأخضع منها قبائل « العتوب » والعنزة ، ووقف بالمرصاد لغيرها ، رجاء أن يستولي على كل جزيرة العرب .

.. واخذ يجند الجنود ويمرنهم على مقاساة الجوع والعطش والعري وقطع البوادي القاحلة على الهجين، يركبه الجنديان مترادفين، وكان يرسلهم لمحاربة القبائل المخالفة فينقضون عليها انقضاض

أول أمـــير

يقول « بركارت » إن محمد بن سعود هو أول من أطلق عليه لقب أمير من آل مقرن . وكانوا يسمون حكام الدرعية قبل ذلك : شيخ الدرعية ، أو صاحبها ، أو رئيسها .

وهذا أيضاً رأي جون باركر ، الذي كان قنصلاً في حلب ، وجاء في تقرير له مؤرخ في يونيو عام ١٨٠٣ م. ما يأتي : (كان في مقدمـــة المنضمين الى المذهب الوهابي رئيس أسر غنية في منطقة نجد تنحدر من ربيعة ، واسمه محمد بن سعود ، ولما كثر أتباعه ، سموه باسم « أمير ») .

وتقول لادي بلنت : « في منتصف القرن الثامن ، دعا محمد بن عبد الوهاب ــ لوثر المحمديين ــ الى اصلاحه الديني في نجد ، فانضم اليه ابن سعود، شيخ درعية العنزي ، وبمؤازرة ابن عبد الوهاب أصبح سلطاناً في جزيرة العرب ، بعد ان كان شيخ قبيلة واحدة ورئيس بلدة واحدة . »

القشاعم ، فان ايس اهلها من النجاة عرضوا عليهم الدين الوهابي ، فان ابوا اعملوا السيف.. وان رضوا عشروا اموالهم ، واخذوا ايضاً من رجالهم العشر كجند ينظمونهم في جيوشهم ، فقويت بذلك شوكة ابن سعود حتى اصبح اكبر امراء نجد . وكان ابنه عبد العزيز رئيساً على جيوشه ، فأيد بفتوحاته الدعوة الوهابية » .

ويظهر ان الأب شيخو اخذ بعض اقواله عن سليمان الدخيل، الذي نشر عام ١٩١٣ م مقالا في مجلة « لغة العرب » البغدادية ، عن تاريخ نجد قال فيه !

« تولى سعود الامارة بعد والده الأمير محمد بن مقرن ، وكان مسكنه في الدرعية ، واليه ينسب بيت سعود وكانت وفاته في سنة ١٣٣٧ هـ » .

والذي تربع على عرش الامارة بعده ، هو ابنه الامام محمد بن سعود ، وسار هذا الامير سيرة حسنة في الناس ، اذ رفع المظالم وابطل المكوس والضرائب ، وعاضده على ذلك اخوه ثنيان الاكبر ، فقويت شوكته وامتدت سطوته وناهض الاستبداد اشد المناهضة ، وحاول الاستيلاء على جميع جزيرة العرب في حياة اخيه ثنيان ، الا ان هذا الاخير مات في سنة ١١٦٠ هـ . « ١٧٥٦ م ». فلم ينل محمد ما كان ينويه ، ثم مات هو ايضاً في سنة ١١٧٠ هـ . – ١٧٥٦م.

وفي كلا المقالين – مقال الأب شيخو ومقال الدخيل اخطاء ، ولكن اخطاء الدخيل اكثر.. ومن ابرزها انه جعل سنة وفاة محمد بن سعود ١١٧٠ هـ مع انه توفي بعد ذلك بثماني سنوات !

اقتصاد الأمير

يقول كورانسيز ، مؤلف كتاب « تاريخ الوهابية » إن تجاراً نجديين ، عارفين بأمور الدرعية ، أخبروه ان الأمير محمد بن سعود كان يطبق سياسة اقتصادية قريبة من التقتير ، ومن مظاهرها أنه استبدل الخيل بالبعير ، وأمر أن يركب كل ذلول رجلان ، فكان كل راكب يردف وراءه راكباً آخر ، ومن هناك اسم : « المردوفة » ، وقد خفض رزق المحارب وعلف الحيوانات ، بحيث يحمل الجمل على ظهره مؤونة تكفيه عشرين يوماً ، وبفضل هذه التدابير استطاع أن يزيد في عدد مقاتلته من غير زيادة كبيرة في نفقات الدولة .

ويضيف كورانسيز الى ذلك ان هذه السياسة الاقتصادية الصارمة ، كانت تضطر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أحياناً ، الى استقراض الأموال من الناس ، باسمه الخاص ، للانفاق على بعض الأعمال وتجهيز بعض الغزوات .

وهذا الوصف يبدو مخالفاً لما قاله صاحب « اللمع » في كتابه ، لأنه يصف محمد ابن سعود بالكرم .. الى حد التبذير !

حذر الأمير

يقول هوتسما ان محمد بن سعود – ثم ابنه فحفيده – كانوا ، كلما استولوا على بلد ، أنشأوا على مقربة منه حصناً ، وحفروا حوله خندقاً ، ووضعوا فيه رجالاً يسمون « الأمناء » ، فاذا قامت في البلد ثورة ، كان الحصن ملجأ للهاربين ، ونقطة انطلاق للعودة والغزو والتأديب .

ومما يدخل في باب الحذر أيضاً ، ان الأمير محمد كان يشير باستقصاء أحوال العدو في كل معركة ، والامتناع عن مهاجمته أو متابعته منهزماً ، إلا بعد التثبت من النصر والأمن من الكمين .

وقد خالف أهل الدرعية مرة نصيحة الأمير وتتبعوا مقاتلة دهام بن دواس ، في هزيمتهم الماكرة ، فخرج عليهم كمين للعدو ، في بعض الطريق ، وقتل من أهل

الدرعية رجال وفتيان شجعان وفي طليعتهم : فيصل وسعود ، ولدا الأمير محمد .

فكر في انشاء حكومة في جزيرة العرب
ولكنه كان يهاب تركيا

ويقول المؤرخ التركي جودت باشا :

« لجأ الشيخ الى محمد بن سعود ، ودخل أهل الدرعية في المذهب ، وبلغ أمير الدرعية في وقت قصير مبلغاً كبيراً من القوة .

لم يأخذ أمير الدرعية لنفسه شيئاً من أموال الزكاة ، ولكنه فرض لنفقاته خمس الغنائم .

وكانت القبائل البدوية تنضم اليه بسهولة .

ولما تكاثر أنصار المذهب الجديد والتفوا حوله ، فكر في إنشاء حكومة في جزيرة العرب ، ولكن هيبة الدولة العلية العثمانية جعلته يتحاشى التعرض للمدن الكبرى ..

وكان يكره نادر شاه الشيعي ويتضايق ويجزع من ذيوع صيته . . »

لولا محمد بن سعود لما كان للوهابية كيانها ..

ويقول فيلبي : ان محمد بن سعود « لحق بأجداده سنة ١٧٦٥ م. فدفن في مقبرة الدرعية ، بعد عمر مديد مليء بالأمجاد . » وإنه « شهد مرتين في حياته استسلام أشد أعدائه : دهام بن دواس ، أمير الرياض . ومات قرير العين، مطمئناً الى أن أعظم مهمة في حياته قد سويت الى الأبد .. وكانت هزيمة نجران لجيشه أعظم ضربة تلقاها في حياته الحافلة بجلائل الأعمال ، وربما لقي وجه ربه وهو ما يزال قلقاً على مستقبل دولته ، وان كان الانتصار التالي على بني خالد قد شدّد من ايمانه وثقته بقدرة دولته العسكرية .

وقد كان له وحده الفضل كل الفضل في تثبيت أقدام النظام الجديد وانتشار

مذهبه الذي أسبغ عليه وعلى خلفائه من بعده الجاه العريض والشهرة الواسعة .
فلولاه لما كان للوهابية كيانها ، ذلك انه هو الذي أعد العدة لمرحلة الاصلاح الاسلامي الجديد . »[1]

صورة للخلافة الراشدة

ويقول جـــان ريفوار : « من حسن الحظ ان اتفق لوعظ ابن عبد الوهاب ارتضاء محمد بن سعود ، الذي هو رئيس وارث لمجتمع من أهم مجتمعات نجـــد ، مسيطر في ذلك الحين على الدرعية .. ويتكشف هذا الأمير عن رجل ذي موهبة ادارية حربية كبيرة ، وما أبداه من تأييد مطلق لمؤسس هذا المذهب ضمن لهــذا المؤسس ما كان يعوز سلطانه الأدبي من سلطان مادي .
فلما مات ابن عبد الوهاب سنة ١٧٨٧ م. كانت الدولة الوهـــابية ، التي هي صورة مصغرة لخلافة المـــدينة ، سائرة في طريق التقدم السريع ، صاحبة لقوة عسكرية عظيمة ، وما كان من ادارة متينة قادرة ضمن للأهلين أمناً لا عهد لهم بمثله قبل ذلك التاريخ ، ويكاد السلب يكون مفقوداً والعدل يقام خالياً من الغرض ، وتشمل كل واحة على مدرسة ، ويرسل المعلمون الى جميع القبائل البدوية . »

سيف ابن سعود

وجاء في كتيب « شخصيات الجزيرة العربيـة » : « محمد بن سعود ، شيخ الدرعية هو مؤسس ومنشىء إمـارة نجد .. وكان أول نصير عظيم لمحمد بن عبـد الوهاب .. وسيف محمد بن عبد الوهاب هو الذي نشر الوهابية في واحات نجد .»

التقارير الرسمية الاولى عن الحركة الوهابية

وتقول دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الانكليزية) :

---

١ – كتاب تاريخ نجد ، لفيلبي .

« حوالى عام ١٧٤٠ م. أخرج محمد بن عبد الوهاب من « العيينة » ، حيث كان ناشطاً في نشر مذهبه ، فالتجأ الى صديقه محمد بن سعود ، وتعاون الاثنان على نشر المذهب الجديد بالقول والسيف . وقد شرعا منذ عام ١١٥٩ هـ. (يناير ١٧٤٦ م.) في شن الغارات على البلاد المجاورة ومناطق البدو القريبة فأدى ذلك الى تدخل بعض الجيران الأقوياء أمثال بني خالد من الحسا وآل المكرمي من نجران، ولكنهم عجزوا عن وقف تقدم الوهابيين .. وكان أشراف مكة يتهمون حجاج نجد الوهابيين بالمروق من الدين ، ولذلك كانوا يمنعونهم من زيارة الأماكن المقدسة ..

وكانت تقارير الأشراف في هذا الشأن ، التي بعثوا بها الى الباب العالي ، في اسطمبول ، عام ١١٦٢ هـ. (١٧٤٨ - ١٧٤٩ م.) أول ما وصل الحكومة العثمانية من أخبار هذا المذهب الجديد . »

الفصل الثالث

- ١ -

وصف محمد بن سعود في كتاب "لمع الشهاب"

ثراء محمد بن سعود – كرمه – حبه لقومه ورغبته في تكاثرهم
لولاه ما رحل أحد .. الى الدرعية

قال صاحب « لمع الشهاب »

« ذكر الثقات من المخبرين عن شأن محمد بن سعود أنه كان رجلاً كثير الخيرات والعبادة ، وكان أبوه سعود وجده محمد واليين في الدرعية ، وهو – أعني محمد – كان كريم الطبيعة ، ميسّر الرزق ، له أملاك كثيرة من نخل وزرع ، وله عدد من المواشي . قيل من سخاوته أن كان الرجل يأتيه من البلدان يطلب شيئاً كثيراً لوفاء دين عليه فإذا عرف أنه محق أعطاه إياه ، حتى أنه ، في بعض السنين ، وفد عليه رجل من أهل بريدة اسمه ناصر بن ابراهيم وكان تاجراً لكنه أفلس ببعض أموال الناس صرفها في مهمات نفسه ، وكان الذي عليه أربعة آلاف ذهب ، فلما

وصل الدرعية ، أبدى الأمر لمحمد بن سعود وقال : يا شيخ، « وكان آنئذ يلقب بالشيخ ، حتى حين متابعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فمنع الناس أن يقولوا للحاكم الشيخ ، وإنما ذلك خاص بأهل العلم » .. فأعطاه أربعة آلاف ذهب ولم يبال .

فقال له أولاده ، غير عبد العزيز : ما هذا التبذير .. تعطي رجلاً لا تعرفه إلا بالاسم هذا المبلغ الخطير ؟

فقال : « نعم ، يا أولادي ، الدنيا إنما جعلت لكرامة بني آدم ، فالخيّر منهم ذو الشرف إذا ذلّ ينبغي إعانته بما يمكن لئلا يزدريه السفل. هذا ناصر بن ابراهيم ، قد سمعتم به ، انه كان ذا مالٍ وشرف وقد اضطره الزمان ، فعلى الناس الكرام إبداء الخير لمثله ! »

هذا والمعهود من محمد بن سعود انه ليس يرى أحداً شاباً من أهل بلدته وجماعته غير متزوج إلا سأل عن حاله فاذا قيل له لا يمكنه جهاز ، جهّزه وأمره بالزواج ، فإذا امتنع أحد أن يعطي بنته لشخص خطبهـا وهو كفؤ ، سار محمد بن سعود بنفسه اليه وعاتبه في رد ذلك وربما يشترط على نفسه ان اعطوا هذا فلانة فإن أصابها منه ضرر من كسوة أو متاع أو مسكن فأنا ضامن به ، وكان كذلك يفعل حيث وقع الشرط لا محالة، وذلك لحسن سيرته وسريرته يريد التئام جماعته وكثرة خيرهم بالتناسل والتساعف .

وكان يحب الخلوة ، قيل انه كان يأتي البيت فيجلس وحده ولا يريد أحداً من أولاده أو نسائه أن يدخل عليه ،ويبقى على هذه الحال مستمراً سبعة أيام أو أكثر.

وكان لا يرضى بالحرب مع أحد ولو عيل عليه ، ودائماً يأمر جماعته باطفـاء الفتن ، لكن قومه أهل حقد وخدع كثير ولم تصف قلوبهم على من جـاورهم من البلاد ، ولهذا لولاه لما رحل أحد ببيع أو شراء اليهم لأن في نفوسهم غلظة !

هذا ما صحّ لدينا من خصاله وأفعاله . »

- ٢ -

أساليب الحكم والسياسة في عهد محمد بن سعود وأولاده

وصف صاحب اللمع ، في الباب الرابع من كتابه ، سياسات محمد بن سعود وأولاده ، وها نحن ننقل وصفه ، هنا ، بنصه ، بعد أن حذفنا منه ما يختصّ بعبد العزيز وخلفائه ، لنثبته في موضعه ، عند الكلام على عبد العزيز .

قال صاحب « اللمع » :

« أعلم أن محمد بن سعود ، لما استقر له الأمر بتوسط الدين الذي أخرجه محمد بن عبد الوهاب «بقي كما» علمت هو وأولاده على العهد فلم يخرجوا مما عاهدوا عليه محمد بن عبد الوهاب وأولاده كما وقع الشرط أولاً .

الحصون ، والامناء

وكان شأن آل سعود حينئذٍ ، حيث تولوا بلداً كبيرة أو كورة ، بنوا حصناً في تلك البلد على حدة عن حصنها الأول إن كان لها حصن ، وبجنوا حوله خندقاً إن كانت أرضه صلبة ، وأحكموا بنيان القلعة ورتّبوا في الحصن قدر خمسمائة رجل عسكري ، أو ألف رجل على قدر البلاد وخراجها وسموهم « الأمناء » ، إما

من أهلها أو من غيرها من البلاد ، ولكن بشرط كشف حالهم عن الاستقامة التامة بحسب الإعتقاد بهذا الدين ، ويعينون لهؤلاء متاعاً كثيراً ، ربما يكفيهم سنتين أو ثلاثاً ، بما يدخر ، ويجعل في الحصن أيضاً بارود وبنادق كثيرة كذلك ، وربما جعلوا في بعض الحصون مدافع ، ويعين لأولئك الجنود مدخول كثير ، مثلاً يبلغ أجر كل واحد من هؤلاء الجند ثلاثمائة أو أربعمائة ذهب في آخر العام ، وذلك لأنهم اتخذوهم حفاظاً للبلد عن كل أحد ، وهذا الجند المرتب لا حاكم عليهم غير عشرة رجال منهم أمراء يحكمون بموجب ما لهم من اجازة الحكم الذي عينوا فيه.. فان اتفقوا فعلوا وأطاعهم الجند وإلا فلا ، وطاعتهم لهم بالنسبة لما قرّره إمام المسلمين وبيّنه ، وإن اتفقوا على غير ذلك فلا طاعة لهم قط ، وهم لا يخرجون عن الحصون أصلاً .

القاضي والمفتي

وكانت عادتهم أن يجعلوا في كل بلدة كبيرة قاضياً ومفتياً ، وفي الصغيرة قاضياً فقط ، ويعينوا لهم خرجاً من بيت المال .

وأيضاً يرتبون في كل بلد عمالاً لأخذ الزكاة ، مثلاً بعض البلاد يجعل فيها أربعة وبعض سبعة بحسب الكبر والصغر وكثرة المدخول وقلته ، وهؤلاء غير الحكام ، فان الحاكم لم يجعلوا له تولية في أخذ المال قط .

المحتسب (او المطوع)

وكانوا يجعلون في كل بلد محتسباً يتفقد أحوال الناس بالتجسس عما هم عليه من صدق النية بالطاعة لهذا الدين ، وما هم فيه من المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء ، كأن ينقصوا المكيال والميزان أو يفسد أحدهم بلصامة أو تعد على أحد ، أو يعدل القضاة عن اقامة حدود الله بأخذ رشوة ، والحكام كذلك ..

الحاكم والامير

ويجعلون في كل بلدة حاكماً من قبلهم ، وينزعون من كان حاكماً قبل ايالتهم ، ويجعلون في كل كورة أميراً ، وهو أعظم شأناً من سائر حكام البلاد ، لأنه قاهر على كل من في الكورة ، وكانوا يقولون للأمير والقاضي والمفتي والعمّال : عليكم بالتوافق في التدابير وجواري الأمور .

مع أهل البادية

وأما شأنهم مع أهل البادية ، فكانوا يقرون أمراءها القدماء فيها ، ولا يعزلونهم وينصبون أناساً من غيرهم . نعم ، إذا تمرد أحد منهم عزلوه وجعلوا أخاه أو ابن عمه مقامه ، ذلك لأنهم عرفوا أن البدو لا ينقادون أتمّ الانقياد إلا للكبير منهم ، وكانوا يجعلون في كل قبيلة قاضياً أو مفتياً وإمام صلاة ، يقيمون لهم الصلاة جماعة ، ويبيّنون لهم حدود الله وأحكامه .

وكان البدو ، قبل خروج هذا المذهب ، يتحاشون عن متابعة الشرع .

وكان الأمراء إذا علموا من أكابر البداة من يبذل النفس في النصح والإخلاص لهم وللدين جعلوا أكثر خراج طايفته له ، بل ربما قالوا له يكفينا منك مجرد الطاعة ، وزكاة قومك لك !

لا يضربون ولا يقتلون غدراً

وكانوا إذا رأوا الخلاف من أحد من أهل المناصب والأعيان ، خلافاً كلياً ، من البداة وغيرهم ، يؤدبونه بعزل أو حبس ، ولا يضربونه ، فان ألجأم الأمر إلى أن يقتلوه قتلوه جهاراً إن تمكنوا منه ، ولا يقتلونه غدراً وغيلة بنحو سمّ ، وإذا وقع بين رعاياهم حرب أو قتل أو مطالبة مال يحملونه على منهاج الشريعة.

لا تجبر .. ولا حجاب

ومن جملة وضعهم في الحكومة أنهم تركوا التجبر والتحجب ، وأخذ شيء من أموال الناس بلا وجه بيّن ، حيث أنهم يدعون أنهم على مسند رسول الله (ص) .

وكان الغني والفقير عندهم بحال ، ولهذا لا يجسر أحد ذو مال أن يتعرض بشيء على أحد ، حتى الشتم والسب رفعوه ، فلو قال أحد لأحد : يا فاسق ، أو يا كلب ، أو نحو ذلك التزم بهذه الدعوى ورفع أمره إلى حاكم الشرع ، ولو كان الإمام نفسه ..

الجلاء للمذنب .. ورواتب لأسر الشهداء

وكان من جملة أوضاع حكومتهم ، إذا أرادوا ردّ المعتدي ، فإنهم إما أن يأخذوا منه مالاً كثيراً ، إن كان له ، أو يجلوه عن وطنه الى غير ملكهم أو الى بلد نائية عن بلده وهي تحت يدهم .

وإذا مات أحد من الزهاد أهل الورع ، أو مات أحد من رجال الحرب ، أو قتل أحد منهم وكان له عيال ضعفاء من رجال ونساء ، قرروا لهم قدر الكفاية ، ويتفقدون أحوالهم .

وهذه كلها أوضاع وضعها محمد بن عبد الوهاب

الشعب وديون الدولة

وقد يقع عليهم ، في بعض السنين ، دين كثير لا يفي بيت المال بوفائه ، فيشهرون أنهم « مقروضون » بذلك ، ولا يفي بيت المال به ، فيشيع هذا بين الناس ، « فيجيبون » اليهم ، كل بقدره من المال ، حتى يوفوا ذلك كله ، وهذا يحصل عن طيب نفس ، لا عن قهر وقوّة .

وكان ذلك في ابتداء أمرهم بالحكومة ، لما كانت نجد وحدها بيدهم .

بيت المال

وكان من سياستهم أنهم يضبطون كل المداخل في بيت على حدة ، ويسمونه : « بيت المال » ، ولا يسلطون عليه من شاؤوا ، بل لهم قواعد تؤخذ منه بقدر الخرج المعتاد ، فيزيدون الخرج شيئاً فشيئاً حسب اتساع الملك ، وهذا بأمر من محمد بن عبد الوهاب .

نفقة الجهاد .. على المجاهدين

وكان من عادتهم في الحروب أن يعينوا على كل قبيلة وكل قرية أو مدينة أناساً للجهاد ، ولم يجعلوا لهم وظايف أصلاً ، بل يقولون هذا واجب عليكم ، حتى الذخيرة على من خرج للجهاد ، وكانوا يقولون لكبير الطائفة وأمير البلد : رتبوا نفراً للجهاد حيث أردنا وأمرنا ، فكانوا حسب ما أمروا به .

تضليل العدو عن مقاصدهم .. وجواسيسهم

وكانوا .. لا يؤمرون على الجيش إلا أحداً من بينهم ، أو رجلاً من أهل البادية.
وإذا أرادوا أن يغزوا مكاناً شيعوا اننا نريد المكان الفلاني ، وهم قاصدون غيره لئلا يبلغ خبرهم أهل تلك الديار فيحترزوا منهم .
وكان لهم جواسيس في البلدان التي لم تكن تحت امرتهم ، يترقبون الأخبار ويرفعونها اليهم .

- ٣ -

محمد بن سعود والحكم

من يقرأ ابن غنام أو ابن بشر ، يخيّل إليه أن حكم الدرعية كان في يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده، قال ابن بشر: « كانت الأخماس والزكاة وما يجيء الى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها تدفع إليه بيده ، ويضعها حيث يشاء ، ولا يأخذ عبد العزيز ولا غيره من ذلك شيئاً إلا عن أمره ، بيده الحل والعقد ، والأخذ والإعطاء » .

ويؤيد صاحب « اللمع » هذا الرأي ، فيقول : « إن الإمامة الكبرى ، وهي إمامة الدين » ، كانت لمحمد بن عبد الوهاب، وكذا ما يتبعها من مصالح الدنيا ، كتدبير الحروب والمصالحة والعداوة وما يرجع الى آلة الحرب وما يتعلم لأجله ، حيث أن محمد بن عبد الوهاب كان عاقلاً مدبراً متأملاً في الأشياء عارفاً بجميع العلوم ، ومن جملة نكته التي تشعر بتدبير الحروب أنه كان يأمر أهل الدرعية بتعلم رمي البندق ، وهو الذي استخرج لهم هذه « البنادق » التي كانت لهم ، وكان لهم قبل في نجد « تفقان » دون هذه ، على طور ما لأهل اليمن .

والحاصل أن الأمر كله صار بيد محمد بن عبد الوهاب ، بحيث أن كل شيء أراده محمد بن سعود وأولاده رجعوا بـه الى محمد بن عبد الوهاب ، فإن ارتضاه ارتضوه ، وإن أباه أبوه .

وكانت العادة جارية بأن محمد بن سعود يزوره كل يوم مرتين، صباحاً ومساء، هو وابنه عبد العزيز وبقيــة أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين ، لا ينطقون بشيء ما لم يحادثهم به أولاً ..

ثم ان أمر محمد بن عبد الوهاب قوي قوة تامة ، وصار جميع أهل الدرعية في قبضته ، وكذلك من حواليها من أهل القرى والرساتيق » .

وفي اعتقادنا أن هـذا الكلام مبالغ فيه ، فقـد كان الحكم في الدرعية مشتركاً بين محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وبين الشيـخ، فمحمد بن سعود هو رئيس الدولة الدستوري ، وعبد العزيز القائد العام – أو وزير الدفاع – وكان الشيخ بمنزلة وزير المال والخارجية والمعارف، والدعوة والشؤون الدينية (أعني شؤون القضاء والإفتاء والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك .)

كانت دعوة الشيـخ شغل الناس الشاغل ، وكانت تربق عليه ، بطبيعة الحال ، صفة الزعامة الروحية والشعبية ، وقد يزيد في بهاء الشيخ وشهرته ما عرف عنه من الكرم ، ولكن هـذا لا يعني أنه كان مستأثراً بالأمور ، وإنمـا كان زعيماً ومشيراً مسموع الكلمة ، مطاعاً ومحبوباً .

وخلاصة القول أن الأمير والشيـخ كانا – كما وصفهما «فيلبي» – متفقين تماماً « في كل تصرفاتهما ، كما لو كانا شخصية واحدة لها وظيفتان في الحياة .

ويقال إن محمد بن سعود وخليفته عبد العزيز لم يقوما بأي مشروع أو يصدرا أي قرار ذي شأن الا بموافقة الشيـخ وبركته . وقلما نجد لهذا التعاون المنسق الذي دام زهاء نصف قرن مثيلاً .

هكذا كان سلطان الشيـخ في تصريف شؤون البلاد.. لقد أصبح يعتبر شريكاً مؤسساً »[1] .

---

(١) تاريخ نجد ، لفيلبي ، ترجمة الديراوي .

- ٤ -

محمد بن سعود والقيادة

كانت المعارك في عهد محمد بن سعود مستمرة ، وكان يقودها بنفسه في أول الأمر ، ثم تخلى عن القيادة لابنه عبد العزيز ، وما ندري أكان ذلك نتيجة لمرض أصيب به ، أم لكبر سنه ، أم لحزنه ووجده على ولديه فيصل وسعود، أم لأسباب أخرى ، ولكن المتتبع لأخبار آل سعود، في الماضي البعيد والقريب، يجد الحاكم منهم ، متى كبر ، حريصاً على اشراك ولي عهده في أمره والتخلي له شيئاً فشيئاً عن سياسة البلاد ، وأول ما يتخلى له عنه قيادة الجيوش ، ولا يخلو ذلك من حكمة ، لأنه يمهد الطريق أمام ولي العهد للامارة المنتظرة .

يقول « فيلبي » إن شعب الدرعية كان يذكر محمد بن سعود « بما كان يتحلى به من إنسانية وتقوى أكثر من شجاعته وإقدامه في الحروب . وإن الهجوم الوحيد الذي اشترك فيه هو غزوه الرياض سنة ١٧٥٠ م . ، أما بعد ذلك فقد ترك القيادة لأميري العينة، عثمان ومشاري، ومن بعدهما لابنه ووريثه عبد العزيز .» ، وهذا القول ينطوي على التشكيك في شجاعة محمد بن سعود ، وإن كان يضفي عليه فضيلة التقوى !

وأكبر الظن أن الأمير محمد ما تخلف عن المعارك الا بسبب اعتلال صحته وكبر سنه ، وقد ذكر « مانجان » أن محمد بن سعود عاد من إحدى غزواته

محموماً ولزم فراشه مدة، فلم تعد صحته لتتحمل مشقة الحروب ، وإن كانت نفسه الكبيرة بقيت متجملة بالشجاعة والصبر .

إن الرجل الذي يقف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويحميه حين تألبت عليه قوات أميري الأحساء والعيينة ، وغيرهما من امراء نجد ، الكبار والصغار ، لا يمكن اتهامه بالجبن لتخليه عن القيادة لابنه ، فهذا استنتاج في غير موضعه ، ولو أن الأمير محمد أصرّ على قيادة المعارك مع ضعفه وكبر سنه لعد ذلك من سوء الرأي !

أما تركه القيادة العليا فترةً من الزمن لأمير العيينة ، فلم يكن ناشئاً عن جبنه وخوفه ، وإنما كان سياسة منه لتألفه وجلبه الى صفه ، وقد أنف من السير تحت لوائه ، فانتدب لذلك ابنه عبد العزيز !

ومهما يكن الأمر ، فإن محمد بن سعود والشيخ كانا يشتركان في تجهيز الجيوش الغازية ، وإن لم يشتركا بنفسيهما في الغزو ، وقد يكون بقاؤهما في البلد أنفع من خروجهما للقتال ، وفي سيرة أبي بكر وعمر ما يثبت لنا أن بقاء الأمير على رأس عمله في العاصمة ربما كان أفضل للمسلمين من خروجه وقتاله وتعرضه للموت ، فقد يغني غير واحد غناءه في الحروب وأكثر ، ولكنه لا يجد من يقوم مقامه في ادارة الدولة وسياسة الشعب .

- ٥ -

الصلات بين نجد وأشراف مكة

مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ، ومنع الحج ..

لا يذكر لنا ابن غنام ، في كل الصفحات التي كتبها عن الغزوات والوقائع التي حدثت خلال حياة محمد بن سعود ، كلمة واحدة عن أشراف مكة .

أما ابن بشر ، فنجد عنده هذا الخبر الصغير الغامض، في أخبار سنة ١١٦١هـ.:

« وفيها حبس مسعود بن سعيد ، شريف مكة ، حاج نجد ومات منهم في الحبس عدة . »

لماذا أغفل مؤرخا نجد هذه الحادثة أو تنقصا من قدرها ، ولماذا سكت أمير الدرعية عن عمل شريف مكة ؟

أكبر الظن أن محمد بن سعود لم يكن يملك يومئذ وسائل الثأر والرد ، فلم يشأ أن يلقي بنفسه في التهلكة ، ولكن الرد جاء بعد سنوات طويلة ، حين دخل سعود الكبير مكة ، وكتب علماؤها قراراً بل إقراراً بأن دعوة محمد بن عبد الوهاب هي دعوة الاسلام .

وقد أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الى حبس الأشراف حاج نجد ، في كتابه « المقامات » ، قال :

« وكذلك ما جرى من حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الاسلامية .. وذلك

أنهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة ، فحبسوا حاجهم ، فمات في الحبس منهم عدد كثير ، ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة ، وفي هذه المدة سار اليهم الشريف بعسكر كثيف .. وقدم أخاه عبد العزيز قبله .. فنزل قصر بسام، وأقام يضربه بالمدافع والقنابر وجرّ عليه الزحافات ، فأبطل الله كيده .. »

ونستطيع تصحيح كلمة « ستين » ، الواردة في المقامات ، بكلمة خمسين، أو اثنتين وخمسين ، لأن منع الحج ، الذي بدأ عام ١١٦٢ ، انتهى عام ١١١٤ .

لقد حاول أهل نجد ، خلال هذه المدة ، أن يحصلوا من شرفاء مكة على إذن لهم بالحج ، فكانوا يردونهم دائماً خائبين ، ويقول المؤرخ التركي « جودت باشا » : « ان هذه المحاولات تكررت في عهد الشريف سرور بن مساعد » ، ويردف قائلاً: « لم يستشر سرور أحداً ، حين استأذنه الوهابيون في الحج ، ولكنه طلب منهم لقاء ذلك مئة رأس من خيل العجمان ، فرفضوا ، وكانوا يخفون في أنفسهم أنهم سيؤدون الحج يوماً بقوة السيف . »

وكان شريف مكة مسعود بن سعيد هو أول من منع حاج نجد وآذاهم خلال ولايته التي انتهت عام ١١٦٥ هـ.

ويقول أحمد بن زيني دحلان ، في « الفتوحات الاسلامية » :

« ولما قام محمد بن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم .. ملكوا قبائل الشرق ، قبيلة بعد قبيلة ، ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز ، وبلغ ملكهم قريباً من الشام .

وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم ، ظناً منهم انهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب والمين ، فلما وصلوا الى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمسكوا به ، ردّ علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها ، وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم .. ونظروا الى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات ، فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم عند قاضي الشرع بمكة ما يتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد ، ليشتهر بين الناس أمرهم فيعلم بذلك الأول والآخر ، وكان ذلك في مدة

امارة الشريف مسعود بن سعيد المتوفى سنة ١١٦٥ هـ.

وأمر بحبس أولئك الملاحدة فحبسوا ، وفرّ بعضهم الى الدرعية فأخبروهم بما شاهدوا ، فازدادوا عتواً واستكباراً . - كذا ! . . -

وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج ، فصاروا يغيرون على بعض القبائل الداخلة تحت طاعة أمير مكة . . »

ويقول جودت باشا ، في تاريخه :

« أرسل الوهابيون ثلاثين عالماً من علمائهم لمناظرة علماء مكة ، وكان أمير مكة وقتئذ الشريف مسعود بن سعيد ، فطلبوا منه الإذن بالحج ، فأذن لهم ، بشرط أن يؤدوا الرسم المفروض ، وقد فحص علماء مكة عقائدهم فوجدوها (كما زعموا . .) محتوية على كثير من الأباطيل ، واستصدروا من قاضي مكة فتوى بتكفيرهم وأودعوا السجن . »

الفصل الرابع

مراحل انتشار الدعوة سلماً وحرباً وأخبار الردة والعصيان

البلدان التي قبلت الدعوة وبايعت

لم يكد الشيخ يستقر في الدرعية ، حتى شرع يرسل كتبه ودعاته الى سائر بلدان نجد ، يدعو الناس والرؤساء الى عقيدة التوحيد ، فاستجاب له عدد من الافراد ، في مختلف أنحاء البلاد ، وكانوا يستخفون حيناً حتى لا يلحقهم أذى ، ويستعلنون متى ساعدتهم الظروف على ذلك ، وقد هاجر عدد منهم غير قليل الى الدرعية ، فراراً بدينهم وأنفسهم من الأذى والفتنة ، وطمعا بأجر الجهاد وصحبة الشيخ .

وكما انضم الى الدعوة أفراد متفرقون ، فقد دخلت الدعوة جماعات ، أعني بلداناً بكاملها ، بايع أهلها ورؤساؤها للشيخ ولمحمد بن سعود .

والأمر الذي يلفت النظر حقاً ، هو أن البلدان التي دخلت في الدعوة ، منذ وصول الشيخ الى الدرعية عام ١١٥٧ حتى عام ١١٧٦ ، أي خلال عشرين سنة ، انما بايعت بطوعها واختيارها ، لا بقوة السيف ، كما توهم بعض المؤرخين الأجانب ،

أستثني بلدة أو بلدتين .

وهذه هي أسماء البلدان المهمة التي انضمت الى الدعوة وبايعت الشيخ ومحمد بن سعود :

« الدرعية – العيينة – منفوحة – ضرمى – حريملاء – العمارية » .

وفي سنة ١١٦٩ بايعت « القويعية » .

وفي سنة ١١٧١ بايعت « الحوطة والجنوبية » .

وفي سنة ١١٧٢ بايعت « المحمل » و « ثادق » و « القصب » .

وفي سنة ١١٧٥ بايعت « الفرعة » .

ويلاحظ أن أكثر هذه البلدان من العارض ، ولذلك كان الناس إذا تكلموا عن أنصار الدعوة ، قالوا : أهل العارض .

الرياض – وقد حنت مدينة الرياض رأسها وطلبت الهدنة ودفعت مالاً كثيراً ووعدت بالمؤازرة وطلبت علماء يعلّمون أهلها التوحيد ، ثم نقضت عهدها ..

جلاجل وسدير – ويذكر ابن بشر ، في أخبار سنة ١١٧٧ أن عبد العزيز سار إلى جلاجل ، من بلدان سدير وقطعوا منه نخيلا ، وحصل بينهم قتال ، وهزموا فزع البلد ، وقتلوا من أهلها نحو عشرة رجال ، ثم انه طاح عليهم « سويد » ، أمير جلاجل ، وجميع أهل سدير ، وبايعوا .. »

حوادث الردة والعصيان

كانت العيينة وحريملاء ومنفوحة وضرمى من أوائل البلدان التي دخلت الدعوة وبايعت ، ولكنها لم تثبت حتى النهاية ، وسنلمّ بشيء من أخبارها في الصفحات التالية .

ومما يجب التنبيه اليه منذ الآن ، هو أن حوادث الردة والعصيان ، بين الأفراد والبلدان ، تكاثرت خلال عامي ١١٦٦ و ١١٦٧ ، ولذلك قرر الشيخ التغلب عليها بمزيد من الجهد في ميداني السلم والحرب .

الشيخ يعقد مؤتمرا في الدرعية

وفي عام ١١٦٧ عقد الشيخ مؤتمراً في الدرعية ، دعا اليه كبار أنصاره ، من مختلف البلدان ، للتذاكر في أحوال المسلمين ، وما يجب عمله ، ويصف لنا ابن غنام هذا المؤتمر ، فيقول :

« .. جمع الشيخ أهل الاسلام من جميع البلدان ، وبيّن المواعظ في الكلام غاية البيان ، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان ، وأوضح ما يجري على أهل التوحيد من فجار العبيد .. وكشف لهم معاني آيات القرآن .. وبشرهم بالنصر والظفر ، إن برحوا على الدين واستقاموا ، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا وداموا ، وأمرهم بالرجوع الى الله والتوبة ، وصدق النية والأوبة .

.. فتصدقوا بصدقات كثيرة ، وسألوا الله النصر وتيسيره . »

أخو الشيخ .. أحد رؤوس الفتنة

وكان الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، أحد رؤوس الفتنة ، فلم يكتفِ بتحريض أهل حريملاء ، التي كان فيها قاضياً ، على العصيان ، وإنما أراد أن يفتن أنصار أخيه في كل بلد ويرجعهم عن معتقداتهم ، فراسل شيوخ البلدان وأرسل اليها الدعاة ، وفي عام ١١٦٧ – كما يقول ابن غنام – أمسك أنصار الشيخ رجلاً وصل العيينة ، وكان معه كتاب من الشيخ سليمان « فيه شبه مزخرفة » قرأها « في المحافل والبيوت ، وألقى في قلوب أناس من أهل العيينة شبهاً مضرة .. غيّرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان » ، وقد أخبروا الشيخ بأمر هذا الرجل ثم قتلوه ، وأرسل الشيخ الى أهل العيينة رسالةً أبطل فيها أقوال أخيه وتمويهاته ..

ولم يكتف الشيخ ، طبعاً ، بهذه الحملة « الدعائية » ، وإنما أتبعها بحملات حربية ، وقد أعذر من حذّر وأنذر ..

حريملاء

بايع أهل حريملاء للشيخ ومحمد بن سعود منذ عام ١١٥٨ ، واشتركوا في معارك الدعوة وكان لهم فيها بلاء حسن .

وفي عام ١١٦٥ ثار نفر من أهل حريملاء على أميرهم « محمد بن عبد الله بن المبارك » ، الذي نصبته عليهم الدرعية وطردوه ، ثم عاد اليهم فقتلوه ، وكان قاضي حريملاء ، في تلك الأيام ، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، وهو أخو الشيخ ، وكان مخالفاً للشيخ في أفكاره وعدواً لدعوته .

وفي عام ١١٦٨ غزا عبد العزيز بلدة حريملاء بثمانمائة رجل ، واستدرج أهلها الى الخروج من البلدة ، متظاهراً بالهزيمة ، فخرجوا وتبعوه ، وكان كمن لهم كمينين ، فهجم عليهم وانهزموا هزيمة منكرة ، وقتل منهم نحو مئة رجل وفر الآخرون وتفرقوا في الجبال والشعاب ، وانتهز أمير ضرمى فرصة خلو البلدة من المقاتلة فدخلها بنفر قليل كانوا معه وأرسل الى عبد العزيز يبشره بالفتح ، فجاء عبد العزيز « واستولى على البلد ونادى فيها بالأمان لأهلها الا من كان قد أحدث حدثاً .. وصارت دورها ونخيلها غنيمة للمسلمين ، واستعمل فيها مبارك بن عدوان أميراً » وهرب قاضيها سليمان بن عبد الوهاب [١] .

منفوحة

في عام ١١٦٦ نقضت منفوحة العهد، وطردت الامام المنصوب للصلاة بالناس ، وسيطر أعداء الدعوة على أمور البلد ، فلم يستطع المتمسكون بعقيدتهم الا الهجرة

---

(١) – يقول ابن غنام ان عبد العزيز توقف في حكم أهل حريملاء ، وسأل الشيخ رأيه في ذلك فأفتاه بأنها فيء للمسلمين ، فأقبل « عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم الى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم » .

ويذكر ابن غنام أن أهل حريملاء كانوا عدوا ، عام ١١٦٦ ، عدوة على اهل الدرعية ، ولكن ابن بشر لا يشير الى هذه العدوة الغامضة .

منها الى الدرعية وغيرها من بلدان الدعوة ، وقـــد أحصي من هاجر منهم في يوم واحد بسبعين رجلًا .

وقد قام عبد العزيز، خلال حياة أبيه بأربـع غزوات ضد منفوحة، في الاعوام ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧٤ و ١١٧٥ ولكن القدر أراد أن يتم خضوعهـا بعد وفاة محمد بن سعود .

ضرمى

وفي عام ١١٦٤ نقض رئيس ضرمى « ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن » عهـد محمد بن سعود والشيـخ ، وقتل ثلاثة من كبار أنصار الدعوة في البلد ، ولم يمض على ذلك سوى أربعة أشهر حتى قام عليه آل سيف، ومعهم أنصار الدعوة، وقتلوه، وولى عبد العزيز أميراً جديداً في ضرمى .

وفي عام ١١٦٨ حاول أحد وجهاء ضرمى، واسمه « الغفيلي »، أن يخلع رئيس ضرمى وينقض العهد واستنجد لذلـك بأمير ثرمداء فأمـده بجيش ، ولكن الدرعية أبلغت بالأمر فأرسلت هي أيضـــاً مددا كافيا الى أمير ضرمى ، فجرى قتال بين الفريقين ، قتل خلاله من جيش ثرمداء نحو ستين وهرب الباقون ، وبقيت ضرمى على ولائها .

قصة العينة وأميرها

كانت « العينة » من أجل بلدان نجد وأجملها وأغناها ، ويقول « ابن بشر » عن أميرها « عبدالله بن معمر » المتوفي عـام ١١٣٨هـ ، إنه لم يذكر مثله ، « في زمانه ، ولا قبل زمانه ، في نجد ، في الرياسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث » .

وفي عام ١١٣٨ هـ . وقع فيها وباء أفنى أكثر أهلها ، فضعفت البلد ، لتناقص سكانها ، ولكنها بقيت قوية بأموالها وسلاحها ، وتولى رئاستها محمد بن حمد بن عبد الله ، خلفاً لجده الذي مات في الوباء ، وكان يلقب بـ«خرفاش» ، ثم خلفه بعد موته أخوه « عثمان » .

جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العينة في عهد أميرها الجديد «عثمان» ، عام ١١٥١ ، فأحسن قبوله وأكرمه ، وعرض عليه « التوحيد » وطلب منه نصرته ، فنصره ، كما نرى ذلك مفصلا في سيرة الشيخ .

ويقول ابن بشر في أخبار سنة ١١٥٨ :

« وفي هذه السنة ، أو التي بعدها ، بايع عثمان للشيخ على دين الله ورسوله » .

فهل يعني هـذا أن عثمان كان ، من قبل ، نصيراً للشيخ ، ولكنه لم يكن من جماعته وأهل دعوته ؟

أم يعني أن عثمان ، بعد خروج الشيخ من بلدته ، أصبح كالمشكوك في ولائه إن لم نقل كالمرتد ، فلما جاء الى الدرعية ، بعد هجرة الشيخ اليها ، صالح الشيخ ،

وجدد بيعته له ، وعاهده على النصرة ؟

أكبر الظن أن الرأي الثاني هو الصحيح !

ومهما يكن الأمر ، فإن الصلات بين الأمير عثمان وبين الأمير محمد ، كانت حسنة دائماً ، وقد زوّج محمد ابنه عبد العزيز بينت الأمير عثمان ، ولو كان بينهما أي عداء لما فعل ، بل نستطيع القول إن الصلات كانت حسنة بين أسلاف عثمان ، وبين أسلاف محمد أيضاً ، فقد رأيناهم يتناصرون ويخرجون إلى القتال مجتمعين[1].

وفي عام ١١٥٩ اشترك عثمان في هجوم المسلمين على بلدة الرياض ، ولكنه تقاعس عام ١١٦٠ عن نصرة المسلمين ، فقاموا بغزو الرياض وحدهم.. ثم خاف تهمة النفاق والخيانة ، فوفد على الدرعية واعتذر عن قصوره وعاهد على الجهاد كلما طلب منه ذلك ، فصدقوه وعظموه ووعدوه ان يكون هو رئيس الغزو ، مع انه كان تورط في عمل فظيع ، ذلك أنه جمع عنده أمير الرياض وأمير ثرمداء ، وتعاهدوا على مكافحة الشيخ والأمير محمد ، وقد شعر مسلمو العيينة بما يدبره أميرهم ، فذهبوا إليه يستوضحونه جلية الأمر ، فموّه عليهم وقال إنه يريد مصالحة الأميرين مع الشيخ ، وإدخالهما في الدين ، وأرسل ليلاً إلى الشيخ يدعوه الى حضور الاجتماع ، ولكن الشيخ امتنع عن الحضور ، خوفاً من مكيدة عثمان ، فحاصر المسلمون القصر ، ولكن دهام بن دواس وأمير ثرمداء استطاعا الهرب تحت جنح الظلام والعودة إلى بلديهما بأمان !

وفي عام « ١١٦١ » قاد عثمان هجوماً على الرياض اشترك فيه أهل العيينه ، وأهل الدرعية وحريملاء وضرمى ، ثم قاد هجوماً ثانياً على الرياض اشترك فيه ، إلى جانب ، أولئك ، أهل منفوحة ، وكان عبد العزيز بن محمد تحت امرته .

ثم سار المسلمون تحت إمرته إلى ثرمداء ، فأخلى أهلها البلدة .. وطلب عبد العزيز من عثمان دخولها والاستيلاء عليها ، فأبى .. وكان ذلك من أكبر أسباب الشك فيه !

---

(١) انظر ابن بشر في سابقة عام ١٠٩٦ حيث نرى سعود بن محمد امير الدرعية يسير مع امير العيينة ضد حريملاء . وكذلك موسى بن ربيعة استنصر بأمير الدرعية ضد آل يزيد .

ثم سار المسلمون مرة ثانية تحت إمرته إلى ثرمداء ، فأتلفوا زرعها ، ولم يقاتلوا أهلها ، وانقلبوا راجعين.

مقتل أمير العيينة

لماذا رفض عثمان الاستيلاء على ثرمداء ؟

أخبر عبد العزيز والده والشيخ بفعلة عثمان ، فوجدوا فيها دليلاً على نفاقه ، وانطواء نفسه على أغراض خبيثة ، ما لبثت ان تكشفت لها فيما بعد .

ذلك ان عثمان كان يعلم أن « ثرمداء » وغيرها من البلدان ، متى فتحت ، أصبحت ملكاً لمحمد بن سعود ، فآثر أن يحمي صاحب ثرمداء ليستعين به في المستقبل ضد من يعدّهم منافسين له ، بل مهددين لإمارته في المدى القريب ، أو البعيد !

وفي عام ١١٦٢ قاد محمد بن سعود غزوات المسلمين بنفسه ، ولم يشرك معه عثمان بن معمر ، لاشتباههم بأمره .

ويقول « ابن غنام » إن عثمان أخذ يسيء إلى أنصار الدعوة في العيينة ويمعن في إذلالهم ، ويظهر الموالاة لأهل الباطل ، فذهب وفدٌ من الموحدين إلى الدرعية، وشكوه الى الشيخ ، فلما تحقق صدق أقوالهم ، قال لهم :

« أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ، وعلى موالاة من والاه ، ومعاداة من حاربه وناوأه ، ولو كان أميركم عثمان .. »

فأعطوه على ذلك العهد والميثاق .

وبلغ هذا الحادث « عثمان » فزاد حقداً على المسلمين وتنكراً لهم ، وعزم على الفتك بهم وإجلائهم عن البلدة ، وكتب إلى صاحب « ثرمداء » ، وإلى أمير فرقة من البدو ، أن يحضرا اليه ، ليعيناه على تنفيذ « خطة » شيطانية رسمها بنفسه .. ويقال أيضاً إنه تلقى كتاباً من محمد بن عفالق، عالم الأحساء ، يزين له نقض البيعة ومعاداة المسلمين ، فازداد بذلك إقداماً وجرأة.. ولكن المسلمين كانوا ساهرين يقظين ، لا تخفى عليهم حركة من حركاته ، فلم يكد عثمان يفرغ من صلاة الجمعة ،

في مسجد العيينة ، حتى أحاط به نفر من المسلمين وقتلوه ، وأرسلوا إلى الشيخ والأمير محمد من يبشرهما بمقتله !

بقي الشيخ محمد ثلاثة أيام يراقب « تطورات » الموقف في العيينة ، ثم ذهب إليها بنفسه ، وولى عليها « مشاري بن ابراهيم آل معمر » خلافاً لمشورة القتلة ، الذين أرادوا إقصاء آل معمر عن الحكم خوفاً من انتقامه منهم وإذلاله لهم .

وقد أثبتت الأيام سداد رأى الشيخ ، لأن الأمن استتب في البلدة ، وتوحدت صفوفها، ولو اختير لإمارتها رجل آخر ، لبقيت الحزازات في الصدور ، ولانقسمت البلدة على نفسها .

قام مشاري بن ابراهيم بن معمر بالغزو مع المسلمين في السنة التي تولى فيها إمارة العيينة، وقد بقي في الإمارة عشر سنوات ، وفي عام ۱۱۷۳ عزله محمد بن سعود ، لثبوت أمور عليه مشينة ، وولى مكانه سلطان بن محسن المعامرة ، ثم أمر الشيخ بهدم قصر آل معمر ، فهدموه ، ولعل ذلك إعلان واضح لزوال ملكهم ، وضم العيينة إلى دولة الإسلام في نجد [1] .

---

(۱) يزعم مؤلف « اللمع » ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن راضياً عن قتل عثمان بن معمر ، ولكنه سكت عن القتلة لحكمة وسياسة ، وكان يخفي في نفسه الانتقام من اهل العيينة ، فما انقضت سنوات على مقتل عثمان ، حتى طلب الشيخ من عبد العزيز ان يخرب العيينة ويجعلها كأرض ثمود ، ففعل !

وفساد هذه الرواية ظاهر ، لأن عبد العزيز لم يخرب من العيينة سوى قصر آل معمر !

الفصل الخامس

المعارك في عهد محمد بن سعود

لا يذكر لنا مؤرخو نجد شيئاً عن المعارك التي خاضها محمد بن سعود ، قبل اتفاقه مع الشيخ ، لأنها لم تكن جهاداً لإعلاء كلمة المسلمين ، ولم تكن الدرعية يومئذ صاحبة رسالة ..

ولما جاء الشيخ الى الدرعية ، بقي فيها سنتين يدعو الى التوحيد وينهى عن الشرك والبدع والمحرمات، وكانت دعوته « سلمية » ، بالقول والموعظة، لم تستخدم فيها القوة قط ، وبعد انقضاء السنتين ، أمر الشيخ بالجهاد .. فتتابعت المعارك !

الغزوة الأولى .. العجيبة

قال ابن بشر :

« .. فأول جيش غزا : سبع ركايب ، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها ، سقطوا من أكوارها ، لأنهم لم يعتادوا ركوبها .. فأغاروا على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين » .

هذه هي قصة الغزوة الأولى ، لم يذكر لنا مؤرخ نجد اسم البـدو الذين كانوا هدفاً لها ، ولا ذكر لنا أبطالها .. ولعلهم من طلاب الشيخ المبتدئين ، لأن رجال الدرعية ، فيما نعتقد ، كانوا يحسنون ركوب النجائب فلا يسقطون عنها .

لم يشر ابن غنام الى هذه الغزوة الطريفة في كتابه ، ولكن ابن بشر كان موفقاً في إيرادها على تلك الصورة الشعرية ، لأنهـــا تصوير بارع ، في سذاجته ، لضعف الدعوة في أول أمرها .

وقد نقل كثير من المؤلفين الغربيين قصة هذه الغزوة ، استحساناً لها ، ولعـل المؤرخ الفرنسي ميشو كان يشير الى هـــذا الجيش ، خلال وصفه لأيام الشيخ الأولى في الدرعية ، قال : « أنكروا الشيخ في كل مكان وآذوه وطردوه» فالتجأ الى محمد بن سعود ، فحماه وساعده على نشر دعوته ، التي كانت تتفق مـع أغراض الأمير « التوسعية » ، وأذِنَ له باستخدام فرقة من الجنود على نجائب، فقاموا فعلاً بغزوة موفقة على احدى العشائر » .

المعركة الأولى

ما هي أول معركة خاضها محمد بن سعود في نصرة الدعوة ؟

يتفق ابن غنام وابن بشر على أن أول من حرّكَ الشرّ: دهام بن دواس صاحب الرياض ، فقد فاجأ بلدة « منفوحة » التي انضم أهلهـــا برضائهم الى الدعوة وبايعوا الشيـخ بغزوة ماكرة ، ودخلها واستولى على قصر الإمارة، ولكن أهلها استطاعوا إخراجه منها بعد قتال عنيف .

عرف ابن دواس ، أمير الرياض ، أن ابن سعود لن يسكت عن عدوانه على منفوحة ، فنذر — كما يقول ابن غنام — جزوراً (لتاج بن شمسان ، إن قطع ابن سعود ، على الفوارة ، عادين على بلاده، فلما بلغ ابن سعود واخوانه المسلمين ذلك، تعاهدوا على أن أول عـدوة يعدونها عليه تكون في قصره) ، وسار ابن سعود

برجاله مستخفين ، ليلاً ، الى الرياض ، فدخلوها وذهبوا الى القلعـة ، التي بها قصر ابن دواس ، واقتحموا باب القلعة وبلغوا الى بيوت بعض الرؤساء ، فوجدوا فيها إبلاً فعقروها ، ثم أطلقوا الرصاص على ابن دواس في عليته ، وخرجوا بعد ذلك سالمين ورجعوا الى الدرعية .

هذه العدوة — ونسميها معركة ، تجوزاً — ليست معركة حقيقية ...

ويقول صاحب « اللمع » : « ان أول حرب أوقعها محمد بن سعود بأمر محمد ابن عبد الوهاب ، هي حرب ابن دواس ، وكان عدد غزوه إذ ذاك عشرين ذلولاً وسبع أفراس » ، ولعله يشير بذلك الى هذه العدوة ، والله أعلم !

أعظم معارك ابن سعود

من يتتبع أخبار المعارك التي وقعت في زمان محمد بن سعود يجد أن أكثرها وأعظمها كان مع ثلاثة أمراء : أمير الرياض ، وأمير نجران ، وأمير الأحساء .

ولم تنفرد بلدة واحدة من بلدان نجد بالهجوم على الدرعية ، ما عدا الرياض ، بل كانت الدرعية هي التي تبتدىء بالهجوم دائماً .

ولم تقف الدرعية ، في حياة محمد بن سعود ، في موقف الدفاع عن النفس ، إلا سنة ١١٦٠هـ. أمام الرياض، وسنة ١١٧٨ أمام صاحب نجران وأمير الأحساء.

وليس معنى ذلك أن الدرعية كانت تعتدي على جاراتها لمجرد الظلم والعدوان.. وإنما كانت تفعل ذلك انتصاراً لحليفاتها أو دفاعاً عن الدعوة وتدعيماً لها .

- ١ -

المعارك
مع أمير الرياض

لا ندري متى ظهر اسم الرياض ، فالكتب القديمة لا تتحدث عنها ، ولا نعرف أسماء الرؤساء الذين تعاقبوا على حكمها ، وكل ما نعرفه أن بلدة حجر وبقية حجر اليمامة » ، وبلدة مقرن وبلدة معكال – وكلتا البلدتين أو المحلتين على أرض حجر التاريخية العريقة – قد غابت أسماؤها في اسم جديد ، هو اسم : الرياض .

إمارة ابن دواس

ويذكر لنا ابن غنام أن دهام بن دواس ، أخرج من بلدة منفوحة ، بعد أن قتل أبوه ، وكان أميراً عليهـــا ، فالتجأ الى الرياض، في ولاية زيد بن موسى أبي زرعة ، وقد تزوج زيد أختا لدهام وولد له منها ولد ، وفي ذات يوم قتل زيداً رجل معتوه من أقربائه ، فقتله عبد لزيد يدعى (خميس) ، وتولى السلطة في الرياض ، ثم

هرب العبد خوفاً من الثأر ، وبقيت الرياض بلا رئيس .. فترأسها دهام بن دواس، مدعياً أنه انما يفعل ذلك باسم الطفل القاصر ، ابن زيد ، حتى يبلغ مبلغ الرجال ، ولكنه ما لبث أن اغتصب الامارة وطرد الطفل ..

ويصف ابن غنام هذا الأمير المغتصب بأنه كان فاجراً خبيثاً ، غريب الأطوار، بل هو يذكر أموراً عنه لا يكاد يصدقها عاقل، مثل قوله انه « غضب يوماً على امرأة فأمر بفمها أن يخاط..وغضب على رجل فقطع من فخذه قطعة وأمره بأن يأكلها».

كتب الشيخ الى دهام ينصحه ويدعوه الى قبول التوحيد ، واجتهد محمد بن سعود أيضاً في نصحه ، وكان يظن فيه حسن القبول ، لسابق فضله ، ولكن ابن دواس –مع تصريحه بأن عقيدة الشيخ هي العقيدة الصحيحة – رفض دعوة الشيخ ، وكان يصد الناس عنها ويؤذي أنصارها في بلدته .

ولعل التفسير الصحيح لموقف ابن دواس أنه كان يطمع في حكم منفوحة ، ملك آبائه ، التي طرد منها، فلما دخل أهل منفوحة في دعوة الشيخ وطاعة محمد بن سعود، تنكر للدعوة وأصحابها وناصبهم العداء .

وكان هو البادىء بالعدوان ..

ففي عام « ١١٥٩ » جمع دهام بن دواس رجاله ، وضم اليهم جماعة من البدو ، وفاجأ أهل « منفوحة » بغارة محكمة على نخيلهم ، فخرجوا لحمايته من المعتدين ، وبذلك خلت البلدة من حماتها ، وكان قد أعد لهم كمينا ، فدخل البلد واستولى على قصر الامارة ، ولكن أهل منفوحة أسرعوا في العودة الى بلدتهم وقاتلوا المهاجين قتالاً مريراً واضطروهم الى الانسحاب .

---

١ – يقول ابن غنام ان أهل الرياض كرهوا ابن دواس لظلمه وفجوره فأجالوا بقصره وحصروه ، وأرادوا خلعه واخراجه من بلدتهم ، فاستنجد بمحمد بن سعود ، فقام محمد بنصرته أتم قيام ، وارسل اليه من الدرعية جنوداً يقودهم اخوه مشاري بن سعود ، فقاتلوا رجال الرياض المحاصرين للقصر وفرقوهم وعاد ابن دواس الى الولاية عودة المتنصرين ..

وقيل ان فزعة جاءتهم من الدرعية ، يتقدمها عبدالله بن محمد بن سعود ، ألقت الرعب في قلوب ابن دواس وجماعته وكانت من أقوى أسباب النصر .

وأصيب ابن دواس خلال المعارك بطلقين ، وتقطعت أصابع رجليه وعقرت فرسه .

وقد ذكرنا ، قبل، أن محمد بن سعود ثار لأهل منفوحة بهجومه ليلاً على الرياض ودخوله قلعتها وعقره ابلا كانت هناك واطلاقه الرصاص على علية ابن دواس. ولكن محمد بن سعود لم يكتف بتلك العدوة اليسيرة ، فسار بأهل الدرعية وقراها ، ومعه عثمان بن معمر بأهل العيينة ، الى بلدة الرياض ، فجرى بينهم وبين رجال ابن دواس ، قرب الرياض ، قتال غير كبير ، قتل فيه عشرة شيوخ من أهل الرياض ، فسميت المعركة : وقعة الشياب .

ثم سار ابن سعود ، في نفس العام ، مرة ثانية ، الى الرياض ، وقتل عشرة من عبيدها فسميت المعركة : وقعة العبيد .

الهجوم على الدرعية
واستشهاد ولدين لمحمد بن سعود : فيصل وسعود

صمم ابن دواس ، بعد الهزائم التي مني بها ، على الانتقام من الدرعية ، فجمع جموعه ، من الحاضرة والبادية ، وقصد الدرعية ، فلما بلغها أغارت خيله عليها ، فدافع أهل الدرعية عن بلدهم دفاعاً شديداً ، فتظاهر جماعة دهام بالهزيمة ، وولوا هاربين ..

ولما رأى مقاتلة الدرعية هزيمة اعدائهم وجبنهم ، طمعوا في استئصالهم ، فنصح لهم الأمير محمد بالوقوف في أمكنتهم، خوفاً من كمين يبغتهم، ولكنهم كانوا معجبين بنصرهم ، فأبوا الا أن يتبعوا عدوهم ، فخرج عليهم ، في بعض الطريق ، كمين لدهام ، وقاتلهم وهزمهم وقتل خمسة منهم ، بينهم ولدا الأمير محمد بن سعود : فيصل وسعود .

لذلك يحق لنا أن ندعو محمد بن سعود : والد الشهيدين .

هجمات متعاقبة على الرياض

ولم يمض على هذه المعركة غير قليل ، حتى سار محمد بن سعود بنفسه الى الرياض ، على رأس مقاتلة الدرعية ومنفوحة وحريملاء ، وكان دهام قد أنذر به فاستعد له ، ومع ذلك استطاع محمد بن سعود دخول الرياض ، ووصل الى قصر دهام نفسه ، وضرب أحد جنوده دهاماً بالسيف وكاد يقتله ، ولكنه نجا ، وقتل في المعركة عدد غير كبير من الجانبين ، ثم انسحب الأمير بجنوده ، وعادوا الى بلدانهم .

وفي عام ١١٦١ هاجم عبد العزيز بن محمد بن سعود (الرياض) مرتين ، تحت قيادة عثمان بن معمر ، وكان معها أهل الدرعية والعيينة وضرمى وحريملاء (وانضمت اليهم منفوحة ، في الحملة الثانية) ولم يوفق المسلمون في كلتا الغزوتين ، وخسروا أكثر من خمسين شهيداً . وربما كان ذلك بسبب مواقف أمير العيينة المريبة !

وفي عام ١١٦٢ أغار محمد بن سعود بجموع المسلمين على بلدة الرياض ، ولم تقع بينهم وبين أهل الرياض مقاربة ، وإنما تراموا بالرصاص من بعيد .

وفي عام ١١٦٤ سارت عدوة من أهل الدرعية على الرياض ودخلتها ، ولكنها انهزمت ، وقتل فتى من أشجع فتيان الدرعية ، وهو علي بن عيسى الدروع .

دهام يطلب الصلح

وفي عام ١١٦٧ ضجر دهام بن دواس – كما يقول ابن بشر – « من الحرب بينه وبين المسلمين فطلب من الإمام محمد بن سعود المهادنة ، وبذل له خيلاً وسلاحاً وأن يقيم شرائع الإسلام في بلده ، وطلب منه أن يرسل إليهم معلماً يحقق لهم معرفة التوحيد » .

نصر مؤزر للدرعية على دهام وحزبه

ولم تمضِ سنة واحدة على هذا العهد ، حتى اتفق دهام صاحب منفوحة على

نقض عهد المسلمين ، وحربهم .. ثم اجتمعا مع رئيس ثرمداء ، وانضم اليهم جماعة من أهل سدير وثادق وجلوية حريملاء ، وهجموا على حريملاء – التي كان عبد العزيز قد اقتحمها ونصب عليها أميراً من قبله – فدخلوا أعاليها ، ولكن أميرها قاتلهم قتالاً شديداً ، وجاءته الأفزاع من الدرعيـة ، فانهزمت الأحزاب .. وقتل منهم ستون رجلا ، وأسر كثيرون ، افتدوا أنفسهم بالمال .

معارك عام ١١٧١

وفي عام ١١٧١ غزا عبد العزيز الرياض مرتين ، ولم يكن بينه وبين أهلها كبير قتال ، ومما يحسن التنويه به أن عبد العزيز أمر ببناء قصر قرب الرياض ، ينزله مقاتلة المسلمين ويحصون به على أهل الرياض الأنفاس ويضيقون عليهم الخناق !

غزوات متصلة

ومنذ عام١١٧٤ الى عام١١٧٦ كانت غزوات عبد العزيز على الرياض مستمرة، يغزوها كل عام مرة أو مرتين ، وكانت الخسائر من الفريقين غير كبيرة في الأنفس ، ولكنها أتعبت أهل الرياض وأضرت كثيراً بأموالهم .

دهام يطلب الصلح

وفي عام ١١٧٧ أرسل دهام بن دواس الى الأمير محمد بن سعود يعرض عليه الطاعة ، ودفع إليه ألفي أحمر نكالا .

واشترك دهام مع الأمير عبد العزيز في غزو فرقة من عرب الظفير،فاستأصلوهم وقتلوا منهم ثلاثين رجلا .

يقول مانجان : إن محمد بن سعود والشيخ اشترطا على « دهام » أن يعيد الى أنصار الشيخ الذين اضطروا للهجرة الى الدرعية أملاكهم التي صادرها وأن يساعد الدرعية في حروبها، فقبل، وقد رأيناه فعلا يسير مع عبد العزيز في غزوة (جراب)

ضد عشائر الظفير .. فكانت أول لقاء بين الخصمين اللدودين !

معارك الرياض في رواية « اللمع »

قال صاحب « اللمع » :

« اتفق الأمر حينئذ أن دهام بن دواس شيخ الرياض المسمى (بحجر اليامة) في سابق الأيام ، كره استقامة الأمر لمحمد بن سعود حاكم الدرعية بواسطة محمد بن عبد الوهاب حيث أنه كان قبل هذا يكره محمد بن سعود ويريد ذلّه ... فأخذ ابن دواس يلقي الحرب على أهل الدرعية ... فقتِل يوماً ولدان كبيران لمحمد بن سعود ... فأخذت محمد بن سعود وعبد العزيز ومحمد بن عبد الوهاب زيادة الحمية والغيرة على الدين وحفظ العرض وصون النفوس ، فهيأوا لهم عسكراً كثيراً بشيء من أهل بلدانهم ، وشيء من العربان البداة وغيرهم من الذين عاهدوهم وصدقوا بمذهبهم ، وكذا باعطاء شيء من المال خفاء ، فقامت الحرب بينهما سنة الستين بعد المائة والألف ، ثم إن الحرب استمرت بينهما ثمانياً وعشرين سنة ولم يقع في هذه المدة صلح إلا ثلاث مرات متفرقات ، كل مرة سنة واحدة .

ان أول حرب أوقعه محمد بن سعود بأمر محمد بن عبد الوهاب – أي حرب ابن دواس – كان عدد غزوه إذ ذاك عشرين ذلولاً وسبع أفراس ثم إنه مشى عليه مرة أخرى بمائتين ثم ثالثة بخمسمائة ثم رابعة بقدر سبعمائة ذلول ومائتي فارس ثم « أنهى » ما مشى به الى الرياض ثلاثة آلاف بين راكب وماشٍ .

فأخذ أمر محمد ابن سعود يزيد شيئاً فشيئاً وشأن ابن دواس ينقص وينزل ، حتى دانت بالطاعة بلاد الرياض وقراها »

وسنرى ان دهام بن دواس نقض عهده لمحمد بن سعود ، عند وفاته .

مع صاحب نجران

في عام ١١٧٧ هـ . هجم جماعـــة من « العجمان » اليمانية على فريق من عشائر سبيع، الذين دخلوا في عهد الأمير محمد بن سعود وطاعته،وأوسعوهم قتلاً ونهباً ، فلما بلغ ذلك الأمير عبد العزيز، أسرع في اللحاق بالعشيرة اليمانية الغازية ، فأدركهم في موضع يقال له « قذلة » ، بين القويعية والنفود ، وقاتلهم قتالاً عنيفاً، فقتل منهم خمسين رجلاً ، وأسر مائتين وأربعين ، وأخذ كل ما كان معهم من المال والسلاح .

انطلق الناجون من اليمانيـــة إلى بلاد اليمن ، وحطوا رحالهم في نجران ، عند رئيسها المشهور : الحسن بن هبـة الله المكرمي ، وعرضوا عليه حالهم ، وشكوا له مصابهم ، وما فعله بهم عبد العزيز، وطلبوا منه أن يثأر لهم ويستخلص أسراهم الذين يعانون ألواناً من العذاب...

واستجاب صاحب نجران لهؤلاء المستجيرين به ، لأنهم يمانية، ولم تكن العصبية قد زالت من النفوس ، وجمع المقاتلة من عشيرة « يام » ومن غيرهم من اليمانيين ، وسار بهم ، قاصداً الدرعية !

من هو صاحب نجران ؟

يقول فؤاد حمزة ، في كتابه : « في بلاد عسير » إن حسن بن هبة تولى رئاسة نجران عام ١١٧٤ وتوفي عام ١٢٤١، وإنه قحطاني ، أصل أجداده من (طيبة) ، قرب صنعاء ، وليس علوياً ... وكان أجداده قد انضموا إلى الدعوة الإسماعيلية .

ويقول صاحب « اللمع » إن حسن بن هبة الله المكرمي مختلف في أمره ، (قيل إنه شريف من السادة ، زيدي المذهب ، وقيل ليس بعربي وإنما هو هندي ، ولد بأرض نجران ، من أربعة أو خمسة أصلاب ، وصارت شهرته بالمكارم ، وهو رجل ساحر ، يتعاطى علوم السيا والحرف ، وهو عجب : في الظاهر رافضي ، وبالباطن - عند من كشف عن حاله - طبيعي ، منكر الصانع) .

في حائر سبيع

وصلت جموع المكرمي إلى « حائر سبيع » ، بين الخرج والرياض ، في شهر ربيع الثاني من عام ١١٧٨ هـ . فسار عبد العزيز للقائهم بجيش كبير ، وكان رجال هذا الجيش ، فيما يقول ابن غنام ، معجبين بأنفسهم إعجاباً لا حدّ له ، وكانوا خلال مسيرهم يظهرون ضروباً من الخيلاء والتيه لا توصف ، ويظنون أن عدوهم سيفرّ أمامهم ، بمجرد دنوهم منه ... فعاقبهم الله سبحانه على ذلك ، وامتحن بهذه الواقعة أهل الإسلام ، ليميز الخبيث من الطيب ...

دارت بين جنود المكرمي وبين جنود عبد العزيز معركة غير طويلة ، في أرض الحائر ، ولكنها كانت معركة رهيبة جداً ، انهزم فيها جيش عبد العزيز هزيمة منكرة ، فقتل من رجاله نحو خمسمائة ووقع منهم في الأسر أكثر من مائتين ، ورجع عبد العزيز بمن نجا معه إلى الدرعية ...

رواية اللمع

يقدر صاحب « اللمع » عدد مقاتلة المكرمي بألف ومائتين ، وعدد جنود عبد العزيز بأربعة آلاف ، ويزعم ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب حذر عبد العزيز منهم ، لما جاء ليخبره أنه عزم على استئصال العجمان ، لأنهم قوم فساد وشقاق ، فبيّن له الشيخ أن وراءهم قوم « يام » ، وقال له :

« هؤلاء طائفة كبيرة تسكن نجران ، وهم بداة وحضر ، ونحن لا نحب حربهم

اليوم » !

ولما وقعت الواقعة ، ووصل صاحب نجران إلى العارض ، قال الشيخ لعبد العزيز :

« سر له بخلق عديد ، ونازله ، ولا تحاربه، حتى يقع بيننا صلح ، فإني لا أرى خيراً في القتال مع هؤلاء القوم، ما تقول في أناس مسكنهم اليمن، ويدخلون قلب نجد في هذا العدد القليل ، مع أنهم عرفوا شوكتنا فلم يبالوا بها ، فإياك والحرب معهم ، وإنما أمرتك بالخروج اليه .. أتعرف الغاية ؟

قال : لا !

قال : حتى لا تختلف جماعاتنا علينا ، فيقال : ضعف أمر هذا الدين وهابوا الحرب مع رجل يامي ! » .

ويصف صاحب اللمع المعركة ، فيقول إن المكرمي لما رأى ان مقاتلته لجنود عبد العزيز بالرصاص غير مفيدة له ، أمر جماعته بأن يهجموا عليهم بالسيوف ، وقال لهم : هؤلاء القوم نعاج .. وبقاؤنا معهم بلا تقدم ، لا ربح فيه ، كروا عليهم الساعة بالسيف !

فكروا على الجنود ، فذبحوا منهم أكثر من أربعمائة واستأسر لهم أكثر من ستمائة ، وهرب الباقون لا يلوون على شيء ، حتى بلغوا الدرعية .

الصلح مع صاحب نجران

يقول ابن غنام ، إن عبد العزيز ، لما وصل الدرعية ، دخل مجلس الشيخ ، في حالة انكسار ويأس ، فبادره بقول الله تعالى ، في كتابه الكريم :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » .

ماذا كان بعد ذلك ؟

يقول ابن غنام : إن المكرمي ارتحل من الحائر ، ونزل بالقرب من قصر

« الغذوانة » ... وإن دهام بن دواس وغيره من رجـــال نجد المعادين للدرعية أرسلوا إليه الهدايا وكاتبوه وحرضوه على غزو الدرعية ووعدوه بالمؤازرة بالرجـال والأموال ، وكتب إليه صاحب الأحساء يخبره بقدومه عليه ... ولكن صاحب نجران آثر العودة إلى بلاده ، لأن الله تعالى قذف في قلبـه الرعب ، فكتب إلى الدرعية يطلب منها إطلاق الأسرى من العجمان ، فلما أطلقتهم أخذهم وعـــاد إلى اليمن !

إن رواية ابن غنام ، لا تبدو لنا معقولة !

وقد أخذها عنه ابن بشر ، ولكنه أضاف اليها كلمة غامضة ، ستفسرهـــا لنا رواية اللمع وغيره ، وهي قوله :

« ان الشيخ ومحمد بن سعود أرسلا إلى فيصل بن سهيل ، شيخ الظفـــير ، وأرسلاه إلى صـاحب نجران : فاسترضوه ، وأطلقوا له الأسرى الذين عندهم من العجمان ، وأطلق هو أسرى المسلمين ، ورجع إلى وطنه » .

ان كلمة « استرضوه » ... لم ترد في ابن غنـام ... وهي كل مـــا ذكره ابن بشر !

والحقيقة هي ان صلحـــاً عقد بين الفريقين ، دفعت فيه إلى المكرمي أموال طائلة ، وأرسلت اليه هدايا جليلة ، وأخذت منه المواثيق .

ويقول صاحب « اللمع » إنهم أهدوا إلى المكرمي مائة وعشرين فرساً ، وإنه قال وهو يستلمها : الآن طابت نفسي !

ويقول المؤرخ الفرنسي ميشو : « أخفق عبـد العزيز في قتـــاله مع اليمانية ، وأصبح أمام خطر جديد ، هو هجوم صاحب الأحساء ... ولكن الشيخ محمد شجعه وقواه ودفع لغزاة اليمن أموالاً كثيرة أرضتهم ، فرجعوا إلى بلادهم .

وقد وقعت هذه المعركة ، قبيل موت الأمير محمد بن سعود ، فأحزنته كثيراً، لأنها كادت تقضي على كل ما بناه هو والشيخ خلال وقت طويل » .

ومن أطرف ما قرأناه – وإن كان شيئاً لا يصدق – ما رواه الرحـــالة المعروف ، كارستين نيبهر – الذي زار اليمـــة ، في حياة الشيخ محمد بن عبـد

الوهاب في كتابه « وصف جزيرة العرب » ، قال :

« لاحظت أن المكرمي ، شيخ نجران ، جاء هو أيضاً بمذهب جديد . وأكد لي أحد رجال الأحساء ، الذين رافقوني في رحلتي إلى العجم : أن المكرمي ومحمد ابن عبد الوهاب يعتنقان نفس الأفكار الدينية ، وهذا ليس مستغرباً .ويبدو ، على كل حال ، أنهما صديقان .. »

ويردف نيبهر :« إن المكرمي اشتهر بالشجاعة ، في جزيرة العرب ، ولكنني استغرب كيف يجرؤ على اختراق بلاد نجد ، الآهلة بالسكان ، بجيش ضعيف ... »

ثم يذكر نيبهر ، أنه لما وصل إلى البصرة ، أفهموه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدو للمكرمي ، وأن جيش المكرمي هزم جيش العارض ، وأن شيوخ الدرعية دفعوا له مبلغاً كبيراً من المال ، ووعدوه بأن يرسلوا اليه شيئاً كل سنة ، وربما عقد محمد بن عبد الوهاب معاهدة معه !

وسنرى صاحب نجران مرة أخرى ، في العارض ، عام ١١٨٩ ، في ولاية عبد العزيز ... ولكنه ، سيخذل هو ومن تبعه من رجال نجد، خذلاناً عظيماً في المعارك التي يخوضها في الحائر وضرمى ويرجع إلى بلاده مقهوراً مدحوراً .

ويزعم ابن غنام إن قبائل العجمان كانوا يحملون صاحب نجران ، وقد أرهقته الأسقام ، على سرير ، للاستنصار به ، وإن الناس فتنوا بما يبدي لهم (من حساب الرمل والتخمين والأحداس)! وإنه مات « في أثناء انصرافه » قبل وصول بلده »!

وهذا القول الأخير غير صحيح !

مع أمير الأحساء

كان لأمير الأحساء سليمان بن محمد ، نفوذ كبير في بلدان نجـــد ، وقد رأينا عثمان بن معمر ، أمير العيينـة ، يخضع لأمره ويخرج الشيخ محمد من بلده ، فلمـا استولى الموحدون على العيينـة وضموهـــا إلى دولتهم ، أغضب ذلك أمير الأحساء الجديد (عرعر بن دجين) ،لأنه فقد بلدة عظيمة في نجد كانت موالية لآبائه وأجداده، فصمم على محاربة الشيخ وأهل الدرعية .

وفي عام (١١٧٢) سار عرعر (ويسميـــه ابن بشر : عريعر) ، بأهـــل الأحساء وعشائر بني خالد ، إلى نجد ، واستنفر أهل الوشم وسدير ومنيخ والخرج والرياض ، فاجتمع اليه عدد كبير من المقاتـلة ، ثم انفصل عنه مقاتلة سدير والوشم والمحمل وذهبوا إلى (حريملا) وقاتلوها ثلاثة أيام ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليها فطلبوا النجدة من عريعر ، فأمدهم بجماعـة من بني خـــالد وعنزة ، ولكن حريملا قاومتهم واضطرتهم إلى الانسحاب ، فولوا منهزمين ، وتبعهم أهل حريملا ، فلما وصلوا إلى مقربة من معسكر عرعر ، خرجت عليهم جموع أمـــير الأحساء واضطرتهم إلى التراجع والهرب واستولت على ما كان معهم من الأمتعة والزاد .

ثم سار أمير الأحساء بجنده إلى (الجبيـلة) ، وكان عبد العزيز قد أمدها بعدد كبير من المقاتلة ، فقاومت الغزاة مقاومة عظيمة ، ثم جاء مدد من المسلمين جديد من خلف المهاجين الغزاة ، فأوقع الفوضى في صفوفهم وكتب عليهم الهزيمـــة ، وخلفوا في ساحة المعركة ستين قتيلا، وكانت خسارة الموحدين عشرة رجال فقط.

أما الدرعية ، فكان أهلها يخشون وصول عرعر اليها ، فاستعدوا لمقاومته وقتاله استعداداً عظيماً ، وبنوا في بلدتهم « سورين منضودين بالبروج » ليمنعوا الأعداء من الصعود إلى الجدران ، ولكن المعركة انتهت في الجبيلة ، وكفاهم الله القتال في قاب البلد !

ويزعم مؤلف « اللمع » إن خسائر عرعر في الجبيلة بلغت ستمائة مقاتل ، لأن هذه البلدة كان لها سور محكم منيع ، وكان فيها خمسمائة مقاتل أشداء رتبهم فيها عبد العزيز ، فقاوموا الغزاة مقاومة شديدة وأنزلوا بهم تلك الخسائر الفادحة ، « ولما سمع عبد العزيز برجوع عرعر ، سار بنفسه إلى أهل الجبيلة ، وأنعم عليهم بالعطايا والتحف ، وقال لهم : الآن تبيّن عندي أنكم الصادقون بالقول . لكن المنة لله ، لا تحسبوا لأنفسكم منة في ذلك فإنه من ضعف الدين .

قالوا : نعم ، أيها الأمير ، بعنا أنفسنا لله » .

معاهدة مع عرعر

ويقول مؤلف « اللمع » إن الشيخ محمد وعبد العزيز ، بالرغم من هزيمة عرعر ورجوعه إلى بلده ، أرسلا إليه الهدايا واسترضياه وطلبا منه المصالحة ، وبقي الصلح بينهما نحو سبع سنوات .

ولا يشير مؤرخا نجد ابن غنام وابن بشر إلى هذه المعاهدة المزعومة ، بل يذكران لنا غزوة قام بها عبد العزيز في عام ١١٧٦ على قرية في الأحساء تدعى « المطيرفي » [1] فقتل من أهلها سبعين رجلًا واستولى على كثير من السلاح والأموال، كما أغار على بلدة « المبرز » وقتل رجالاً منها ، ثم عاد إلى نجد .

معركة عام ١١٧٨

كان عرعر مصمماً على الثأر لنفسه من رجال الدرعية ،فلما بلغه مسير صاحب نجران

---

١ - رسمها ابن بشر هكذا : « المطريفي » .. وهو خطأ مطبعي

القوي العنيد إليها ، رأى أن ينتهز هذه الفرصة السانحة ، فجمع جموعه وخرج من بلاده ، ومما شجعه وقوّى عزمه مكاتبات وصلته من ابن دواس يعده فيهـا بالانضمام إليه هو وأهل بلدته الرياض ، وأهل منفوحة ، وغيرهما من بلدان نجد .

ولما بلغ عرعر الدهناء ، قيل له إن جيش صاحب نجران رجع إلى بلاده ، فلم يثن ذلك عزمه ، ومضى في طريقه الى الدرعية ، وانضم اليه ابن دواس ومن معـه من المقاتلة الذين لم يدخلوا في الدعوة أو الذين ارتدوا عنهـا ، وكانوا كثيرين .. فالتمس أرضاً قرب الدرعية تصلح لنزول هذا الجيش الكبير ، ومـا يحمل من مدافع وعتاد ومؤن ، فأشاروا عليه بأرض قرب القصير فنزلهـا ، ثم هجم على « القصير » و « سمحان » و « الزلازل » وهي كلها قرى مسورة ، وسلط عليهـا مدافعه .. ولكن مدافعه لم تعمل عملاً مذكوراً في أسوارها .. بل إن بعض رجال عبد العزيز استطاعو الوصول الى جنود « المدفعية » فهربوا منهم وتركوا مدافعهم .. وكان لعبد العزيز (عيون) ينقلون اليه أخبار اجتماعات العـدو وتدابيره وتحركاته فأفاد من ذلك كثيراً،وانكشفت المعركة عن هزيمة عرعر ومن تبعه من أهل نجد .

ويقال إن قتلى عرعر كانوا أربعين رجلاً، وقتلى الموحدين نحو اثني عشر رجلاً.

رواية « اللمع »

ويقول صاحب « اللمع » ان عرعر « حين سمع بحرب النجراني ، قال : هـذه فرصة فيجب أن أغتنمها، فركب بعسكره وبلغ حوالي الدرعية واتفق ذلك اليوم أنه اليوم الذي وقع فيه الصلح مع النجراني وكان عسكر النجراني على فرسخين من الدرعية فنزل عرعر قريباً منه بنصف فرسخ، فأرسل عرعر الى النجراني: « إننا نحمد الله على هذا الاتفاق الذى حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المبتدع، ونحن ان شاء الله سنقوم بواجبك وتتمم الامر بينا وبينك على كيفية حربه ولا نطيل الأمر ». فكتب الحسن بن هبة الله الى عرعر يقول له : « لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري

الصلح بيننا وبينه لانتظم الامر على وفق خاطرك ، لكن الآن حصـــل مرادنا من الانتقام ، وقـد طلب منا العفو ، ونحن أهـل له عند القدرة ، وأعطيناه فلا يمكننا ابدال القول ، أما أنت فعن بحربك معه ونحن لا نتعرض بشيء . »

فلما وصل كتاب النجراني الى عرعر وعرف مضمونه ، اغتم لانه كان يحسب انه معه ولان النجراني وان كان عسكره قليلاً قدر ألف ومائتي رجل لكنه كثير الحماية والقوة والشجاعة . وقبيلة (يام) معروفة ، قيل من عاداتهم في الحرب انهم اذا حملوا لا ينكصون ولو قتلوا عند آخرهم،ومن عاداتهم في الحرب ولو قتل كبيرهم فلا يختلون، ويقيمون أدنى شخص مقامه، ثم ان عرعر كتب كتاباً آخر الى النجراني يرغبه في الموافقة على حرب محمد بن سعود وذكر له أيضاً أنك إن وافقتني على قلعه من هذه الارض لك كل عام مائة ألف ذهب تصلك الى نجران ، فرد جوابـــه النجراني قائلاً لا يكون ذلك، كيف والشيمة هي حسن الوفــــاء بالقول، نعم ان انت ادركت منه مرادك الآن فبها،واذا أحدث علينا شيئاً ، فأنا بمجرد سماعه آتيه لا يردني شيء عنه ، اما قتله أو الموت .

ولما آيس عرعر من اتفاق النجراني معه حاصر الدرعية شهراً ولم يدرك شيئاً مما أراد فرجع الى الأحساء ...

وفـــاة

محمد بن سعود

في آخر ربيع الأول من عام ١١٧٩ هـ . – ١٧٦٥ م . توفي محمد بن سعود ، ويلقبه ابن غنام بالأمير ، ويعطيه ابن بشر لقب الإمام ، وأكبر الظن أنه لم يحمل في حياته هذا اللقب ، وإنما هو لقب أطلق عليه بعد وفـــاته ، وإن تكن كلمة « الإمامة » هي التعبير الشرعي الصحيح لرئاسة المسلمين ، الدينية والزمنية .

أولاده

خلف محمد بن سعود ولدين ذكرين ، همـــا : عبد العزيز وعبد الله وقد تولى عبد العزيز الإمامة (أو الأمارة) بعده .

وأما عبدالله، فلم يتول الإمارة، ولكن ابنه (تركي) أعاد الدولة بعد انهيارها ، وملك وتولى الملك أبناؤه من بعده ، وما يزال فيهم .

وكان لمحمد بن سعود ولدان آخران ، وهما : فيصل وسعود ، وقد استشهدا في حياته .

ويزعم فيلبي إنه كان لمحمد بن سعود ولد خـــامس ، يدعى (علي) ، وقد ورّطه في هذا الخطأ كلام ابن غنام المسجع ... ولو رجع إلى ابن بشر لأدرك أن (عليـــا) هذا ابن الأمير محمد ، الذي قتل عـام ١١٨٦ هـ . هو ابن محمد ، أمير ضرمى ...

هل زاحمه أخوه ؟

ويزعم فؤاد حمزة وغيره إن الإمامة لم تتم لمحمد بن سعود إلا بعد وفاة أخيه ثنيان عام ١١٦٠ هـ . ، وهذا القول غير صحيح ، ويزيد في بطلانه أن ثنيان ، كما يذكر ذلك ابن بشر ، توفي عام ١١٨٦ هـ .

توسع الدولة في زمانه

يمكننا القول إن محمد بن سعود قد شهد قبل موته نشوء أول دولة إسلامية عربية مستقلة ، في الدرعية .

وكانت هذه الدولة في ازدياد ، وكان خصومها في تناقص وتراجع ...

وفي عهده ، وتحت زعامته وزعامة محمد بن عبد الوهاب ، تمّ توحيد أكثر بلاد العارض ، وشقت دولة الدعوة طريقها إلى الوشم ، حيث انضمت اليها الشقراء ثم الفرعة وبقيت ثرمداء ممتنعة ولكن الغزوات أضعفتها وامتدت الدولة إلى سدير ، والمحمل ، وشعيب ، وترنّحت (الرياض) تحت ضربات الموحدين ، وطلبت السلم ومشت تحت راية ابن سعود في بعض غزواته — وإن عادت إلى التمرد بعد وفاته .

وهكذا ترك محمد بن سعود لأولاده إرثاً تجاوز كثيراً إرث آبائه ، ترك لهم دولة ترفرف راياتها على أكثر من بلد من بلدان نجد ، وينتشر دعاتها وأنصارها في مختلف المدن والقرى والبوادي النجدية .

وكان يهيمن على الناس هذا الشعور الذي يمهد الطريق للفتح : شعور النصر للدولة الجديدة والرعب لخصومها ...

الباب الخامس

سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ان الله تعالى يبعث لهذه الامة في كل قرن من يجدد لها أمر دينها ، ويدعو الى واضح السبيل ومستبينها ، كي لا تبطل حجج الله وبيناته ..

فكل عصر يمتاز فيه عالم بذلك ، يدعو الى تلك المناهج والمسالك وليس من شرطه ان يقبل منه ويستجاب ، ولا ان يكون معصوماً في كل ما يقول ، فان هذا لم يثبت لاحد دون الرسول .

ولهـذا المجدد علامة ، يعرفها المتوسمون ، وينكرها المبطلون ، اوضحها واجلاها : محبة الرعيل الاول من هذه الامة والعلم بمـا كانوا عليه من اصول الدين .. وأسها الاكبر الجليل : معرفة الله ..

وقد اختصكم الله تعالى . من نعمة الايمان والتوحيد بخالصة ، ومن عليكم بمنة عظيمة صالحة من بين سائر الامم واصناف الناس في هذه الازمان ، فأتاح لكم من احبار الامة وعلمائها :

حبراً جليلا ، وعلماً نبيلا ، فقيهاً عارفاً بما كان عليه الصدر الاول ، خبيراً بما انحل من عري الاسلام وتحول ، فتجرد الى الدعوة الى الله ورد الناس الى ما كان عليه السلف .. وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم والاعتقاد في الأحجار والاشجار والعيون والمغار ..

« من رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن
آل الشيخ ، الى الامام فيصل »

الفصل الأول

ولادة الشيخ وأسرته ونسبه وتعليمه

رؤيا سليمان

لا تخلو سير العظماء ، أو سير أكثرهم ، من أسطورة أو رؤيا ... يجعلونها بين يدي ولادتهم ، أو في أول طفولتهم ، كأنها تبشير أو إرهاص ... بما سيكون لهم من شأن !

وأنت تجد في الكتب الغربية ، التي تبحث في تاريخ نجد والحركة الوهابية ، قصة رؤيا رآها الشيخ سليمان بن علي آل مشرف تبشر بمجيء ولد من صلبه ، يغير معتقدات أهل نجد !

وقد بدا لنا أن نتتبع هذه القصة في مصادرها الأولى ، فثبت لنا أن أول من نشرها في الغرب ، هو المؤرخ الفرنسي « كورانسيز » ، ولعله قرأها في تقرير أرسله « جان ريمون » عام ١٨٠٦ م . من بغداد إلى الامبراطور نابليون .

قال كورانسيز :

« هناك قصة منتشرة بين النجديين ، وهي أن الشيخ سليمان بن علي ، رأى فيما يرى النائم أن شعلة خرجت من بدنه وانتشرت في الصحراء فأحرقت خيامها ، ومضت إلى المدن فدمّرت دورها .

وقد سأل سليمان بعض العارفين أن يفسروا له رؤياه ، فقالوا له : سيولد لك ولد ، يكون له في الدنيا شأن عظيم ومقـــام كريم ، يبطل معتقدات أهل نجد وعاداتهم ، ويدعو إلى الدين الحق .

... وتحقق هذا الحلم ، في حفيده محمد بن عبد الوهاب ! »

كان لقصة هذا الحلم دوي كبير ، وتنـــاقلها كثير من المؤرخين والرحالة الأوربيين في صيغ مختلفة ، ويزعم « ملت بورن » أن أهل نجد ما صدقوا الشيخ محمد وتابعوه إلا بسبب هذا الحلم !

أما الكاتب الفرنسي دونارسيا – وهو من أوائل الفرنسيين الذين كتبوا عن الوهابية – فيقول :

« إن أحداً لا يصدق أن هذا الحلم ... هو الذي حمل الشيخ على الدعوة إلى التوحيد ، أو كان ذا أثر في إقبال الناس على دعوته .

وأكبر الظن أن هذه القصة إنما وضعت بعد انتصار الشيخ ، وكانت « محاولة ساذجة » ، لتفسير نجاحه العظيم . »

وفي اعتقادنا أن هذه القصة ، وإن تكن موضوعة ، جديرة بأن يشار اليها ، لكثرة المؤرخين الغربيين الذين تناقلوها ، ولأنها ... سمعت قديماً في مجالس بغداد!

وهي ، بعد ذلك ، حلم ... لا يترتب عليه حكم !

ولادة محمد بن عبد الوهاب

كانت (العيينة) أجمل بلدان نجد وأغناها ، وكان عدد سكانها خمسة وعشرين ألفاً .

وكان في العيينة بيتان رفيعان : بيت الإمـــارة ، أسرة آل معمر ، وبيت الزعامة الدينية والعلم : أسرة آل مشرف .

وآل مشرف من بيت الرئاسة في بني تميم ، فنسبهم عريق ، ومجـــدهم قديم ، ولهم في الجاهلية وأول الإسلام مفاخر لا تحصى ؛ ولكنهم جمعوا إلى النسب ، فضيلة العلم والدين والصلاح ، ففيهم العلماء الفقهاء ، ومنهم المفتون والقضاة ، كان

العلم يجري في دمائهم ، فهم يتوارثونه كابراً عن كابر ، وقد عرف التاريخ ، في الشرق والغرب ، أسراً ، كأسرة آل مشرف ، كان ينبغ فيها الأطباء أو القضاة أو الشعراء ، جيلاً بعد جيل ، والله سبحانه يختص بنعمته وبركته من يشاء !

وفي عام ١١١٥ هـ . بُشّر الفقيه العالم ، الشيخ عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف بولادة ابن له ، فسمّاه (محمداً) ، تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يرجو أن يصبح ابنه ، متى كبر ، عالماً وقاضياً مثله ... ولكن القدر أعدّه لمقام أعظم من ذلك كثيراً ! [١]

---

١ – يقول زيني بن دحلان ان ولادة الشيخ كانت عام ١١١١ هـ . وتقول لادي بلنت انه ولد عام ١١٠٣ هـ . ولكننا اخترنا سنة ١١١٥ هـ . اتباعاً لمؤرخ الشيخ (ابن غنام) ، فهو أعلم منهما بذلك .

ويذكر ابن بشر ان السلطان العثماني (مصطفى) خلع في نفس السنة التي ولد فيها محمد بن عبد الوهاب ، وتولى مكانه اخوه السلطان (احمد الثالث) .

والحق ان تلك السنة كانت نعمة على تركيا ونجد . أما نجد فسوف ينقلها وليد هذا العام من الظلمات الى النور . وأما تركيا فقد تخلصت من سلطان مدمن للخمر ، منحل في الرذيلة ، وتولاها سلطان محب للعلم والأدب ، أنشأ أول مطبعة في مدينة استانبول ، واستطاع قهر الروس الذين طمعوا في اغتصاب جزء من ممتلكاته !

والد الشيخ :
عبد الوهاب بن سليمان

كان عبد الوهاب عالماً فقيهاً ، وإن لم يبلغ درجة أبيه سليمان ، ويقول الفقي إنه كان « مثالاً للعدل والفضل ، وألّف عدة رسائل في الفقه والتفسير ، وكان مشهوراً عند الناس بالتواضع وسهولة الأخلاق ، وكرم الطباع ولين العريكة ، وكان يقرأ لطلاب العلم في مسجد العيينة دروساً في الفقه والتفسير والحديث . »

وفي عام ١١٣٨ هـ . وقع في العيينة الوباء المشهور الذي أفنى غالب أهلها ، ومات فيه أميرها الذي لم يكن أحد يضاهيه في نجد — في الرياسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث — وتولى بعده حفيده الملقب بخرفاش ، فوقع اختلاف بينه وبين عبد الوهاب ، فعزله عن القضاء ، فانتقل عبد الوهاب ، عام ١١٣٩ هـ . ، إلى حريملا ، وتولى قضاءها ، وبقي مقيماً فيها حتى وفاته ، عام ١١٥٣ هـ .

وخلال ذلك ، عاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من رحلته الطويلة إلى نجد ، فأقام عند أبيه في حريملا ، وكان يدعو إلى التوحيد وينكر ما تفعله العامة من الشرك والبدع ، قال ابن بشر : « وكثر منه الانكار لذلك ولجميع المحظورات ، حتى وقع بينه وبين أبيه كلام وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد . »

ويزعم المؤرخ الفرنسي « ميشو » ان عبد الوهاب كان يتعاطى أو يترخص في نوع من الربا ، وأن ذلك كان سبب عزله من القضاء ، ثم كان سر الخلاف

بينه وبين ابنه ، وهذه التهمة ، فيما نعتقد ، محض افتراء ، فالخلاف الذي قـام بين الشيخ وأبيه ليس أكثر من مظهر من مظـــاهر حب الأب الشديد لولده وخوفه عليه من انتقـــام الأمراء وعداوة الرؤساء ، فكان يأمره بالاعتدال والقصـد ، وأخلاق عبد الوهاب كانت فوق مستوى الشبهات ، يشهد له بذلك رجال عرفوا بخصومتهم للحركة الوهابية ، كابن دحلان ، الذي وصف عبد الوهـــاب بأنه « من العلماء الصالحين»، وربما مدح الأب، لينال من الابن، والله أعلم.

ويقول جان ريمون ، في تقريره إلى الامبراطور نابوليون : « كان عبد الوهاب يعتنق نفس الأفكار التي يدعو اليهـا ابنه ، ولكنه كان كثير الخـوف على نفسه وولده، فما كان يحب أن يعرف عنه ذلك . »[1]

---

١ – يقول فيلبي : (لقد قيل ان الوالد عمد كثيراً من المرات الى حد جوح ذلك الشاب الذي كانت حماسته للعمل في سبيل الله ... في مجتمع غير مستعد لقبول فكرة ترك الحياة السهلة.
كانت مراعاة احكام الاسلام صفة لجميـع اولئك الذين يحترمون انفسهم في نجد ... الا انهم كانوا يشفقون على الجهلة ... ويترخصون في تطبيق الشعائر الاسلامية .)

جده : سليمان بن علي

كان جده ، سليمان بن علي ، قاضي العيينة في زمن عبدالله بن معمر ، [1] وكان أعلم رجال نجد وأفقههم ، بـــل كان مرجعهم في الفقه الحنبلي ، يأتي إليه الناس من الأماكن البعيدة لأخـــذ العلم عنه ، ويكاتبونه ليظفروا منه بالفتاوى الرشيدة والأجوبة السديدة ، على مسائل استعصى على العلماء الآخرين حلّها !

ويقول « الفقي » إن الشيخ سليمان اشتهر ، فوق علمه وخلقه ، بكثرة البذل « وإكرام الفقراء من طلبة العلم وغـــيرهم من الوافدين إليه ، وكانت تطمح إليه أنظار طلاب العلم والفقه الحنبلي ، وتتلمذ له أكثر علمـــاء نجد في علمي التفسير والحديث ، وكان لشدة شغفه بنشر العلم وتعليمه ، يؤوي طـــلاب العلم وفقراء التلاميذ في داره وينفق عليهم من خالص ماله ، وكان ذا هيبـــة ونفوذ لدى الولاة والأمراء في مختلف جهات نجد ، فكان ملاذاً وملجأ لكل المظلومين » .

ويقول ابن بشر إن الشيخ سليمان ، المتوفى عام « ١٠٧٩ » هـ ، كان « فقيه زمانه ، متبحراً في علوم المذهب ، وانتهت إليه الرياسة في العلم » ، « .. وأخذ عنه جماعة ، منهم ابنه عبد الوهاب .. »

« .. رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة وصنف كتاباً في « المناسك » . وذكر لي أنه شرح « الإقناع » ، فلما علم أن منصوراً البهوتي ، شرحه ، أتلف

---

١ - ذكر ابن بشر لسابقته في عام « ١٠٧٢ » أن أمير العيينة عبد الله بن معمر سار في عسكره الى قرية البير ومعه القاضي سليمان بن علي .

سليمان شرحه » !

ويستدل « فيلبي » ، بهذه الحادثة ، على أن سليمان كان ذا شخصية فذة !

وعندنا ، أن هذا العمل إنما يدل على عظمة الشيخ البهوتي وجلالة قدره في نفس سليمان ، فقد كان الشيخ البهوتي أكبر علمـــاء الحنابلة في زمانه ، وينقل ابن بشر نفسه عـن بعض المشايخ القدامى أنهم كانوا يقولون : « كل مـــا وضعه متأخرو الحنابلة من الحواشي على أولئك المتون – يعنون الإقنـــاع والمنتهى – ليس عليه معول ، إلا ما وضعه الشيخ منصور ، لأنه هو المحقق لذلك ، إلا حاشية البهوتي ، لأن فيها فوائد جليلة » .

نسب الشيخ

آل مشرف

كانت أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعرف ، في زمانه ، باسم « آل مشرف » .

وبين الشيخ ، ، وبين مشرف ، رأس الأسرة ، تسعة آباء ، فهو :

« محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن بريد بن مشرف .» [1]

الوهبة

وقبل مشرف ، كانت الأسرة تعرف باسم « الوَهَبة » نسبة إلى وهيب . ومنها : (آل ثاني) ، أمراء قطر . [2]

وقد ساق لنا ابن بشر أسماء آباء « مشرف » ، حتى « وهيب » ، على النحو التالي :

« مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب »

---

١ – واسقط (ابن بشر) من السلسلة اسمي (بريد بن محمد) وتابعه في ذلك عدد من المؤلفين .

٢ – عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية .

زيد مناة

وينتمي الوهبة إلى زيد مناة بن تميم .
وتورد لنا كتب الأنساب أسماء آباء وهيب حتى زيد مناة ، على النحو الآتي :
« وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد ابن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي مسعود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم »[1] .

التقاؤه بنسب النبي محمد (ص)

يذكر النسابون أن تميم هو : « تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان » .
وسواء أكانت هذه السلسلة كاملة الحلقات ، أم لم تكن كاملة ، فإن النسابين مجمعون على أن تميم من ذرية « الياس بن مضر » ، وبذلك يلتقي الشيخ محمد بالنبي محمد (ص) . في جدهما الأعلى المشترك : « الياس بن مضر » .

بنو تميم

إذا خرجنا من دائرة الأسر والبطون ، وجدنا الشيخ ينتمي إلى قبيلة (بني تميم) أو (تميم) اختصاراً ، وهي من أقوى قبائل مضر ، العدنانية ، وأكثرها عدداً ، وأشهرها في التاريخ .
يقول الفرزدق :
(ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا)

---

١ - انظر كتاب « الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب » للمغيري ، وقد اخطأ مؤلف الكتاب بزعمه ان زيد هو ابن مناة ، وانما هو شخص واحد : فقد جاء في كتاب « الاصنام » لابن الكلبي : « تميم بن مر ، سمي ابنه: « زيد مناة » . » ، كما يقال « تيم اللات » مثلاً . وهذا شيء معروف !

وهناك البيت المشهور :

(إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا !) .

هكذا كانت تميم في مرحلة البداوة ، تسير فيسير الناس خلفها ، وتغضب فتغضب الدنيا كلها !

ثم تكاثرت تميم ، وتحضرت ، وتفرقت بين الأسر ، وتوزعت بين البلدان ، ولم تَعُدْ لها « نخوة » عامة يلتقي عليها أفرادها في الحروب والنوازل .[1]

صفات بني تميم

يقول « بركارت » في كتابه « مواد لتاريخ الوهابيين » :

« كان عبد الوهاب من بني تميم ، وكلهم ، تقريباً ، زراع ... وأهم مساكنهم ، في نجد : الحوطة ، على بعد أميال كثيرة على الأقدام من الدرعية .

وتوجد جالية ثانية من تميم ، هاجرت من الحوطة إلى قفار في جبل شمر ، خوفاً من الثأر والدم .

وهناك جالية ثالثة ، نزلت في حمى والي بغداد ، في القرى القائمة بين (الحلة) و (مشهد علي) .

وقد اشتهر رجال بني تميم بطول قاماتهم ، وضخامة هاماتهم ، ولحام الكثة ، وبذلك يتميزون من سائر البدو ..

---

١ – يقول عمر رضا كحالة في كتابه : « معجم القبائل العربية » : « تميم .. قبيلة اصبح افرادها من حاضرة نجد ، وجبل شمر والدساكر النجدية تحوي عناصر من تميم، ونظراً لتحضرها فقد انعدمت من بينها الميزات التي تميز الأفخاذ والعشائر ولم يعد بالامكان تفريقها الى فرق . غير انه يمكن القول ان الموجود في نجد من تميم يمكن حصره في ثلاثة بطون وهي :

١ – بطن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم « ومنهم الوهبة، بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل ثاني امراء قطر » .

٢ - بطن سعد بن زيد .

٣ – بطن عمرو بن تميم .

وهم قوم مدنيون ، أعني يقيمون في المدن ويشتغلون في الزراعة والتجارة ، وقد اشتهرت أسر منهم بالعلم والفضل ، وفي مقدمتها أسرة آل مشرف ، التي ينتمي اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أما مذهبهم فمذهب الإمام أحمد بن حنبل ».

الشيخ والعصبية القبلية

يقول والي الشام ، في تقرير عن الحركة الوهابية رفعه الى السلطان العثماني :

« ليس الشيخ محمد بن عبد الوهاب رئيس قبيلة ، ولا صاحب عصبية قوية يحسب لها حساب . »

وهذا كلام حق . فالشيخ لم يكن رئيس عشيرة ، ولا صاحب عصبية ، وقد أكرمه الله بأن جعله زعيم أمة وإمام دعوة ، يهتدي بها الناس جيلاً بعد جيل ، فما كان له أن يوقظ في بني تميم حمية الجاهلية ودعاءها .

على أن الشيخ سواء أكان رئيس عشيرة أم لم يكن،فقد كان من بيت الزعامة، نسباً وحسباً .

فإن كان بنو تميم لا يلبون نداءه ولا يرفعون لواءه ، لانعدام « النخوة » الواحدة بينهم ، فإن شرف محتده ، ومقام أسرته الرفيع ، يجعلان له في النفوس موضعاً كريماً !

---

١ - اورد كتاب « لمع الشهاب » ، شجرة نسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ليس فيها صحيح ، الا اولها وهو ان الشيخ هو ابن عبد الوهاب .. وآخرها وهو ان جده الاعلى : زيد مناة ابن تميم، واما بقية الاسماء فما ندري كيف جمعها او جمعوها له . ونحن نثبت هنا هذه الشجرة الموضوعة ، لمجرد الاطلاع عليها ، والحذر منها ، قال !

« حدثنا عبد الله بن غنام الاحسائي اخبرنا محمد بن ماجد نبأ محمد بن ماضي النجدي والكل ثقة ان محمد بن عبد الوهاب هو من بني سنان قبيلة من تميم ، فهو محمد بن عبد الوهاب بن « محمد » ابن علي بن سعد بن سلمة بن فلاح بن عبد الواحد بن حميد بن سالم بن سنان بن عبد الله بن حجلان بن عمر بن وهب بن نافع بن شبيب بن زيدان بن عامر بن مالك بن عدى بن سرداح ابن كعب بن زيد بن عبد الله بن حمد بن معاوية بن قيس بن ربيعة بن ضعضعة بن عامر بن بكر ابن هوازن بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم .

هذا ما صح لنا من نسبه والله أعلم » !

نشأة الشيخ وتعليمه ومواهبه

نشأ الشيخ في بيت علم وقضاء وزعامة دينية ، فليس يستغرب منه أن يكون فقيهاً عالماً ، بل المستغرب أن يكون غير ذلك !

فإن كان الشيخ لم يدرك جده علامة نجد، سليمان بن علي،لأنه مات قبل ولادته بمدة غير يسيرة ، فقد كان جو نجد عابقاً بعطره ، ندياً بذكره !

وحيثما أدار طفلنا النابه نظره – بين أقربائه من بيوت آل مشرف – لا يقع إلا على قاض أو فقيه أو طالب عالم : فأبوه « عبد الوهاب » قاضي العيينة وعالمها ، وعمه « ابراهيم » عالم فقيه ، وابن عمه « عبد الرحمن ابراهيم» عالم فقيه، وأخوه « سليمان » مقبل على العلم ، وكل هؤلاء مشهود لهم بالخلق والذكاء ، وهناك عشرات غيرهم !

لم يترك « محمد » داره ، ليذهب الى المدرسة .. كما يفعل أطفال اليوم ، فقد كانت داره نفسها هي المدرسة ، وكان أبوه نفسه هو المعلم .. وهكذا ولد «محمد» في حجرة الدرس،ولما فطمته أمه عن دَرّها،تولى أبوه تغذيته بالعلم وتعهده بالفضيلة.

يصف لنا « ابن غنام » طفولة الشيخ وصفاً جميلاً ، فيقول :

« ولد ، رحمه الله تعالى ، سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلدة العيينة من البلدان النجدية ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وجلا بـــه عن طرف الدهر وسنا .

وبقي ، بعد سن الطفولة زمناً يتعلم .. القرآن ، معتزلاً ، في غالب الأوقات

لعب الصبيان ، ولهو الجهال والغلمان ، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر .

وكان حادّ الفهم سريعاً ، وقاد الذهن ذكياً ، سريع الحفظ ، فصيح اللفظ ، ألمعي الفطنة .. »

.. و « كان عبد الوهاب ، أبوه ، يتعجب من فهمه وإدراكه ، قبل بلوغه .. ويقول :

« استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام » !

.. وكتب إلى بعض إخوانه رسالة نوّه فيها بشأنه ، يثني فيها عليه وأن له فهماً جيداً ، وقال : لو يلازم الدرس سنة على الولاية ، لظهر في الحفظ والاتقان آية .. »

وهذه الجملة الأخيرة ، قد يفهم منها أن الشيخ محمد لم يكن يلازم الدرس ملازمة موصولة مستمرة ، ولعله لم يكن راغباً في حفظ الكتب عن ظهر قلب كما حفظ القرآن مع أنه ، ولو اتصل حفظه سنة كاملة ، لحفظ من كتبهم شيئاً عظيماً .. وتلك كانت — فيما يبدو — رغبة والده ، ولكنها لم تكن رغبة الولد !

ولما بلغ محمد بن عبد الوهاب السنة الثانية عشرة ، أدرك سن الاحتلام ، أو (البلوغ) الشرعي ، فاستبشر بذلك والده خيراً كثيراً ، ورآه صالحاً للصلاة بالجماعة ، بعد أن اجتمع له شرطا البلوغ والعلم ، فقدمه للامامة ، ثم زوّجه !

وسأل (محمد) أباه الحج ، فأذن له بذلك ووفر له أسبابه ، فحج ، وزار المدينة المنورة وأقام فيها شهرين ، ثم عاد إلى العيينة ، يتابع الدرس على أبيه .

لم يحدد لنا « ابن غنام » المدة التي قضاها الشيخ في العيينة مع أبيه ، بعد عودته من الحج ، وإنما اكتفى بالقول إنه « أخذ في القراءة على والده في الفقه ، على مذهب الإمام أحمد ، فسلك فيه الطريق الأحمد ، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة ، فكان يحير أصحابه بحيث أنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراساً ، من غير سآمة ولا نصب ... ثم بعد ذلك رحل في العلم ، وسار وجد في الطلب إلى ما يليه من الأمصار ... »

وخلاصة القول في طفولة الشيخ ، أنه كان طفلاً عبقرياً ، تفتحت مواهبه في سن مبكرة جداً، ونضج وبلغ مبلغ الرجال، قبل الأوان، فكان ذلك، لا الرؤيا المزعومة ، أكبر إشارة إلى ما سيكون له من شأن عظيم ومقام كريم .

الفصل الثّاني

رحلة الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب

كان محمد بن عبد الوهاب – كما رأينا – فتى نابغاً ، محباً للعلم ، وكان أبوه عارفاً بمواهبه ، معتزاً به ، فلا عجب إذا أذن له بالسفر الى البلدان العربية الأخرى لسماع الأحاديث والاستزادة من المعرفة ، وكان من عادة أهل نجد ، أن يرحل فتيانهم النابغون في طلب العلم الى الأمصار القريبة والبعيدة ، بل كان هذا شأن العلماء الأجلاء ، فضلاً عن المتعلمين المبتدئين .

« قيل للامام أحمد : رجل يطلب العلم ، يلزم رجلاً عنده علم كثير ، أو يرحل؟ فقال أحمد : يرحل.... يكتب عن علماء الأمصار !

وقال الدكتور أبو شبهة ، في كتابه « أعلام المحدثين » :

« لعل مما يتميز به أئمة العلم في الاسلام ، ولا سيما أئمة الحديث ، كثرة الارتحال وملازمة الأسفار ، وقد جروا في ذلك على سنن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فقد كان الواحد منهم يبلغه الحديث بطريق الثقات فلا يكتفي بهذا ، بل يرحل الأيام والليالي حتى يأخذ الحديث ممن رواه بلا واسطة !

وممن ارتحل في سبيل العلم والرواية الأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد

وغيرهم . وان منهم من لم يذق طعم الإقامة والاستقرار طيلة حياته » .

وقال الشيخ عبد اللطيف ، في كتابه : « مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام » : « .. قد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله .. وقد اجتمع بأشياخ « الحرمين » في وقتـه ومحدثيها ، واجازه بعضهم ، ورحـــل الى «البصرة» وسمع وناظر ، والى « الأحساء » ، وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء ، فسمع من أشياخها ، وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الإيمان وغيره ... فقد كان أهل العلم سلفاً وخلفاً يسمعون الأحاديث ويروونها ، ويحفظون السنن ويستنبطون منها الأحكام ، وهذا عندهم هو الغاية التي يرحل اليها المحدثون ، وينتهي اليها الطالبون ، وليس من عادتهم القراءة في كتب الرأي والفروع .. » .

والحق .. إن الإرتحـال في طلب العلم وسمـاع الحديث من عادة العلماء في كل مذهب ، ولكن الحنابلة كانوا أكثر طلباً للحديث ، لزهدهم في كتب الرأي !

رحلة الشيخ

متى بدأ الشيخ رحلته في طلب العلم ؟ ومتى انتهى منها ؟ وكم أقام في كل بلدة ؟ ومن هم أشياخه ؟ ومـــا هي الأمور الجليلة التي وقعت له في رحلته ؟

تلك هي الأسئلة – أو بعض الأسئلة – التي كان ينبغي لمؤلفي سيرة الشيخ أن يجيبوا عنها ، ولكنهم لم يفعلوا ، وما كتبه مؤرخا نجـد : « ابن غنام » و « ابن بشر » ، عن رحلة الشيخ ، إنما هو وصف مختصر ، لا غناء فيه !

لذلك بحث المستشرقون عن مصادر أخرى تعينهم على فهم هذا الجزء الخطـير ، الغني ، من حياة الشيخ ، الذي نسميه : رحلة الشيخ ، وهو ، في حقيقته : شباب الشيخ كله ، أو أكثره !

وكان المصدر الذي رجع أكثرهم اليه واعتمد عليه ، هو كتاب : « لمـــع الشهاب ، في سيرة محمد بن عبد الوهـــاب » ، وهو الكتاب المخطوط ، المحفوظ ، في مكتبة المتحف البريطاني بلندن .

سنبدأ بوصف رحلة الشيخ ، كما يرويها ابن غنام وابن بشر ، ثم نثبت رواية

«لمع الشهاب» ونتبع ذلك بنقد لرواية اللمع،نشير من خلاله إلى أقوال المستشرقين والمؤلفين المحدثين .

الرحلة في ابن غنام

يعدّ « أبن غنام » المؤرخ الأول، والأكبر ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد حفظ لنا في كتابه كثيراً من رسائل الشيخ وأجوبته على المسائل ، وأخبار الغزوات التي تمت في عهده ، ونحو هذا ..

أما رحلة الشيخ،فيختصرها لنا ابن غنام بقوله: إن الشيخ رحل إلى الأقطار.. فقصد الحجاز والبصرة مراراً ، وقصد الأحساء .. ثم عاد إلى نجد !

ومن الإنصاف أن نضيف إلى ذلك أن ابن غنام حدّثنا عن عالم نجدي — وهو الشيخ عبد الله بن ابراهيم — لقيه الشيخ في المدينة المنورة ، فأجازه من طريقين ، يعني:أجازه برواية حديثين من أحاديث الرسول(ص)،عرف الأول باسم «المسلسل بالأولية » وهو : « الراحمون يرحمهم الله . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ، والثاني عرف باسم « المسلسل بالحنابلة » وهو : « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله . قالوا : كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته » .

وحدثنا ابن غنام أيضاً عن إقامة الشيخ في البصرة ، فقال إنها كانت طويلة ، وانه قرأ بها النحو والكثير من اللغة والحديث ، ورفع فيها أعلام التوحيد ، ونهى عن ذكر شارات الطواغيت أو الصالحين الذين كانوا « يعبدونهم مع رب العالمين » في مجالسه،وبيّن للناس أن محبة الصالحين ليست في صرف الحقوق الربانية إلى قبورهم ولكنها في اتباع هديهم ، وان ناساً من مشركي البصرة كانوا يأتون إلى الشيخ بشبهات ، فيقول لهم الشيخ : « لا تصلح العبادة كلها إلا لله » ، فيبهتون !

الرحلة في ابن بشر

في المدينة

يقول ابن بشر إن الشيخ أقام في المدينة ، وطلب العـــلم على الفقيه النجدي الشيخ عبد الله بن ابراهيم ، من آل سيف ، رؤساء بلد « المجمعة » في سدير ، وعلى المحدث الفقيه الشيخ محمد حياة السندي .
ويروي لنا ابن بشر قصتين لطيفتين وقعتا للشيخ في المدينة مع هذين العالمين .

الأولى : مع عبد الله بن ابراهيم :

قال الشيخ :
(كنت عنده يوماً) فقال لي :
تريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة ؟
قلت : نعم !
فأدخلني منزلاً عنده ، فيه كتب كثيرة ، وقال :
هذا الذي أعددناه لها . » !
ما أبلغ هذه القصة ! إن سلاح العلم أفضل سلاح ، لأنه يحيي ولا يقتل !

الثانية : مع الشيخ محمد حياة :

قال ابن بشر :
« حكي أن الشيخ محمداً وقف يوماً عند الحجرة النبوية ، عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي (ص) .
فرآه محمد حياة ، فأتى إليه ، فقال الشيخ : ما تقول في هؤلاء ؟
قال : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » .
... فشبّه عمل العاكفين على الضريح الطاهر بعمل عبدة الأوثان .

في البصرة والاحساء

يقول ابن بشر إن الشيخ قرأ ، في البصرة ، عند عالم جليل ، اسمه : « محمد المجموعي » ، في مدرسة له، وكان المجموعي يستحسن ما يقوله له الشيخ في التوحيد ، فقرّره له ، وانتفع به ، وكان أولاد المجموعي أحسن أهـــل بلدهم صلاحاً ومعرفة بالتوحيد ، ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم .

ولكن رؤساء البصرة هالهم ما ينكره الشيخ من معتقداتهم وعاداتهم، فتجمعوا عليه وآذوه أذى شديداً وأخرجوه من البصرة ، في وقت الهجيرة ، « فلمـــا خرج الشيخ من البصرة ، وتوسط في الدرب فيما بينهم وبين بلد الزبير ، أدركه العطش وأشرف على الهلاك ، وكان ماشياً على رجليه ، وحده، فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له « أبو حميدان » ، من أهل الزبير ، فرأى عليه الهيبة والوقار وهو مشرف على الهلاك ، فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الى الزبير .

ثم إن الشيخ أراد أن يصل الشام ، فضاعت نفقته التي معه ، فانثنى عزمه عن المسير إليه ، لما أراد الله سبحانه ، الذي يعلم السر وأخفى ، أن يمضي أمره ويعلي كلمته ، ويجتمع أهل نجد بعد تفرقها على إمام واحد ، ويزيل عنها شعائر الكفر والبدع ، فخرج من تلك الديار وقصد الأحساء ، فلمـــا وصل اليه نزل على الشيخ عبد الله بن محمد عبد اللطيف الشافعي الأحسائي، ثم انه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملاء » .

روَاية "لمع الشهاب"[٧]
عَن رحلة الشيخ محمّد بن عَبد الوهّاب[٨]

قال مؤلف اللمع :

« أنبأنا من يوثق به، عن بعض المعاصرين للشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب، أنه طلب العلم وهو حدث ، وكان يبالغ في الطلب ، ذكي الفهم ، حريصاً على التعلم ، وكان يقرأ على يد رجل اسمه « الشيخ عبد الرحمن بن أحمد » ، من أهل بريدة ، هاجر من بلده إليها ولازم صحبته ست عشرة سنة حتى أدرك منه علوم الآلات من العربية كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع، وقرأ عليه الحديث النبوي، منه كتابا البخاري ومسلم ومسند أحمد بن حنبل ، ثم بعد ذلك اتبع الشيخ « حسان التميمي » في بلاد القصيم ، وتتلمذ على يده في علم الفقه والتفسير سبع سنين حتى صار ماهراً يرجع اليه في الفتوى ، فلما بلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة خرج من أرض نجد قاصداً البصرة .

في البصرة

فحين دخل البصرة أخفى أمره مما هو فيه من العلم وتلبس بلباس العبادلة ، وجلس في مسجد محلة المجموعة ، وقيل إن بعض التجار من أهل نجد صادفوه فعرفوه فأنكرهم لما سألوه عن حاله ومنزله ، وكانوا يتحدثون فيه في مجالس أهل البصرة ويقولون :

« ها هنا شيخ من نجد ، كذا وكذا علمه وشهرته ، فطن ، لبيب ، لقيناه بالأمس فعرفناه ، وأنكرنا ، فتحذروا من أن يحدث في بلدكم شيئاً ! » وإنما قالوا

ذلك عداوة له لأنه أخفى أمره عليهم فلم يستحسنوه ، فتجسس بعض الناس عنه فاطلعوا عليه وسألوه عن شأنه فلم يجبهم بشيء فرفعوا خبره إلى الحاكم وكان حينئذ « عمر آغا » ، متسلم البصرة ، فأرسل عقبه شروطاً « شرطة » ، فأتوه به وأخذ يتحدث معه ويبدي له محبة وإكراماً فرآه رجلاً فهيماً عاقلاً ذا فنون من العلم والأدب ، فنادمه أياماً وهيأ له سكناً ومؤنة ، ورغب كثير من أهل البصرة بصحبته وكان من جملتهم الشيخ « أنس » من كبار أعيان البصرة ، « فتحاسد » الخلق حينئذ من صحبته ، حتى قيل إنه من شدة الازدحام عليه ينصب له كرسي فيجلس والجماعة تحدق به ، فيحدث بالأحاديث الغريبة ويفسر بالتفاسير العجيبة ، وقد أقام على هذا أربع سنين ، فلما عزل عمر آغا عن البصرة وحكمها الجرجيس آغا ، عزل شهاب الدين الموصلي قاضي البصرة ، وجعل القاضي حسين « الإسلامبولي » مكانه ، وقد أنبيء القاضي حسين بخبر محمد بن عبد الوهاب وصيته ، فأرسل اليه : « إنني أريد زيارتك غداً » ! فقال : « حباً وكرامة ! » ، فحين أصبح الصباح ، ركب القاضي حسين مع تلاميذه وحشمه حتى أتوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلما سمع بوصولهم إلى الباب ، قام « فالتقى » القاضي وعانقه وأجلسه في أعلى المجلس ، فقال القاضي حسين :

« أيها الشيخ ، بلغني أنك تحدث الناس بأحاديث لم تعهد في كتب العلماء وتفسر القرآن بوجوه لم ينزلها رب السماء ، أتريد أن تحدث أمراً في الدين أم اشتبهت عليك طريقة المسلمين ؟ فإن لم تمتنع عن تلك الشبهات الواهية وإلا فيهدر دمك ويهتك حرمك » .

فتعذر هو من القاضي وحلف بالله ما قال شيئاً مما نقل إليه ، وأخذ يظهر الإخلاص ويلتمس ، ويبدي العجز والإنكسار ويقول : « رجل غريب طالب علم ، حل بأرضكم ، إن رفقتم به فمثلكم من يكرم الضيف ، وإن « أسأتموه » فلا ضرر ولا حيف » !

فلما سمع القاضي حسين منه هذه الكلمات أمنه ، وسار الى بيته .

فلم تمض ثلاثة أيام حتى أرسل « القاضي » إليه بأن « الصلاح في شأنك أيها الشيخ أن تنزل عندنا وتكون مدرساً بالعربية وغيرها من الشرعيات بحضرتنا ،

ولك على ذلك وظايف وافرة » ، فبادر ، مسرعاً ، الى إجابة القاضي ، فأقام عنده يدرس بعض المتردّدين إليه بالحكم الإلهي والشرعي ، وتضرع الى القاضي أن يعلمه شيئاً من علم الهيئة والهندسة ، لأن القاضي حسين كان مشتهراً بعلوم الرياضة ، لا سيا بهذين العلمين، فقرأ عليه شرح « أقليدس » ، شرح المأمون العباسي ، و كتابي المجسطي والجقميني في الهيئة، ولم يزل كذلك إلى أن مضى عامان،فخرج من البصرة مستخفياً، لم يعلم به أحد ، وسار الى بغداد ، فالتمس القاضي خبره، فلم يعثر عليه حتى جاء جمع من بغداد فنبأوه عن حاله وأنه بلغ بغداد ، فقال القاضي حسين : أعوذ بالله من شر هذا الرجل وما فيه من الرأي، كاد يهدم الشريعة ، لولا أن خاف على نفسه ، وستعلمون ما يكون منه بعد ذلك » .

الشيخ في بغداد

وأما هو – أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب – فقد دخل بغداد ونزل مدرسة الوزير واشتغل بدرس علم الكلام على يد الشيخ عبد الرحيم الكردي الشافعي ، وقرأ عليه كتاب « صحايف الأعمال » و « مقاصد التفتازاني » .

حكى لنا رجل بغدادي أن محمد بن عبد الوهاب أقام في بغداد في المدرسة المعروفة بمدرسة الوزير سنتين ، لم يخرج منها الى سوق أو « شوارق » قط ، ثم إنه طلع يوماً من المدرسة بعد السنتين فسلك طريقاً لا يدري أين تمضي ، حيث أنه لا يعرف أحداً من بغداد ، فرأى هنالك جماعة من الناس يتخاصمون في ميراث بينهم ولم يعرفوا قسمته، فقال لهم : « أنا أدفع النزاع، وأبيّن الأوزاع . » ، فقبلوه حكماً ، فسألهم : كم أنتم من الورثة ؟ قالوا : أربعة رجال وخمس نسوة . قال : المال ، كم هو؟ فقالوا : كذا و كذا، مثلاً .. نقسم بينهم حسب القسمة الشرعية ، وكان هذا النزاع بينهم منذ أيام عديدة ، لم يرتضوا في فصله حكم أحد .

وكان بتلك المحلة مسجد جامع كبير ، وعليه وقف كثير ، فأشار اليهم أن يقيم عندهم ، ويصلي بهم الجمعة وبقية الفروض اليومية ، فاتفقوا على ذلك وأسكنوه

منزلا وتزوج منهم امرأة ذات مال وجمال ، فلبث عندهم ثلاث سنين ، فقيل ورث منها ألفي دينار .

الشيخ في كردستان :

وفي العام السادس من وصوله بغداد سار منها الى كردستان حتى دخلها ولم أدرِ أي مدينة أم أي قرية حل فيها ، إذ الراوي لم يعين لي اسمها وأنا ملتزم في هذه الأوراق أن لا أقول إلا ما سمعته وحققته ، فاستقرى ديار الأكراد ، بلداً بلداً ، وقرية قرية ، سنة بتمامها .

الشيخ في همدان :

فخرج يريد ايران حتى بلغ همدان فأقام بها سنتين يَدْرُس ويُدَرِّس ، ومن عجيب حاله أنه كان يغير اسمه في كل بلد ، قيل سمى نفسه في البصرة بعبد الله وفي بغداد بأحمد وفي الكرد بمحمد وفي همدان بيوسف .

الشيخ في اصفهان :

وهكذا لم يزل يتخذ التورية والابهام ، فسار من همدان الى أصفهان . وسكن المدرسة العباسية التي بناها شاه عباس الصفوي وكان ذلك آخر عهد الصفوية وأول سلطنة نادر شاه ، وطلب هناك علم الحكمة المشائية على يد ميرزاجان الاصفهاني المحشي على شرح التجريد فقرأ عنده شرح ملا علي القوشجي على التجريـــد ثم قرأ شرح المواقف للسيد شريف الجرجاني ثم قرأ حكمة العين فلم تمضِ أربع سنين إلا وقد كمل في علم الحكمة المشائية وشرع يدرس فيها ، وهو مجهول الحال لا يعرف أهل أصفهان من أي الممالك والطوائف هو ، وكانوا يقولون ما رأينا عربياً يستكمل في علم الحكمة غير هذا الرجل ، ثم انه أقام بعد ذلك بأصفهان ثلاث سنين يطلب فيها علم الاشراقية ومسالك التصوف واني سمعت بعضاً من أهـــل البصرة يقول

حدثنا رجل أعجمي أصفهاني عن محمد بن عبد الوهاب أنه بعد أن تمرن بالحكمة الاشراقية وعلم التصوف جلس في الخلوة واعتزل عن الناس ستة أشهر ثم مرّ يوماً بسوق من أسواق أصفهان وعليـــه جبة خضراء ، ورأسه مكشوف . فاعترضه بعض من كان يعرفه قائلاً : لم صيّرت نفسك على هـذه الحال ؟ فأجاب : كنت أعرف نفسي قبل لا غير ، والآن عرفت ربي ، فأردت أن أميّز بين الحالتين ، فكشفت رأسي !..

فتبعه جماعة يقتفون أثره، الى أن دخل منزله واستقر،فاستأذنوا بالدخول،فأذن لهم ، فقالوا : أيها الاستاذ المرشد والمعلم المنجد ، أرشدنا الى ما أنت فيه، فاننا من هذه الساعة قبلناك ، وفي هذا الوقت عرفناك » .

وكانوا عشرة أنفار ، فبـــدأ يعلمهم التصوف وطريقه ، واستمر على الارشاد واستجذاب المريد سنة كاملة ، فهجس في نفسه بالحدس أنه إن عرف ببعض ما هو عليه يقتل ويصلب ، لأنه كان يقول لمريده : « ليس على الحق غيرنا » .

الشيخ في الري :

لكنه خرج من أصفهان ، قاصداً « الري » ، فمر بقرية من قراها وكان معـه بعض الدراهم ، فقصد بيت أحد منها ليشتري له متاعـاً حيث أن القرية لا سوق فيها فلما رآه صاحب البيت قال له ادخـــل فدخل ، قال بم أتيت ؟ قال أشتري متاعاً ، فقال صاحب البيت قم ها هنا حتى آتيـك بالمتاع ، فخرج صاحب البيت وسار الى كبير القرية شاكياً اليه ان هذا رجل عربي قد غصبني مالاً كذا وكذا في سنة حجي في أرض نجد والآن قدّر عليه فوقع في بلدتنا وهو الساعة عندي في بيتي جاء ليشتري متاعاً ، فقال رئيس القرية لخادمه احضره عندي فأحضره فقال له : هكذا فعلكم أيها العرب الأشرار ، تتعرضون من يقدم بلادكم وتغصبونـــه حقه وماله، والله لا تبرح حتى توفي كل ما أخذته من هذا الرجل ، خـذوه فغلوه .

فحين سمع محمد بن عبد الوهاب ذلك قال لرئيس القرية: أبلدتك هذه قصدها أحد قبلي أم هذا أول الأمر ؟

وانما قال له ذلك ليطول معه الكلام ، فيبين له الحال لعله يرق اليه ، ويعدل ..
فأجابه الرئيس: هذا كلام لا نسمعه ولا نجيب عنه،أما المال فلا بد من أدائه.
فاتوا بالخشب فشدّوه وضربوه .
ولما عرف محمد بن عبد الوهاب أنه لا يقبل منه سؤال ولا يسمع منه مقال ، وأنه ملزوم ومظلوم لا محالة، قال: سله كم ذا يطالبني به؟ قال: كذا وكذا، واذا هو مبلغ خطير .
قال الراوي: حاصل الأمر انهم أخذوا منه كل ما عنده من الدراهم والاسباب، غير الكتب ، حيث لا غرض لهم بها .

الشيخ في قم

فخرج من تلك القرية هو ومريده،وهو رجل بغدادي اسمه «علي القزاز»،فبلغ « قم » وبقي فيها شهراً كاملاً لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد، وكان محتاجاً قليل الحيلة قد باع من كتبه لمؤونته .

الشيخ في بلاد الترك

فخرج منها ناجياً نحو الروم،فاتفق مع ركب من الروم أهل أبي لباس فاصطحبوه معهم وكانوا يسيرون الفيافي وهو يحدثهم ببعض الأحاديث العربية ويفسرها لهم بلغتهم التركية، فأعجبهم صنيعه وفصاحته عربية وتركية، فلما بلغ معهم أبا لباس أكرموه وجمعوا له مالاً جزيلاً حيث متعوه وقاموا بجميع ما له من الواجب ، ومشى على طريقته من مذهب الفقيه المجتهد أحمد بن حنبل جمع كبير من أهل أبي لباس ، ولم يحدث هذا المذهب في أبي لباس قبل مجيئه ، بل كانوا على مذهب أبي حنيفة كما هو المشهور في بلاد الروم .

الشيخ في حلب ودمشق والقدس

ثم سار من أبي لباس الى حلب فأقام فيها ستة أشهر يدرس بالعربية فسئل عن

علم الحكمة ؟ قال : لا أدريها . . .

وهذا من عجائب شأنه يظهر الامر أحياناً ، وتارة يخفيه ، ثم ذهب من حلب يستتبع قرية قرية الى أن دخل دمشق الشام فلبث فيها سنة ، ولم يذكر لي ما جرى له فيها ، ثم مضى منها الى قدس الخليل ، فبقي هناك شهرين .

الشيخ في مصر

قال بعض من حدثنا عن خبر محمد بن عبد الوهاب قال خرج من زيارة « بيت المقدس » وعمد الى « مصر » فأقام فيها سنتين وأياماً قلائل وكان مسكنه الجامع الازهر في المدينة القاهرة وتعلم هناك الاسطرلاب وعلم الاعداد على يد الشيخ محمد الملقب بزين الدين ، المكنى بأبي عبدالله المغربي .

عودة الشيخ

ثم انه انحدر الى السويس وركب السفينة فأتى ينبع فنزل هناك ثم أتى المدينة المنورة فلبث فيها أياماً قليلة فصادف بذلك أيام الحج فحج بيت الله الحرام قيل انه اجتمع مع الشيخ عبد الغني الشافعي الذي كان حينئذ مفتي مكة شرفها الله تعالى فاعترف الشيخ عبد الغني بفضله وكماله وكان ذلك أيام دولة الشريف سرور ، فطلب منه الشريف سرور وأعيان مكة البقاء هناك فأبى ، فخرج من مكة يريد نجداً فلما وصل « بريدة » عرفوه فأكرموه غاية الاكرام واستخبروه عن حاله وسياحته هذه المدة ، فأخبر بالأمر كله .

وسار منها الى « العيينة » ، فهجم عليه جمع يقبلون يده ، فمنعهم ، وكانوا يقولون : مولانا وملاذنا ، على ما هو عادة الناس في عرفهم مع العلماء والأكابر ، فقال لهم : « لا أرى أحداً يستحق هذا اللقب إلا الله تعالى » . فأقام بالعيينة يوماً أو بعض يوم ، ثم سار الى العارض من نجد ، لأن هناك مولده وأصل مسكنه .

نقد رواية "اللمع"

أخذت عن «اللمع» : دائرة المعارف الإسلامية وطائفة كبيرة من المستشرقين، ثم نقل عن هؤلاء أحمد أمين والعقاد وغيرهما من الكتاب العرب .

لذلك لا نستطيع تجاهل اللمع، لعظم أثره وشيوع أخباره في الكتب الحديثة، ولعل الباحثين في تاريخ الشيخ إنما أقبلوا على كتاب اللمع ، لأنهم وجدوا فيه أجوبة لكثير من الأسئلة التي لا يجدون لها جواباً في ابن غنام ولا في ابن بشر !

ان صاحب اللمع ، لا يخفي عداوته لمحمد بن عبد الوهاب وحركته ، ولكنه يذكر كثيراً من الحقائق ، ويخلطها بشيء من الكذب .. وقد يصعب علينا تمييز الخبيث من الطيب ، ولكننا لا نستطيع طرح هذا الكتاب ، لمجرد احتوائه على بعض الأكاذيب والافتراءات ..

البلدان التي زارها الشيخ :

تتلخص « مراحل » رحلة الشيخ ، في رواية اللمع ، بما يأتي :

١ ـ البصرة ، وأقام فيها ست سنوات .

٢ ـ بغداد ، وأقام فيها خمس سنوات وتزوج فيها بامرأة غنية .

٣ ـ بلاد العجم والكرد وما اليها .. أقام في همدان سنتين ، وفي أصفهان ثلاث سنوات ودرس خلالها الحكمة المشائية والفلسفة الاشراقية ومسالك التصوف.

ثم انتقل الى « الري » فبلدة « قم » وأقام فيها مدة يسيرة .
٤ – بلاد الترك : أقام في بلدة « أبي لباس » التركية مدة ..
٥ – في حلب ودمشق والقدس : وأقام ستة أشهر في حلب وسنة في دمشق ، وشهرين في القدس .
٦ – في مصر : سافر الى مصر ، فأقام في الجامع الأزهر سنتين ..
٧ – ثم عاد بالبحر الى ينبع فالمدينة .. ثم حج .. ورجع الى بريدة، فالعيينة

مقارنة بين اللمع ومؤرخي نجد

رأينا ، قبلُ ، أن مؤرخي نجد ، ابن غنام وابن بشر ، يقصران رحلة الشيخ على « البصرة » ، ويذكران أنه زار « الأحساء » أيضاً ، كما زار المدينة ، بعد أدائه فريضة الحج ، وبمقارنة ما كتباه برواية اللمع ، يتضح لنا أن اللمع يضيف الى روايتها مدناً كثيرة لم يشيرا إليها اطلاقاً ، وهي :
بغداد، همدان، أصفهان، الرى، قم، أبو لياس، حلب، دمشق، القدس،مصر.
فما هو الصحيح ، وما هو الباطل من هذه الروايات ؟

هل زار الشيخ بغداد

أما بغداد ، فقد ترجح لدينا أن الشيخ زارها، لا برواية اللمع ، ولكننا وجدنا ذلك في مصدر عربي آخر ، وهو كتاب : « عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد » ، ألفه ابراهيم الحيدري ..
يذكر مؤلف الكتاب أن والده أخبره أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدم بغداد ، وأنه أخذ العلم فيها عن جده « أي جد والد المؤلف » العالم المشهور « صبغة الله الحيدري » ثم يضيف المؤلف الى ذلك أن جده « أسعد الحيدري » لما عاد من مكة ، على طريق الدرعية ، اجتمع به الشيخ واحترمه غاية الاحترام ، كما عزه الأمير سعود وأكرمه ، وجلس عندهما في الدرعية ثلاثة أشهر .
فاذا صدقنا كلام الحيدري لم تكن لنا مندوحة عن التسليم بأن الشيخ أقام في بغداد ، كما يقول صاحب اللمع .

وهنا يرد على الخاطر سؤال ، وهو :
هل اشتغل الشيخ ، خلال إقامته في العراق ، بشيء غير الدرس والتدريس ؟
يقول « هامستنغ » إن الشيخ تعاطى التجارة .
ولم نجد مصدراً آخر يذكر ذلك .
فان صح زواج الشيخ بامرأة غنية في بغداد ، فلا يستبعد أنه اتجر بمالها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال السيدة خديجة ،ولكننا لا نملك من المراجع حتى الآن ما يساعدنا على تأييد هذا الرأي تأييداً قاطعاً ، وقد نقل لنا مؤلف (اللمع) نفسه حديثاً يدل على زهد الشيخ بالتجارة ! ...

هل سافر الشيخ الى الشام ؟

كانت الشام مركزاً من مراكز الفقه الحنبلي المعدودة في العالم الاسلامي ، وهي وإن كانت أقل من القاهرة سكاناً وعمراناً وعلماء ، وليس فيها مدرسة تسامي « الأزهر » ، لكنها كانت أقرب إلى نجد ، وكان فيها عدد من النجديين غير قليل ، قصدوها للاستيطان أو التجارة أو العلم .
وأمر آخر يحبب الشام الى قلب الشيخ هو أنها موطن ابن تيمية وابن القيم والحافظ الذهبي ، وابن كثير وابن قدامة وغيرهم من الأعلام الذين بدأ يقرأ لهم ويحبهم ويعجب بهم .
ويؤكد أكثر المؤلفين ، من غربيين وعرب ، ان الشيخ زار دمشق ، نسمي منهم : كورانسيز ، بريدجس ، ميشو ، المؤرخ التركي جودت باشا ، خير الدين الزركلي في « قاموس الأعلام » ، وهناك مؤلف افرنسي محدث يزعم ان الشيخ خرج من دمشق بفكرة عظيمة ، هي إعادة الخلافة الأموية وتحرير كل من الشام والعراق من سيطرة العثمانيين !
قد يقال ان رواية بعض المؤلفين لا يكترث لها ، لشبهة نقلهم ما كتبوه عن « اللمع » ، ولكن « كورانسيز » و « جودت باشا » لم يطلعا على اللمع ، ورجعا إلى مصادر أخرى .

ومما يلفت النظر أن أقوال ابن بشر التي يذكر فيها عدول الشيخ عن السفر الى دمشق تناقض أقوال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن !

يقول ابن بشر ان الشيخ أراد بعد خروجه من البصرة السفر الى دمشق ، ولكن ضياع نفقته حال بينه وبين ذلك ، فعاد الى نجد ماراً بالزبير فالأحساء . أما الشيخ عبد اللطيف فيقول : « ان الشيخ كان قد عزم وهو بمكة » ، أن يصل الشام مع الحاج ، فعاقه عائق فقدم المدينة وأقام بها ، ثم ان العليم الحكيم رده الى نجد !

والروايتان ، كما ترى ، غير متطابقتين ، فواحدة تقول انه قصد الشام من البصرة ، وواحدة تجعل هذا القصد من مكة .

نعم ، نستطيع التوفيق بين الروايتين بقولنا إن الشيخ عزم على السفر الى دمشق مرتين ، ولكن ذلك لا يحلّ لنا المسألة ، وهي : هل رجع الشيخ بعد ذلك ، أو بين ذلك ، الى دمشق ؟

لقد تكلم الشيخ في رسائله غير مرة عن دمشق أو الشام -كما يسمونها ، باسم الاقليم كله - وخصوصاً في معرض الرد على « المويس » والسخر منه ، لكثرة تبجحه بأنه تعلم في دمشق ، ومما قاله الشيخ في رسالته الى ابن سحيم :

« .. وهذا - أي المويس - صنف .. ما علمت ، وأرسله الى البلدان : اعرفوني ، اعرفوني تراى جاي من الشام ..

.. فيا عجباً من رجل يدعي العلم وجاء من الشام يحمل كتباً ، فلما تكلم اذا به لا يعرف الاسلام من الكفر ... لكنه هو آتٍ من الشام ، وهم يعبدون « ابن عربي » ، جاعلين على قبره صنما ، ولست أعني أهل الشام كلهم ، حاشا وكلا ، بل لا تزال طائفة على الحق » .

ان كلام الشيخ عن ابن عربي وأهل الشام لا يستدل منه على أنه كان في الشام ، فما أكثر ما يتكلم الانسان عن بلدان لم يرها ، وانما قرأ أوصافها وأخبارها في الكتب أو سمعها ممن شهدوها ، ولذلك لا نستطيع الاستدلال على زيارة الشيخ لدمشق ، بكلامه عنها ..

بزعم « بالغريف » ان الشيخ أقام في دمشق سنوات ، وان عقيدة التوحيد نشأت عنده أثناء ملازمته لعلماء الحنابلة هناك ، فقد أحب مثلهم بساطة الاسلام الأولى ، وكره النقشبندية و « الفسطائيين » و « الفقراء » - أعني المتصوفة - وصمم على محاربة البدع التي جاء بها هؤلاء وغيرهم !

أما ابن غنام فلا يذكر اسم دمشق بين البلدان التي زارها الشيخ، ولكن ذلك لا يقوم حجة كافية على عدم زيارته إياها ما دام هناك من يقول إنه زارها، لأن القاعدة أن قول من يعلم حجة على من لا يعلم ، يضاف الى ذلك أن ابن غنام يقول إن الشيخ رحل الى « كثير » من الأقطار ، فلا يعقل أن تقتصر رحلته على البصرة .. أما الأحساء فكانت مرحلة في طريقه الى نجد ، وأما مكة والمدينة ، فكان قصدهما للحج والزيارة ، وان اقي في المدينة أساتذة أجلاء .

وبعد .. سواء أزار الشيخ دمشق أم لم يزرها ، فان دمشق ، بعلمائها الأعلام، كابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم هي مدرسة الشيخ الحقيقية .

هل سافر الشيخ الى فارس ودرس فيها الفلسفة ؟

يقول أحمد أمين ، في كتابه « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » عن رحلة الشيخ في طلب العلم :

« سافر إلى المدينة ليتم تعلمه ، ثم طوف في كثير من بلاد العالم الاسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة ، وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان ، وسنتين في همدان ، ثم رحل إلى اصفهان ، ودرس هناك فلسفة الاشراق والتصوف ثم رحل الى « قم » ثم عاد الى بلده . »

لقد اشتهر أحمد أمين ، رحمه الله ، باعجابه بما يكتب المستشرقون ، وقد كتب ما كتبه عن رحلات الشيخ في صيغة الجزم ، من غير أن يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه ، لاعتقاده بأن أقوال المستشرقين حقائق تاريخية أو « وقائع » ، لا يرقى اليها الشك ، مع أنه انما ينقلها عن المستشرق « هوتسما » ، وهذا المستشرق نفسه

يقول بكل صراحة ان هذه الأقوال هي من رواية صاحب « اللمع » !

ويظهر أن الدكتور جمال الدين الشيال أخذ ، هو أيضاً ، أخبار رحلة الشيخ عن « هوتسما » ، أو عن أحمد أمين ، لأن عباراته هي نفس عبارات هذا الأخير .

أما صلاح العقاد ، فينكر أقوال اللمع ، فيما يتصل باقامة الشيخ في بلاد العجم ودرسه فيها الفلسفة والتصوف لسببين :

السبب الأول - جهل الشيخ التام باللغة الفارسية .

السبب الثاني - أننا لا نجد في كتابات الشيخ أثراً لهذه الدراسات المزعومة في الفلسفة والتصوف !

وهذا رأينا أيضاً !

أما القول بأن الشيخ كانت له « شخصية » ثانية ... اختفت تماماً ، كما يزعم صاحب اللمع ، فنوع من الهذيان ، تورط فيه صاحب اللمع وورط فيه غيره !

في الاحساء :

زار الشيخ الأحساء ، وأقام فيها ، ولا ندري كم مرة زارها .

فان رسالته الى الشيخ محمد بن عبدالله بن عبد اللطيف الاحسائي يعاتبه فيها على تظاهره عليه مع جماعة من خصومه ، تدلنا على أنه كان اجتمع به قبل عشر سنوات .

ونرجح ان هذه الرسالة كتبت من العيينة قبل عام « ١١٥٧ » ، وبذلك يكون هذا الاجتماع قد تمّ عام « ١١٤٧ » أو قريباً من ذلك ، وليس مستبعداً أن يكون الشيخ قد زار الهفوف « قاعدة الاحساء » مرتين ، أو ثلاثاً ، آخرها عند عودته إلى الحجاز ونجد .

هل كانت الأحساء المرحلة الأخيرة في طريق عودة الشيخ من البصرة إلى نجد؟

ذلك ما يقوله ابن بشر . أما الشيخ عبد اللطيف فيقول « في الرسالة الثامنة والستين » ان الشيخ سافر من البصرة إلى الأحساء ، فمكة ، فالمدينة ، ثم جاء حريملاء في نجد .

هل سافر الشيخ الى اليمن ؟

لم يشر اللمع إلى سفر الشيخ إلى اليمن ، ولكن المؤرخ الفرنسي « ميشو » يزعم ان الشيخ طلب العلم في صنعاء .

وهذا الكلام يبدو مستغرباً ، ولا نجد له ظلّاً في ابن غنام ولا في ابن بشر ، وما كنا لنقيم له وزناً ، لولا أننا وجدنا في كتاب « أثر الدعوة الوهابية » للفقي هذه الفقرة :

« انتقل الشيخ إلى الدرعية في خلال سنة ١١٥٨ ، وكان له من العمر آنذاك اثنتان وأربعون سنة ، قضاها كلها في طلب العلم والرحلات ما بين نجد والحجاز والبصرة واليمن » .

ومما يضعف رواية الفقي عندنا أنه لا يؤيدها بذكر المصادر .

سفر الشيخ الى مصر ...

أما ادعاء اللمع أن الشيخ سافر إلى مصر ودرس في الأزهر ، فخبر مختلق ولم يأخذ به أحد .

ضعف تواريخ ... اللمع

ومما يكشف كذب صاحب اللمع ويضعف قيمة رواياته : حساب التواريخ.. فقد زعم أن الشيخ خرج من نجد ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، وأعاده إلى نجد بعد عشرين سنة أو أكثر ، فكان عمره في زعمه سبعاً وخمسين سنة ، ونحن نعرف أن الشيخ ولد عام ١١١٥ فتكون سنة عودته إلى نجد ، في رواية اللمع ، سنة «١١٧٢»... أي بعد انقضاء خمس عشرة سنة على اقامته الثابتة في الدرعية ... وهذا ... وراء العقل .

شيوخ محمد بن عبد الوهاب

لم يذكر لنا ابن غنام من اسماء الشيوخ الذين قرأ عليهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الا :

١ ــ والده : عبد الوهاب بن سليمان .

٢ ــ الشيخ عبد الله بن ابراهيم .

ويضيف اليها ابن بشر :

٣ ــ الشيخ محمد حياة السندي ، في المدينة .

٤ ــ الشيخ محمد المجموعي ، في البصرة .

أما صاحب اللمع ، فيذكر لنا أن الشيخ درس في نجد على الشيخ « عبد الرحمن ابن أحمد » ، والشيخ « حسان التميمي » ، ودرس في البصرة على القاضي الشيخ حسين علوم الهيئة والهندسة ، ودرس في بغداد علم الكلام على الشيخ « عبد الرحيم الكردي » ، ودرس في أصفهان الحكمة المشائية على « ميرزاجان الأصفهاني » ، ودرس بمصر في الجامع الأزهر على أبي عبد الله المغربي ، واسمه محمد زين الدين .

وأكبر الظن ان كل هذه الأسماء لا أصل له ، والله أعلم .

اسماء جديرة بالبحث

وهناك مؤلفون أوردوا أسماء طائفة من أساتذة الشيخ في المدينة وغيرها ،

نراها جديرة بالعناية ، وقابلة للتصديق .

فقد ذكر ابن دحلان ان الشيخ قرأ في المدينة على الشيخ (سليمان الكردي) ، وان الشيخ سليمان هذا كتب الى محمد بن عبد الوهاب ، بعـــد عودته الى نجد ، ينصحه بعدم التسرع في تكفير الناس .

ويذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، في كتابه : « سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ان الشيخ درس على : اسماعيل العجلوني ، وعلي الداغستاني ، ومحمد العفالق ، وعبد الله العفالق .

ونعترف بأننا لم نبذل جهداً كافياً في استقصاء أسماء أساتذة الشيخ .

ونستطيع القول ان مدرسة الشيخ ، بعد القرآن والحديث ، هي كتب ابن تيمية وتلامذته . فالشيخ قرأ ، في الكتب ، وأكثر ما قرأ : على .. نفسه .

متى عرف الشيخ التوحيد وأظهره ؟

يرى بعضهم أن الشيخ عرف التوحيد وأظهره منذ طفولته أو أول شبابه ، وذلك قبل خروجه من نجد حاجاً ثم طالباً للعلم .

ومن القائلين بهذا الرأي الأستاذ عبد الغفور العطار ، فقد ذكر في كتابه : « سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ، ان الشيخ لم يستطع إظهار دعوته في العيينة بسبب ضعفه وقلة أنصاره ، فاكتفى « باعلانها أمام قرنائه العلماء .. غير ان بعضهم قاومه أشد مقاومة .. فنشأ العداء بين فريق من العيينة وبين الأسرة الوهابية ، حتى اضطر رئيسها .. الى الهجرة بأتباعها الى بلدة حريملاء في سنة ١١٣٩ .

.. ولكن محمداً كان شاباً .. لذا لم يبرح محمد « العيينة » وبقي فيها ينافح عن آرائه ويدعو الى مبادئه .. وبعيد مدة تبعه بعض الناس .. فزاد ذلك العلماء المغرضين والرؤساء غيظاً وحنقاً ، وأخذوا يقاومونه بالقوة ويركبونه بالسخرية .. فرأى بثاقب فكره أن يهدىء مراجل غضبهم بابتعاده عنهم .. » ، فرحل .. الى مكة حاجاً .

والحق ان العطار لا ينفرد بهذا الرأي ، وربما نجد لرأيه شيئاً من التأييد في ابن بشر نفسه الذي يزعم هو أيضاً ان الشيخ عرف التوحيد منذ صغره ، ولما تحقق «معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه ، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة ، صار ينكر هذه الأشياء ، واستحسن الناس ما يقول ، لكن لم ينهوا

عما فعل الجاهلون ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون ، فلما رأى انه لا يغني القول ، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول ، تجهز من بلد « العيينة » الى حج بيت الله الحرام » ..

اما ابن غنام ، مؤرخ الشيخ ، فلا يذكر شيئاً من ذلك كله ..

وفي اعتقادنا ان الشيخ لم يدع ، قبل خروجه من نجد ، الى التوحيد ، ولم يقع أي عداء بسببه ، خلال الفترة التي سبقت خروجه من نجد ، بين أهل العيينة وبين الأسرة الوهابية ، والشيخ لم يبق في العيينة بعد هجرة أبيه منها وإنما غادرها قبل أبيه ، مرتين : غادرها أولاً الى مكة حاجاً والى المدينة زائراً ، ثم عاد اليها، ثم غادرها مرة ثانية ، الى البصرة ، وكان ذلك قبل هجرة أبيه منها الى حريملاء ، لا بعده .

كل هذا ثابت ، نجده في ابن غنام وفي ابن بشر نفسه .

ان دعوة الشيخ الى التوحيد ، في نجد، انما بدأت بعد عودة الشيخ من رحلته.

ويقول لنا ابن غنام ان الشيخ دعا الى التوحيد في « البصرة » ، فقال : « ان الدعوة كلها لله ، يكفر من صرف شيئاً الى سواه.. وإذا ذكر أحد بمجلسه شارات الطواغيت أو الصالحين ... نهاه عن ذلك وزجره » .

ويقول صاحب « اللمع » ان الشيخ شوهد في بغداد ، كاشفاً رأسه ، على حال غريبة ، فلما سئل عن سبب ذلك ، أجاب : الآن عرفت ربي .

يعني بذلك صاحب اللمع ، كما يفهم من بقية كلامه ، ان الشيخ كشف له في ذلك الوقت عن حقيقة التوحيد .

ولكننا لا نستطيع الاطمئنان الى رواية اللمع ، المحشوة بالافتراءات .

وعندنا ان الكلمة الفصل في هذا الأمر ، هي للشيخ نفسه . قال الشيخ ، في رسالة الى أهل الرياض ومنفوحة :

« .. وأنا أخبركم عن نفسي ، والله الذي لا إله إلا هو ، لقد طلبت العلم واعتقد كل من عرفني أن لي معرفة ، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى « لا إله إلا الله » ، ولا دين الاسلام ، قبل هذا الخير الذي منّ الله به ، وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك ، فمن زعم من علماء « العارض » انه عرف معنى « لا إله

إلا الله » ، أو عرف معنى الاسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم عن مشايخه ان أحداً عرف ذلك ، فقد كذب وافترى ومدح نفسه بما ليس فيه » .

فهل بعد هذا النص قول لقائل ؟

لقد ردّ ابن سحيم على أقوال الشيخ ، بكتاب نسب فيه الى الشيخ أموراً مفتراة ، ثم تساءل : من أين جاء الشيخ هذا العلم ، ما دام مشايخه لا يعرفونه ، هل هبط عليه بوحي أم رآه في الرؤيا ؟

والردّ على ابن سحيم سهل ميسور ، فقد أشرق معنى التوحيد في نفس الشيخ بعد تأمله في آيات القرآن وتدبره أسرار الأحاديث وقراءته كتب ابن تيمية وتلامذته ، ومشاهدته باشمئزاز أدران البدع والشركيات ، فشرح الله صدره للتوحيد ..

ان لهجة الشيخ قد تبدو عنيفة ، وقد يرى فيها بعضهم علواً واستكباراً، ولكن الشيخ صادق في قوله ، ما أراد بما قاله إلا الدفاع عن نفسه أمام خصوم لؤماء ، كان ينبغي لهم أن يقوموا مثله بالدعوة الى الدين ، بعد ان استبان لهم وجه الحق ، فلم يفعلوا ، بل راحوا يجرحون ويفترون ويسبون ..

« أقلوا عليهم ، لا أبا لأبيكم   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا »

الفصل الثالث

عودة الشيخ الى نجد

متى عاد الشيخ الى نجد ؟

من الأمور المؤسفة أن ابن غنام وابن بشر لا يحددان لنا سنة عودة الشيخ من رحلته الطويلة الى وطنه نجد .

وقد جاء في الكتاب الذي أرسله قضاة مكة ومفاتيها وعلماؤها الى السلطان سليم ان مبدأ ظهور الشيخ كان في عام ١١٤٣ هـ.

ويعتبر المؤرخ التركي جودت باشا هذا العام (١١٤٣) عام عودة الشيخ الى نجد .

ويقول أحمد بن زيني دحلان ان مبدأ ظهور الشيخ كان في عام ١١٤٣ ومبدأ انتشار دعوته كان في عام ١١٥٠ .

ويذهب كل من عباس محمود العقاد وصلاح العقاد والدكتور الشيال الى ان عودة الشيخ الى نجد كانت حوالي عام ١١٥٠ ، لأنه غاب عن نجد نحو عشرين سنة ، وكان خروجه من نجد سنة ١١٣٠ تقريباً ، بعد قليل من زواجه وحجه .

ان عام ١١٤٣ الذي اعتبر مبدأ ظهور الشيخ لا يعني حتماً ظهوره في نجد ، فربما كان يعني إظهاره لدعوة التوحيد ، وذلك قد تم فعلاً في البصرة قبل عودته

الى نجد .

ونحن نميل الى حل وسط وهو ان تاريخ العودة يقع بين عام ١١٤٣ وعـــام ١١٥٠ . لأن الشيخ بقي في العيينة حتى عـام ١١٥٧ ، وهو يقول في رسالة من العيينة إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف إنه كان اجتمع به في الأحساء قبل ذلك بعشر سنوات ، أي في عام ١١٤٧ أو قبل ذلك .[١]

في حريملاء

عاد الشيخ من رحلته الطويلة في طلب العلم ، والتعليم ، والدعوة ، إلى وطنه، نجد ، ولكنه لم يعد إلى « العيينة » ، مسقط رأسه ومسرح طفولته ومدرستـــه الأولى ، وإنما عاد إلى « حريملاء » ، لأن أمير العيينة الجديد عزل أباه عبد الوهاب عن قضاء البلدة فهاجر منها بأسرته وانتقل إلى حريملاء وتولى القضاء فيها .

كان يتقاسم الحكم في حريملاء يومئذ أميران ، يقيم كل واحد منهما مع قبيلته في شطر من البلد ، وما ندري في أي شطر كان منزل عبد الوهاب ، ولكننا نعلم أنه تولى القضاء في حريملاء على كبر سنه، ولعله كان قاضياً لأحد الأميرين دون الآخر !

وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب أمام أبيه ، يقرر له عقيدة التوحيد ، ويعلمه من معانيها ما جهله .

ويقول « جان ربون » إن عبد الوهاب اقتنع بدعوة ابنه ، وقبلها ، ولكنه كان يعتنقها في الخفاء ، ولا يجهر بها إلا أمـــام قلة من الأصحاب ، يثق بروءتهم وكتمانهم للسر .

ويظهر أن عبد الوهاب ترك ابنه ، أول الأمر ، يقيم حلقات التدريس ، ويبين للناس ما هم عليه من البدع والخرافات ، ولكنه خشي عواقب ذلك ، ولعله كان يريد لابنه أن يخلفه في قضاء البلدة ، أو أن يكون قاضياً مثله في بـــلدة أخرى ،

---

١ - ورد في تاريخ ابن غنام المطبوع ان الشيخ رأى عبد الله الأحسائي قبل عشرين سنة ، ولكن النسخة الخطية المصححة ذكر فيها ان ذلك كان قبل عشر سنوات .

فنصح له بالاعتدال ، والكف عن الإنكار على الناس ، فلم يسع الشيخ مخالفة أبيه، وهو يرى ضعفه و كبر سنه ، فاعتدل ، بل اعتزل... ويقول «مانجان» إن الشيخ تزوج خلال هذه الفترة ، وبقي في شبه عزلة مدة سنتين ، حتى توفي عبد الوهاب سنة ١١٥٣ هـ.

الشيخ يعلن دعوته .. ثم يهجر حريملاء

قال ابن بشر :

« جلس الشيخ عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال و كثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام ، و كذلك وقع بينه وبين الناس في البلد ، فأقام على ذلك مدة سنتين حتى توفي أبوه عبد الوهاب في سنة ١١٥٣ .

ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وتبعه ناس من أهل البلد ومالوا معه واشتهروا بذلك .

وكان رؤساء أهل حريملاء قبيلتين ، أصلها قبيلة واحدة وهم رؤساؤها ، وكل منهم يدعي القول له ، وليس للأخرى على الثانية قول ولا للبلد رئيس يزع الجميع ، وكان في البلد عبيد لإحدى القبيلتين يقال لهم « الحميان » ، كثيرُ تعديهم وفسقهم ، فأراد الشيخ أن يُمنعوا عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهمّ العبيدُ أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سراً ، فلما تسوروا عليه الجدار علم بهم الناس فصاحوا بهم فهربوا فانتقل الشيخ بعدها الى العيينة . »

بين الشيخ وأبيه

لا يذكر « ابن غنام » شيئاً عن قصة الخلاف الذي قام بين الشيخ وبين أبيه عبد الوهاب ، هذا الخلاف الذي أشار إليه فيلبي بقوله :

« لقد قيل إن الوالد عمد في كثير من المرات إلى حد جماح طموح ذلك الشاب الذي كانت حماسته للعمل في سبيل الله قمينة بان تفوق مداركه الخاصة ، وفي مجتمع

غير مستعد لقبول فكرة ترك الحياة السهلة في ذلك العصر »

ويقول « الفقي » :

« كان والده كشيوخ بلاده إنما يحفظ علماً مما في كتب الفقه التي ألفها المتأخرون .

فسمع من ابنه علماً جديداً وكلاماً لا عهد له بمثله ، فخشي على ولده أن يرمى عند العامة بالكفر وأن يوصف من الدهماء بالمروق من الدين ، ولعله نصح لولده حينئذ أن يعدل عن ذلك الطريق فلم يقبل الشيخ نصح والده » .

أما الشيخ عبد اللطيف ، فيكتفي بالقول إن الشيخ « قدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملا فبادأهم بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك والبراءة منه ومن أهله ، وبين لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف ، فقبل منهم من قبل – وهم الأقلون – وأما الملأ والكبراء والظلمة والفسقة فكرهوا دعوته ، فخافهم على نفسه وأتى العيينة »

هل يعني كلام الشيخ عبد اللطيف أن « عبد الوهاب » كان من « الأقلية » التي تابعت الشيخ ؟ إن كلامه لا يكشف لنا بوضوح عن هذه المسألة ...

ومهما يكن الأمر ، فإن الشيخ مضى يدعو إلى عقيدة التوحيد في حريملا ، حتى انتظم في سلك الإمام – كما يقول ابن غنام – « رجال وعصابة فحول ... وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ ... فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير ... وكان رحمه الله ، في تلك المدة ، يروّع كل معاند ومعارض ، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض ، في حريملا والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة ... فأتى اليه ناس كثير ، وانحاز لدعوته جمع غفير .

وكان الناس عند ذلك حزبين ، وانقسموا فيه فريقين : فريقاً أحبه .. وتابعه ، وفريقاً أنكر ذلك عليه ، وهم الأكثر .

... أقام رحمه الله ... ينشر أعلام التوحيد ... وصنف في تلك الأوقات : « كتاب التوحيد » ، حتى لهج بالانكار عليه كثير من ذوي العلم ... وركضوا مع الرؤساء والشياطين ... فقلدهم في ذلك العوام ، فكان للجميع على الإنكال

انتظام ... فجدّ في الرحيل والانتقال ، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين ...

مدة اقامة الشيخ في حريملاء ، وقيمتها

كانت المدة التي قضاها الشيخ في حريملاء [1] — ولعلها لا تتجاوز أربعة أعوام: سنتين قبل وفاة ابيه ، ثم سنتين بعد وفاته — المرحلة الأولى « التأسيسية » من مراحل دعوة الشيخ في بلاد نجد ، وضع خلالها « كتاب التوحيد » ، الذي أوضح فيه انواع الشرك والبدع ، وحذر منها ؛ وأخذ يرسل كتبه ورسله إلى بلدان مختلفة من بلدان العارض لنشر عقيدة التوحيد ، وقد لقي أنصاراً في بعض المدن كالعيينة والدرعية، وقدم عليه طائفة من أهل العارض إلى حريملاء، وكان أعظم رجل كسبه إلى دعوته ، خلال هذه المرحلة : عثمان بن معمر ، أمير العيينة .

في العيينة

انتقل الشيخ الى العيينة ، وكان يترأسها أمير جديد ، هو « عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر » ، أحب الشيخ ، واعتقد بدعوته ، وأعلن ذلك بين رجاله المقربين ، ولعله هو الذي دعا الشيخ الى القدوم عليه ، بعد ان بلغه شدة ما يلاقيه من أهل حريملاء .

جاء الشيخ إلى العيينة ، بلدته وموطنه الأول ، وبقي — كما يقول هوتسما — ثمانية أشهر معتزلاً الناس،ثم جهر بدعوته، على نحو ما ذكر في « كتاب التوحيد»،

---

١ — يقول امين سعيد (يمكن القول ان هذه الفترة التي قضاها في حريملاء قد امتدت ١٥ سنة، اي منذ وصوله سنة (١١٣٩) الى سنة هجرته الاولى الى العيينة سنة (١١٥٣) — كذا — وقد بينا ان الشيخ لم يأت حريملاء عام (١١٣٩) وانما جاءها بعد ذلك بسنوات .. ولم يقم الشيخ في حريملاء ١٥ سنة ولا نصفها ولا ثلثها !

فلقي شيئاً من النجاح ، ولكنه لقي كذلك شيئاً من المقاومة ، وكان أخوه سليمان وكثير من أقربائه ضده .

ثروة الشيخ وزواجه

ويقول « هوتسما » إن الشيخ كانت له في العيينة أموال ، فلم يعش على مائدة الأمير ، وإنما عاش من ريع أملاكه ، وقد تزوج « الجوهرة » بنت عبد الله بن معمر وكان من الثراء بحيث يستطيع القيام بحقها .

حياة هدوء ووقار

ويصف لنا « ندرة مطران » - نقلاً عن « بلغريف ورفيقه الجريجيري » - حياة الشيخ بأنها كانت حياة هادئة وقوراً ، ثم اشتدت الخصومة بين أنصار الدعوة وخصومها ، فاضطر الشيخ الى الجلاء عن البلدة ، قال مطران :

« كانت العيينة يومئذٍ أهم مدن نجد ، وعلى مقربة منها يقوم ضريح زيد ، البطل الشهيد الذي يكرمه الشعب وينظر الى ضريحه كمقام مقدس ، تحمل اليه النذور والهدايا .

كان ذلك شيئاً مثيراً لأعصاب المصلح الوهابي ، ولكنه صبر ، حتى تأتي الفرصة .

كان يعيش في داره حياةَ هدوء وعزلة ، وكانت حكمته وهيبته وفصاحته ومعرفته ، بالإضافة الى ثرائه الواسع ، تحيطه بالوقار والاحترام .

وكان ابن معمر نفسه يعظمه ويجله .

شعر المصلح أن ساعة العمل أزفت ..

وفي ذات مساء ، سمع من شباك داره رجلاً يستغيث بزيد ، ويدعوه ، ليعيد اليه بعيراً أضاعه .. فصاح به الشيخ محمد : « أدع الله ، إله زيد ، يا رجل » !

وسمع كلامه الناس ، وراحوا يتجادلون فيه ..

ثم مضى الشيخ في دعوته بقوة ، وانقسمت البلدة على نفسها في أمره ، وكثر اللغط حوله ..

حماسة الأمير في نصرة الشيخ

يقول ابن بشر إن الشيخ « عرض على عثمان مـــا قـام به ودعـا إليه وقرر له التوحيد ، وحاوله على نصرته ، وقال :

« إنني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله ، أن يظهرك الله تعالى وتملك نجدا وأعرابها » !

فساعده عثمان على ذلك ، وأعلن الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبعه أناس من أهل العيينة .

ويصف لنا ابن غنام وصفاً حاراً حماسة الأمير وتأييده العظيم للشيخ، فيقول إن عثمان « قام معه .. وقعد ، وساعده . واجتهد ، وأمر الناس له بالاتباع ، وعدم المشاقة والنزاع ، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره وكلامه .. ويظهروا توقيره وإكرامه .. ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة » .

وهذه الجملة الأخيرة في كلام ابن غنام ، تدلنـــا على خطورة الفترة التي قضاها الشيخ في بلدة العيينة ، وعظم إثرها في انتشار الدعوة .

كانت إقامة الشيخ في (العيينة)– ولعلهـا أربع سنوات وهناك من يزعم أنهـا أقل من ذلك – كبيرة الأثر في تاريخ الدعوة ، فقد استطاع الشيخ أن يحقق في العيينة بعض ما دعا إليه في كتاب (التوحيد) ، وعجز عن تحقيقه في « حريملاء » لانقسام أهلها على أنفسهم وطغيان حزب الضلال والفسقة على البلدة ، وقد كتب الشيخ ، في العيينة ، رسائل كثيرة يشرح فيها عقيدة التوحيد ويردّ على خصومها ويبين أنواع الشرك ، وكان الناس يتداولون رسائله ، وكان أنصاره يتزايدون كل يوم ، في بلدان العارض .

هل كان الشيخ قاضياً ومطوعاً

ومن حقنا ان نتساءل الآن: هل كان الشيخ في العيينة مفتياً ومطوعاً وقاضياً ؟

قال صاحب الأحساء في كتابه إلى أمير العيينة: ان هذا المطوع الذي عندك..» يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب ! فهل كان الشيخ حقاً مطوعاً لبلدة العيينة ، أم

أن هذا « اللقب » إنما أطلق عليه لمجرد قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

لم يذكر « ابن غنام » ، شيئاً عن ذلك ، ولكن كلمة «مطوع» أصبحت تبدو لنا صغيرة في هذه الأيام لأنها لا تعني الآن منصباً دينياً كالقضاء ، وإنما تطلق على موظفين صغار ، كأنهم أفراد « الشرطة الدينية » .

أبرز أعمال الشيخ في العيينة

وقد نستطيع تلخيص الأعمال البارزة التي قام بها الشيخ في العيينة كما يأتي :

مكافحة الشرك عملياً ، وتحقيق أسلوب «سد الذرائع» ، وذلك بقطع الأشجار التي يعتقد فيها العامة ، وهدم القباب المبنية على القبور ، التي كانوا يتعبدون لها .

ويصف « بركارت » هــــذا العمل بأنه أسلوب موفق وناجح جداً في كسب الشهرة والأنصار ، لأن الناس قد يعجزون عن فهم الأقوال التي تلقى على أسماعهم، ولكنهم يؤخذون تماماً بالأعمال الغريبة التي يرونها بأعينهم .

« وهم إذا كانوا يعتقدون ، مثلاً ، أن قبر الولي يحميهم ، ثم وجدوه غير قادر على حماية القبة المبنية على قبره والثأر ممن هدمها ، آمنوا بأنهم كانوا على خطـــأ في الاعتقاد بقدرته على النفع والضرر !..

وبذلك تفعل الأعمال في إقناعهم أكثر مما تفعل الأقوال ! »

أشار الشيخ على أمير العيينة بقطع الأشجار وهدم القباب ، التي يذهب الناس اليها للاستغاثة والشفاعة ، ويدعونها مع الله أو من دونه ، وبذلك يرتكبون أفظع ألوان الشرك ، فأذن له الأمير بأن يفعل ما يريد ، وهو من ورائه ، يحميه ويعينه !

قطع الاشجار

ويقول ابن بشر إن الشيخ بعث إلى الأشجار التي يعظمهـــا الناس « سراً من يقطعها ، بأجرة من ماله ، فقطعت » .

ويقول ابن غنام إن الشيخ « باشر قطع شجرة « الذيب » بيده [1] وأما شجرة

١ - لعل شجرة الذيب هي التي عناها ابن بشر بقوله: وفي البلدة شجرة هي اعظمهن عندهم، وذكر لي ان الشيخ خرج اليها بنفسه سراً يريد قطعها ، فوجد عندها راعي غنم اهـل البلدة ، فأراد ان يمنعها منه او انه خاف ان ينم عليه ، فأعطاه الشيخ احد اسلابه الذي عليه ، وخلى بينه وبينها ، فقطعها .

« قريوه » فقطعها ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وهما أخوان لأمير الدرعية ، مع جماعة سواهما .

هدم القباب

ثم قام الشيخ ، والأمير عثمان معه ، بهدم القبة المبنية ، فيما زعموا ، على قبر الصحابي زيد بن الخطاب ، فقال لعثمان :

دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل، وضلّ بها الناس عن الهدى، فقال: دونكها فاهدمها .

فقال الشيخ : أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا ، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي .

فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجل ، فلما قربوا منها ، ظهر عليهم أهل الجبيلة ، يريدون أن يمنعوهم ، فلما رآهم عثمان علم ما هموا به، فتأهب لحربهم وأمر جموعه أن تتعزل للحرب ، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها .

ذكر لي ان عثمان لما أتاها ، قال للشيخ : نحن لا نتعرضها !

فقال : اعطوني الفأس !

فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها ، ثم رجعوا ..

فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث على الشيخ بسبب هدمها ، فأصبح في أحسن حال .[1]

قال ابن غنام : فلم يبق وثن في البلدان ، التي تحت يد عثمان !

وشاع ذلك واستبان .. وسارت به الركبان .. فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب .. فأخذوا في رده والإنكار عليه .. وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر ومفتر وكذاب ، وحكموا بكفره ، واستحلال دمه وماله ..

وكان أشد الناس والعلماء إنكاراً عليه .. وسعياً بالشر إليه : سليمان بن سحيم

---

١ – ابن بشر

وأبوه محمد ... فقد أتهم في ذلك وأنجد ... وحشر علماء السوء .. وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين ، الى علماء الحساء والبصرة والحرمين ، فقاموا معــه فوراً بالإنكار وأفتوا للحكام والسلاطين .. بأن القائم بدعوة التوحيـد : خارجي ، ومن أقبح الضُلاّل والفسّاق والكفّار وأشرّ الخوارج الفجار ... وحسبوا أنهم إذا حرشوا عليه الحكام يجدون في قتله .. فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون ... فصنفوا المصنفات في تبديعه [1] وتضليله وتغييره للشرع النبوي .. وعدم معرفته بأسرار العلوم .. وسطروا فيها الجزم بكفره » .

وبلغ من سوء نيتهم ومكرهم أنهم أنكروا من الشرع الأمور المعروفة فذكر لنا أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين .. وجباية الزكاة .. وغير ذلك من أمور الدين .

وكان كثير من علماء نجد .. يأتون رؤساء البدوان ويحذرونهم من وقوع الصلاة في حيهم وسماع الأذان ...

وأشد ما حملهم على ذلك .. إعلان الشيخ التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب، والعمل بما جاء من هدى الأصحاب، وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم في الامة، فهو وإن كان التزم مذهباً، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب له ..

ومع كل هــذا الذي صنعه خصوم الشيخ ، لم يدركوا بغيتهم ، وبقي أمر الشيخ في ازدياد [2] !

رجم المرأة الزانية

وفي تلك الأم، جاءت امرأة من اهل العينة إلى الشيخ وأقرت على نفسها بأنها زنت ، وهي محصنة ، فأراد الشيخ أن يلتمس لها عذراً ، فلعلها مجنونة لا تعقل ،

---

١ – اي بأنه صاحب بدعة منكرة .

٢ – قال ابن غنام (كثر بعد ذلك صحبه وجمعه وزاد اعلانه بالتوحيد وصدعه، وردعه اهل الشرك وقمعه ، ومن العداوة ما يسرك نفعه ..

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود.)

أو مغصوبة لا إرادة لها ، ولكن المرأة كانت عاقلة ، وأقرت للشيخ أربع مرات بأنها أقدمت على فعلتها الشنعاء بمحض إرادتها ، فلم تكن للشيخ مندوحة عن الأمر برجمها .. « فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان »[1] .

أثارت هذه الحادثة ضجة عظيمة في بلدان العارض بل تجاوزتها كثيراً ، وكانت وسيلة الى حملة جديدة عنيفة ماكرة ، اشترك فيها خصوم الشيخ كلهم ، فزعموا ، فيما زعموه ، أن الشيخ لا صفة له تخوله الحكم والرجم ، وإنما يجب أن ترفع القضية إلى السلطان ، ليأذن برجمها !

وقد رد عليهم الشيخ ، وبيّن لهم ان ما فعله هو حكم الله ، المؤيد بالسنة والجماعة ، ومما قاله الشيخ إن الأئمة من كل مذهب مجمعون : (أن من تغلب على بلد أو بلدان ، له حكم الإمام في جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا ، لأن الناس في زمن طويل ، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ، ما اجتمعوا على إمام واحد ، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم . وقولك : هل يجب عليك ؟ فنعم ، يجب على من قدر عليه، وان لم يفعل أثم ، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرون على جحده ، كما إني لما أمرت برجم الزانية قالوا : لا بد من إذن الإمام ..

فإن صح كلامهم ، لم تصح ولايتهم القضاء ، ولا الإمامة ولا غيرها ! »

لم يستطع العلماء المكابرون الصمود للشيخ محمد في ميدان الحجة والمنطق ، فلجأوا الى الافتراء والمكر ، وكتبوا إلى رئيس الأحساء وبني خالد: (سليمان آل محمد) ، الذي يعرفون أن أمير العيينة يدور في فلكه ، وينقاد إلى أمره ، وقالوا له ، فيما قالوه من الأكاذيب : إن الشيخ يريد إخراجكم من ملككم ، وإثارة الناس عليكم ، وأقل ما يقوله للعامة إن المكوس والعشور التي يأخذها الأمراء باطلة لا يقرها الدين ، وها هو يرجم امرأة بغير حق .. إلى غير هذا من الإفك والبهتان ..

---

١ - ابن غنام .

ويقول ابن غنام إن رئيس الحسا كان مغرماً بالزنا ، مجاهراً به ، فأغضبه رجم الشيخ للزانية ، بينما يزعم المؤرخ الفرنسي « ميشو » إن تلك المرأة كانت قريبة لامير الحساء ؛ ومهما يكن الأمر ، فقد كتب رئيس الحساء الى عثمان ، يطلب منه تأديب الشيخ !

وهنا تختلف الروايات ..

١ – فهوتسما يقول: إن رئيس الحساء طلب نفي الشيخ من العيينة وإخراجه.

٢ – وميشو يقول : إنه طلب منه أن يسلم إليه الشيخ ليتولى هو عقوبته ، ولكن امرأة الشيخ ، وكانت قريبة لأمير العيينة ، عرفت بذلك ، فأخبرت زوجها ، فالتجأ إلى ابن سعود .

٣ – وابن غنام يقول إنه أمر عثمان بقتله أو إجلائه عن وطنه ، وألزم عليه في ذلك غاية الإلزام.. وصرح له.. بأنك إن لم تفعل فمالك عندي مستباح..فآثر عثمان الدنيا على الدين .. وأمر الشيخ بالخروج ، ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج ، فخرج الشيخ الى بلد الدرعية .

٤ – اما ابن بشر فيقول ان سليمان ارسل الى عثمان كتابا يقول فيه :

« إن هذا المطوع الذي عندك ، فعل وفعل ..

وتهدد عثمان ، وقال : « اقتله : فإن لم تفعل ، قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء . »

قال ابن بشر : وخراجه عندهم كثير ، قيل لي إنه اثنتا عشرة مئة أحمر (دينار ذهب) ، وما يتبعها من طعام و كسوة ، فلما ورد عليه كتابه، ما وسعه مخالفته . فأرسل إلى الشيخ ، وقال له :

– إنه أتانا خط من سليمان ، قائد الأحساء ، وليس لنا طاقة بحربه ولا اغضابه.

فقال له الشيخ : إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه، كلمة « لا إله إلا الله» وأركان الإسلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فإن أنت تمسكت به ونصرته ، فإن الله سبحانه يظهرك على أعدائه ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك ، فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما تملك به بلاده وما وراءها وما

دونها .

فاستحى عثمان ، وأعرض عنه .

ثم تعاظم في صدره أمر صاحب الأحساء ، وباع الآجل بالعاجل ،

وذلك لما علم الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ان نصر هذا الدين والظهور والغلبة والتمكين يكون لغيره وعلى يد غيره فأرسل إلى الشيخ ثانياً ، وقال :

– إن سليمان أمرنا بقتلك ، ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره ، لأنه لا طاقة لنا بحربه ، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا ، فشأنك ونفسك وخلّ بلادنا [1] !

١ – يقول مؤلف « تاريخ الأحساء » انه قيل لسليمان ، حاكم الأحساء : « انه قد ظهر في بلاد ابن معمر ، عالم يضلل الناس ، ويعتقد تكفير المسلمين ، فكتب الى ابن معمر بقتله » . وهكذا اغفل قصة المرأة الزانية ، وجعل مسألة تكفير المسلمين وتضليلهم السبب في غضبة حاكم الأحساء على الشيخ ودعوته .

روايتا اللمع عن حياة الشيخ في العُيَيْنَة

أورد « لمع الشهاب » روايتين عن مقام الشيخ في العيينة وخروجه منها – وقد سمى العيينة في الرواية الأولى : « اليمامة » ثم عاد في الرواية الثانية فذكر اسم « العيينة » – ومن الصعب التثبت من صحة أقواله ، ولكننا ننشرها كوثيقة تاريخية ، لا تخلو من بعض الحقائق ، ويزيد في حرصنا على ذلك أنها لم تنشر من قبل في أي كتاب عربي .

رواية اللمع الأولى

قال مؤلف اللمع :

« حدثنا بعض الثقات المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب وقد أدركناهم شيوخاً في الزبير .. يقول : حقيقة الأمر في بدعة محمد بن عبد الوهاب هو أنه لما رجع من سياحته المدة المعلومة واستقر ببلدته اليمامة – وكانت ضعيفة بالنسبة لسائر بلدان نجد وكان الناس تفرّ منها بسبب ظلم حدث فيها بجور حكامها وولاتها وكان فيها التعدي معروفاً دون غيرها وقد زاغت قلوب أهلها عن الوفاق وامتلأت من النفاق حتى قيل ان « اليمامة » كان يسكنها خلق كثير بقدر ستة آلاف بيت أو أكثر

وكانت بأيام محمد بن عبد الوهاب يسكنها ثلاثمائة بيت – قال المحدث الثقة : لما أراد محمد بن عبد الوهاب ظهور « البدعة » جلس في بيته ثمانية أشهر معتزلاً عن الناس ينظر في الكتب دائماً فحين مضت المدة ، خرج على الناس يوماً ، وفي يده كتاب صغير الحجم فقال : « أشهد الله أني مقتف ما في هذا الكتاب وأنا أقول إن الذي سطر فيه هو الحق لا غير . »

فقام رجل اسمه « علي بن ربيعة » وهو من كبار بني تميم من قبيلة بني سعد فقال له : يا محمد أنت رجل شريف في قومك لا تقل ما ليس حقاً ، فتندم بوقوع الفتنة بين الناس .

قال : هذا الكتاب اقرأه فإن وجدت فيه خللاً عاتبني به ، فأخذ الكتاب وجعل ينظره من أوله إلى آخره ثم ردّه اليه قائلاً : هذا حق ، فبيّن لنا كيفية سلوكه وما ينبغي أن يتبع بسبب رواجه .

فقال له محمد بن عبد الوهاب:طريق رواج هذا الأمر النصيحة وبذل المعروف.

فقال له علي بن ربيعة : فان لم يجرِ بذلك ؟

قال : بالسيف !

فقال : كيف يستحق القتل من لا يتبعه ؟

فقال : لأنه كافر مشرك !

قال : تقول هذا ؟

قال : نعم وهو اعتقادي .

فتفرق المجلس ، ورجع هو الى بيته ، فجاءه ابن عمه « عبد الله بن حسين » ، وقال له : أحقاً ما نقلوه عنك يا ابن عمي من الخروج بهذا المذهب ؟

قال : نعم !

قال له : والله الذي لا يعبد غيره إن دعوت أحداً من بني سنان إليه لاختطفنا رأسك !

فوقع بينهما تشاجر وجدال ، فأومأ عبد الله اليه بالسيف فأصابه بيده ، وكاد أن يبرئها فقام بعض بني أعمامه ليمنعوه ، فوقعت الفتن بين قبائل تميم اليمامة ،

قيل : قتل ذلك اليوم حماد بن رشيد السعدي وصالح بن فهد النائي وجبير بن ناصر النهدي وسبعة نفر لم يسموا بأسمائهم إلا أنهم من بني سنان خاصة .

قال الراوي : ثم بقي محمد بن عبد الوهاب سنة كاملة في اليمامة قائماً بما هو فيه من الدين ولم تبرح الفتنة بين القوم بسببه ، فبعض يصدقه وآخر يكذبه الى أن صار القوم الذين نصروه أذلاء ، فانهزم منهم اناس وآخرون قتلوا وبعض لبثوا في بيوتهم وحصونهم وشاع أمره في أرض نجد فسمع بذلك سليمان بن شامس العنيزي وكان كبير قومه البداة وكانوا ينزلون طرف العارض فأرسل الى كبار اليمامة من تميم وغيرهم أن هذا أمر حدث عندكم وقد أخرجه فلان العالم منكم فإياكم ومتابعته ولا تجعلوا له مسكناً ولا مأوى في اليمامة فان بلغني عنكم ابراره واكرامه ومنعته لأركبن عليكم بفرسان ورجال لأوجولن عليكم بعنزة كلها ..

فلما بلغ أهل اليمامة كتاب سليمان بن شامس ، قال بعضهم لبعض : يجب علينا امتثاله فان عنزة قوم ذات حرب وصولة ، ونحن قليلون لم نبلغ معشارهم لا رجالاً ولا مالاً ، وان ما دعانا اليه سليمان حق لا ينبغي العدول عنه ولا التهاون فيه ، مع أن محمد بن عبد الوهاب ليس بعزيز علينا كعزة أنفسنا وأعراضنا ، كيف وهو أتى ببدعة كفر وقصد تكفير المسلمين بها . فاتفق رأي الجميع على اخراجه من بيته قهراً ، حتى بنو أعمامه عزموا على ذلك ، فنادى منادٍ يوم الجمعة ، أن اجتمعوا بعد صلاة الجمعة على اخراج محمد بن عبد الوهاب من بلدتكم فان أبى فاقتلوه ، فلما سمع أخوه علي بن عبد الوهاب ، وكان هو غير عالم وحقير بينهم ، جاء الى أخيه محمد بن عبد الوهاب وقال له : يا أخي أنصحك لله تعالى أن تطلع هذا اليوم من اليمامة وتمضي الى حيث شئت ، فإن أرض الله واسعة ، وإن كان هذا الذي ادعيته حقاً فالله يسخر قلب أحد من خلقه ليبديه ويحميه ، فاستحسن رأي أخيه علي وقال : « كيف المسير هذا في وسط النهار وأنا لا أخرج من بين عشيرتي وقومي وبلادي الا بجميع أهلي وعيالي ومالي وأخشى أن يتعرضني أحد من سفهائهم ، والغيرة تمنع القبول بذلك ، نعم اذهب الى علي بن ربيعة وعبد الله بن حسين وخذ لنا ذمة وأمانا منهم

فان أعطوك ذلك خرجنا هذه الساعة، والله المعين،وان عرفت منهم ما ينكر الحال فالله المستعان ، لما نزل في حقنا ، هذا ودفع الصائل واجب ، وإنما خصّ علي بن ربيعة وعبد الله بن حسين السناني لأنها همـــا اللذان يخافهما ولانهما المتوليان زمام القبائل التي في اليمامة من بطون تميم ، فسار أخوه علي بن عبد الوهاب اليهما فأتاهما ، وقد تمت صلاة الجمعة ، وقد خرج الناس من المسجد الجامع بأسلحتهم مصممين على أن يمشوا دفعة واحدة على حصنه ويأسروا عياله ويأخذوا ماله ولا يرضوا له بأمان إلا على نفسه وحده ، ويلزموه بأن يخرج من البلد بساعته !

قال بعض من أخبرونا بهـذه القصة إن محمد بن عبد الوهاب كان عنده مال كثير كان قد جمعه من سياحته وقد عرفه أهل بلاده وكان عنده خدم سبعة أو ثمانية عبيد سودان اشتراهم من مكة وكان كل منهم محارباً مسلحاً يظن به النجدة وكان معه ولداه اللذان ولدا له قبل سياحته وهما«ناصر» و«عبد الوهاب»وكان معه أربعةرجال من بني عمه القريب أبنا حسين بن عبد الوهاب اخوة عبد الله بن حسين الذي ذكرناه لهذا كان يحسب نفسه في عصمة ويستطيـع أن يقاتل على حصنه محاصراً ، فلمـا قال أخوه علي بن عبد الوهاب لعلي بن ربيعة وعبد الله حسين ما قـــال لهما قبلا ذلك فذهبا الى محمد بن عبد الوهاب وقالا له : هذه ذمتهم قد أعطوك اياها ، فهيأ نفسه وعياله ومن يتبعه للخروج فخرجوا ذلك اليوم قبيـل غروب الشمس فأتوا الوادي وهو قرية محمد بن سعود .

رواية اللمع الثانية

« حدثنا رجل من أهل الدرعية يوثق بقوله ان محمد بن عبد الوهاب أول أمره لما خرج من قومه ومنزله بمـــا أراده من الأمر ، جلا الى (العيينة) قبل دخوله الدرعيـــة واتفاقه مع محمد بن سعود فالتجأ الى عـــثمان بن معمر التميمي حاكم (العيينة) ، فاتفقا على اقامة هذا الأمر والدين والعمل بالشرع الشريف اذ لا ينفع علم بدون عمل قط واجتمعا على أن يبطلا جميع ما سوى هذا المذهب من المذاهب وغيرها عموماً ووافقهم على ذلك كثير من أهـل العيينة من وجوه البلد واعيانها من

خدم ابن معمر وحشمه ، وبعض الناس الذين هناك لم يرضوا به ، فاستمر محمد بن عبد الوهاب مـــدة في العيينة ، وربما أتاه بعض القوم من بلاد نجد لما سمع بصيته الى العيينة وبايعه، وتاريخ وقوعهذا الأمر في آخر سنة الخمسين بعد الالف والمائة، وأما أكابر ومشايخ سائر أهل نجد فلم يرضوا بشيوع هـذا الدين لانه يفسد عليهم قوانين كلية وقواعد اصليـــة وضعت عليها حكومتهم اذ بلاد نجد وقبائلها... لا ضابط لها يحتوي على الكل ، وليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم بل كان كل من الحكام حاكم بلده ، مدينة كانت أم قرية، وفي البدو، كذلك كل طائفة منهم لها كبير يرجع أمرهم إليه ، والبداة إذ ذاك قبائل شتى يرعون البراري والقفار ويشربون المناهل والآبار وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها ، وكل من تقدم كرماً وشجاعة رضوا به كبيراً لهم ، وفيهم مشايخ صغار في نفس القبيـــلة الواحدة يخالفون رأي المشايخ الكبار ، وكان البـــدو يتحاكمون في قصصهم الى العرف لا الى الشرع وقد يأخذ العرف منهم الرشوة وهي حقيقة ما يعطى لابطال الحق وأولئك الحكام طاغون لكونهم يصدون الناس عن اتباع حكم الشريعـــة ، وأما الحضر من أهل نجد فمرجعهم الى الشرع في فصل الخصومات والدعاوى ما عدا وادي الدواسر وجبل شمر لأنهما الى البدو أقرب منهما الى الحضر، وكان أهل المدن من أهل نجد ، دائماً يحارب بعضهم بعضاً على حسب مقتضى الحال وصلاحـه بنهج ما قررناه فيما مر من أن كل حاكم له حوزته الخاصة فاذا أراد ملك غيره تسخيره حورب من جميـع البلدان وهكذا الشأن بينهم أبداً وقد يقع بين كل أهل البلدان صلح إذا قطع الطمع ظاهراً .

فلما حررناه ، غضبت حكام نجد مطلقاً إلا من عرفت منهم وهو عثمان بن معمر ومحمد بن سعود صاحب الدرعية كما ستقف على حقيقة الأمر .

وحين رأى أكابر نجد ما صدر عن محمد بن عبد الوهاب وما يخشون من عـاقبة صنعه شكوا ذلك الى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي حاكم بني خـالد والأحساء والقطيف وقطر كلها فالتمسوا منه أن يمشي على العيينة ويجليه من بلده ، وإنمـــا

استمدوا من سليمان هذا لأن أهل نجد (كانوا عاجزين عن قهر[1] ابن معمر ذلك الوقت)، إذ هو في غاية المنعة والنصرة وكثرة الجنود والمال الكثير لأن بلاده أكبر مدن نجد وأكثرها محصولاً وخراجاً وأهلها أطوع لحاكمهم من غيرهم ، فلما بلغ خبر محمد بن عبد الوهاب الى سليمان آل حميد بما بلغ ، كتب كتاباً الى عثمان بن معمر « ان اخرج هذا الشيخ النجدي من بلدك الى آخر جزيرة العرب أو أرسل به إليّ وأنا أبصر به» ، فإن لم تجبني الى أحد هذين الأمرين أقطع وظايفك التي لك في الأحساء وأمنع جباتك عن تحصيل مالك من النخيل في الحسا » ، وكان لعثمان ابن معمر في الأحساء مال ونخيل وأرض ورثها عن أكابره واجداده ويبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال ذهباً .

وذكر له أيضاً : « بأني أمنع تجار بلدك عن التردد الى أطرافنا من الأحساء وقطيف وسواحل قطر كالزيارة وغيرها ، بل أمنعهم السفر عن كل بلد أنالهم فيها».

وكان آنئذ سليمان بن محمد له اليد الطولى في أرض العرب لا سيما نواحي العراق مما يلي بلاد نجد وفي نجد نفسها وكذا أطراف الشام اذ معسكره كبير ودولته عظيمة وشجاعته معروفة وقومه الخوالد اهل بأس شديد وخلق عديد ، وكان يغزو نجداً ان لم يرضه حكامها كل واحد بشيء .

فلما وصل كتاب سليمان .. الى عثمان .. اهتم وكره عداوة سليمان .. وغضب أيضاً لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه ، ولكنه ارتكب أخف المحذورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبد الوهاب فلقيه وقال له ان محاربة هذا الرجل « يعني سليمان .. » تصعب علينا أول الأمر ، وقد أكد القول بكيت وزيت .. فالرأي بعد هذا أن تسير من العينة على بركات الله الى أي بلد شئت من أرض الله وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك الينا .

فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لا تخش من هذا الكلام فان الله ناصرك ، وان جميع المحاصيل التي تنحبس عنك أنا اسلمها اليك كل عام ، ودع هذا الأمر

---

١ - في الأصل كلمات غير مفهومة جعلنا مكانها الكلمات الموضوعة بين قوسين .

يجري رغما على أنف الكاره له !

لكن بعد ما بذل محمد بن عبد الوهاب النصائح لعثمان بن معمر أن يواظب على هذا الدين وترويجه ، عرف أن عثمان لا يمكنه الآن الاستقامة عليه ظاهراً ، فانتقل محمد بن عبد الوهاب من العيينة الى بلد الدرعيـــة – وقد تحدثنا ، في الفصول السابقة ، عن هجرة الشيخ الى الدرعية ومقامه فيها ومنعته وزعامته واشتراكه مع ابن سعود في تأسيس الدولة .

الباب السادس

الوهّابيّة
آثارها
ما كُتِبَ عنها

عقيدتنا

هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم ، فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردّونا عنه .. والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة .

اننا لم نطع « ابن عبد الوهاب » وغيره ، إلا في ما أيّدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله .

... وقد جعلنا الله ، أنا وآبائي وأجدادي ، مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة ، رجعنا اليه وتمسكنا به .

وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً ، أخذنا بقول الإمام أحمد .

فهذا كتاب « الطحاوية » ، في العقيدة ، الذي نقرأه ، وشرحه : للاحناف .

وهذا تفسير « ابن كثير » ، وصاحبه شافعي ..

— الملك عبد العزيز —

من خطبتين له في مكة ، إحداهما عام ١٣٥٣ هـ.

الوهّابي

إن كان تابع « أحمد » متوهباً
فأنا المقرّ بأنني « وهـــابي » !
أنفي الشريك عن الإله فليس لي
رب سوى المتفرد الوهـــاب .
لا قبةٌ ترجى ، ولا وثنٌ ، ولا
قبرٌ له سبب من الأســباب
والابتـــداع وكل أمر محدث
في الدين ، ينكره أولو الألباب ..
وأمِرّ آياتِ الصفات ، كما أتت ،
بخـــلافِ كل مؤول مرتاب ..

ملا عمران بن رضوان

الفصل الأول

تعريف أهل السنة – الحنابلة وأهل الحديث . الوهابيون : حنابلة دعوا الى الاجتهاد وفتحوا الابواب بين المذاهب الاربعة . صفة الحركة الوهابية – الوهابية في اللغة

توطئة

ينقسم المسلمون في العالم الى قسمين كبيرين ، وهما :

١ – السنيون ، أو « السنة » .

٢ – الشيعيون ، أو « الشيعة » .

وهناك فرق صغيرة ، تعرف بأسمائها ، قد يدخلها بعضهم تحت اسم الشيعة خطأ ، لأن الشيعة المعتدلين ليسوا بعيدين عن أهل السنة ، بينما تختلف الفرق المذكورة عن السنة اختلافا كبيرا .

والسنيون هم أكثرية المسلمين الكبرى في العالم ، ويتوزعون في أربعة مذاهب مشهورة :

١ – المذهب الحنبلي

٢ – المذهب المالكي

٣ – المذهب الحنفي

٤ ـ المذهب الشافعي

وهذه المذاهب الأربعة كلها متفقة في الأصول ، وفي كثير من الفروع ، وليس بينها اختلافات كبيرة الخطر .

تعريف أهل السنة

يطلق اسم السنة ، أو السنيين أو أهل السنة ، على المسلمين الذين يتبعون أحد المذاهب الأربعة المذكورة .

واذا أردنا تعريف السنة تعريفاً « موضوعياً » ، لا من خلال المذاهب التي ينتمي اليها أهلها ، قلنا ، مع « ابن غنام » ، ان المراد بالسنة :

طريق النبي (ص) . ، التي كان عليها هو وأصحابه ، السالمة من الشبهات والشهوات .

ثم صارت السنة ، في عرف كثرة من العلماء المتأخرين ، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الايمان بالله و كتبه ورسله واليوم الآخر ، و كذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة .

الحنابلة والسلفية

اشتهر الحنابلة بأنهم أكثر أهل السنة تمسكاً بالحديث وبما كان عليه السلف الصالح ، ولذلك سموهم : أهل الحديث ، والسلفين ، مع أن طريقة أهل الحديث أو السلفية ، لا يخلو منها مذهب سني ، ويعرف أصحابها بتعلقهم بالاسلام في صفائه الأول وبساطته ، وانكارهم البدع ، و كراهيتهم للطرق والزوايا .. والدراويش .. والفقراء أو الصوفية .. والمتكلمة .

ويصف ابن سند أهل الحديث بالشدة، وأنهم كانوا ، منذ زمن الدولة العباسية ، يثورون على الخلفاء، بسبب أن الجهاد في اعتقادهم ركن من أركان الدين .. وكانوا يسمونهم : « الحنابلة » ، و « أهل الحديث » ، في ذلك الزمن ، ويقولون :

« قام الحنابلة ، وثار الحنابلة ، وكسر الحنابلة حانات الخمور، وأدّبوا على شربها.

وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب .

ثم ثارت منهم فرق بالمشرق وبجزيرة الأندلس ، ويسمون : « الظاهرية » ، وهم أيضاً أهل الحديث ، وكانوا ينكرون المناكير مع الغلاظة ، ويثورون على الملوك وأكثرهم يموت بين قتيل وطريد ..

ثم في دولة يوسف صلاح الدين، ظهرت لهم فرق، وكانوا يسمون أهل الحديث ، ولهم ثورات وعداوات مع الملوك أيضاً ، وينكرون المنكر مع الغلاظة ..

وتسلسلوا إلى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي .

ثم ظهرت هذه الفرقة .. في القرن الثاني عشر ، ويسمون : « الوهابيين » ، نسبة الى محمد بن عبد الوهاب ، والا في الحقيقة أفعالهم وآثارهم أفعال الحنابلة الأقدمين ، وهي أفعال أهل الحديث في القرون المتوسطة وأفعال أهل الظاهرية ، فالمعنى واحد ، وإنما في كل عصر يسمون باسم ، على اصطلاح ذلك العصر . »

لا يرى ابن سند ، في وصفه لأهل الحديث ، الا ما كان من ثوراتهم على الملوك وشدتهم في الانكار على الناس ، وما ظهر من غلاتهم الذين تجاوزوا الحدود المعقولة أحياناً ، ومن المؤسف أنه لا يذكر في جانب ذلك : دفاع أهل الحديث عن حقيقة الاسلام ، وحياطتهم له بقلوبهم وأفكارهم وأقوالهم وجهودهم ودمائهم .. ويغفل ابن سند ، بأسلوبه المتحيز الظالم ، الجانب الأهم من فكرة السلفيين أو أهل الحديث ، وهو الجدير بالإعجاب والتقدير : جانب التمسك بصفاء الإسلام ، وبفضائل الإسلام والابتعاد عما نهى عنه الإسلام وأنكره ، ومكافحة البدع والأباطيل التي لحقت بالإسلام في العصور المتأخرة ، فعصفت به أو كادت ..

ومهما يكن الأمر ، فقد أحسن ابن سند بتنبيهه على أن الفكرة السلفية بقيت متصلة مستمرة خلال العصور ، حتى صار مشعلها الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الوهابيون .. حنابلة . وليسوا مذهباً خامساً

كان أهـل نجد ، حين أظهر فيهم الشيخ دعوته الاصلاحية ، حنابلة ، ولكنهم كانوا ، في كثرتهم ، حنابلة ، بالاسم فقط ..

ولما قبل أهـل نجد زعامـة الشيخ وأفكاره سماهم خصومهم : « الوهابيين » ، ليوهموا الناس أنهم خرجوا من « حنبليتهم » ، وأصبحوا فرقة جديدة أو مذهبـاً خامسـاً ..

والحقيقة هي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج أهل نجد من الحنبلية أو السلفية ، وانما أعادهم اليها بعد أن خرجوا منها وابتعدوا ، في كثرتهم ، عن الاسلام نفسه ..

كانوا يظنون لجهلهم ان الاسلام والحنبلية ما كانوا عليه ، فلا غرابة في أن يعد بعضهم ما جـاء به الشيخ مذهباً جديداً ، مع أنهم كانوا غارقين في بحر البدع والشركيات التي ينكرها المذهب الحنبلي الصحيح ، الذي أعادهم الشيخ اليه .

قال الشيخ ، في رسالة الى ابن سحيم :

« .. إنا لما أنكرنا عبادة غير الله، بالغتم في عداوة هذا الأمر وإنكاره، وزعمتم انه « مذهب خامس » ، وانه باطل .

أفاذا قام من يبين للناس التوحيد،قلتم انه مغير الدين،وآت بمذهب خامس؟..»

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
حنبلي متبع ، وليس صاحب مذهب ..

قال الشيخ ، في رسالة الى علماء مكة :

« وأنا أخبركم بما نحن عليه ، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب: على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام .

فنحن ، ولله الحمد ، متبعون لا مبتدعون ، على مذهب الإمام أحمد . »

الشيخ لا يدعو الى فقيه او صوفي ودعوته الى الله ورسوله

وقال الشيخ ، في رسالته الى السويدي :

« .. عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو: مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم ، الى يوم القيامة .

.. ولست أدعو الى مذهب صوفي .. أو فقيه .. أو متكلم .. أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسول الله (ص) . التي أوصى بها أول أمته وآخرهم . »

ولكن الشيخ لا يقلد ..

الشيخ حنبلي ، ولكنه متبع ، غير مقلد ، فهو – كما يقول ابن غنام – وان كان : « التزم بمذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب .. ولكنه يختار من الأقوال ما هو أصوب ، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب . »

وليس من شروط الحنبلي أن يكون مقلداً لمؤسس المذهب في كل شيء ، بل ان الإمام ابن حنبل نفسه نهى عن التقليد ، وشدّد في ذلك ، فقال :

« لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا .. » .

وهكذا كان شأن أصحاب المذاهب السنية الأخرى ، كلهم نهى عن التقليد .

قال مالك : « انما أنا بشر ، أصيب وأخطىء ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة . »

وقال الشافعي : اذا صح الحديث ، فاضربوا بقولي الحائط .

وقال أبو حنيفة : هذا رأيي ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه .

والحق ان المقلد كمن يضع عصابة على عينيه فيرتد أعمى ، لا يعرف إلا ما يقوله

صاحب مذهبه ولا يطيع غيره ، وقد ثبت - كما يقول ابن تيمية - « ان الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه ، في كل ما يأمر به وينهى عنه ، إلا رسول الله (ص) . » .

لذلك قال الشيخ ، في إحدى رسائله ، مخاطباً مناظريه من كل مذهب :

« أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، ان أتانا منكم كلمة من الحق ، لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حاشا رسول الله (ص) . فانه لا يقول إلا الحق . »

وقال الشيخ أيضاً :

« لا اختلاف بيني وبينكم ، أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم .

وانما الشأن اذا اختلفوا :

هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به ، وأردّ المسألة الى الله ورسوله، مقتدياً بأهل العلم ؟

أم أنتحل بعضهم ، من غير حجة ، وأزعم ان الصواب في قوله ؟

فأنتم على هذا الثاني ..

وأنا على الأول ، أدعو الله ، وأناظر عليه . »

فتح باب الاجتهاد

وبذلك ثار محمد بن عبد الوهاب على مظاهر الجمود والتقليد الأعمى والتعصب المطلق للمذهب ، التي كانت الطابع الواضح لكثير من المسلمين في العهد العثماني ، زمن الشيخ وبعده، بل كان بهذا العمل أول من فتح الأبواب بين المذاهب الأربعة، بعد أن أغلقها المقلدون الجامدون على أنفسهم ،وأول من ذكر بأن الاجتهاد واجب على كل مسلم ما استطاع ..

وكان أول من حذر في هذه العصور المتأخرة من « فتنة عمّت فأعمت ، ورمت القلوب فأصمت» ، وهي ترك أحاديث الرسول واتباع أقوال بعض العلماء المتبوعين، وان كانت مخالفة للحديث .

وقد أورد بن اغنام كلاماً كثيراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ، وعدم التقيد بما يقوله أي من الناس مها يكن جليلا ، لأن التقليد انحراف خطير ، وروى عن الامام أحمد قوله : « من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد في دينه الرجال » .

ثم قال :

.. قد بيّن الشيخ ، رحمه الله ، في بعض رسائله التقليد الممنوع ، والمأذون فيه ، والمباح . فقال :

.. ان الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول – اتباع رسول الله (ص) . وترك ما خالفه في كل شيء .

الثاني – فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها الى الله والرسول .

قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » .

وخاطب بها جميع المؤمنين ، المجتهد وغيره .

ولكن نقول : عليك تقوى الله ما استطعت ، وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ، على قدر فهمك ، فما عرفت من ذلك فاعمل به ، وما لم تعرفه واحتجت فيه الى تقليد أهل العلم قلدتهم ، وما أجمعوا عليه فهو الحق ، وما تنازعوا عليه فرده الى الله والرسول .

وأما أخذ الانسان ما اشتهت نفسه ووجد عليه آباءه ، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم ، وغفلته عن كلام الله ورسوله ، واستهزاؤه بمن طلب ذلك ، فهذا هو الضلال ..

.. قال النبي (ص) . : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .

والتفقه في الدين ، معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية .

لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية ، في جميع أموره ، فيسقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه .

وأما القادر على الاستدلال ، فقيل : يحرم عليه التقليد مطلقا ..

وقيل : يجوز مطلقا ..

وقيل : يجوز عند الحاجة ، كما اذا ضاق الوقت عند الاستدلال – وهذا القول أعدل الأقوال .

والاجتهاد ليس هو أمرا واحدا ، فيقبل التجزىء والانقسام ، بل قد يكون الرجل مجتهدا في فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة ..

فمن نظر في مسألة تنازع فيها العلماء ، ورأى مع أحد القولين نصوصاً لا يعلم لها معارضا :

فاما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه .. فهذا هو الذي يصلح .

واما ان يتبع قول القائل الآخر ، بمجرد كونه الامام الذي اشتغل على مذهبه .. ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة .. لاشتغاله على مذهب آخر.

قد يقال : ان نظر هذا قاصر ، وليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة ، لضعف آلة الاجتهاد في حقه .. وقد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص لا يعلمها ..

فهذا يقال له : قال الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » ، وقال النبي (ص): « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، والذي تستطيعه ، من العلم والفقه في هذه المسألة ، قد دلك على القول الراجح ، فعليك اتباعه .

ثم ان تبين لك ، فيما بعد ، أن للنص معارضاً راجحاً ، كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الانسان من قول الى قول ، لأجل ما تبين له من الحق ، هو محمود فيه .

أما ترك القول الذي توضحت حجته ، لمجرد عادة ، أو اتباع هوى ، فهو مذموم . »

في بحبوحة المذاهب الاربعة

والخلاصة : ان الشيخ ، ومن تابعه ، هم من أهل السنة والجماعة : في الأصول ، وهم على مذهب ابن حنبل : في الفروع ، ولكنهم غير مقلدين له تقليداً أعمى ،

« فاذا صح لهم نص جلي ، من كتاب أو سنة ، غير منسوخ ، ولا مخصص ، ولا معارض بنص أقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة ، أخذوا به وتركوا المذهب ، كارث الجدة والاخوة ، فانهم يقدمون الجد بالارث ، وان خالف ذلك المذهب . »

وليس صحيحاً أنهم يلتزمون أقوال ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهما التزاماً مطلقاً ، قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

« وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة ، وكتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلا انا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا نبينا محمداً (ص) .

ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل ، منها :

١ – طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس . فإنا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة .

٢ – ونرى الوقف صحيحاً .

٣ – والنذر جائزاً ، ويجب الوفاء به في غير معصية .

وما يزال موقف الوهابيين – ولا أتحرج من استعمال هذه الكلمة ، بعد ان توضحت واستبانت حقيقتها– في هذه الأيام،كما أراده الإمام محمد بن عبد الوهاب: التمسك بكتاب الله وسنته ، وقبول الحق من أي مذهب من المذاهب الأربعة ، ولعل أبلغ دليل على ذلك ، ما نقلناه ، بين يدي هذا الباب السادس ، من خطب المغفور له الملك عبد العزيز .

صفة الدعوة الوهابية

ما هي صفة الحركة الوهابية ؟

لقد تساءل غير واحد من المؤلفين هذا السؤال ، وكانت الأجوبة مختلفة ..

فبعضهم يرى أنها حركة دينية خالصة ، تريد الرجوع بالإسلام الى صفائه الأول، وأنها لذلك كافحت الشرك في كل ألوانه وأنكرت البدع التي أحدثت بعد النبي (ص) .

وبعضهم يرى أنها حركة سياسية ، غايتها فصل نجد والبلاد العربية عن الخلافة العثمانية ، وإقامة حكومة عربية مستقلة ، وأن الدين لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هذا الغرض .

وآخرون يرونها مزيجاً من الدين والقومية ، لأنها كافحت في الميدانين لتحقيق غايات دينية وقومية ، وألفت حكومة ، وأوجدت نظاماً مبنياً على الإسلام ، ضمن الإطار السلفي .

ويقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » :

إن روح الحركة الوهابية ومعناها لم يتحددا في وضوح كامل .

يقال حيناً إن الوهابية حركة دينية غايتها إعادة الإسلام إلى صفائه الأول.

وتعرف حيناً آخر بأنها حركة تطهير ، يغلب عليها التشدد ، وترفض ، كالبروتستانتية، عقيدة تقديس الأولياء ، وتكافحها كفاحاً لا هوادة فيه .

وكل هذا إنما هو محاولة لتعريف الوهابية ببعض صفاتها الثانوية المتفرعة عنها ، كما رآها أعداؤها ، أو كما أظهرها الغلاة من أتباعها ..

ولا سبيل إلى فهم الحركة الوهابية وتعريفها تعريفاً صحيحاً ، إلا بالرجوع الى كتاب « السياسة الشرعية » ، لابن تيمية ، ومتى فعلنا ذلك استطعنا أن نعرف الوهابية بأنها :

حركة إصلاح وتجديد ، سياسية ودينية ، ترمي إلى إنشاء دولة إسلامية على الأسس التي أوردها ابن تيمية ، في كتاب « السياسة الشرعية » .

وحسبنا أن نقرأ المجموعات التي نشرتها الحكومة العربية السعودية باسم : « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ، حتى ندرك تماماً أن الأفكار الوهابية مستمدة من « السياسة الشرعية» و «الحسبة » لابن تيمية» و «الطرق الحكمية» ، لابن القيم الجوزية .

رأينا

وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عودة الى الاسلام في أول أمره

ومطلع فجره ، ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم .

ذلك أن من دعا الى الاسلام الأول ، فإنما يدعو الى الاسلام كما كان يرى في في المدينة ، في عهد الرسول (ص) . ثم في عهود الخلفاء الراشدين .

كان المسلمون يومئذ يقرأون القرآن ، لا دلائل الخيرات ونحوها ..

وكانوا يروون الأحاديث ، لا قصص الطواغيت والخرافات ..

وكانوا يقولون : « لا إله إلا الله » ، بقلوبهم ، لا على أطراف ألسنتهم ، وكانوا يفهمون معناها ويعملون بمقتضاها ، فما كانوا يعبدون إلا الله وحده .. لا يشركون معه الصالحين ولا الشياطين ، وما كانوا يقيمون المباني والقباب على أضرحة الأولياء ، ليدعوا أصحابها وينذروا لهم ويستشفعوا بهم ، كأنهم ، وهم رمم بالية ، قادرون على جلب الخير ودفع الضر !

كان المسلمون يصلون ويزكون ويحجون ويصومون ، وكانوا يجاهدون ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..

وكان الأئمة في بلاد الاسلام يسوسون الناس بالشرع ويأمرونهم بأوامر الشرع وينهونهم عن نواهي الشرع .

ثم غابت هذه الصورة الكريمة للاسلام الأول ، وحلت محلها صورة شوهاء تعاون على صنعها : الجهل والفساد ، فعاد الناس الى ما يشبه « الجاهلية » ، التي سبقت الاسلام ..

وحركة محمد بن عبد الوهاب هي حركة تجديد وتطهير : تجديد وإحياء لما أهمله المسلمون من أمور الاسلام وأوامره ، وتطهير للاسلام مما أدخلوه عليه من الشركيات والبدع !

ولم تكن دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوة « فيلسوف » معتزل في غرفته ، ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح ، يكافح دون عقيدته ، ويعمل لها بلسانه ويده ، وبكل قلبه ، وبكل عقله ، وبكل جهده .

ان دعوة محمد بن عبد الوهاب ليست « نظرية » أو كتاباً ألفه ليقرأه الناس ، ولكنها منهاج رسمه ، وقام وراءه يدعو الى العمل به ، بالموعظة أولاً ، ثم بالقوة ..

قوة دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده .

فمنهاج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً ، بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون اليوم، لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا ، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد وخالقه ، لا يُحمل الناس على اتباعه بالقوة ، ثم هم يفرقون بين الدين (أو الشرع) وبين القانون ، ويقولون ان الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم ، ولكنها لا تلزمهم بالشرع ، بل قد يخالف قانونها الشرع !..

ان الاسلام وحدة ، دين ودنيا ، ودعوة الشيخ ، لذلك ، دعوة جامعة ، للأمور الدينية والسياسية .

وخلاصة القول :

ان الوهابية حركة قامت بنشر التوحيد ، وكافحت الشرك والبدع ،

واستأنفت الجهاد ، وأنشأت دولة اسلامية على اساس الشرع وحده .

ونحن ، بعد هذا ، نتفق مع القائلين بأن منهاج الحكومة الوهابية ، كان مستمدا ، في كثير من أموره ، من أفكار ابن تيمية في « السياسة الشرعية » وغيرها من كتبه ، ومن أفكار تلامذته ، وخصوصاً ابن القيم .

الوهابية في اللغة

يستنكر المؤرخ المعروف محمود شكري الألوسي ، تسمية أتباع الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب « بالوهابية » ، أو « الوهابيين » ، ويعدها نسبة غير صحيحة ، لأن « النسبة في الحقيقة انما هي إلى الشيخ محمد ، لأنه هو الذي دعا الناس إلى ترك ما كانوا عليه من البدع والأهواء ، ونَصَرَ السنة وأمر باتباعها ، وقد خالف أباه فيما كان عليه وجرت بينهما مناظرات ... »

وجارى الألوسي في هذا الإنكار الشيخ محمد حامد الفقي ، فقال في كتابه « أثر الدعوة الوهابية » : « الوهابية ، نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب، مجدد القرن الثاني عشر ، وهي نسبة على غير القياس العربي ، فلقد كان الصحيح أن يقال : « المحمدية » إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم

بها هو : « محمد » لا « عبد الوهاب » ... »

وعندنا أن هذه النسبة صحيحة في اللغة ، فالرجل قد يعرف – ويكنى – باسم أبيه أو ابنه ، « فالحنابلة » ، مثلاً ، منسوبون إلى « احمد بن محمد بن حنبل » ، ولم يقل أحد : كان يجب أن يسموا « الأحمديين » لأن احمد هو صاحب المذهب، لا جده « حنبل » !

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى !

وأكبر الظن أن السبب في تركهم النسبة إلى « محمد » ، هو الخوف من الالتباس ، لأن كلمة « محمديين » تعم المسلمين كلهم ، على اختلاف مذاهبهم ، وقد أرادوا تسمية أتباع محمد بن عبد الوهاب باسم يختصون به دون غيرهم ، فنسبوهم إلى « ابن عبد الوهاب » ، فقالوا : وهابيين .

والمسألة ليست مسألة لغوية ، ولا مسألة مفاضلة بين النسبة إلى محمد وبين النسبة إلى أبيه ، وإنما هي مسألة « سياسية » – إن شئت – ، وصورتها : هل يجب أن يطلق على دعوة الشيخ محمد اسم خاص أم لا ؟

كان جماعة الشيخ يعرفون أنفسهم باسم « المسلمين » أو « الموحدين » ، ولكن نفراً من مسلمي الاقطار الإسلامية الأخرى، الذين تفرقوا شيعاً ومذاهب وطرقاً، وتسموا بأسماء متنوعة،ظنوا أن الشيخ محمد خرج بحركته عن المذاهب المعروفة، وأنشأ مذهباً جديداً ، فسموه : « المذهب الوهابي » ، أو « الوهابية » ..

يقول الفقي :

« لننظر كيف ، ولماذا أطلق هذا اللقب على هذه الدعوة والقائمين بها ، علنا نوقف القارىء على بعض السر الذي دعا الى استعماله ، ثم الى شيوعه في الأقطار العربية وغيرها ، إلا نجداً وما يتصل بها ، فان من أعجب العجب أنك لا تجد لهذا اللقب أثراً فيها ، ولا عند النجديين النازحين عنها الى غيرها للتجارة أو الإقامة والاستيطان ، لا بل والأعجب من هذا أنهم يستنكرون ذلك ممن يخاطبهم به ، أو ينسبهم إليه ، وإنهم جميعاً من ملكهم وأمرائهم ومشايخهم – الذين أكثرهم من آل الشيخ محمد – وتجارهم وعامتهم يطلقون على أنفسهم ، من حيث الوطن والقطر :

« نجديين » ، ومن حيث المذهب والعقيدة : « حنابلة » .

وإنهم لحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب الأخرى ، فهم لا يدّعون – لا بالقول ولا بالكتابة – أن الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ، ذلاً وخضوعاً ودعاءً ونذراً ، وحلفاً وتوكلاً ، وطاعةً لشرائعه ، وفي توحيد الأسماء والصفات ، فيؤمن بآياتها كما وردت ، لا يحرف ولا يؤول ، ولا يشبه ولا يمثل ، على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين ، وما جاء عن الرسول وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والائمة المهتدون من السلف والخلف ، وأن تحقيق شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يتم على وجهه الصحيح ، إلا بهذا ! »

أين نشأت التسمية ؟

ويمضي الفقي بعد ذلك في التساؤل عن البلاد التي نشأ فيها لقب « الوهابية » وشاع ، لأنه لم يخرج بزعمه من الاوساط النجدية ، فيقول إنه نشأ في الاقطار والاوساط التي كانت تبذل أقصى جهدها لحرب هذه الدعوة حين كان عبد العزيز وسعود يبسطان نفوذهما على جزيرة العرب !

ويقول المؤرخ الإفرنسي « مانجان » إن إطلاق اسم « الوهابيين » على أنصار محمد بن عبد الوهاب ، قد بدأ في السنوات الاولى من إمارة عبد العزيز .

ولكننا ما نزال في شك من صحة هذه الاقوال ، فالكتاب الذي ألفه أخو الشيخ : « سليمان بن عبد الوهاب » ، قبل عام ١١٦٨ هـ . كان عنوانه : « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » وهذا الكتاب ظهر في ولاية محمد بن سعود ، فإن كان عنوانه صحيحاً ، وأغلب الظن أنه صحيح ، فمعنى ذلك أن كلمة « وهابية » ظهرت في وسط نجدي ، وإن يكن وسط خصوم الدعوة .

الفصل الثاني

عقيدة محمد بن عبد الوهاب

«سأل أهل القصيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن عقيدته، فأجابهم بهذا الكتاب»:

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة أهل السنة والجماعة:

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

صفات الله:

ومن الايمان بالله، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه، على لسان رسوله(ص). من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرّف الكلم عن

مواضعه ، ولا ألحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيّف ، ولا أمثّل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفوء له ، ولا ندّ له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً فنزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، فقال : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

أهل السنة وسط :

والفرقة الناجية وسط ، في باب أفعاله تعالى بين « القدرية » و « الجبرية » ، وهم وسط في باب وعيد الله بين « المرجئة » و « الوعيدية » ، وهم وسط في باب الايمان والدين بين « الحرورية » و « المعتزلة » ، وبين « المرجئة » و « الجهمية » ، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله بين « الروافض » و « الخوارج » .

القرآن :

وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وإنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده : نبينا محمد (ص) .

القدر :

وأؤمن بأن الله تعالى فعّال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن قدرته ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

البعث والحساب :

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي (ص) . مما يكون بعد الموت ، فأؤمن

بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة عزلاً ، تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد . « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » . وتنشر الدواوين ، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله .

حوض النبي وشفاعته :

وأؤمن بحوض نبينا محمد (ص) . بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

وأؤمن بشفاعة النبي (ص). وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي(ص) . إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الاذن والرضى، كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » وقال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقال تعالى : « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

الصراط والجنة والنار ورؤية الله :

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمرّ به الناس على قدر أعمالهم .

وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان .

وأؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

النبي (ص) . والصحابة :

وأؤمن بأن نبينا محمداً (ص) . خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى

يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته .

وأن أفضل أمته ، أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم .

وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم ، عملاً بقوله تعالى :

« والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .

كرامة الأولياء :

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء . وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

لا اكفر مسلماً بذنب :

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له رسول الله (ص) . ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه من دائرة الاسلام .

استمرار الجهاد :

وأرى الجهاد ماضياً مع كل امام ، براً كان أو فاجراً ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً (ص) . إلى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

طاعة الائمة :

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

أهل البدع :

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .

أنواع الايمان وشعبه :

وأعتقد أن الايمان قول باللسان ، وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها : اماطة الاذى عن الطريق .

الامر بالمعروف :

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة .

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي ، والله على ما نقول وكيل . » .

تذييل

تلك عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما لخصها في رسالته الى أهل القصيم ، وقد نستطيع أن نضيف اليها شيئاً من كلام الشيخ ، يزيد بعض فقراتها وضوحاً :

يقرّ الشيخ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ويكل « علمها الى الله » مع اعتقاد حقائقهـــا ، فان (مالكا) ، وهو من أجل علماء السلف ، لمـــا سئل عن « الاستواء » ، في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

أمـــا الصفات التي اخترعها الفلاسفة والمتكلمون ، كالجوهر والعرض والجسم والجهة ، ونحو ذلك ، فيرى الشيخ عدم التعرض لها ، لا بنفي ولا باثبات »[1] .

اطلع الشيخ على رسالة « المويس » التي خطأ فيها أهل الوشم ، لانكارهم على من يصف الله بأنه ليس جوهراً ولا عرضاً ولا جسماً ، فقال رحمه الله :

إن عقيدة أهل السنة هي السكوت ، من أثبت بدّعوه ، ومن نفى بدّعوه .

فالذين يقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض : هم الجهمية والمعتزلة .

والذين يثبتون ذلك هم : « هشام » وأصحابه .

والسلف بريئون من الجميع ! ..

وقال الشيخ أيضاً :

« مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف ، أنهم لا يتكلمون في هـذا النوع إلا بما تكلم به الله ورسوله ، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ، أثبتوه ، مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك ، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ، نفوه ، مثل : الند ، والمثل ، والسمّي ، وغير ذلك .

وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه ، مثل : الجوهر والعرض والجسم والجهة وغير ذلك ، فلا يثبتونه ولا ينفونه .

.. ومن كلام ابن عقيل : « أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ، مـا عرفا الجوهر والعرض .. »

ورد الشيخ على قول المويس إن لله صفات سبعاً فقط — هي : السمع والبصر

---

١ — أنظر رسائل الشيخ عبد الله بن محمد عبد الوهاب .

والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام–وان المسلمين يثبتون لله هذه الصفات من غير « كيف » ولا « أين » ، فقال:

« هذا مذهب طائفة من المبتدعة ، يثبتون الصفات السبع ، وينفون ما عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤولونه ، وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه ، وذلك صفات كثيرة ..

أما أنكار الأين ، فهو من عقائد أهل الباطل ، وأهل السنة يثبتونه ، اتباعاً لرسول الله (ص) ، فقد جاء في الصحيح أنه قال للجارية : أين الله ؟ »

فأجابت : في السماء [1] !

القرآن :

كان الشيخ يبرأ من الجهمية ، القائلين بخلق القرآن ، ومن الكلابية ، القائلين بأن كلام الله هو « المعنى القائم بنفس الباري » وان ما نزل به جبريل: « حكاية » أو « عبارة » عن المعنى نفسه .

وكان الشيخ ، كأهل السنة كلهم ، يرفض تأويل كلام الله ، الذي ورد على ألسنة بعض الفلاسفة والمتكلمين ، قال الشيخ :

« ان أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي ، مثل قولهم :

المراد بالصيام : كتمان أسرارنا

والمراد بالحج : زيارة مشايخنا

والمراد بجبريل : العقل الفعال

وغير ذلك من إفكهم ...

لما رد المتكلمون بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الاسلام ،

---

١ – القول بالجهة ، لا يعني التجسيم .

فقال لهم الفلاسفة : أنتم جحدتم علو الله في خلقه واستواءه على عرشه ، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم ، وغيرهم من أهل الملل ، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً ؟

فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب على هذا الايراد .

والمراد : أن مذهبهم ، مع كونه فاسداً في نفسه ومخالفاً للمعقول ، هو أيضاً : مخالف لدين الإسلام . »

أسباب الاختلاف
بين الشيخ وبين العلماء في زمانه

أوردنا قبل هذا الفصل نص الرسالة التي لخص فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ، وكل من قرأ هذه الرسالة وتأملها رأى أنها عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية ، لا ينكرون منها جملة واحدة .

وفي ظل الإسلام الحق ، في « إطار » عقيدة أهل السنة والجماعة ، قام الشيخ بدعوته إلى « التوحيد » وهو أعظم شيء دعا اليه الإسلام ، وبالنهي عن «الشرك» ، وهو أعظم شيء نهى عنه الإسلام ، فما الذي أثار على الشيخ ، في زمانه وبعد زمانه ، جماعة من أهل السنة أنفسهم ، سواء من الحنابلة إخوان الشيخ في المذهب وفي البلد ، داخل نجد ، أم من رجال المذاهب الأخرى ، خارج نجد ؟

قد يقال ، في الجواب على ذلك :

إن العامة ، من أهل نجد ، خالفوه ، لجهلهم بحقائق الدين وفسادهم ، إذ صور لهم اعتيادهم لما يمارسونه من الأمور الباطلة أنها هي الإسلام ، فتنكروا لمن يدعوهم إلى الخروج منها ، وكذلك تفعل العامة عند ظهور كل مصلح ، ثم ينقادون اليه ، طوعاً أو كرهاً ، ويتشددون في الدفاع عن أفكاره مثل تشددهم في رفضها أول مرة وأكثر ! ...

وأما العلماء ، فبعضهم وإن تلبس بلباس العلماء لا يقلّ جهلًا عن العامة ،

وبعضهم ما دعاهم إلى مقاومته إلا الحسد والبغي والحرص على المنافع المـــادية التي كانت تأتيهم من أثمان الحجب والنذور ، وأجور المشاهـد والقبور ، ونحو ذلك ، فخافوا ان اتبع الناس الشيخ ، في ما يقرره لهم من مخالفة هـذه الأمور للدين ، أن تنقطع عنهم مواردها المالية ، وتتضاءل قيمتهم هم أنفسهم في عيون الناس فكانوا يشجعون الضلال ، وبقيت طائفة متمسكة بالحق ولكنها مـــا كانت تنكر إلا بقلبها ، وتلتمس العافية في السكوت .

ذلك جواب صحيح في جملته ، ولكنه لا يحيط بالمسألة من كل جوانبها ، وإنما يكتفي بتلخيص «البواعث» النفسية التي أدّت إلى مقاومة الشيخ في دعوته الجريئة، والمتشددة أحياناً .

والجواب الأمثل ، والأكمل ، يحتم علينا تلخيص صفحات دعوات الشيخ كلها، لنتبين نقط « الإحتكاك » ، ومواضع الإختلاف بين الشيخ وبين الآخـــرين ، سواء في الأمور الكبيرة أم في الأمور الصغيرة .

وهذا ما سنفعله في الصفحات الآتية ...

التوحيد [٨]

« .. أهم مسألة شغلت ذهنه في درسه ورحلاته :
مسألة التوحيد ، التي هي عماد الاسلام، والتي تبلورت في :
« لا اله الا الله » ، والتي دعا اليها محمد (ص) . أصدق
دعوة وأحرها ، فلا اصنام ولا اوثان ، ولا عبادة آباء ولا
اجداد ، ولا احبار ولا انداد ، ولا نحو ذلك .. »

— احمد امين —

الدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك

أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، منذ كان طالباً للعلم ثم مدرساً ، في البصرة، انكاره لما كان عليه أكثر الناس من الشرك والبدع والفساد ، ودعا الى التمسك بالتوحيد ، والاقتداء بما كان عليه السلف الصالح .

وضع « كتاب التوحيد »

ولكن دعوة الشيخ لم «تنشط » وتقوى، الا بعد وفاة أبيه عام (١١٥٣ هـ)، وكان ظهور « كتاب التوحيد » شبه إعلان أو « افتتاح » رسمي للدعوة .

وضع الشيخ كتاب التوحيد ، أثناء مقامه في حريملاء ، بعد عودته من رحلته

الطويلة ، وما ندري إن كان فرغ من تأليفه قبل وفاة والده أو بعد ذلك ، ولكن الكتاب ، على كل حال ، لم يشتهر وينتشر الا بعد موت الشيخ عبد الوهاب ، لما نعرفه من مداراة الشيخ لأبيه ، وكان يومئذ في آخر عمره .

اسلوب كتاب التوحيد

كتاب التوحيد ، كتاب غير كبير ، جمع فيه الشيخ آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه ، وبيان الشرك والتحذير منه ، ونبه على المسائل التي تتفرع عن الآيات والأحاديث التي أوردها ، وذلك باختصار كثير ، فكان كتابه أشبه بما نسميه اليوم : « رؤوس أقلام » ، منه بالشرح المستفيض ؛ وقد يخطر ببال بعض الناس ، وهم يطالعون هذا الكتاب ، لأول مرة ، أن صاحبه لم يفعل أكثر من الجمع والتبويب، والتنبيه على بعض المسائل،وأنه لا يستحق بمثل هذا الكتاب ألقاب عالم فقيه ومؤلف، وأن يقول « ابن بشر » عن كتابه : « ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه ، فانه أحسن فيه وأجاد ، وبلغ الغاية والمراد . » ..

ومثل هذا الكلام قيل من قبل في الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث،لأنهم كانوا يكثرون في كتبهم وأجوبتهم من الآيات والأحاديث ، فيخيل الى قارئهم أنهم لا يجيبونه من عند أنفسهم ولكنهم يحيلونه الى القرآن والحديث ، ولذلك وصفهم بعض الناس بأنهم : « محدثون » أو رواة، وليسوا فقهاء ، كأن الفقه في زعمهم هو الرأي .

والحقيقة هي أن ايراد الآيات والأحاديث ، على أسلوب مخصوص ، والتنبيه ولو باختصار على بعض معانيها وأغراضها، واستخلاص فكرة معينة منها، والتوجيه اليها : كل أولئك يمثل جهداً علمياً لا يقل عن جهد المؤلفين الذين يعرضون آراءهم الشخصية .

بل نقول أكثر من ذلك ، فالعلم – أعني علم الدين – هو ، عند أهل الحديث، ما كانت مادته الأساسية : الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة المعتبرة ، وليست كتب الرأي عندهم شيئاً .

محتويات كتاب التوحيد

يبدأ الشيخ كتاب التوحيد ، بعد البسملة والحمدلة ، بقوله تعالى :

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

ثم يتبعها بجملة من الآيات والأحاديث في الدعوة إلى عبادة الله ، واجتناب الطاغوت ، وفي معنى التوحيد وشهادة ان لا إله إلا الله ، وانها مكفرة للذنوب اذا قيلت باخلاص وبراءة من الشرك .

ثم يذكر طائفة من المسائل – أو ما نسميه في مصطلح اليوم : الملاحظات الهامة .

ثم ينتقل الى الكلام على أنواع كثيرة من الشرك والبدع والمفاسد ، كان أكثرها متفشياً في زمانه ، كلبس الخيط والحلقة لرفع البلاء ، والرقى والتمائم ، والتبرك بالشجر والحجر ونحوهما ، والذبح لغير الله ، والاستعانة بغير الله ، والاستعاذة بغير الله ، والاستغاثة بغير الله ، ودعوة غير الله ، والغلو في الصالحين ، وفي قبورهم ، والعبادة عند القبور .

ويتحدث الكتاب كذلك عن السحر والكهانة والتنجيم والحلف بغير الله وسب الريح ، وأمور مختلفة لا تبلغ بفاعلها الى الشرك ، ولكنها أشياء منكرة .

نظرية التوحيد

في اعتقادنا ان فكرة التوحيد لا تبرز لنا في شكلها النظري « المركّز » – ان صح هذا التعبير – في كتاب التوحيد ، ولكنها انما تظهر ، في بيان قوي ، وتعاريف « علمية » ، ولا نقول « مفلسفة » ، في جملة من رسائل الشيخ ، سار فيها على غرار ابن تيمية ، وربما تجاوزه أحياناً في قوة « التركيز » .

تعريف التوحيد وتقسيمه

يعرف الشيخ ، في بعض رسائله ، التوحيد بأنه :

« إفراد الله بالعبادة »

ويقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام :

لأول – توحيد الأسماء والصفات

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة من صفات الله ، ووصفه بها على الحقيقة .

وهذا القسم لا اختلاف فيه بين جمهور المسلمين .

الثاني – توحيد الربوبية

وهو توحيد الله بأفعاله، مثل الخلق والرزق والاماتة والاحياء وانزال الغيث ، ونحو ذلك ..

وهذا القسم لا اختلاف فيه ، لا بين المسلمين وحدهم ، ولكن بين المسلمين وغيرهم من الملل الأخرى أيضاً ، وحتى دعاة الوثنية : فهم مقرون جميعاً لله بالتفرد بالخلق والاماتة والتدبير الخ ..

قال الشيخ : وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام .

الثالث – توحيد الألوهية

وهو توحيد الله بأفعال العباد ، التي تعهدهم بها وشرعها لهم .

قال الشيخ : « ان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الألوهية ، وهو أن لا يعبد إلا الله » .

وبكلمة أخرى : التوحيد المقصود ، بأكمل معانيه ، هو : افراد الله بالعبادة .

تعريف العبادة وأنواعها

يعرف لنا الشيخ العبادة ويذكر لنا كثيراً من أنواعها ، في بعض رسائله ، فيقول :

« .. العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الظاهرة والباطنة .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ؟

قلت : من أنواعها : الدعاء ، الاستعانة ، الاستغاثة ، ذبح القربان ، النذر ، الخوف ، الرجاء ، التوكل ، الإنابة ، المحبة ، الخشية ، الرغبة ، الرهبة ، التأله ، الركوع ، السجود ، الخشوع ، التذلل ، التعظيم الذي هو من خصائص الإلهية » .

ويضيف الشيخ إلى ذلك أن من صرف شيئاً من أنواع هذه العبادة لغير الله ، فقد وقع في الشرك .

قنبلة الديناميت

تلك طائفة من أقوال الشيخ في التوحيد ، والعبادة ، والشرك ، قد تبدو لغير الواقفين على أحوال نجد والبلاد الاسلامية في زمن الشيخ ، أقوالاً هادئة ، لا تثير « أعصاب » مسلم ...

ولكنها كانت في زمانها وبعد فترة من زمان الشيخ ، كأنها لغم هائل من متفجر «الديناميت» ، أو قنبلة ذرية ، وضعها الشيخ في أسس المعتقدات والعادات المنتشرة في تلك الأيام ، لتهدمها وتجعلها أثراً بعد عين ..

ذلك أن كثيراً من أهل نجد كان دينهم : هذا الذي يقول الشيخ إنه الكفر بكل دين ، وكانت عبادتهم : هذه التي يقول الشيخ إنها عبادة الأوثان لا عبادة الله ، ونحو هذا ..

ولو أن الشيخ اكتفى بوضع كتابه في التوحيد ، والاعتزال في داره ، لما كان للكتاب إلا أثر محدود ، ولكنه وقف وراءه ، يكافح عن عقيدته ، ويقررها للناس ، ويجمع حوله الأنصار ، ويكتب الرسائل في الرد على خصومه ومناظريه ، ثم انتقل من النظر الى العمل ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وقام بازالة

منكرات كثيرة ، ومنها قلعه أشجاراً كانوا ينذرون لها وتحطيمه المباني على قبور كانوا يتعبدونها، وأمره برجم امرأة زانية، بعد اعترافها أربع مرات بفعلتها، إلى غير ذلك مما لسنا بصدده الآن، وإنما سقنا هذه الامثلة للتدليل على أن كتاب الشيخ كان فاتحة المعركة لا خاتمتها ..

الجاهلية والوثنية

كان الشيخ ، ومن تابعه ، يرون أن الناس بسبب تفشي الشرك في المعتقدات والأخلاق قد عادوا الى مثل الجاهلية التي سبقت الاسلام ، فكانوا يحتاجون الى من يجدد لهم دينهم ، وكان الشيخ هو الذي يقوم بهذه الرسالة العظيمة .

بارك فريق من العلماء الشيخ قيامه قياماً عظيماً في تعليم الناس حقيقة الدين ومكافحة الشرك والمنكرات والزام الناس بالصلوات وغيرها من أوامر الدين ، ولكنهم كانوا يرون أنه تشدد في بعض المسائل ، مع جواز التسامح فيها .

انتقادات ابن سحيم

كان أكثر المشايخ ، عند ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ضده ، ولكن أحد رؤوس المقاومة كان : سليمان بن محمد بن سحيم ، مطوع الرياض ، فقد نشر رسالة كان لها دوي في نجد وخارج نجد ، ذكر فيها أموراً كثيرة نسبها الى الشيخ وأنكرها إنكاراً شديداً ، وها نحن نورد هنا أكثر ما جاء في هذه الرسالة ، كما أثبتها « ابن غنام » :

(أما بعد.. خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل ، مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة ، وأحوال شنيعة ..

فمن بدعه وضلالاته :

١ - أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ، الكائنين في الجبيلة - أي زيد بن الخطاب وأصحابه - وهدم قبورهم ، وبعثرها ، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله (ص) .

٢ - وعمد أيضاً إلى مسجد .. وهدمه ، وليس داعٍ شرعي إلى ذلك ، إلا اتباع الهوى ..

٣ - وأمر بحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها «عن محمد (ص) ..» : سيدنا ومولانا !

٤ - وأحرق أيضاً « روض الرياحين » وقال : هذا روض الشياطين !

٥ - وصح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاباً من خشب .

- أما سمع قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »؟

٦ - .. وأنه يقول : الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ! .. وتصديق ذلك أنه بعث إلي كتاباً يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جهال ضلال !

٧ - ومن أعظمها : أنه من لم يوافقه في كل ما قال ، ويشهد أن ذلك حق ، يقطع بكفره .

ومن وافقه وصدقه في كل مـــا قال ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً محضا ، أو مكاسا ، وبهذا أظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

٨ - ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتاباً مع بعض دعاته ، بخط يده ، وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه ، والا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا عرفه أهل قطره !..

فيا عجبا ، إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهـــل قطره ، فمن أين علمه ، وممن أخذه ، هل أوحي إليه ، أو رآه مناماً ، أو أعلمه به الشيطان ؟

٩ - ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض ، وابن عربي .

١٠ - ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول، لأجل أنهم يأخذون النذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده .

١١ - ومنها أنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة ، قال : اختلافهم نقمة .

١٢ - ومنها أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروي عن رسول الله (صلعم) وأصحابه أنهم وقفوا .

١٣ - ومنها أبطال الجعالة على الحج .

١٤ - ومنها أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبـــة ، وقال : السلطان فاسق لا يجوز تمجيده .

١٥ - ومنها أنه قال : الصلاة على رسول الله (ص) . يوم الجمعة وليلتها : بدعة وضلالة تهوي بصاحبها إلى النار .

١٦ – ومنها أنه يقول : الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً ، إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ، إن ذلك رشوة .

– هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين لا أقضي بينكما إلا بجعل .

١٧ – ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى ، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن .

ويقول : ذلك كفر ، واللحم حرام .

فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط .

*

فبينوا ، رحمكم الله ، ذلك للعوام المساكين ، الذين لبس عليهم ، وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح ، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا ... » .

رد الشيخ على هذه الرسالة

رد الشيخ على كثير مما جاء في هذه الرسالة ، بكتاب أرسله إلى عبد الله بن سحيم تناول فيه (٢٤) قضية نسبها إليه خصومه ، ومما قاله :

« فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر ، وهي :

١ – أني مبطل كتب المذاهب .

٢ – و .. أني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .

٣ – وأني أدّعي الاجتهاد .

٤ – وأني خارج عن التقليد .

٥ – وأني أقول إن اختلاف العلماء نقمة .

٦ – وأني أكفر من توسل بالصالحين .

٧ – وأني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق .
٨ – وأني أقول : لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها .
٩ – ولو قدرت على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب !
١٠ – وأني أنكر زيارة قبر النبي (ص) .
١١ – وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم .
١٢ – وأني أكفر من يحلف بغير الله .

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : « سبحانك هذا بهتان عظيم » !

رد ابن غنام

وتولى « ابن غنام » بعد ذلك أمر الرد على مزاعم ابن سحيم التي لم يعرض لها الشيخ محمد في رسالته ، وهذه مقتبسات من رده ، في شيء قليل من التصرف :

١ – زعم ابن سحيم في أول الرسالة أنه (أي الشيخ) عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله (ص) الكائنين في الجبيلة ، زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها الخ ..

فالذي جرى من الشيخ وأتباعه أنه هدم « البناء » الذي على القبور والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون إنه قبر زيد بن الخطاب – وذلك كذب ظاهر فإن زيد ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء .. قتلوا.. في هذا الوادي ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم.. وإنما كذب بعض الشياطين وقال للناس : هذا قبر زيد !

وقد افتتن به الناس وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد .. ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء .. اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور ...

وقوله : « لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون ان يحفروا لهم » الخ .. فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ .. وكلامه هذا تكذبه المشاهدة ، فان الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين الحفر ..

٢ – وأما قوله إن الشيخ يقطع بفساد الوقف .. فقد كذب وافترى ، فالشيخ ما أبطل إلا ما كان مخالفاً لما ثبت من الأحاديث .. وذلك أن كثيراً من الجهال والعامة إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الأناث ما قسم الله له أو يحرم أولاده الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم ، وقف ماله وأشهد عليه ... « وأورد ابن غنام نص رسالة الشيخ أجاب فيها عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم » .

٣ – وأما قوله إن الشيخ أحرق « دلائل الخيرات » لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا . فهذا من الكذب والزور . وقد أجاب الشيخ عن هـذا في بعض رسائله بقوله :

« وأما دلائل الخيرات ، فلذلك سبب ، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن . وأما حرقه والنهي عن الصلاة على النبي (ص) . بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان » !

٤ – وأما قوله : وأحرق أيضاً روض الرياحين ، سماه روض الشياطين ، فهذا من الكذب والزور المبين .

٥ – وأما انكار الشيخ فيه مـا خالف الكتاب والسنة ، وأنكره غيره من علماء المسلمين ، من ترهات الصوفية وشطحاتهم التي تخالف السنة المحمدية .. وتنفر عنها الأسماع .. فأين الغارة لله تعالى .. والنصرة لسنة نبيه ، والحمية عند سماع .. بعض الحكايات « الواردة فيه » مثل .. بيع الجنة وغرفها .. وكون (الولي) يجر على مركب في الهواء من الذهب .. ومثل قول بعضهم : إن البر في يمينه ، والبحر في شماله !..

ومثل دعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين ، وعلمهم بما سيقع من

الغيب !

وأمثال هـذه الحكايات .. والخرافات .. مما .. هو هتك للشريعة ، وسلوك للغي !

٦ – وأما قوله : من وافقه وصدقه ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً ، ومن لم يوافقه في كل ما قال ، يقطع بفكره ..

فالحق أن من عرف التوحيد وشهد أن لا الله الا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ مؤمن موحد ، ولو كان فاسقاً ، وكذلك هو عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة ، لأن الكبائر لا تخرج المسلم الموحد من الإسلام وإنما يخرجه الشرك بالله .

٧ – وأما إبطاله الجعالة على الحج ، فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذي يبطله الشيخ من ذلك ما أبطله غيره من علماء المسلمين ، وهو أنه لا يحج إلا لأن يعطى أجرة أو جعلا على ذلك ، فهذا عمله باطل لأنه قصد بعمله الدنيا .

قال الشيخ تقي الدين : « المستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج ، لا أن يحج ليأخذ . » .

ومن جوّز الإجارة ، قال : تجوز الإجارة عليها ، لما فيها نفع من المستأجر .

٨ – وأما قوله إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، فهو صادق في ذلك ، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثة . وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين .

٩ – وأما قوله : وأبطل الصلاة على رسول الله (ص). في يوم الجمعة وليلتها...

فإن الشيخ لم ينه عن ذلك، ولم يبطل إلا .. ما أبطله جماعة قبله من الأعيان.. لأنه بدعة محضة .. فقد ذكر « السيوطي » .. أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها ، بعد السبعمائة ، في زمن الناصر بن قلاوون ..

وهذه زيادة لم تعرف في زمن الرسول .. ولا ضرورة لها ..

والذي أنكره الشيخ في الحقيقة هو ما يعمل في كثير من الأقطار ولا سيما الحرمين وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنار ، ويقرأون آيات من

القرآن ، ويصلون على النبي ، بأرفع صوت وإعــلان ، ويأتون بقبيح الألحان ، وأصوات تحاكي غنــاء القيان ، ويمطون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة ، وينقلونها من معناها الى معنى !..

١٠ – وأما قوله : إن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وإن للقاضي أن يقول لا أحكم إلا بجعل ، فقد رد عليه الشيخ واجاد ..

١١ – وأما قوله .. إنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة الخ ..

.. ففي هذا لا يخالف أحد من أئمة الإسلام ..

ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله ، بل منهم من يفتي الجهال بذلك ويقول : اذبحوا على هذا المريض ... ذبيحة للجن ولا تسموا عليها !

فلما أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم أن ذلك كفر ؛ يُنكر عليه ذلك من يزعم أنه من العلماء !

وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النية ، وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه ، فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم .

أهم المسائل المختلف عليها

البناء على القبور – دعاء الصالحين – التكفير

هناك امور صغيرة انتقدوها على الشيخ وجماعته ، لا تستحق ان نتوقف عندها . واما المسائل المهمة التي تستحق النظر والتأمل فهي : دعاء الصالحين والتوسل بهم ، والبناء على القبور ، والتكفير ، وهي المسائل الثلاث التي جرت عليها المناظرة غير مرة بين علماء نجد وعلماء مكة .

– ١ –

تقديس الأولياء والقبور

من أكثر مظاهر الوثنية انتشاراً في العالم تقديس العامة الجهلة لقبور الأولياء المحليين ، واتجاههم اليهم بالعبادة أو بما يقرب من العبادة .

وقد تكلم المستشرق « غولد تسيهر » ، في كتابه : « العقيدة والشريعة في الاسلام » ، في ذلك كلاماً بارعاً ، ومما قاله :

« نشأ في الإسلام ، بتأثير عدة عوامل ، بعضها بسيكولوجي وبعضها تاريخي ، شكل من أشكال العبادة ، وهذا الشكل – مهما عدّ مناقضاً لفكرة الالوهية في الاسلام ، ومهما اعتبر خارجاً عن جادة السنة الصحيحة – سرعان ما أصبح « حقاً

مكتسباً ، في دول الإسلام – وهو الصورة الصحيحة للايمان الشعبي أو العامي ..

وهـــذا الإيمان العامي الساذج ، جعل « الأولياء المحليين » موضع التكريم والخوف ، والتبجيل والورع .. والتقديس .

ان الشعب يؤمن بالله ويخشاه ، ولكنه لا يفترض ان الله تعالى يعنى بحاجات الأفراد المختلفة والتافهة أحياناً ، مثل مرض أحـدهم ، أو هزال بعض ماشيته أو سوء موسمه الزراعي ونحو هذا .. فتلك أشياء يهتم بها « الولي » المحلي ، حـــارس المنطقة والساهر على سكانها. .فيأتون اليه بالقرابين وفي سبيل مرضاته تنذر النذور..

وفي الحق ليس شيء أشد خروجاً على السنة القديمة .. من هـــذا التقديس المبتدع ، المفسد لجوهر الاسلام »[1] ..

ويذكر لنا ابن غنام ، في تاريخه ، نقلاً عن ابن تيمية وغيره ، شيئاً كثيراً مما كانوا يفعلونه في كل البلاد الاسلامية عند القبور ، ومنها :

« .. ما يفعل في مكة ، عند قبة أبي طالب ، وكان شريفاً حاكماً متعدياً ، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ..

وفي مصر : يأتون قبر أحمد البدوي وغيره .. فيستغيثون ويندبون ويقولون ، فلان استغاث بقبره فأغيث ، وشكا حاله فكشف عنه ضره ، وشكا حاجته فأزيل فقره .

وفي اليمن : قبر يسمى : « منجي الغارقين » ، يستغيثون به وينذر له في البر والبحر ، ولهم في حضرته الأفاعيـــل ، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ، ويرقصون ويغنون .. »

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في إحدى رسائله ، إن بعض الناس يعدون زيارة قبور الأولياء حجاً ، « وطائفة صنفوا كتباً وسموها : مناسك حج المشاهد .

وآخرون يسافرون الى قبور المشائخ ، وإن لم يسموا ذلـــك نسكا وحجاً ،

---

١ – نقلنا هذه الفقرات بتصرف قليل عن الترجمة العربية لكتاب غولد تسيهر .

فالمعنى واحد ..

ومن الناس من يجعـــل مقبرة الشيخ ، بمنزلة عرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات ..

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت انه قال : كل خطوة الى قبري حجة . » !

تقديس الأولياء خطر على الوحدة

ان تقديس الأولياء المحليين ، مخالف للدين ، وخصوصاً ما امتزج منه بنوع من العبادة ، لأنه شرك ، لا شك فيه .

ولكن مكافحة هذا التقديس ليست خدمة لفكرة التوحيد وحدها ، وإنما هي ايضاً دفاع عن وحدة المسلمين ، أي إنها عمل « سياسي » أو قومي جليل أيضاً.

وقد نبه ابن تيمية على هذه الناحية ، فقال :

« أهل الشرك متفرقون ، وأهل الإخلاص متفقون .

ولهذا تجد مـــا أحدث من الشرك والبدع يفترق أهله ، فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه نـداً من دون الله ، فيقربون له ، ويستغيثون بـه ويشركون به ..

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين ..

وهكذا تجد من يتخذ شيئاً من نحو هذا الشرك ، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستغاثة والتوجه الى من لا تعظمه الطائفة الأخرى ، بخلاف أهل التوحيد ، فانهم يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً .. والله هو معبودهم وحـده ، إياه يعبدون وعليه يتوكلون ، وإياه يخشون ويرجون ، وبه يستغيثون ، وله يدعون ويسألون .

هدم القباب والمباني على القبور

قام الشيخ ومن معه بهـدم المباني التي كانت على قبور زيد بن الخطاب وبعض

الصالحين ، لأن الناس كانوا يعظمونها ويدعون أصحابها وينذرون لهم النذور ويذبحون لهم الذبائح ، ويستغيثون بهم ويستشفعون .

وكانت غاية الشيخ من وراء ذلك سد الذرائع وإزالة سبب من أسباب الشرك ، بمنع الناس من قصد تلك الأماكن .

وقد أشاع خصوم الشيخ يومئذ أنه نبش قبور الصحابة وأزال أضرحتهم ، لأنه لا يكرمهم أو لا يحبهم ..

وليس الأمر كذلك ، فالشيخ يحب الصالحين ويكرمهم ، وهو لم ينبش قبورهم ، وإنما أزال الأبنية التي أحدثوها فوق قبورهم ، خلافاً لسنة النبي (ص) ، الذي أمر بتسوية القبور ، ومنعاً لما كان يحدث عندها من المفاسد .

ولم يقل الشيخ ان البناء على القبور من الشرك الأكبر ، كما توهم بعض الناس .

سأل أحدهم الشيخ عن البناء على القبور ، والصلاة عند القبر ، هل هما محرمان، فكان مما أجاب به :

« اما بناء القباب عليها ، فيجب هدمها .. وما علمت انه يصل الى الشرك الاكبر . وكذلك الصلاة عنده ، وقصده لاجل الدعاء ، فكذلك لا أعلمه يصل الى ذلك . ولكن هذه الامور من أسباب حدوث الشرك ، فيشتد نكير العلماء لذلك . »

ومهما يكن الأمر فان الوهابيين الأوائل بالغوا في هدم القباب والمباني المقامة على القبور ، حتى قال المستشرق « بركارت » الذي كان يقيم في مكة ، بعد دخول الوهابيين اليها ، إن بعض الوهابيين كانوا يظنون أن الفارق بينهم وبين غيرهم من المسلمين ، هو : تهديم القباب .

ونسب اليهم انهم كانوا يقولون : « رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم الله من بناها . »

وليس الشيخ أول من هدم القباب والمباني ، على القبور ، سداً للذرائع وعملاً بحديث تسوية القبور . ولكن البلاد الاسلامية ، في كثرتها ، ما تزال تبني القباب والمباني على القبور ، معتقدة أن العلم بحقائق الدين يمنع من تعبد القبور ولو أقيمت

عليها جبال من المباني .

وقد جاء في الرسالة التي بعثها الشيخ الى علماء مكة ، حول هدم الأبنية على قبور الصالحين ، قوله ، بعد ذكره أنه متبع لا مبتدع :

« فان كانت المسألة إجماعاً ، فلا كلام .

وان كانت مسألة اجتهاد ، فمعلومكم انه لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، فمن عمل بمذهبه ، في محل ولايته ، لا ينكر عليه . »

وقد سئل سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز – الملك فيصل اليوم – وهو في مصر ، عن رأيه في مسألة القبور ، فأجاب :

« أحب أن تنقل عني أن الوهابيين ، وهم أتباع أحمد بن حنبل ، ليس لهم اجتهاد خاص فيما يتعلق بمسألة الأضرحة والقباب » .

وهذا جواب حكيم . فالمسألة ليست اجتهاداً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصاره ، ولكنها مسألة تعالج في إطار السنة .

- ٢ -
التوسل والشفاعة

جرت المناظرة ، في مسألة التوسل والتشفع بالأولياء ، بين علماء مكة وعلماء نجد ، مرتين ، ففي المرة الأولى ، جرت المناظرة بين علماء مكة وبين الشيخ عبد العزيز الحصين ، موفد الإمام والشيخ ، في ولاية الشريف أحمد بن سعيد ، عام ١١٨٥ هـ. وكان جواب الحصين ، على الأسئلة التي وجهت اليه ، كما لخصه ابن غنام: أن « دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل قد نص عليه الأئمة ... وقرروا أنه من الشرك .. ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد جاهل » .

وجرت المناظرة مرة ثانية سنة ١٢١١ هـ. في ولاية الشريف غالب ، وكان يمثل علماء نجد فيها ، الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، فأعيد طرح مسألة الشفاعة على بساط البحث بهذه الصيغة :

« ما قولك في من دعا نبياً أو ولياً ، واستغاث به في تفريج الكربات ، كقوله : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا محجوب ، أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ »

فكان من جواب الشيخ حمد :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة . »

.. والذي شرعه لنا رسول الله (ص) عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة

والاحسان الى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له .. فبدّلَ أهلُ الشرك .. الدعاءَ له بدعائه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله (ص) إحساناً الى الميت سؤال الميت ، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء ، الذي هو مخ العبادة .

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعاً ، ويصرف النظر عنه القرون الثلاثة المفضلة .. ثم يوفق له الخلف ، الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله (ص)، وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا ، إذا كان لهم حاجة ، قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلاً عن أن يسألوا أصحابها الفوائد و كشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله ؟

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله (ص) بالأمصار عدد كثير ، متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر به ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي (ص) من بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها » .

ثم يستشهد الشيخ حمد بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث التي تنهى عن دعاء غير الله ، وينتهي إلى القول :

« فالذي نعتقده وندين به الله أن من دعا نبياً أو وليداً أو غيرهما ، وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هـذا من أعظم الشرك ، الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا أوليـاء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار ، بزعمهم ، قال تعالى : « ويعبدون من دون الله مـا لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . » .

شفاعة النبي

يوافق الشيخ كثير من أهـل السنة في إنكار تشفع الناس بالأولياء ، ولكن فريقـاً منهم يرون جواز التشفع برسول الله (ص) لأنه (ص) يشفع دائمـاً ، في

حياته وبعد موته فهو حي في قبره .

ولم ينكر الشيخ شفاعة النبي (ص) ، ولكنه لا يطلبها من النبي (ص) . وإنما يطلبها من الله سبحانه ، قال :

« وأما الشفاعة فهي كلها لله ، ولا يشفع النبي (ص) ، ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، فيجب أن يدعو أحدنا الله سبحانه ، قائلاً :

اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في ا

وأمثال ذلك .. لا أن ندعو النبي نفسه . » ..

رأي عالم سلفي في التوسل

يظهر أن مسألة التوسل ليست من الأمور البسيطة ، التي يتسهل الكلام عنها لكل أحـــد . والأولى أن ننظر إلى قصد الناس أكثر من نظرنا الى العبارات ، وان كانت العبارات توقع بالشرك أحياناً .

ويقول الاستاذ العالم الشيخ بهجة البيطار ، من العلماء السلفيين ، في كلمة ألقاها في المؤتمر الأسلامي: « ومنها أيضاً مسألة التوسل.. لا شك أن من أستقرأ النصوص وأمعن النظر في مضمونها ظهر له أنهـــا متضافرة على مشروعية التوسل اليه تعالى بالأعمال الصالحة ، ولما كان بعض ظواهر النصوص يوهم شمول التوسل بالذات والجاه أيضاً ، كانت المسألة خلافية وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد بن حنبل ، كما نقل عن الامـــام ابن تيمية في فتاويه وغيرها فاذا كان الأمر كذلـك فنحن لا ننكر التوسل بجاه النبيين والصالحين كانكارنا على من يدعو غير الله تعالى .

على أنه قـــد ورد « اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي اليك » فاذا أردنا التوسل والتمسك بالمشروع اقتصرنا على ما ورد واكتفينا به ، اذ أن الإكتفاء بما تجمع الكلمة عليه أولى من الاجتهاد في غيره واحداث خلاف عليه » ...

- ٣ -

التكفير !

كان علماء مكة يأخذون على الشيخ وجماعته أنهم يكفرون كثيراً من الناس ، بل كل إنسان لا يقول بقولهم .. وقصة التكفير ، في الحقيقة قديمة ، قالها جماعة من أهل نجد أنفسهم ، وكان اعتراضهم قائماً ، أول الأمر ، على أن من نطق بالشهادتين كان مسلماً ، ولم يجز تكفيره ، فلما قال الشيخ إن كثيراً من البدو كفروا ، أنكروا عليه ذلك ، لأن البدو يقولون : « لا إله إلا الله » .

قال الشيخ : « إنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله ، وتبرأوا من الدين كله ، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث .. ومع هذا تنكرون علينا كفرهم ، وتصرحون بأن من قال : « لا إله إلا الله ، لا يكفر ! »[1] وقال أيضاً : « فلما بينت ما صرّحت به آياتُ التنزيل ، وعلّمه الرسول أمتَه وأجمع عليه العلماء : من أنكر البعث أو شك فيه ، أو سبّ الشرع ، أو سبّ الأذان إذا سمعه ، أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله ، أو سبّ من زعم أن المرأة ترث ، أو إن الانسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه أو ابنه : أنه كافر مرتد — قال علماؤكم : معلومٌ أن هذا حال البوادي ، لا ننكره ، ولكن يقولون : « لا إله إلا الله » ، وهي تحميهم من الكفر ، ولو فعلوا كل ذلك ! »[2] .

---

١ - الرسالة (١٩) من رسائل الشيخ - ابن غنام .

٢ - الرسالة السادسة من رسائل الشيخ - ابن غنام .

ومن يتأمل في أقوال الشيخ يتبين من خـــلالها قوة حجته ، وأي منصف لا يشارك الشيخ في أن كلمة « لا إله إلا الله » لا تبرىء قائلها « الذي يجهل معناها ، ولا يعمل بمقتضاها ، ويصل به الأمر الى حد إنكار البعث .. » من الشرك ، ولا تحميه من الكفر ؟

كان خصوم الشيخ ، أو طائفة منهم ، يباركون دعوته ، ويحمدون له قيامه في نصرة الدين ، ولكنهم كانوا يريدون منه أن يترك تكفير مخالفيه ..

وقد رد الشيخ على منتقديه ردوداً كثيرة ، ومما قاله :

وأما التكفير ، فأنا أكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعد مـا عرفه : سبه ، ونهى الناس عنه ، وعاداه ، فهذا هو الذي أكفر !

وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك .

وأمـا القتال ، فلم نقاتل أحـداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ، ولا أبقوا ممكناً ، ولكن نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ، وجزاء سيئة سيئة مثلها وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ، بعد ما عرف .

ويرد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في كتابه « مصابيح الظلام » ، على من نسب الى الشيخ تكفير الأمة ، وأنه جعل بلاد المسلمين ، غير نجد ، بلاد كفر ، فيقول :

« وأما قوله فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها ، وقاتلها على ذلك جملة ، الا من وافقه على قوله . فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة ...

وصريح هذه العبارة ان الشيخ كفر جميع هذه الأمة من المبعث النبوي الى قيام الساعة ، الا من وافقه على قوله الذي اختص به !

وهل يتصور هذا عاقل ، عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل أهـــل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم بل لهم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم .

. وأما قوله : وجعل بلاد المسلمين كفارا أصليين !

فهذا كذب وبهت ، ما صدر ولا قيل ، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلا

عن أهل العلم والدين ، بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الاسلام في كل زمان ومكان ..

مسألة التكفير في المناظرة

كانت مسألة التكفير مما جرت عليه المناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ، وكان يمثل نجد : الشيخ « حمد بن ناصر بن عثمان المعمري » وقد طلب منه علماء مكة كتابة أجوبته ، فكتبها ، ومما قاله :

« أما المسألة الثانية وهي : من قال لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولم يزك ، هل يكون مؤمناً ؟

فنقول : أمـــا من قالها ، وهو مقيم على شركه ، يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فهذا مشرك ، حلال الدم والمال ..

وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ، ولكن ترك الصلاة والزكاة تكاسلا عنها ، فهذا قد اختلف العلماء في كفره .. »

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نظام المطوعة . الاكراه على الصلوات في المساجد .
التفشف . منع المنكرات

سأل عالم من أهل المدينة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن سبب الاختلاف بين أهل نجد وبين سائر الناس ، فأجابه الشيخ :

« .. ان سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس،فما اختلفنا في شيء من شرائع الاسلام من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك، ولا في شيء من المحرمات ..

الشيء الذي عند الناس زين ، هو عندنا زين .

والشيء الذي عندهم شين ، هو عندنا شين .

الا اننا نعمل بالزين ، ونغصب الذين عندنا عليه .

وننهى عن الشين ، ونؤدب الناس عليه » .

هذا هو«الفرق»الكبير بين بلاد نجد في عهد الشيخ ، وبين بقية بلاد الاسلام .

في نجد يكرهون الناس بالقوة على تنفيذ أوامر الدين واجتناب نواهيه .

وفي سائر بلاد الاسلام ، يترك الناس أحراراً في أمور الدين ..

المسلم ، في دول الاسلام ، لا يكره على الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم ، ونحو ذلك ..

ولا يمنع من شرب المسكرات ، أو الاستمتاع بألوان من اللهو ، قد تتجاوز كل حد ..

أما في نجد ، فالناس يكرهون على الصلوات المفروضة ، بل يكرهون على ادائها في المساجد جماعة ، وعلى اداء الزكاة الخ ..

والناس، في نجد ، يمنعون من شرب الخمور، ولا يسمح لهم بالاجتماع في أماكن مخصوصة لسماع الغناء أو مشاهدة النساء يرقصن ويلعبن ويعرضن أجسادهن ، بل كانوا يحظرون عليهم ما هو أهون من ذلك ، وما كانوا يتساهلون إلا في أشياء محدودة جداً ، قال الشيخ عبد اللطيف :

« يحل كل لعب مباح ، لأن النبي (ص) أقر الحبشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ..

ويحل الرجز والحداء ، في نحو العمارة والتدريب على الحرب بأنواعه ، وما يؤرث الحماسة فيه كطبل الحرب .. دون آلات الملاهي ، فانها محرمة ، والفرق ظاهر .

ولا بأس بدف العرس » .

في كل بلاد العالم قوانين موضوعة يلزم الناس باتباعها بالقوة، أما الدين فلا تلزم الدول رعاياها باتباعه، وإنما تكل أمره الى ضمائر الناس ، من شاء اتبع أحكامه ومن شاء أهملها ..

وليس الأمر هكذا في نجد ، فالشرع هنا هو : نظام الدولة وقانونها ، وليس لها نظام غيره .

المحتسب والمطوع

ولم يكن هذا شيئاً ابتكرته نجد لنفسها أو ابتكره لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما هو ارث أو تقليد قديم ، أصيل ، فالدول الاسلامية ، قديماً ،

كانت كلها قائمة على أساس الشرع الاسلامي وحده .

وكان فيها منصب يسمى : « الحسبة » ، ويسمى صاحبه : « المحتسب » ، وعمله : تطبيق القاعدة الدينية العظيمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان مع المحتسب أعوان ، يراقبون العبادات والأخلاق العامة والتجار وأرباب الحرف والاسعار والموازين والطرق والمباني ، الى غير ذلك .

فراقبتهم للعبادات : أن يسوقوا الناس الى صلاة الجمعة والجماعة والأعياد ، ويمنعوهم من الافطار علنا في رمضان الخ ..

ومراقبتهم للأخلاق : أن يريقوا الخمور ، ويكسروا المعازف ، ويمنعوا اللعب بالنرد والشطرنج ، وتطيير الحمام ، وعمل التماثيل والصور للكائنات الحية ، وكانوا يمنعون اجتماع الناس على السحرة والمشعوذين والمتكلمين بالغيب ، ونحو هذا ..

ثم منعوا المحتسبين من مراقبة العبادات ، وقصروا مهمتهم على مراقبة الصناع وأرباب الحرف والموازين والأسعار والأبنية وما يتصل بذلك ، وهو داخل اليوم في اختصاصات البلديات ووزارات الصحة .

ثم أبطلت الحسبة ، وأهملت الدول الاسلامية أمور الدين ..

وبقيت نجد متمسكة بالشرع ، محتفظة بالحسبة ، ويسمى المحتسب ، في نجد : المطوع .

وكانت كلمة « مطوع »، تطلق على الرؤساء الذين حلوا محل المحتسبين، ولكنها تطلق الآن على الأعوان ، وهم بمثابة الشرطة الدينية أو الأخلاقية ، ولهم رؤساء ، ويطلقون اليوم على هذه التنظيمات اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي تابعة لمنصب المفتي الاكبر للمملكة العربية السعودية ، الذي يقوم عليه عالم من آل الشيخ .

ان عمل المطوع هو حمل الناس ، بالقوة عند الضرورة ، على تنفيذ أوامر الدين ، ومنع المنكرات .

ولا شك في أن عمل المطوعين ، أو « المطوعة » ، يتغير بتغير الأزمنة ، شدة وتراخيا ، وانكماشا واتساعا : فقبل عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن

للمطوعين كبير أثر في حيـــاة نجد ، ولعلهم كانوا يحمون كثيرا من المنكرات ، يظنونها من الدين ..

وبعد استقرار الأمور للشيخ ولأمراء آل سعود ، أصبح المطوعون منفذين لأوامر الدين ونواهيه ، كما بينها لهم الشيخ .

وربما تشدّد بعض المطوعين أحياناً شدة منفرة مؤذية وهذا لا يعني أن النظام كله غـير صالح ، وانمـا يعني دخول الفساد على بعض الموظفين ، وليس ذلك خاصا بفئة المطوعين ، ولكن كثرة اتصالهم بحيـاة الناس اليومية يوجب السهر الموصول على سلوكهم والعناية الشديدة باختبارهم وتعليمهم واجباتهم .

الاكراه على الصلاة

أهم ما يفعله المطوعون : سوق الناس الى الصلاة في المساجد .

هـــذا الأمر أكثر شيء يلفت أنظار الأجانب الذين يزورون البلاد العربية السعودية ، وهــو شيء لا يعرفونه في بلادهم ، وذلك أن المطوعين ، المسلحين بالمراوات ، يخرجون الى الطرق ، عند اقتراب مواعيد الصلاة ، ويحملون التجار على اغلاق حوانيتهم والذهاب الى المساجد ، ويفعلون مثل ذلك بمن يشاهدونه من المارة ، ويذهب بعضهم الى الدور يقرعون أبوابهـــا ويهيبون بأصحابها الخروج الى المساجد لتأدية الصلاة ، وكان عند أئمة المساجد جرائد بأسماء سكان محلاتهم ، يقرأون أسماءهم ليعرف من تخلف منهم عن الصلاة ، فمن تخلف عنها بغير عذر مقبول نزلت به العقوبة المستحقة .

لا يشك أحد في أن الصلاة ركن من أركان الاسلام ، وفرض عين على كل مسلم ، ولكن الدول الاسلامية ، وخصوصاً تلك التي تفرق بين الشرع وبـــين القانون ، لا ترى من حقها ان تسوق الناس بالقوة الى المساجد ، وليس ذلك بسبب قول بعضهم ان صلاة الرجل في داره صحيحة ، ولكنها ، كما أسلفنا ، ترى نفسهـا حارسة القانون لا الشرع .

مكافحة المنكرات

لا نعني بمكافحة المنكرات ، مكافحة السرقات ونحو ذلك ، مما تقوم به دوائر الشرطة ، وانما نعني بالمنكرات ما هو متصل بسلوك الأشخاص وأخلاقهم ، وخصوصاً « تصرفاتهم » التي لا عدوان فيها على أحد ، ولكنها تعد منافية للدين والعرف ، كخروج امرأة مثلاً الى الشارع شبه عارية ، أو تعاطي أحدهم المسكرات ..

من الأمور التي تلفت نظر الأجانب في البلاد السعودية ، حتى اليوم ، خلوها من الملاهي والحانات والمقاهي المجهزة بأدوات اللعب ، والمسارح ودور السينما ، ونحو هذا ، بحيث يمكن القول ان نوعاً من التقشف قد فرض على حياة الأفراد .

يضاف الى ذلك قيام المطوعين بمنع عرض الصور ، والغناء غير الوقور .. أو اجتماع بعض الأفراد على حالة غير مرضية ، وما يشبه ذلك من المفاسد ..

شيء من هذا « الوقار » في مظاهر الحياة العامة ، نجده في حاضرة الفاتيكان ، مقر البابا ، أعظم رئيس ديني مسيحي في العالم ، وقد فرض أيضاً على مدينة روما ، التي تقوم حاضرة الفاتيكان في طرف منها ، فالدولة تحظر ظهور النساء في ملاهي روما لعرض أجسادهن والقيام برقصات وحركات « خليعة » مستهترة ، ونحو هذا من المفاسد التي لا تليق بحرمة بلدة يقوم فيها مركز الكاثوليكية في العالم .

ويفهم الأجنبي أن تحافظ البلاد العربية السعودية ، وفيها الأماكن المقدسة ، وهي الدولة القائمة على أساس الشرع ، على الأخلاق الاسلامية ، وتتمسك ، ما استطاعت ، بتراثها الأصيل ، ولكن السياسة الشرعية نفسها تستوجب معالجة هذا الأمر بحكمة ، حتى لا تنشأ عن الشدة مفاسد قد تفوق التراخي والتساهل ، لأن « الكبت » ، يعقبه الانفجار .

وقد أدركت حكومة البلاد السعودية هذا الأمر ادراكاً واعياً ، فأخذت تتساهل في مسائل التسلية البريئة ، حتى لا ينصرف الناس في السر ، ان لم نقل في العلن ، الى ما هو أسوأ ، فالراديو والتلفزيون منتشران اليوم في البلاد ، ويستطيع الناس الاستماع ، وهم في دورهم ، الى الأغاني ورؤية الأفلام والمسرحيات ، وربما

أذنوا في مستقبل غير بعيد بافتتاح دور للسينما لعرض أفلاماً مقبولة ، وغير ذلك ، في تطور هادىء رصين موزون .

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يظن بعض الناس ، لما يرونه من شدة المطوعين أحياناً ، أن هذه الشدة ملازمة لقاعدة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهذا وهم .

فلهذه القاعدة آداب وسياسات متى أحسن فهمها واتباعها ، ضمن ذلك للمجتمع الاسلامي حياة سليمة رغيدة . وللشيخ محمد بن عبد الوهاب كلام في هذه الآداب ، يعد من أحسن وصاياه ، ويكشف عن سياسته الشرعية القائمة على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمر الله تعالى ، لا كما يتوهم الجهلة .

وصايا الشيخ

قال ، رحمه الله ، في رسالة إلى أهل سدير :

« إن بعض أهل الدين ينكر منكراً ، وهو مصيب ، لكن يخطىء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الاخوان ، وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » الآية الكريمة .

وقال محمد (ص) : « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » .

وأهل العلم يقولون : إن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث : أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ،

صابراً على ما جاءه من الأذى .

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هـذا والعمل به ، فان الخلل إنمـــا يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه .

وأيضاً يذكر العلـــماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره !

فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فانكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه .

والجامع لهذا كله : إذا صدر المنكر من أمـــير أو غيره : أن ينصح برفق ، خفيةً ما يعلم أحد ، فان وافق ، وإلا أرسل اليه رجلاً يقبل منه بخفية . فان لم يفعل ، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا ان كان على أمير ونصحه ولا وافق واستحلف عليه ولا وافق ، فيرفع الأمر (بِنّا - أي الى جهتنا - خفية ..)

وصايا ابن تيمية

وقد دعا ابن تيمية القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى التـــأدب بأدبين ، قال :

« إعلم ان من الأعمال ما يكون فيه خير ، لاشتماله على أنـواع من المشروع ، وفيه أيضاً شر ، من بدعة وغيرها ، فيكون ذلك العمل شراً بالنسبة الى الإعراض عن الدين بالكلية ، كحال المنافقين والفاسقين .

وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة ، فعليك هنا بأدبين :

أحدهما : ان يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً ، في خـاصتك وخاصة من يطيعك ، واعرف المعروف ، وأنكر المنكر .

الثاني : أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الامكان . فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه ، فلا تدعو الى ترك منكر ، بفعل ما هو أنكر منه ، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرّ من فعل ذلك المكروه .

ولكن اذا كان في البدعة نوع من الخـــير ، فعوّض عنه من الخير المشروع

بحسب الامكان .

فتعظيم المولد واتخاذه موسماً ، قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد. ولهذا قيل للامام (أحمد) عن بعض الامراء، إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال : دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب ! ..

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة . وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط . وليس مقصود أحمد هذا ، وإنما قصده : إن هذا العمل فيه مصلحة ، وفيه أيضاً مفسدة كره لأجلها ، فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ، مثل أن ينفقهـا في كتاب من كتب الفجور ...

فتفطن لحقيقة الدين ، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ... حتى تقدم أهمها عند المزاحمة .

أمور مفتراة على أهل نجد

الدخان . القهوة . العادات والملابس . المولد النبوي . المنار

من يقرأ كتابات الغربيين ، وحتى العرب ، عن الوهابية ، يستغرب كثرة ما نسبوا الى أهل نجد من الامور التي لا يقولون بها ، ولا يفعلونها .

من ذلك اتهامهم الوهابيين بأنهم يتشددون في المباحات ، فيحرمون مثلا القهوة، ويوجبون على الناس ارتداء ملابس مخصوصة ، ويكفرون من يستعمل الدخان ، أو يشهد المولد النبوي ، ويريدون إخضاع عادات الناس المباحة لما تخضع له العبادات ، الى غير ذلك .

وسنلم بشيء من هذه الأقوال ..

العبادات والعادات

يقول أبو زهرة وغيره إن الوهابيين لم يكتفوا بجعل العبادات كما قرّرها الإسلام ، وبينها ابن تيمية ، وإنما توسعوا في معنى البدعة ، فجعلوا من البدع عادات لا صلة لها بالعبادات ، كبعض أمور الملابس والمآكل ...

وهذا زعم باطل ، فشأن الوهابيين في هذا الأمر شأن سائر المسلمين السنيين .

ومن كتاباتهم التي تدل على تفريقهم بين العادات والعبادات ، ما كتبه الشيخ سليمان بن سحمان ، حول العمائم والملابس الخاصة التي أحدثت لرجال الدين ، فقد أنكر لزومها ، لأن رسول الله (ص) كان قبل النبوة وبعدها يلبس لباس العرب المعتاد ، ولا يتميز منهم بشيء خاص !

وأردف قائلاً : إن لبس العمائم والأردية والأزر وغيرها هو من العادات ، التي هي قسم المباحات ، التي لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ، لا من قسم العبادات.

ولذلك لا مجال للقول بأن من يأكل كذا أو يلبس كذا ... يبتدع بدعة أو يرتكب جرماً ! .

قال الشيخ عبد اللطيف : « الكلام في العبادات لا في العادات ...

والمباحث الدينية نوع ، والعادات الطبيعية نوع آخر ، فما اقتضته العادة من أكل وشرب ومركب ولباس ونحو ذلك ، ليس الكلام فيه .

والبدعة ما ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ولم يرد بها دليل شرعي من هديه وهدي أصحابه »

الدخان

ليس النهي عن استعمال الدخان من عمل « الوهابيين » ، وإنما هو اجتهاد إسلامي عام ، يتشدد فيه بعض الناس ويتسامح فيه آخرون .

وقد أدخل الدخان « التتن والتنباك » إلى استانبول في أوائل القرن السابع عشر للميلاد ، فاحتج علماء الدين الاتراك عليه ، وأصدر السلطان مراد الرابع أمره بتحريمه ومعاقبة من يستعمله ، ولم يكن السلطان مراد وهابياً ! ...

وفي منطقة نجد ، من المملكة العربية السعودية ، لا يستعمل الناس الدخان إلا قليلاً ، بسبب التقاليد القديمة الموروثة ، التي بقيت آثارها الحسنة حتى اليوم ، وكان الوهابيون يتشددون في منع الدخان ، ويزعم « بلغريف » ان بعض العوام من الغلاة كانوا يعدون استعمال الدخان من الكبائر ، وليس قولهم حجة !

ولكن « بلغريف » يجد لتشدد الوهابيين القدامى في منع الدخان ، عذراً واضحاً ، وهو أن الدخان الذي كان يجلب إلى نجد ، من عمان ، كانت قوته « السمّية » تفوق ثلاثين مرة قوة السمّ الموجود في دخان « فيرجينيا » اليوم مثلاً ! ... [1]

القهوة

يقول أبو زهرة إن الوهابيين كانوا يحرمون على أنفسهم القهوة، ثم تساهلوا فيها..

ووقع بهذا الخطأ كثير من المؤلفين الغربيين القدماء ، توهموا أن شرب القهوة محرم في بلاد نجد !

والحقيقة هي أن الوهابيين لم يحرموا القهوة ، وإنما حرمها جماعة من « الجهمية » في عمان .

وقد قام رجل منهم يدعى « عبد العزيز بن مزروع » يشكو من انتشار شرب القهوة في نجد ... وأنه من البلاوي على النجديين ، وطلب تحريم شربها ، فردّ عليه العالم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مفتي الديار النجدية ، رداً ساخراً لطيفاً ، تضمن كثيراً من الفوائد والحكم ، فكان دفاعاً « مجيداً » عن القهوة وغيرها من المباحات .

دفاع عن القهوة !

قال الشيخ عبد اللطيف :

---

١ - يقول الاستاذ احمد السباعي ، في تاريخ مكة ، ان الدخان ظهر في مكة عام « ١١١٢ » هـ .

« ... قولك : من البلاوي على أهل الوقت عامة ، وعلى أهل نجد خاصة ، في دنياهم : القهوة .

فلا أدري ما يراد بالبلوى هنا ؟

أهي الابتلاء في الدين ، أو هي الابتلاء بالنفقة فقط ؟

فإن كان الأول فلا يسلم بمجرد الدعوى .

وإن كان الثاني ، فالناس درجات وطبقات في اليسر والعسر والمعيشة ، وتوسع الأغنياء إنما يذم لوجوه لا تختص بالقهوة ، بل يجري في غير ذلك من سائر المباحات .

وأما التعليل بأن فيها مضار للأبدان ، فلا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ، فإن الأبدان الدموية والبلغمية تنتفع بها بلا نزاع ، والسوداوي والصفراوي يمكنه التعديل بالتمر – الذي هو غالب غذاء أهل نجد – وقال « داود » في تذكرته : بعدّلها كل حلو .

وأما قولك : وإذا كان الخمر يزيل العقل عند شربه ، فهي ، شاهدناها ، تخامر العقل عند فقدها !

فهذا الكلام لا ينبغي أن يقال ، لأن الخمر تزيل العقل بمخامرته أي بتغطيته ، وهي – القهوة – لا تزيل العقل ولا تخامره ، بل ربما كان شاربها قوي الذهن حاد الإدراك جيد الحافظة ، والموجود عند فقدها لا يسمى مخامرة ، وإنما كسل وفتور ، لها لا بها ...

وأما قولك : وإذا عرضت مضارها على العاقل منهم شهد بها وعابها .

فيقال : أي عاقل يراد بهذا ؟ أما العامة ومن لا عناية له بمعرفة الأحكام الشرعية ... فعقولهم لا تصلح أن تكون ميزاناً ...

وقولك : واذا وزنتها العقول السليمة ، فلا شك أنها لهو ولعب .

– .. فاللهو واللعب ما لا يعود بمنفعة أصلا ويعود بمضرة رجحت على مصلحته ، وإدخال القهوة في هذا التعريف يحتاج إلى أصول ومقدمات ... وما ذكرت في التعليل قد يجري في كل مباح .. وليس ذلك الوصف لازماً للقهوة .

وأما كونها لا تغني من جوع ولا تروي ..

فهذا الوصف يأتي على كثير مما كانوا يتعاطونه من المباحات ولم تأت الشريعة بتحريم ما لا يغني من جوع ولا يروي .

وأما كون مزرعها من بلاد الكفار .

فمتى كان عندكم امتناع ما زرعه الكفار ، ونسجه الكفار ، وخرج من بلاد الكفار ، وجمهور أموالكم ومأكلكم من هذا الضرب ؟

... قد كانت المدينة في عهد النبوة يجلب إليها من بلاد الكفار أنواع المآكل والأدهان والملابس التي نسجت وصبغت ببلاد الكفار .. كما لا يخفى على من له أدنى نظر في الأخبار .

وأما ما زعمت من ضررها على أهل الجهاد .. فمن الظرائف ... وربما قيل بعكس القضية ، لما فيها من « تنشيف البلغم » وتخفيف المواد المكسلة الردية .

ولو صرف الأخ النجيب فكرته ونظره إلى ما تعطل من أصول الدين ... لكان هذا أولى وأجدر . » ــ انتهى كلام الشيخ .

المولد النبوي

أنكر ابن تيمية على الناس ، في زمانه ، مضاهاتهم للنصارى واتخاذهم عيداً من يوم المولد النبوي ، يحتفلون به كما يحتفل المسيحيون بعيد ميلاد المسيح ، عليه السلام .

وحجة ابن تيمية في إنكاره أن هذا شيء لم يفعله السلف ، « مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه . ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ، لكان السلف أحق به منا ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله (ص) وتعظيماً له منا ، وهم على الخير أحرص ، وإنما كمال محبته وتعظيمه : في محبته ومتابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان . »

ومع ذلك لم يتشدد ابن تيمية في إنكاره للموالد ، بل أظهر وهو يتحدث عن أدب الإنكار ، أن « تعظيم المولد واتخاذه موسماً ، قد يفعله بعض الناس ويكون

له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ...

وقد يحسن من بعض الناس ، ما يستقبح من المؤمن المسدد .

ولهذا قيل للامام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال :

- دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب !

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة .

.. فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ..

فتفطن لحقيقة الدين وانظر مـــا اشتملت عليه الأفعـال من المصالح الشرعية والمفاسد .. حتى تقدم أهمها عند المزاحمة » .

وقد كتب الشيخ الى سليمان بن سحيم ينكر عليه حضور الموالد ، فقال :

« .. الناس يشهدون عليك أنــك تروح للمولد ، وتقرأه لهم ، وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ، ويطلبون منهم الغوث والمدد ، وتأكل اللقم من الطعام المعد لذلك .

فإذا كنت تعرف أن هذا كفر ، فكيف تروح إليهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم . » .

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أن من البدع: مـــا اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي (ص) بقصائـد بألحـــان ، وتخلط بالصلاة عليه ، والأذكار والقراءة ، ويكون بعد صلاة التراويح ، ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب .

وفي اعتقادنا أن الشيخ وابنه عبدالله إنما تشددا في إنكار الاحتفـــال بالمولد النبوي ، لأنه كان يقـــام على شكل مخصوص لا تراعى فيه الأوامر والآداب الدينية ، أما إذا اكتفى الانسان في يوم المولد النبوي بقراءة سيرة النبي (ص) ورواية أحاديثه وتعداد فضائله لمجرد الذكرى والاعتبار ، فمـــا الضرر في ذلك ، وإن كان السلف لم يكونوا يفعلونه ؟

ان البدعة في العبادات ، فـإذا تجرد المولد من فكرة العبـادة والقربة ... لم يبق مجال للتحدث عن البدعة والابتداع ، والله أعلم !

المنار

وقالوا : ان الوهابيين يهدمون المآذن ويستنكرونهـا ، ولا يتخذونها في مساجدهم ، لمجرد أنها لم تكن موجودة في زمان النبي (ص) .

وقد ردّ على هذا الزعم الشيخ عبد اللطيف ، فقال :

« هذا أيضاً من البهت ، فالمنار موجود مشيد بنجد الآن . وليس وجود المنار شرطاً في الإسلام ولا واجباً ، وفي استحبابه نزاع لعدم وجوده في عهده (ص) . وكان المؤذن يتحرى أعلى المسجد وسطحه ليحصل الإسماع . » .

المحمل

من العادات أو « المراسم » المشهورة التي كانت تبرز في موسم الحج من كل عام ، في البلاد العثمانية : المحمل .

والمحمل : جمل ، ينصب عليه « هودج » ، ويزين بأنواع الزينة ، يجعلونه في مقدمة الركب ، أي قافلة الحجاج ، ويحيطونه بكل مظاهر الحفاوة والتكريم ، كأنه رمز حيّ للحج !

وربما جعلوا خلفه فرقة من الموسيقيين تضرب على آلاتها النحاسية وتنفخ في الأبواق وتقرع الطبول ، زيادة في التعظيم ... والتجسيم !

وهذه العادة لا خطر منها ، لو أنها كانت مجرد عمل من أعمال الأفراد ، يقومون به عفواً ، ولكنهم جعلوه كالسنة المتبعة ، أو الفريضة الشرعية ... وبالغوا في الاحتفال به مبالغة كبيرة ، وأقاموا له « الموظفين » المختصين بالعناية به ، حتى توهم العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج ... أو مقدمة له لا يستغنى عنها !

ومن المعروف أن السلفيين وخاصة الحنابلة منهم كانوا ضد هذه الطقوس المبتدعة ، التي لا تخلو من شيء من المظاهر الوثنية .

وقد تشدد الإمام سعود الكبير في منع المحمل العثماني من دخول مكة بأبهته المعهودة ، وحاشيته الموسيقية ، وحرسه المسلح ، وعدّ ذلك مخالفاً للشرع ، وربما كانت له وراء ذلك أغراض سياسية أيضاً ...

وفي عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، حاول المصريون أيضـاً تجديد مراسم المحمل ، مع أن أيام الحج على الجمال مضت وانقضت ، فوقفت الحكومة السعودية أمامهم تحول دون ذلك ، وكادت تقع بسبب المحمل فتنـة كبيرة ، لولا حكمة الملك عبد العزيز ومعاونيه ، ويمكن القول ان هذه العادة قد زالت الآن ... بفضل مقاومة الحكومة السعودية لها أولاً ، وثانيـاً : بفضل تحول النـاس عن ركوب الجمال إلى الطائرات والسيارات والبواخر .

ما كتب عن الوهّابيّة

أول كتابة ظهرت في أوروبا عن الوهابية

Deseription de L'Arabie

Par

Karsten Niebuhr

أول كتاب ظهر في الغرب ، تحدث فيه صاحبه عـــن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خلال حياته ، هو كتاب « وصف جزيرة العرب » ، للرحالة الدانياركي المستشرق : « كارستك نيبوهر » ، الذي زار اليمن ثم سواحل الخليج العربي ، والبصرة ، ومدناً أخرى في العراق والشام ؛ ولكنه لم يستطع الوصول الى الدرعية ، ليحقق أملاً غالياً في لقـــاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود .. فاكتفى بنقل ما سمعه من أخبار نجد والحركة الوهابية ، وهو في البصرة .

وليست أخبار نيبوهر كثيرة ولا خطيرة ، ولكن قيمتها في أوليتها وسبقها ، وأنهـا غير بعيدة كثيراً عـــن الحقيقة ، وأدنى الى الإنصاف ممـــا كتبه بعض الشرقيين ..

وهذه هي ترجمتنـا للفقرات التي تحدث فيها نيبوهر عـن الحركة الوهابية ، وربما أشير إليها في كتب عربية أخرى ، ولكن أحداً ، فيما نعتقد ، لم يسبقنا إلى ترجمة نصها الكامل :

« كان سكان المدن والقرى في نجـد ، كلهم ، سنيين من أتباع ابن حنبـــل

– باستثناء عدد يسير من النصارى واليهود ، والشيعة ، في هجر .

ومنـذ بضع سنوات، نشأت في العارض فرقة جديدة ، بـل ديانة جديدة ، ستحدث مع مرور الأيام تغييرات واسعة في معتقدات العرب وأسلوب حكمهم .

ومؤسس هذه الديانة هو : « عبد الوهاب »[1] ، الذي ولد في نجد ، ودرس في شبابه علوم العرب في موطنه ، ثم عاش بعد ذلك سنوات في البصرة ، وقـام برحلة الى بغداد والعجم .

ولما عاد الى نجد، دعا أبناء وطنه إلى أفكاره الدينية الجديدة ، وقد حالفه شيء من التوفيق ، اذ استطاع أن يستميل اليه عددا من شيوخ العارض . أما الجمهور ، فمن عادتهم أن يتبعوا الرؤساء ، ولذلك أصبحوا من أتباع هـذا الفقيه الجديد ، تقليداً لرؤسائهم .

كان شيوخ العارض المستقلون في قتال دائم ، فلمـا اعتنقوا الدين ، أصبحوا بفضل عبد الوهاب أصدقـاء واخوانا ،وتعاهـدوا على طلب المشورة من زعيمهم الديني الجديد قبل الإقدام على أي عمل ذي بال ، كما تعاهدوا على الالتزام بأوامره.

وبهذا اختـل التوازن السياسي الذي كان قائماً بـين إمارات العارض الصغيرة ، لأن الشيوخ الذين كانوا قادرين على الصمود أمام جيرانهم، لم يعودوا قادرين على الوقوف أمام هذا العدد من الشيوخ المتحالفين ، وأصبحت الحروب أكثر عنفاً ، لأن كل واحد من الطرفين يعتقد أنه إنما يخوضها في سبيل الدين ، وأنه إنمـا يحارب ملاحدة أو كفاراً ، يريدون الاستمرار في ضلالهم !

ولمـا رأى الشيوخ المستقلون ، الذين لم يدينوا بالطاعة لعبـد الوهاب ، أنهم عاجزون عن مقاومته ، لضعفهم وانقسامهم ، استدعوا « عرعر » ، شيخ الأحساء، لمؤازرتهم ، فهبّ شيخ الأحساء لنجدتهم، ولكنه لم يفعل ذلك لمجرد أنهم أبناء دينه، وإنما خاف أن يصبح أنصار الديانة الجديدة على درجـة من القوة تحملهم على غزو بلاده نفسها !

---

١ – عبد الوهاب ، هو اسم والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن الغربيين ألفوا تسمية الأفراد بأسماء أسرهم أو آبائهم .

« وهنا يتحدث نيبهر عن هزيمة جيش الأحساء ، ثم عن جيش نجران ، وقد استشهدنا بهذه الفقرات من كتابه في وصفنا لمعارك محمد بن سعود ، فليرجع إليها هناك . » ، ثم يقول :

لم تسعفني الفرصة في الاتصال مباشرة بأتباع عبد الوهاب ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً موثوقاً في موضوع عقائدهم .

أما السنيون الآخرون فكانوا خصومهم ، ولذلك يحاولون عرض ديانتهم عرضاً مشوهاً ، إمّا ليبغضوا بها ، وإما ليحملوا الأجانب على الاعتقاد بأن الفرق بين الديانة الجديدة وبين الديانة القديمة غير كبير من حيث الأسس .

ومن هؤلاء الذين لا يرون فرقاً بين الديانتين : رجل من أدباء البصرة ، كان يؤكد لي أن أتباع عبد الوهاب يصلون كما يصلي سائر المحمديين ، وأن محمداً عندهم هو النبي ، وأن الفرق بينهم وبين السنيين هو أنهم لا يريدون الاعتراف بأولياء السنيين ..

ويمكننا أن نستنتج من هذه الأقوال أن عبد الوهاب انما علّمَ الناسَ عقيدةَ السنيين الصافية ، فأكبر فقهاء السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد أو بأي واحد من الأولياء ، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله .

وقال لي شيخ مكاري يؤجر جماله ، زار أهم بلدان نجد ، بل رأى الجزيرة العربية كلها ، وزعم لي انه يعرف الديانة : إن عبد الوهاب علّمَ أتباعَه أن الله وحده هو الذي يجب أن يُدعى ويُعبد كخالق ومدبر للكون ، ومنعهم أن يشركوا في الدعاء اسم محمد أو أي نبي أو ولي ، أو اسم عبد الوهاب نفسه ، لأن ذلك من الوثنية .

وأضاف محدثي : ان عبد الوهاب يرى أن محمداً والمسيح وموسى وسائر الأنبياء هم رجال عظماء وجديرون بكل اجلال ؛ ولكنه لا يعتقد بوجود كتاب ، كُتِبَ بوحي من السماء ، أو أنزل بواسطة جبرائيل [1] .

---

١ – يعني ان محمد بن عبد الوهاب لم يقل قط ان دعوته كانت وحياً أو أن كتاباً انزل اليه . والا فلا يعقل ان ينسب رجل ، مهما يبلغ به الجهل – الى محمد بن عبد الوهاب انه ما كان يعتقد بوجود كتب منزلة ..

قال نيبهر: « لا أعلم إن كنت أستطيع الوثوق بكلام هذا البدوي، لأن البدو يقولون عن أنفسهم إنهم محمديون، ولكنهم لا يعرفون محمداً ولا يفهمون القرآن .»

(أوائل الكتب الغربية عن نجد والوهابية)

إن كان المؤلفون القدامى عجزوا عن فهم الدعوة الوهابية ، كما ينبغي لها أن تفهم ، فمن الحق أن نعترف لهم بأنهم كانوا أقرب إلى إنصاف الشيخ وتقدير حركته ، من كثير من أبناء البلاد العربية والإسلامية ، في عصره وبعد عصره ، وقد أثنى غير واحد من الأوربيين على الشيخ ودعوته ثناءً عظيماً ، وبالغ بعضهم في أمره ، فوصفه بأنه «نبي» وأراد آخرون أن يشبهوه بما عندهم ، فقالوا إنه «بابا» المسلمين ، وقال بعضهم إنه مصلح ديني ، من طراز « لوثر » أو « كالفان » ، اللذين قاما بالدعوة إلى تنقية المسيحية مما دخل عليها في العصور المتأخرة .

كان الانكليز أكثر الأوربيين عناية بأمور الجزيرة العربية الوسطى ، لاتصالها بمناطق نفوذهم في الخليج الفارسي ، ولكن الافرنسيين سبقوهم كثيراً إلى الكتابة عن نجد ، وعن الحركة الوهابية ، ففي عام (١٨٠٤) نشر « كورانسيز » في مجلة « لومونيتور » الباريسية سلسلة مقالات عن الوهابيين ، ثم جمعها عام (١٨١٠) م. في كتاب أسماه « تاريخ الوهابية » .

وفي عام (١٨٠٦) أصدر « جان ريمون » كتاباً بعنوان « مذكرات عن أصل الوهابيين » .

وبعد قليل أصدر « روسو » كتاباً أسماه : « مذكرات عن الفرق الإسلامية الثلاث » .

وفي عام (١٧١٨) ألف « أوغوست دونارسيا » كتابه : « رسالة صغيرة عن العرب ومذهب الوهابيين » .

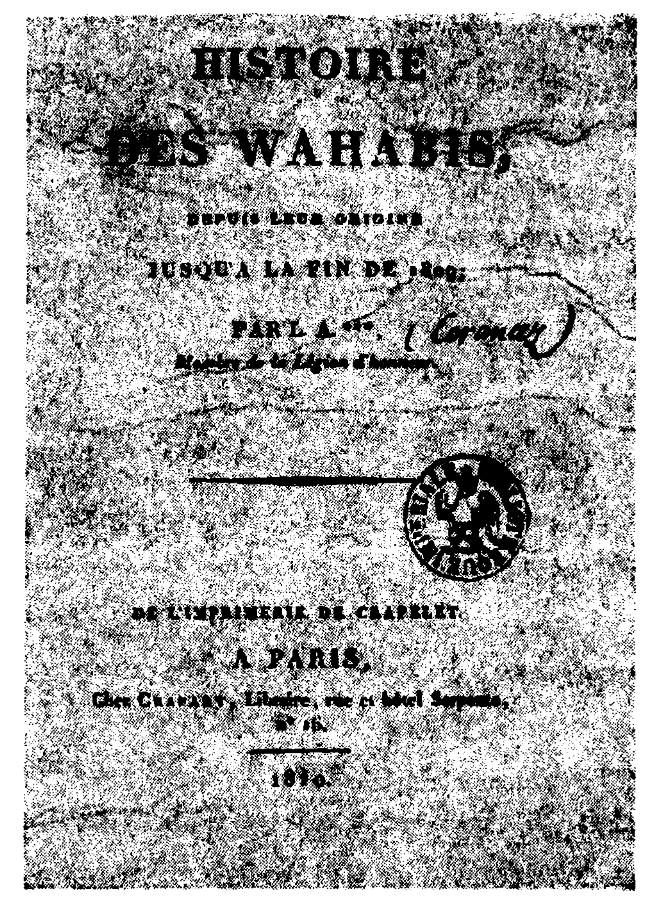
ثم أصدر « جومار » ثلاثة كتب عن نجد والعرب وهي :

١ – تاريخ الوهابيين .

٢ – رسالة عن بلاد نجد .

٣ – دراسات جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب عام ١٨٣٩ م.

أول كتاب ظهر في أوروبا عن الوهابية



HISTOIRE

DES WAHABIS,

DEPUIS LEUR ORIGINE

JUSQU'A LA FIN DE 1809;

PAR L. A. ***. (Corancez)

Membre de la Légion d'honneur.

DE L'IMPRIMERIE DE CRAPELET.

A PARIS,

Chez CRAPART, Libraire, rue et hôtel Serpente, N° 16.

1810.

صورة فوطوغرافية لغلاف كتاب كورانسيز

تاريخ الوهابيين

تاليف أوليفيه ده كورانسيز

أول كاتب غربي وضع كتاباً عن تاريخ نجد ، منذ ظهور الحركة الوهابية، هو

الكاتب الفرنسي : أوليفيه ده كورانسيز ، ونشر هذا الكتاب في باريس عــام ١٨١٠ م. أي بعد سنوات قليلة من استيلاء الوهابيين على مكة ، فكان له دوي هائل ، وأخذ عنه المؤرخون والكتاب وأصحاب المجلات والصحف .

كان كورانسيز عضواً في البعثة العلمية التي صحبت الامبراطور نابوليون بونابرت الى مصر ، ثم أقام مدة في حلب ، قنصلاً لفرنسا فيهـا ، وهناك جمع مواد كتابه عن الوهابيين ، وهو الآن شبه مفقود ، ولكننا ظفرنا بنسخة منه في دار الكتب الوطنية بباريس وصورناها ، وسنقوم بترجمتها وطبعها إن شاء الله .

وحسبنا الآن ، تقديراً لأولية هذا الكتاب ، ان نترجم مقدمته الى العربية ، وسيجد قارىء كتابنا، في فصول متفرقة ، أقوالاً وأخباراً أخذناها عن كورانسيز.

قال المؤلف الفرنسي ، في مقدمة كتابه :

ان اسم الوهـــابيين اليوم جد معروف في أوربا ، والناس حراص على معرفة أحوالهم ، ومن هنا قيمة كتابنا وخطره .

إن هؤلاء العرب مدعوون إلى القيام بدور عظيم في التاريخ ، فاذا حققوا هذا الأمل ، فمن الخير أن يعرفهم النـاس منذ اليوم ، لأن عنـاصر العظمة ، لكل شعب ، إنما تـُلتمس في أول أمره ، ومطلع فجره ...

أما إذا بقي الوهـــابيون منطوين على أنفسهم في جزيرة العرب ــ وهم اليوم سادتها ــ فقد فعلوا أشياء جليلة جداً ، تستوجب تخليد ذكرهم !

لقد أقمنا في حلب ثمانية أعوام ، أنفقنا خلالهـــا خير جهدنا وأحسن وقتنا في جمع « المعلومات الصحيحة » عن نشوء السلطة الوهابية ، وتطورهـــا ، وحالتها الحاضرة . ولعل صعوبة عملنا أفضل عذر نقدمه بين أيدي القراء عمـــا يجدونه في كتابنا من نقص أو خطأ .

لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الوهابيين في أوائل هـذا العصر ، إلا القليـل الذي كتبه « نيبهر » عنهم ، ثم جـاء استيلاؤهم على مكة ، يثير اهتمام الدنيا كلها بأمرهم .

نشرنا في أكتوبر من عام١٨٠٤ تاريخاً موجزاً للوهابيين في جريدة «لومونيتور»

فنقلته عنها مجلات وصحف كثيرة . وهو أول تاريخ لهم يُنشر في فرنسا . وكان أكبر عون لنا في عملنا : مسيحي ماروني من أسرة « فرنجية » ، وإفرنسي يدعى « ريمون » ، كان يعمل ضابطاً للمدفعية ، في بغداد ...

ليس من غايتنا أن نتلمس مصدر الوهابية في حركات سبقتها ، فقد قيل ، مثلاً ، إنهم ورثة القرامطة ، الذين كانوا يسيطرون على البحرين ، وأقدموا على سرقة الحجر الأسود من الكعبة ؛ وقد يكون صحيحاً أن الدروز والنصيرية والمتاولة والإسماعيلية تأثروا بالقرامطة ، ولكن نسبة الوهابيين اليهم غير صحيحة إطلاقاً ، لأن القرامطة شوّهوا دين الإسلام ، وأما الوهابيون فقد نقّوا الإسلام بما أدخل عليه من تشويه وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه ، فهم والقرامطة ضدان !.

لم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة ، ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم ، ضمانة كبيرة لبقائهم وعظمتهم !

ان الحركة الوهابية قريبة من زمن نشأتها ، ومع ذلك لا نعرف من أخبارها إلا القليل ، لأن العرب يتقاتلون دائماً ، ثم ينسون ما صنعوه ، أو لعلهم ينسون ما كانوا يعدونه أمراً تافهاً غير جدير بالتدوين والحفظ .

وهكذا غابت عنا أوصاف المعارك الأولى الصغيرة التي خاضها الوهابيون ، والصعوبات التي وقفت في طريق سيرهم ، وقد تبقى مجهولة إلى الأبد .

التمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خارج نجد ، أميراً أو « باشا » يحمي دعوته فلم يجد ضالته ، لا في دمشق ، ولا في بغداد ، ولا في البصرة ، فعاد إلى نجد ، وهنا تحقق حلمه ، فقام محمد بن سعود بحمايته ونصرة دعوته .

كان المسلمون يومئذ يمارسون أشكالاً غريبة من العبادات ، بحيث لو عاد « محمد » إلى الدنيا ، لظن أن الإسلام زال منها ، ولرأى شيئاً عجيباً ... فالصلاة نفسها صارت لها « طقوس » جديدة ... وعلى القبور تقام القباب والمباني ، ويُزعم أن لأصحابها كرامات أو معجزات ... وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة . ومجانين يتنقلون في البلاد بحرية ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم ، لأنهم ، فيما

يزعمون ، من أصحاب « السر » أو أهـل الحظوة ... وأمـــا القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته ! ...

أعاد محمد بن عبد الوهاب – وهو من « مضر » عشيرة النبي محمد – الإسلام إلى حالة يعرفها النبي ولا ينكرها .

.. ومما ساعد الوهابيـة على كسب الأنصار أن الناس مولعون دائماً بالجديد ، محبون للتغيير !

حرمت الوهابية كثيراً من متع الحياة ومباهجها ، فأغضبت بذلك فريقـاً من الأغنياء ، ولكنها أرضت الفقراء ، لأنهـــا قربت المسافات بينهم وبين الأغنياء ، الذين ما عادوا يستطيعون تبذير ثرواتهم على الخمور والفجور ، وغير ذلك من مظاهر الترف التي كانت تثير أعصاب الفقراء !

وكان مقدراً للوهابية أن تتوسع كثيراً ، ولكن تشدد بعض رؤسائها في تطبيق أفكارهم حال دون ذلك » . – انتهت المقدمة ، وقد ترجمناها بتصرف يسير.

أخطاء كورانسيز

تورط (كورانسيز) مع شدة تحرّيه ، وحسن نيته ، في عـــدة أخطاء لعلها نشأت عن أكاذيب خصوم الوهابية الذين كانوا ينقلون إليه روايات باطلة كثيرة لم يستطع تمحيصها كلها ، فمن أخطائه :

١ – قوله إن الوهابيين حذفوا الشطر الثاني من الشهادة وهو : « محمد رسول الله » واكتفوا بالشطر الأول : « لا إله الا الله » .

٢ – وقوله إن الشيخ دعا إلى التمسك بالقرآن ، دون الحديث .

٣ – وقوله إن المسلمين عامة ينظرون إلى محمد كرسول ونبي ، وإن الوهابيين ينظرون اليه كرجل حكيم ليس أكثر .

٤ – وقوله إن الوهابيين يحترمون اليهود والمسيحيـــين أكثر من احترامهم للمسلمين المنتمين إلى المذاهب الاخرى .

٥ – وقوله إن الوهابيين يقتلون من يستعمل الدخان .

وقد تناقل المؤرخون والكتاب الغربيون أقوال (كورانسيز) ، وهي في جملتها ، تصور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في صورة مصلح ديني ، يكافح الخرافات والبدع ، ولكنه متشدد في ذلك !

روسو

أشهر المذاهب الإسلامية الثلاثة

MÉMOIRE

SUR

LES TROIS PLUS FAMEUSES SECTES

DU MUSULMANISME,

LES WAHABIS, LES NOSAÏRIS ET LES ISMAÉLIS;

PAR M. R*** (Rousseau)

Correspondant de l'Institut Royal, et Associé de l'Académie des Sciences, Belles-Lettres et Arts de Marseille.



Les Prophéties et les sectes religieuses ont été plus communes chez les orientaux à cause de l'enthousiasme.

VOLTAIRE. *Essai sur les mœurs et l'esprit des nations.*

A PARIS,

Chez A. NEPVEU, libraire, passage des Panoramas, N.° 26.

ET À MARSEILLE,

Chez MASVERT, libraire, sur le Port.

1818.

صورة فوطوغرافية لكتاب روسو

ومن أوائل الكتب الفرنسية ، التي تحدثت عن الوهابية ، وقارنتها بالاسماعيلية والنصيرية لتظهر اختلافها عنهما ، خلافاً لمزاعم بعض المؤلفين العثمانيين ، كتاب ألفه

الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨ م . وهذا شيء مما كتبه عن الوهابية :

« إن نظرية محمد بن عبد الوهاب بسيطة جداً، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد، ويقول إن الله هو مصدر ما يصيب الناس من خير ومن شر ، وإن أحداً لا يستطيع أن يتوسط بين العبد وبين خالقه ليغير القضاء والقدر ، وإن الموتى ليسوا أكثر من تراب ، فهم لا يضرون ولا ينفعون ، وتوجيه الأدعية إليهم والبناء على قبورهم عبثٌ بل شرك ، وقد بدأ النصارى بمثل هذا وانتهوا إلى جعل المسيح إلها يعبدونه .

... أحلّت الوهابية أتباعها من رابطة الولاء نحو الخليفة العثماني .

وهي تحرم الخمر والدخان ، ولكنها تحل القهوة وتتساهل في أمر الملابس ، وأما الشعر ، وخاصة اللحى ، فإنهم يقصونه بالمقصات ، وهكذا كان يفعل اليهود المتعصبون ، المتمسكون بعاداتهم القديمة .

وهم لا يغسلون أيديهم بعد الطعام ، حتى يذكر الإنسان دائماً نعمة الله عليه !

ويقال إن الوهابية تتساهل مع المسيحيين أكثر من تساهلها مع المسلمين ، وهذا غير صحيح !

فقد علمنا أن رجالاً من باريس ، أرادوا العودة إلى بلادهم بطريق فارس ، فاستولت على سفينتهم عشيرة « القواسم » ، ولم يستطيعوا إنقاذ حياتهم إلا بالدخول في الوهابية وقبول « الختان » ...

ولما هاجم الانكليز القواسم ، استنجد هؤلاء بالباريسيين ، فاستعملوا الأسلحة النارية ضد الانكليز ، وكان ذلك وسيلة لإرضاء ضمائرهم بمقاتلة أعداء وطنهم أكثر منه وسيلة لاسترضاء القواسم .

وأصبح الوهابيون أكثر تسامحاً مع المسيحيين ، بعد أن اكتشف سعود الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم ، وإنما يجب عليهم دفع الجزية .. وفي هذا له كسب مادي لم يكن ليزهد فيه ! »

ميشو

تكلم « ميشو » عن الوهـــابية في كتابه : La Biographie Universelle « التراجم الكونيـــة » . وكان مصدره الأول ، فيما نعتقد ، كورانسيز ، وهو يعرّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بأنه « نبي » ويزعم أن شعار الوهابيين هو : « العقيدة أو الموت » ، وإنهم كانوا يخيرون المغلوبين بين القتل ، وبين متابعتهم !

ثم يلخص عقيدتهم قائلاً :

« إن عقيدة الشيخ محمد هي الإسلام في صفائه الأول . وهو يقبل القرآن ، ولكنه يرفض الأحاديث ...

وهو ينظر إلى المسيح ومحمد والأنبياء كحكماء ولا يقوم بأي نوع من العبادة نحوهم !

أما الشهادتان ، فيأخذ منهـــما القسم الأول ، وهو : « لا إله إلا الله » ويترك القسم الثاني ، وهو : « محمد رسول الله » !

ويقول : لا حج إلا إلى الكعبة ! « التي كان العرب يقدسونهـــا منذ أقدم الأزمان »

وقد منع الجنائز وما يخرجونه فيهـا ، وأمر بهدم الأبنية والقباب المقـامة على قبور الشيوخ والأولياء والصالحين .

مانجان

يعد المؤرخ الافرنسي « مانجان » في نظرنا ، أفضل المؤرخين الغربيين القدامى الذين كتبوا عن نجد والوهابية ، وفي كتابه : « تاريخ مصر » فصل خاص بعنوان : « تاريخ الوهابية » وملحق في جغرافية نجد ؛ ومزية هذا المؤرخ شدة تحريه للحقائق و « موضوعيته » ، ومما ساعده على جمع « المعلومات الصحيحة » عن نجد أنه أقام في مصر مدة اجتمع فيها بعدد من أفراد أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمراء السعوديين ، الذين كانوا يعيشون هناك منفيين ، ولذلك نقلنا عنه كثيراً في هذا الكتاب .

وهذا تلخيص موجز لما كتبه عن دعوة الشيخ :

« كانت تعاليم هذا المصلح مؤسسة على مبادىء أخلاقية سليمة ، تدعو مواطنيه إلى عبادة الله ، وحده ، والتوجه اليه وحده بالسؤال والدعاء .

وكان يأمر بإقامة الصلوات خمس مرات في النهار ، وصوم رمضان ، والحج إلى مكة ، والزكاة .

وكان يحرم المشروبات الكحولية ، والزنا ، والميسر ، والربا ، والسحر .

وكان ينهى عن التدخين ، ولبس الحرير ، والذهب والمجوهرات — إلا النساء — كما ينهى عن إقامة القباب على القبور ، لما يخشى بسببها من الشرك ، لأن الناس كانوا يأتون إلى هذه القباب التي يعظمونها ، ليطلبوا من أصحابها الشفاعة !

وكل شيء دعا اليه الشيخ ، هو من الدين ، أي مما أمر به الله ورسوله ، ولكن المسلمين نسوه أو تناسوه وأهملوه ، فقام الشيخ بدعوتهم اليه وحملهم عليه أعظم قيام . »

بركارت

« مواد لتاريخ الوهابيين »

ألـّف المستشرق الكبير ، بركارت ، كتاباً أسماه : «مواد لتاريخ الوهابيين»، قال فيه :

« يمكن وصف ديانة الوهابية بأنها ديانة مطهرة « بوريتان » ، وحكومتهم بأنها حكومة « بدوية » ، يتولى زعيمها السلطة السياسية والدينية معاً ، على نحو ما كان يفعل خلفاء محمد (ص) ...

*

لم تكن المبادىء التي جاء بها ابن عبد الوهاب مبادىء دين جديد ، وإنما كانت جهوده منصرفة إلى اصلاح ما فسد من معتقدات المسلمين ، وإلى إشاعة الدين بين البدو ، الذين كانوا مسلمين بالاسم ولكنهم ما كانوا يعرفون الديانة ، ولا كانوا يعملون بأوامرها .

وكان ابن عبد الوهاب – كسائر المصلحين – « غير مفهوم » ، لا من أعدائه، ولا من أصدقائه .

أما أعداؤه فقالوا إنه صـــاحب دعوة جديدة ، لعتبر الأتراك ملحدين ، ولا تكرم النبي كما يكرمونه هم ، ولذلك عادوه وبدّعوه ، بل كفروه ..

ومما قوى الأعداء في شبهاتهم، دسائس الشريف غالب ، وتحذيرات الباشوات..

فالشريف غالب كان حريصاً على أن تبقى بين الترك والوهابيين هوة ، وكان أخشى ما يخشاه أن يتفاوض الفريقان ويتفاهما على حسابه ...

والباشاوات كانوا يكرهون الحج ، لكثرة نفقاته ومتاعبه ، فكانوا يبالغون في وصف أعمال الوهابيين ومظالمهم ليصرفوا الناس عن الحج .

... والحق أن أعمال البدو من الوهابيين لم تكن مشجعة على الثناء عليهم ... وصحيح أنهم تعلموا شيئاً من الدين بفضل الدعوة الوهـــابية ، ولكنه شيء قليل جداً لم يغير عـــاداتهم وعقليتهم الأولى ... وهؤلاء البدو الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام من قبل ، لا يستغرب منهم أن يظنوا أن الوهابية ديانة جديدة ، اختصوا بها ... وان غيرهم ليسوا من أصحاب الدين الصحيح .

لقد كان رئيسهم يغذي فيهم روح التعصب ، بحيث لا يستطيعون التميز بين الأمور التافهة التي ليس من شأنها أن تحمل على تكفير الناس،وبين الأمور الخطيرة.

اجتمع عدد من أهل الشام والمصريين خلال الحج بعدد من الوهابيين المتعلمين ، وتفاهموا ... واقتنع الفريقان بأنهم ، على ما بينهم من اختلافات ، مسلمون ولا يجوز أن يكفر بعضهم بعضاً ... ولكن أحداً مـــا كان يجرؤ على إعلان هـذه الحقيقة ، بعد أن تعطل الحج منذ عام ١٨٠٣ واستحكم العداء .

وبسبب ذلك رأينا « روسو » ، في كتابين له عن الوهـابية كتبها في بغداد وحلب حوالي سنة « ١٨٠٨ » يقول : إن الوهابية ديانة جديدة ، وانهـا أبطلت الحج إلى مكة ...

ويكفي أن يرجـــع الانسان الى كتب الوهابيين حتى يعرف أنهم مسلمون سنيون !

لقد ظن « سعود » ان الناس في مكة لا يعرفون الإسلام ، فراح يوزع عليهم رسالة تلخص أركان الإسلام وأهم أوامره ونواهيه ، ثم بدا له أن يخطب في الناس ويدرسهم ما جاء في رسالته ، وكانت دهشته عظيمة حين رأى أهـل مكة يعرفون كل شيء قاله لهم ... ولذلك عاد فأمر بالكف عن توزيـع رسالته !

إن الوهابيين لا يختلفون عـــن بقية المسلمين الا في اشيـاء « ثانوية » ، لانهم

متفقون معهم على أن دستورهم الأساسي هو القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولكن الوهابيين يأخذون على الأتراك تعظيمهم للنبي بشكل يقرب من العبادة الشخصية ، وتعظيمهم ، على هذه الصورة أيضاً ، الأولياء والصالحين .

يزعم الاتراك أن الله يقبل من محمد شفاعته .. في الدنيـــا وهو ميت ، لأنه حي في قبره .. ، وهذا شيء لا يوافقهم عليه الوهابيون ،

ثم إن الاتراك يدعون النبي ويتوجهون الى الله ... وهـذا أيضاً ممـــا ينكره الوهابيون عليهم .

.. وفي كل مدينة تركية قبر لولي أو رجل صالح تقام عليه المباني وتقدم إليه النذور .. ويتوسل به ، وهذا أيضاً مما ينكره الوهابيون بشدة .

إن الوهابيين يهدمون القبـــاب حيث وجدوها ... وهـــذه طريقة تزيد في التعصب ، لأن هذا العمل يحمل الجهلاء على الظن بأنهم يختلفون تماماً عـن غيرهم ، وأن فرق ما بينهم ومـا بين غيرهم .. هو تحريم هـــذه القباب ، وكأن الإسلام يتلخص كله في ذلك !..

كان تهديم القباب يتبع دائماً انتصارات الوهابيين،وهم يجدون في عملهم هذا لذة كبيرة ، ويقولون : رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم من بناها !

يأخذ الوهابيون على الاتراك إهمالهم الزكاة ، والجهاد ، وإقبالهم على المحرمات ، كالخمر والزنا واللهو .. حتى أن رؤساء الترك كانوا يأتون في البلاد المقدسة نفسها ضروباً من السفه والفسق لا توصف .. وهذا مما جعل الوهابيين يزدادون إيماناً بأنهم وحدهم على حق وأن غيرهم على باطل !

ان احصاء الفوارق بين الوهابيين وبـــين الترك هـــو إحصاء لجميع البدع والتشويهات التي ادخلت على الدين الإسلامي ، منذ عهد الرسول ، وأقرها الترك العثمانيون وارتضوها .

وليست فضيلة الوهابيين الكبرى عندي أنهم اصلحوا مـا فسد من المعتقدات ، ولكنها في حملهم الناس على العمل بالدين ، لأن الدين وحده مهما يُصلِح ويطهر ، ما كان ليغير سلوكهم في الحياة ، لولا القوة التي تحملهم على ذلك !

كتابات « خصوم الوهابية »

ألّف خصوم الوهابية ، في حياة الشيخ وبعد مماته ، كتباً ورسائل كثيرة في الرد عليها ، والتشنيع بصاحبها ، وقد قرأنا ما وصلت اليه يدنا من هذه الكتابات ، ونقول في صراحة وصدق : إنها تافهة جداً ، وهي إلى السباب أقرب منهـا إلى المناظرة العلمية ، وقد أحسن المؤرخ التركي ، جودت باشا ، وهو من خصوم الوهابية ، بقوله إن الرد على الوهابيين ، يستوجب من الذين يتصدون له ثقافة واسعة ومعرفة بأحوال البلاد العربية ، الدينية والاجتماعية والسياسية ، ووقوفاً على علوم الدين ، واطلاعاً واسعاً على الحركات الفلسفية ، ومقدرة على الجدل والإقناع ، وأسلوباً بارعاً في الكتابة ، وكل أولئك مفقود عند « العلماء » الذين قاموا يردون على الوهابية ردوداً مشحونة بالسخف والمراء ، ويقدمون اليها بأيديهم الوسيلة إلى السخر منهم ومحاربتهم بسلاحهم !

على اننا مدعوون ، ونحن نؤرخ للوهابية ، إلى الكلام على كتابات خصومها ، حتى لا يكون بحثنا منقوصاً من بعض جوانبه .

الكتب المخطوطة والنادرة في الرد على الوهابية

هناك كتب مخطوطة كثيرة ، لم تطبع ، وكتب أخرى نادرة ، منها :

١ – حجة فصل الخطاب من كتاب رب الارباب وحديث رسول الملك الوهاب وكلام أولي الألباب في إبطال مذهب محمد بن عبد الوهاب – للشيخ

سليمان بن عبد الوهاب .

٢ – تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين – للشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق.

٣ – المشكاة المضيئة – لعلي بن عبدالله البغدادي .

وهذه الكتب الثلاثة مخطوطة ، وهي محفوظة في مكتبة برلين ولم نطلع عليها .
وقد ذكر الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه « كشف غياهب الظلام » كتابين ، لم نطلع على أصليها وهما :

٤ – الصواعق والرعود – لعبدالله بن داود .

٥ – سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد – للشيخ عبدالله بن عبد اللطيف .

ومن أوائل الذين ردوا على الوهابية الشيخ أحمد القباني من العراق ، وكانوا يسمونه : ابن ملاعبادي . وله ثلاث رسائل ، نشرها في حياة الشيخ ، وهي : [1]

٦ – « فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب »

٧ – « كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات » .

٨ – « كشف الحجاب عن ضلالات ابن عبد الوهاب » .

وهذه الرسالة الأخيرة تكاد تكون قاصرة على التعريف برسالة « سليمان بن سحيم » ومطالبة كل من وقعت في يده أن ينشرها بين الناس !
وقد أثبت ابن غنام في تاريخه نص هذه الرسالة .

٩ – وللشيخ سليمان بن عبد الوهاب كتاب طبع منذ ثمانين سنة في العراق وعنوانه : « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » .

---

١ – قال الشيخ ، في رسالته الى احمد بن ابراهيم : « ... وايضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنفه القباني ، واستكتبه اهل الحسا واهل نجد ، وفيه نقل الاجماع على تحسين قبة الكواز وامثالها ، وعبادتها ... » الخ ... « انظر صفحة ٣٨٨ – ٣٨٩ من تاريخ نجد المعدل »

كتاب « الصواعق الآلهية في الرد على الوهابية »

يعد هذا الكتاب من أقل الكتب التي ألفها خصوم الشيخ فجوراً ومغالطة ، ولولا أنه قال عن الشيخ محمد إنه لا يملك الاجتهاد وليس فيه خصلة واحدة من خصاله لكان كتابه بريئاً من هجر القول .

ومما جاء في هذا الكتاب :

« بني الإسلام على خمس » ...

وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، تدخل الكافر في الإسلام..

وأنتم الآن تكفرون من قال لا إله الا الله ومحمد رسول الله. وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصيام رمضان وحج البيت مؤمناً بالله وملائكته و كتبه ورسله ، ملتزماً لجميع شعائر الاسلام ، وتجعلونهم كفاراً وبلادهم بلاد حرب .

فنحن نسألكم : من إمامكم في ذلك ، ومن أخذتم هذا المذهب عنه ؟ فإن قلتم : كفرناهم لأنهم مشركون بالله ..

.. قلنا : أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله ، أي ادعى أن لله شريكا ، كقول المشركين: هؤلاء شركاؤنا !

.. إن الشرك فيه كبيرة وصغيرة ، وأكبر وأصغر .. وفيه ما يخرج من الإسلام وفيه ما لا يخرج من الإسلام ..

ولكن من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إذا دعا غائباً أو ميتاً أو نذر له .. أو تمسح بقبره .. أن هذا هو الشرك الاكبر .. من فعله .. حل ماله ودمه ؟

.. إن أهل العلم ذكروا في كل مذهب من المذاهب الأقوال والأفعال التي يكون المسلم بها مرتداً ، ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد .. ولم يقولوا من تمسح بالقبور .. فهو مرتد ..

ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم .. .. وقلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر ! »

ثم يتكلم الشيخ سليان عن النذر لقبر صحابي ، فيقول إن « ابن تيمية » عده نذر معصية ، لا يجوز الوفاء بـــه ، والواجب عليه أن يتصدق، ولو كان صاحب النذر يكفر ، لم يأمره بالصدقة وانما كان يأمره بتجديد إسلامه . وكذلك ابن القيم ذكر النذر لله في الشرك الأصغر .

ويمضي الشيخ سليان بعد ذلك قائلا :

ذكر عن ابن تيمية انه قال (في الإقناع) من جعل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً ..

.. أنظر الى لفظ هذه العبارة وهو قوله : « يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم ، كيف جاء بواو العطف ، وقرن بين الدعاء والتوكل والسؤال ، فان الدعاء في لغة العرب هو العبادة المطلقة، والتوكل عمل القلب، والسؤال هو الطلب الذي تسمونه الآن الدعاء .. وهو لم يقل هنا : «سألهم».. بل جمع بين الدعاء والتوكل والسؤال. و .. أنتم تكفرون بالسؤال وحده » !

ويتحدث الشيخ سليان بعد ذلك عن أهل البدع الموافقين على أصل الإسلام ، ولكنهم مختلفون في بعض الأمور ، كالخوارج والرافضة والمعتزلة ، فيلخص آراء « ابن تيمية » فيهم على النحو الآتي :

هؤلاء أقسام :

أحدها الجـــاهل المقلد الذي لا بصيرة له ، فهو لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

والقسم الثاني : متمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته ولذاته ومعاشه ، فهذا مفرط مستحق للوعيد ...

القسم الثالث: أن يسأل ويتبين الهدى ولكن يتركه، تعصباً أو معاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً ، وتكفيره محل اجتهاد .

كتاب علوي الحداد

وضع « علوي الحداد » ، كتابا في ذم الوهابية ، اعتمد فيه على « عبد الله بن داود الحنبلي البغدادي » في كتابه : «الصواعق والرعود» . ولم نطالع هذا الكتاب ، ولكننا قرأنا نتفاً منه في كتاب ابن سحمان المسمى : « الألسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد . » .

ينسب ابن داود الى الشيخ أنه كان يضمر دعوى النبوة ، وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال ، لا بلسان المقال ، حتى لا تنفر عنه الناس .

قال : « ويشهد لذلك ما ذكره العلماء من أن ابن عبد الوهاب كان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذباً ، كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم .

.. وأن أباه عبد الوهاب كان رجلاً صالحاً ، وأنه تفرس في ولده الشقاوة من حين صباه ، وكان يبغضه بغضاً شديداً ، ويقول : سيظهر منه فساد عظيم !

ويضيف علوي إلى ذلك ، أن الشيخ كان يتنقص النبي (ص) ، بعبارات مختلفة منها : انه طارش ..

.. ومنها قوله : إني نظرت في قصة الحديبية ، فوجدت فيها كذا وكذا وكذا .. وكان بعض أتباعه يقول : عصاي خير من محمد ، لأنها ينتفع بها ، بقتل الحية ونحوها ، ومحمد قد مات ، ولم يبق فيه نفع أصلاً .

وإذا أراد رجل أن يدخل دينه ، يقول له :

« أشهد على نفسك أنك كنت كافراً واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على العالم الفلاني والفلاني .. أنهم كفار وهكذا .. فإن شهد بذلك قبله ، وإلا قتله .. »

« الأقوال المرضية في الرد على الوهابية »

وضع الشيخ محمد عطا الكسم ، رسالة سماها : « الأقوال المرضية في الرد على

الوهابية » ، طبعت في مصر عام ١٩٠١ هـ. وقد قرأناها فوجدناها تافهة جـــداً ، ولعل صاحبها إنما كتبها في أول شبابه ، وما نظنه إلا أنكرها في كهولته ، وهـذا بعض ما جاء فيها :

« أخبرني بعض الاخوان انـه قد اجتمع برجل من الوهابية ، يوسوس لاهل السنة المحمدية، بتحريم التوسل بخير البرية،عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التحية »..

.. « ولكن من فرط المحبة لهـــذا المحبوب ، الذي هو صفوة علام الغيوب ، الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب ، انعطف القلم قبل الشروع بالمقصود .. » .

وقد عـــدد مؤلف الرسالة أحاديث مختلفة تدل في رأيه على جواز التوسل ، كما استشهد بالآية الكريمة التالية :

« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما » .

ثم قال : إن التوسل بالنبي جائز في حياته وفي مماته ، لأنه حي في قبره »[1] .

كشف غياهب الظلام
عن أوهام جلاء الاوهام

وهي رسالة يرد فيها ابن سحمان على أقوال أحمد باشا العظمي عن الوهابية ، ولم نقف على أصل كتاب العظمي ، ومما نقله ابن سحمان عنه قوله :

« كان الناس في اخطباط وتردد من حقيقة مذهب الوهابية ومقولاتهم بسبب ما كانوا يتسترون به من مظاهر التوحيد وادعاء التمسك بالكتاب والسنة حتى طغوا وبغوا وتغلبوا على الحجاز ، وناظرهم العلماء فكشف الله الستر عنهم وسلط عليهم إبراهيم باشا فكاد يفنيهم ويقطع دابرهم ، لكن لله إرادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد . وقد تصدى لتحرير مذهبهم وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز ، منهم أحمد بن زين ، الملقب بدحلان » ...

---

١ - ورد الشيخ سليمان بن سحمان على الكسم برسالة اسماها « الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية » .

الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق

وضع الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي ، كتاباً أسماه : « الفجر الصادق في الرد على مفكري التوسل والكرامات والخوارق» طبع في القاهرة (١٣٢٣هـ.)

وقد رد عليه ابن سحمان رداً موفقاً في كتابه المسمى : « الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق » .

.. ومما قاله الزهاوي :

« الوهابية فرقة منسوبة الى محمد بن عبد الوهاب ، وابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ هـ. وإنما اشتهر أمره بعد الخمسين ، فأظهر عقيدته الزائفة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن سعود، أمير الدرعية، بلاد مسيلمة الكذاب، مجبراً أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا ، فتابعوه ، وما زال يتخدع له في هذا الأمر حي بعد حي من أحياء العرب حتى عمت فتنته وكبرت شهرته واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا إلى التوحيد وترك الشرك بالله تعالى في عبادته .

وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى ، حتى اتسع له الملك » .

جودت باشا

يعد « جودت باشا » في مقدمة المؤرخين الاتراك ، وكان من كبار الموظفين ، وله اطلاع واسع على الوثائق والتقارير والفرمانات والرسائل السياسية ، المتصلة بتاريخ نجد ، ولكنه لم يسلم من التعصب والحقد ، فأساء الى عمله ، تمشياً منه مع سياسة حكومته، ومع هذا لا يخلو كتابه من كلمات حق ، وأخبار صدق .

طبع كتابه في استانبول عام « ١٢٩٢ هـ » ، ولقي رواجا كبيرا ، واخذ عنه كثير من المؤرخين في الشرق والغرب ، ومما قاله :

« أساس العقيدة الوهابية التوجه الى الله مباشرة ، فلا يجوز التوسل اليه بأحد غيره ، ولا دعاء احد ، ولا الاستغاثة بأحد ، والنذر للاولياء وطلب الشفاعة منهم،

هما عند مؤسس الوهابية ، من الشرك .

وبما أن الناس كلهم كانوا يفعلون ذلك ، فهم في نظره مشركون ، كلهم .

كان أهل نجد ، منذ ستمائة سنة ، في جهل وضلال لا يعرفون من الاسلام سوى اسمه ، ولما دعاهم الشيخ محمد الى مذهبه قبلوه ، لانهم لم يكن لهم دين يتمسكون به ، ولم يعرفوا ان مذهبه يخالف المذهب الحنبلي الذي ينتسبون اليه ، شكلاً ، ومما رغبهم في المذهب الجديد أن صاحبه أحلّ لهم دم المسلمين ومالهم ، وكانوا قوما يتعشقون الغزو والسلب ، فخرجوا يريدون ، في الظاهر ، احياء دين الله ، وهم يريدون ، في الحقيقة ، عرض الحياة الدنيا .

أخذ الشيخ مذهبه عن ابن تيمية ، وابن القيم ، وكان هذان الشيخان من غلاة الحنابلة ، وقد اسرفا في الانكار على الناس حتى اضطرت الدولة الى حبسهما .

ومما قاله ابن تيمية في تبرير تشدده في مسألة البناء على القبور والنذور لها وطلب الشفاعة من أصحابها ، ان الانبياء والاولياء لم يعبدهم احد في حياتهم ، ولكنهم عبدوهم بعد موتهم ، بسبب هذه القبور التي يعكف عليها اتباعهم ، ولذلك وجب على المؤمنين إزالتها ، حتى لا تكون وسيلة الى الشرك .

وكان ابن تيمية يقول : خير لمن ينذر الطعام للقبور ، ان يتصدق به على الفقراء ، وخير لمن يرسل قنديلا الى الروضة ان يوزع ثمنه على الفقراء الذين يعيشون في جوار الروضة .

وخلاصة القول ان ابن تيمية ابتعد بآرائه الشاذة عن جمهور المسلمين ! » .

ايوب صبري

وممن حمل على الوهابية من مؤلفي الأتراك القدامى : ايوب صبري ، مؤلف « مرآة الحرمين » فقد وضع كتيباً اسماه « تاريخ الوهابية » طبع عام ١٢٩٦ هـ. في استانبول ، ملأه بالكذب والافتراء ، وبدأه بقوله : ان اصول الوهابيين ترجع الى القرامطة ، الذين كانوا يقولون ، فيما يزعم : « الصلاة هي ان تطيع الامام المعصوم ، والزكاة ان تؤدي خمس ما لك اليه .

وكانوا يقولون في شهادتهم : اشهد ان محمد بن الحنفية رسول الله » .

وأعظم ما يأخذه هذا المؤرخ السخيف على الوهابية محاربتها لكتاب « دلائل الخيرات » .

فتــــأمل !..

كتب مختلفة

نشرت كتب كثيرة ، غير التي ذكرناها ، في انتقاد الوهابية ، ونحن إنما أشرنا إلى عدد منها ، لقدمه أو شهرته ، وهناك رسائل كثيرة تافهة ، لا تستحق حتى الإشارة اليها .

وصف الشيخ وعظمته

يقول المؤرخ الفرنسي مانجان :

« كان الشيخ يحسن فن الاقناع،وكان يأسر القلوب بجلابة بيانه وحلاوة لسانه، وكان صابراً محتسباً ، يثق بالله تعالى فلا يهن ولا يجزع قط .

وكان سياسياً من الطراز الأول ، ولولا ذلك لانهارت دعوته وزالت دولته ».

ومع كل كماله الخلقي ، يقول الشيخ عن نفسه في بعض رسائله : وأنا امرؤ فيّ بعض الحدّة ..

وهي حدة لا تبطل حقاً ولا تثبت باطلاً ، ولا تخرج بصاحبها عن الجادة .

جمال في الجسم وكمال في العقل

ويقول ندرة مطران ، رواية عن الجريجيري :

« كان الشيخ قوي البنية ، جميل المنظر ، شجاعاً ، صبوراً على الشدائد ، له فكر نفاذ ، يحسن الكلام ويحسن الاصغاء .

وكانت له قدرة عجيبة على استيعاب الأمور ، وتجربة مستنيرة يستعين بها على حل المعضلات » .

فكر ، وخلق ، وعزم

ويقول بلغريف :

« كان ينبغي لمن يتصدى لتطهير الدين من البدع التي أدخلت عليه ، خـــلال عصور طويلة جداً ، أن يكون صاحب فكر نيّر ، وخلق خيّر ، وعلم واسع ، وعزم كالحديد ..

وكان محمد بن عبد الوهاب يملك كل أولئك » .

فضل الشيخ وعظمته

ويقول محب الدين الخطيب :

« كان رجلاً عظيماً ، لأنه ثبت في جهاده الى ان لقي ربـه ، فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمـــة تقيم الصلاة ساعة الدعوة اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضان فيها ما يشاهد في بلاد أخرى من الفضائح ، ويحجون بقلوب لا متسع فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كفنه يحمله مع سلاحه إذا ناداه الإمام للجهاد .

ان تحويل هذه الأمة مما كانت عليه إلى ما صارت اليه ليس من الأمور السهلة ، وأنا كلما تصورت في ذهني عظمة ابن عبد الوهـــاب يتضاءل في نظري كثير من الشخصيات .. »

في ابن بشر

يقول ابن بشر :

« كان الشيخ .. كثير الذكر لله ، قل مـا يفتر لسانه من قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله الأكبر .

وكان اذا جلس الناس ينتظرونه ، يعلمون اقباله اليهم قبل أن يروه ، من كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير .

وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله ، لا يخشى الفقر ، بحيث أنه كان يهب الزكاة والغنيمة في موضع واحد ، لا يقوم ومعه منها شيء ، ويتحمل الدين الكثير لاضافة وسائله والوافدين عليه .

وعليه الهيبة العظيمة التي ما سمعنا بها اتفقت لغيره من العلماء والرؤساء وغيرهم ، وهذا شيء وضعه الله في القلوب ، والا فما علمنا أحدا ألين ولا أخفض جنابا لطالب علم أو سائل أو ذي حاجة أو مقتبس فائدة .

وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت ، في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها » .

في ابن غنام

ويقول ابن غنام :

« .. كانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة ..

لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام ، ودأبه أحياء غالب الليل بالقيام .

.. اليه بيت المال يجبى ويدفع .. من جميع بلدان المسلمين ، ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا .. ولا يأكل منه الا بالمعروف ..

وكان سمحا جوادا كريما .. وكان لا يرد السؤال ، اما أثاب عاجلا أو بعد حال ..

وتوفي رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير ، فأوفى الله عنه الجليل والحقير . »

مهفة الشيخ .. ودرة عمر

ويقال ان الشيخ كان يحمل مهفة في يده ، أتى على ذكرها الشيخ محمد بن

أحمد الحفظي ، في قصيدة يثني فيها على الشيخ ، قال :

« دعـا الى الله وبالتهليله	يصرخ بين أظهر القبيلة
مستضعفا ومـــاله مناصر	ولا له معاون مؤازر
في ذلة وقـــلة وفي يده	مهفة تغنيه عـــن مهنده
قـــد أذكرتني درة لعمر	وضرب موسى بعصاه الحجر»

كتب الشيخ ورسائله وأجوبته وخطبه

أول كتاب ألفه الشيخ ، وكان « نقطة الانطلاق » أو « المنهاج » لحركته ، هو كتاب صغير ، يكاد يكون « رؤوس أقلام » ، أسماه : « كتاب التوحيد » .

ثم ألف الشيخ كتباً غيره .

ولكن الشيخ لم يغير حالة نجد بكتاب التوحيد، ولا بكتاب آخر من تأليفه، وإنما غيّرها بدعوته الموصولة الى التوحيد ونهيه عن الشرك ومكافحته للمنكرات ، وقيامه في ذلك قياماً عظيماً .

قد يقال إن « نظرية » التوحيد ، كما قررها الشيخ ، لا تختلف عن « نظرية » التوحيد في ابن تيمية ، وإن الشيخ لو لم يضع كتاب التوحيد واكتفى بالدفاع عن أفكار ابن تيمية في رسائله وأحاديثه وأعماله ، لما غيّر ذلك شيئاً كثيراً في انتشار حركته وأثرها في الناس ..

وربما كان هذا القول غير بعيد عن الحق ، لأن عظمة الشيخ ليست في كتبه وحدها ، ولكنها في شخصيته وأعماله فقد كان زعيماً ومصلحا ومجاهدا ومحامياً عن الحق ، وقبل كل شيء : داعياً الى الله ، فمن قال إن كتبه لا تمثل جهداً علمياً أو فنياً كبيراً ، لا يستطيع أن ينتقص من قدره ، مع أن الكتب لا تقدر قيمها بحجمها ووزنها !..

لم يكتفِ الشيخ بتأليف الكتب – وسنذكر فيما بعد أسماء جملة من كتبه –

ولكنه كان يكتب الرسائل ويلقي الخطب ويعقـــد المجالس ويتحدث للناس في العقيدة والفقه والسياسة والادارة وأحوال المجتمع ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عـــن المنكر ، ويعنى بالوفود وطلاب العلم وحاجات المجاهدين ، ويكاتب البلاد القريبة والبعيدة ، الى غير ذلك من شؤون الحياة العامة التي تشغل أكثر وقته ، وزعيم تحف به المسائل « والمشاكل » من كل جهة ، لا يجـــد متسعاً من الوقت لتأليف الكتب المستفيضة ، لذلك كانت رسائله أكثر من كتبه ، وأحاديثه أكثر من رسائله ، وكان في كتبه يميل في الغالب إلى الإختصار .

وقد يكون أسلوب ابن تيمية أوضح أثراً في رسائل الشيخ منه في « كتاب التوحيد » ، وفي سائر كتبه .

أسماء كتب الشيخ

أول كتاب ألفه الشيخ ، هو :

١ - كتاب التوحيد

قدم له بآيات وأحاديث في تبيان التوحيد وفضائل شهادة أن لا إله إلا الله ثم بين أنواعاً كثيرة من الشرك والمنكر ، وهذا الكتاب له شروح ، منهـــا شرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ واسمه : فتح المجيد .

٢ - كتاب الأصول الثلاثة .

٣ - كتاب « المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية » وهـــو رؤوس اقلام ، شرحه الألوسي ، ويحتاج الى من يتبسط في شرحه بأسلوب علمي عصري ، ان أمكن .

٤ - كتاب كشف الشبهات .

٥ - كتاب مجموع الحديث على ابواب الفقه .

٦ - أصول الايمان .

٧ - فضل الاسلام .

٨ – كتاب الكبائر .

٩ – نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .

وهذه الكتب الأربعة (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ظهرت في « مجموعة الحديث النجدية » ، وتحدث عنها الشيخ رشيد رضا في مقدمته على المجموعة فقال ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب راعى في جمعها«أحوج ما يحتاج اليه جماهير المسلمين من السنة»، مع تلقيهم أحكام العبادات والمعاملات من كتب الفقه . وهو أربعة أقسام :

أ – أحاديث الايمان الاعتقادية .

ب – أصول الاسلام الكلية .

ج – كبائر الاثم والفواحش التي يجب تركها .

د – الآداب الشرعية التي يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها وكلها ملخصة من دواوين السنة المشهورة ، كالكتب الستة والمسند والموطأ وغيرها .

ومنها ما ليس لدينا نسخ منه ، كالسنن الكبرى وشعب الايمان للبيهقي .

وقد ترك رحمه الله بعض الأحاديث غير مخرجة ، ولعل سبب ذلك أنه أراد أن يراجعها في غير الكتب التي نقلها منها ، ليبين جميع من خرجوها .

١٠ – كتاب آداب المشي الى الصلاة .

١١ – مختصر الشرح الكبير والانصاف .

١٢ – كتاب السيرة المختصرة .

١٣ – كتاب السيرة المطولة .

١٤ – كتاب مختصر الهدي النبوي .

وللشيخ فوق ذلك تفاسير كثيرة للقرآن الكريم أورد « ابن غنام » في تاريخه طائفة منها ، وله رسائل رائعة ، وأجوبة على المسائل ، وخطب ، تجدها في كتاب ابن غنام وفي المجموعة النجدية .

أشهر كتابات الشيخ: كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، وآداب المشي الى الصلاة ، وهي تدرس في المدارس السعودية .

خطب الشيخ

خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في جملتها ، مختصرة ، ولا يدعو فيها السلطان العثماني ، ولا لأمير نجد وإمام المسلمين فيها ، ويكثر فيها الترغيب في الجنة والتحذير من النار ، والحث على الإقتداء بالسلف الصالح كقوله :

« إعلموا أن الخير كله بحذافيره في الجنة ، فأدلجوا في السير اليها . والشر كله بحذافيره في النار ، فاجتهدوا في الهرب منها . ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر .. والآخرة وعد صادق . » الخ ..

وكقوله :

« وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والجماعة ، فخذوا بهديهم وما كانوا عليه في المعتقد والعمل ، والسمت والطاعة » .

شيوخ دعوا الى التوحيد المطلق قبل الإمام

يقول « صلاح العقاد » إن الشيخ عثمان بن أحمد النجدي ، سبق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة الى التوحيد ومكافحة الشرك ، في نجد ، والشيخ عثمان هذا كان تلميذ ابن العماد الدمشقي ، وقد ألف « كتاب التوحيد » ، المنتخب من فتح الباري" لابن حجر ، مخطوط في القاهرة . وله كتاب آخر مفقود الآن ، اسمه : «"نجاة الخلف في اعتقاد السلف » ، والعنوان نفسه ذو دلالة كافية !

وكانت وفاة الشيخ عثمان عام ١٠٩٦ هـ .

وعندنا أن الشيخ عثمان يشبه القائلين بوحدانية الله قبيل النبي محمد (ص) الذين لم يكن لهم جهد يذكر في سبيل الدفاع عن فكرة الوحدانية ونشرها بين الناس ..
وعند قيام الشيخ بدعوته في نجد أو قبل ذلك قليلاً،ظهر في اليمن عالم جليل: هو الأمير اسماعيل الصنعاني ، كان يدرس في مسجد صنعاء، وألف كتاب « تطهير الاعتقاد » ، ولا تختلف آراؤه في التوحيد ومكافحة الشرك ، المتجلي في تقديس الأشجار والأضرحة ونحو ذلك ، عن آراء ابن عبد الوهاب .

ويقول ابن بشر إن الأمير الصنعاني لما بلغه ظهور الشيخ وما دعا اليه ، كتب إليه قصيدة يمدحه فيها ، ومطلعها :

« سلامي على نجد ومن حل في نجد   وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومن ابياتها :

« قفي واسألي عن عالمٍ حلّ سوحها … به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
« محمد » الهادي لسنة « أحمد » … فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي !
لقد أنكرت كل الطوائف قوله … بلا صَدَرٍ في الحق منهم ولا وردِ !

*

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه … يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل … ومبتدع منه ، فوافق ما عندي !

*

لقد سرّني ما جاءني من طريقه … وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي ! »

ويزعم بعضهم أن الصنعاني رجع ، بعد ذلك ، عن تأييد الشيخ ، لما رأى من شدته على كل من لا يقول بقوله ، وأنشأ قصيدة يقول فيها :

« رجعت عن القول الذي قلت في النجدي … فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي »

ولكن هذا الزعم غير صحيح ، ولعل البيت مما وضعه الوضاعون ، ذلك أن تلميذ الصنعاني وخليفته : وهو الامام محمد بن علي الشوكاني الزبيدي ، مؤلف كتاب : « نيل الأوطار » ، كان محباً للشيخ ، ولما بلغته وفاته قال في رثائه قصيدة كلها إعجاب وتقدير ، ومما جاء فيها :

« لقد أشرقت نجد بنور ضيائه … وقام مقامات الهدى بالدلائل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً ، … ولا اشتد للاسلام ركنُ المعاقل
ولا كان للتوحيد واضح لاحبٌ … يقيم اعوجاج السير من كل عادل
فما هو إلا قائم في زمانه … مقام نبي في إماتة باطل »

وهناك من يقول ان عبد الله بن ابراهيم ومحمد حياة السندي وغيرهما من علماء مكة كانوا سلفيين يدعون الى التوحيد ومكافحة الشرك ، في رفق ، وقد حضر الشيخ بعض دروسهم وأفاد منها .

أئمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

نعني بأئمة الشيخ ، كبار العلماء الذين كان لهم أثر عميق في تكوين طريقته في الدين والسياسة الشرعية ، بعد النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

ابن حنبل

أول هؤلاء العلماء ، بالطبع ، الإمام ابن حنبل ، مؤسس المذهب الحنبلي ، الذي نشأ عليه الشيخ وقام بنصرته أعظم قيام ، وكان الشيخ شديد الاعجاب بابن حنبل ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

بأي لسان أشكر الله انه لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالاسلام فضلاً ونعمة علي ، وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى : اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي ، يوم كشف السرائر

وابن حنبل ، هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، من بني شيبان ، من ربيعة ، ولد في بغداد عام ١٦٤ هـ. ومات فيها عام ٢٤١ هـ.

وقيل انه ولد في « مرو » ، حيث كان أبوه جندياً مرابطاً ، وجاءت به أمه الى بغداد وليداً ، فعاش فيها واستفاضت شهرته ، ولكنه لم يكتف بعلم فقهاء

بغداد ، وانما رحـــل الى الأمصار ، كالكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومكة والمدينة .

جاء عنه في تاريخ بغداد ، لابن الخطيب :

« قـال قتيبة : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال علي بن المديني : ان الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردّة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة .

.. وروي عن الشافعي انه قال : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه – وأظنه قال ولا أعلم – من ابن حنبل .

قيل ان أحمد بن حنبل كان يحفظ مليون حديث .

وقيل : ان أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق ..

.. وحزر من حضر جنازته من الرجال : (٨٠٠) ألف ، ومن النساء (٦٠) ألفاً .

وفي كتاب « أعلام المحدثين » لمحمد أبو شبهة :

« كان أحد الأئمة المشهورين ، الذين ضربوا بسهم راجح في باب الفقه والاجتهاد ، وخالف بعضهم في عده من الفقهاء واعتبروه من كبار المحـدثين ، وقال ابن جرير الطبري : « انه رجل حديث لا رجل فقه » .

كان يتشدد في قبول أحاديث الأحكام ، ويتساهل في قبول أحاديث الفضائل .

أشهر كتبه : كتاب المسند ، فيه أحاديث صحيحة كثيرة توازي أحـــاديث البخاري ومسلم ، وفيه ، عدا الصحيح : الحسن والضعيف والمنكر ، بل والموضوع – على ندرة جداً .

والقول بأن مسند أحمد كله صحيح قول عار عن التحقيق ..

قال ابن كثير : « ان فيه أحاديث ضعيفة بـل وموضوعة ، كأحاديث فضائل عسقلان ومرو والبرث الأحمر عند حمص وغير ذلك .. »

وقد ضعف الامام أحمد نفسه أحاديث فيه ، كحديث عـــن عائشة أن عبد

الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ..

وجاء بعض تلامذته وزادوا على مسنده أيضاً زيادات اندست فيه ..

ويقول الامام ابن تيمية انه ليس في المسند « موضوع » بمعنى مختلق مصنوع يتعمد صاحبه الكذب ، فأحمد لا يروي عمن يعرف أنه يكذب ، ولكن يروي عمن يضعف لسوء حفظه ، وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب بل أخطأ فيه ، وهذا الضرب في المسند منه . »

ويقول « لاوست » في دائرة المعارف الاسلامية :

« رفض ابن حنبل فكرة أن القرآن مخلوق ، فاضطهده الخليفة « المأمون » كثيرا وحبسه ..

وفي عهد « المعتصم » جلدوه ، ثم أطلقوه واعتزل التدريس ..

وفي عهد « الواثق » حاول الظهور ، ثم اختفى ..

وفي عهد « المتوكل » ، نصير السنة ، عام ٢٣٢ هـ . ، سمح لابن حنبل باستئناف دروسه ، واختاره الخليفة ، في جماعة من العلماء ، للرد على الجهمية والمعتزلة .

ومن الخطأ النظر الى ابن حنبل كجامع أحاديث فقط ، فهو « مجتهد مستقل » ، كما وصفه ابن تيمية ، حين قال عنه : انه اختار لنفسه من هذا العدد الكبير من الأحاديث والأقوال ما هو الأمثل .

دافع ابن حنبل عن العرب ، ودعا الى حبهم ، لأن حب الرسول يوجب حب قومه ، والذين يكرهون العرب هم المنافقون ..

وكان يدعو الى الطاعة والجماعة ويشجب الفتنة ،

وقد سمح لامام المسلمين بتقرير ما يجب عمله وفقا للمصلحة والسياسة الشرعية ، وقد توسع في ذلك ابن تيمية وابن القيم الجوزية . »

ابن تيمية [٨]

لا ضرورة للتوسع في الكلام عن أثر ابن تيمية في فكر الشيخ وأسلوبه ، فذلك شيء واضح يعرفه كل واحد ، وكان الشيخ يحب ابن تيمية ويجله كثيراً ويطلب كتبه وأقواله في كل مكان ، وربما نسخها بخط يده ، ويقال انه طلب من الامام الصنعاني في اليمن ، عام (١١٨٠) كتباً لابن تيمية وابن القيم كانت عنده.

وابن تيمية هو :

تقي الدين ، أبو العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله النميري الحراني .

ولد في بلدة « حران » بأرض الشام عام ٦٦١ هـ. وانتقلت به أسرته الى دمشق ، وهو ابن ست سنين ، فعاش فيها ، ثم مات في قلعتها في ذي القعدة من سنة ٧٢٨هـ. فكانت سنه عند وفاته سبعاً وستين سنة .

وضريحه – وهو الذي كافح الصوفية وتقديس القبور – بين مقابر الصوفية ، في دمشق يزار .

يقول « فيليب حتي » في كتابه: « تاريخ سورية » ان ابن تيمية ظهر في عصر اشتدت فيه نقمة المسلمين على النصارى ، بسبب تأييد بعض النصارى الصليبيين ، خاصة في انطاكية ، وان مؤلفاته تزخر بروح العصر الرجعية .

وقد يكون هذا الحكم ، من مؤرخ عرف بسعة اطلاعه وانصافه، قاسياً جداً، فابن تيمية إنما أبغضه الجهال والمتعصبون من المسلمين ، لا من المسيحيين .

وقد يكون السبب الذي دعا مؤرخنا الكبير إلى هذا الحكم القاسي كتاب

ابن تيمية المسمى : « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ، وهـو كتاب يدعو فيه المسلمين الى عدم تقليد أهل الكتاب والفرس في أعيادهم ونحوها؛ ولكن حركة ابن تيمية الكبرى إنما قامت على الدعوة الى التوحيد ومكافحة الشرك والبدع والجهل، حيثما كانت ، والجهال والمتعصبة من المسلمين كانوا هدفاً لحملات ابن تيمية ، أكثر من المسيحيين !

نقل الشيخ محمد حامد الفقي في مقدمته على كتاب الاقتضاء المذكور ، لابن تيمية ، طائفة مما قاله فيه بعض العلماء ، نقتطف منها هذه الفقرات :

« قال بعض أصحابه :

نشأ في حجور العلماء .. ودوحات الكتب .. لا يلوي الى غير المطالعة والاشتغال بمعالي الأمور ..

سلفياً متألهاً عن الدنيا ، صيناً تقياً ، براً بأمه ، ورعاً عفيفاً ، عابداً ناسكاً ، صواماً قواما ..

لا تكاد نفسه تشبع من العلم ..

وقلّ أن يدخل في علم من العلوم من باب إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله .

وقال الشيخ عبد الهادى :

لم يبرح شيخنا في ازدياد من العلوم ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والشجاعة والكرم .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ..

.. وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين ..

وقال الحافظ المزي :

ما رأيت مثله .. ولا رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ولا أتبع لهما ، منه .

وقال الحافظ أبو الفتح الأندلسي :

إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من رايته ، برز في كل فن على أبنـاء جنسه .. ولا رأت عينه مثل نفسه !

ويتحدث الفقي عن المجتمع الجاهل،المسرف في عبادة الأوثان وتقديس القبور، الذي ظهر فيه ابن تيمية ، الى جانب الأعداء الذين تكالبوا عليه من كل جانب : الصليبيون يغزون السواحل، والتتار يعيثون فساداً ، وكثير من الصوفية يقومون بمهمة الأرصاد والعيون للعدو ..

نعم ، في هـــذا الجو المظلم بتكاثف سحب الصوفية ، وسحب الفلسفة الهندية والفارسية واليونانية ، وسحب التقليد الأعمى واتخـاذ الأحبار والأنداد أرباباً من دون الله .. ظهر ابن تيمية ، فأبت عليه كرامته أن يكون له هدف إلا رضوان الله بالإيمان به ، والدعوة الى سبيله ..

« ودارت المعركة بين شيخ الإسلام ومعه ربه ، وبين حزب الشيطان ، ومعه الجماهير ورجال الدولة، والرؤساء والسادة ، فلم يرهب جموعهم، ولم يخش سلطانهم ، ولم يهن ولم يحزن لما أصابه من أذاهم وحبسهم ، بل كان يزداد بذلك كله قوة على قوته ، وثباتاً على حقه ..

وقد حفظ الله « كتب شيخ الإسلام وفتاويه ، وحفظ قلبه ولسانه ، وحفظ جسمه وجنانه ، حتى أتاه اليقين وهو حبيس الظلم بقلعة دمشق في سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله » .

جهاد ابن تيمية ضد البدع ، واضطهاده ..
يقطع صخرة يتعبدونها لأنها قدم النبي في زعمهم ..
في السلوك للمقريزي :

في أخبار سنة ٧٠٤ :

.. قدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق

في الصخرة التي بمسجد النارنج ، بجوار مصلى دمشق ، وان الاثر الذي بها ليس هو قدم النبي (ص) ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز ، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة في سادس عشر رجب ، وقد أنكر عليه الناس ما فعله.

فأجيب : إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة ، وإن كان بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله !

يكافح الشعوذات

وفي أخبار سنة ٧٠٥ :

وفيها أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه : من دخولهم في النيران المشتعلة ، وأكلهم الحيات ، ولبسهم الأطواق الحديد في أعناقهم ، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم ، وعمل الأساور الحديد في أيديهم ولفهم الشعور وتلبيدها ، وقام في ذلك قياماً عظيماً بدمشق ، وحضر في جماعة الى النائب وعرّفه ان هذه الطائفة مبتدعة ، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم ، فكان يوماً مشهوداً كادت ان تقوم فيه فتنة ، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات .

حبس في الطلاق .. وفي الشفاعة .

في أخبار سنة ٧١٨ : « حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية بسبب مسألة الطلاق ، بسعي قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي عليه وإغرائه السلطان به . »

سنة ٧٢٠ : « عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ، ثم اعتقل بالقلعة الى يوم عاشوراء سنة ٧٢١ فأفرج عنه . »

سنة ٧٢٦ : في شعبان حبس أحمد بن تيمية وأخوه زين الدين بقلعة دمشق قيل لأنه تكلم في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء . وكذلك فعل بابن القيم الجوزية .

ينادون في الجوامع بالنهي عن ابن تيمية

ويذكر المقريزي ان ابن عدلان سعى بابن تيمية لدى السلطان ، فعقد مجلس برئاسة قاضي القضاة ابن مخلوف ، للنظر في بعض أقوال ابن تيمية في الاستواء ، ومسألة خلق القرآن ، وغير ذلك ، فأحضروه من دمشق، « فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل » – في القاهرة – وحضر الأمراء ، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية ، فلم يجبه ، وقام يخطب !

فصاح عليه القاضي ابن مخلوف : نحن أحضرناك للدعوى عليك ، ما أحضرناك خطيبا ! والزمه بالجواب ، فقال له :

أنت عدوي ! لا يجوز حكمك عليّ !

فأمر باعتقاله ، فأخذ ، وسجن بحارة الديلم في القاهرة ، هو وأخوه ، وأرسلوا الى دمشق كتاباً « ليقرأ على منبر الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقـــاد شيء من فتاوى ابن تيمية ، وان يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك » !

ابن تيمية في شعر سلامة

ويقول بولس سلامة في قصيدته : «ملحمة عيد الرياض» :

كان في غرة الزمان إمام	زلزلت من بيانه الأقلام
هز مصراً فعضه القيـد فيها	وتولت خنق الأسير الشآم
« ابن تيمية » يثور على الأو	هام فالحبر في الطروس ضرام .
وأشد الثورات في خاطر الأ	جيال حرب وقودها الأفهـام .
مات ! ما مات في الغيابة شيخ	لقحـت من يراعـــه الأيام
(بابن عبد الوهاب) عاش دفين	صاح : هبوا يا أيهـــا النوام !

من تلامذة ابن تيمية

ابن القيم الجوزية

قال ابن رجب في الطبقات :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي النحوي المفسر ، المفتن في علوم كثيرة ، العارف بالحديث ومعانيه ، والفقه ودقائقه والاستنباط منه .

كان له عبادة وتهجد إلى الغاية ، ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والانابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار بين يديه .

حج مرات ، وجاور بمكة ، وانتفع به أهل عصره ، وله مصنفات كثيرة في فنون عديدة .

توفي بدمشق سنة « ٧٥١ » هـ ... ودفن بمقـــبرة باب الصغير ، وقبره مشهور الآن ... وبني عليه قبة الآن . »

قلنا : دعا طول حياته إلى مكافحة البناء على القبور ونحو ذلك ، فلما مات جعلوا على قبره قبة .

وقد لقي ، رحمه الله ، في حياته أذى كثيراً من ظلم الحكام وحقد الخصوم من أدعياء العلم ، ويقال أن حبسه آخر مرة كان بسبب أقواله في مسألة الشفاعـــة ، والتوسل بالأنبياء .

ومن أجلّ كتبه : اعلام الموقعين ، والطرق الحكمية .

الحافظ الذهبي

هو العلامة حافظ العصر ، محدث الاسلام ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي. سمع من خلائق كثيرة يزيدون على ألف ومئتي شيخ ...

وصنف التصانيف الكثيرة البديعة المشهورة ، مع الدين المتين والورع والزهد ، وأذعن له أهل عصره في الحفظ والاتقان . توفي سنة « ٧٤٨ » في دمشق ، ودفن بباب الصغير .

العماد بن كثير

هو عماد الدين بن كثير البصري ثم الدمشقي .

تفقه على البرهان الفزاري والكمال بن قاضي شهبة ، وأقبل على علم الأصول والحديث ، وحفظ المتون والتواريخ ، حتى برع وهو شاب .

له مصنفات كثيرة بديعة مشهورة ، وكان يميل إلى شيخه ابن تيمية ويناضل عنه .

مات سنة « ٧٧٤ » هـ . ، ودفن بمقبرة الصوفية ، عند شيخه ابن تيمية .

الكتب المعتمدة عند الحنابلة « الوهابية » ، في نجد

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، في احدى رسائله :

« كتب التفسير : اننا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلها لدينا : تفسير ابن جرير ، ومختصره لابن كثير الشافعي .

وكذلك البغوي ، والبيضاوي ، والخازن ، والحداد ، والجلالين ، وغيرهم .

كتب الحديث : وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين ، كالعسقلاني ، والقسطلاني على البخاري ، والنووي على مسلم ، والمناوي على الجامع الصغير .

ونحرص على كتب الحديث ، خصوصا الأمهات الست وشروحها [1] .

سائر الكتب : ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون ، أصولا وفروعا ،

---

١ - كتب الحديث الستة ، غير البخاري ومسلم ، هي : الموطأ « لمالك » ، والمسند « لابن حنبل » ، والكتب المعروفة بـ « السنن » ، للترمذي ، وأبي داود والنسائي وابن ماجة .

وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الأمة .

ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا ، الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك، كـ «روض الرياحين» ، وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق،[1] فانه قد حرمه جمع من العلماء ، وكالدلائل ، على أنا لا نفحص عن مثل ذلك .. الا ان تظاهر به صاحبه معاندا ، أتلف عليه .

وما اتفق لبعض البدو من اتلاف بعض كتب أهل الطائف ، انمـــا صدر من بعض الجهلة وقد زجر هو وغيرهم عن مثل ذلك . »

ويجب علينـا أن نضيف الى الكتب التي ذكرهـا الشيخ عبد الله ، على سبيـل المثـال لا الحصر : كتب الشيـخ محمد بن عبد الوهـاب ، وكتب ابن تيمية وابن القيم الجوزية ، وكذلك كتب موفق الدين بن قدامة ، وهو عندهم ، في الفروع ، من المراجع المعتبرة جدا .

وموفـق الدين بن قدامـة ولد في دمشق سنة ٥٤١ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ . ودفن بسفح جبل قاسيون ، وقبره هناك يسمى الروضة ، لأنه دفن فيه ..

وهو صاحب « المغني » ، و « المقنع » وغـــير ذلك من المصنفـات في الفقه الحنبلي .

---

١ – انما يعني بالمنطق تلك الكتب القديمة الممزوجة بالفلسفة الباطلة ، لا المنطق السليم .

وفاة الشيخ

من المؤسف أن مؤرخي نجد ، ابن غنام وابن بشر ، لا يتفقان على تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فابن غنام يقول :

« كان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شوال ، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته »

ويقول ابن بشر :

« وكانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة – ١٢٠٦ هـ . – رحمه الله تعالى وعفا عنه ، وكان قد ثقل في آخر عمره ، فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام في الصف ، وله من العمر اثنتان وتسعين سنة » .

ويزعم صاحب « لمع الشهاب » أن الشيخ توفي عام ١٢١٢ ، ولعل هذا التاريخ نتيجة خطأ مطبعي ، ومما قاله أيضاً :

ان الشيخ ، لما بلغ الثمانين من عمره ، اعتزل عن التصرف في الأمور ، واتخذ الخلوة والزهد والورع .

ثم وصف حزن الناس الشديد عليه ، وخصوصاً الإمام عبد العزيز ، ثم قال :

« أخرجت جنازته إلى المسجد الجامع فجاء الناس فوجاً فوجاً للصلاة عليه ، ودفن في مقبرة معهودة لآل سعود من قبل » .

تركة الشيخ

ويقول صاحب اللمع إن الشيخ « لم يخلف من المال إلا أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ذات نخل وزرع وأشجار وفواكه تسوى خمسين ألف ذهب – كذا – .

وترك مائتي كتاب ، وقيل ستمائة كتاب .

فأما الكتب فإنها باصطلاح أولاده أجمع جعلت وقفاً لكل عالم يتولى مسند القضاء والفتيا .

وأما الأرض فقد بقيت غير مقسومة ، كما هي قبل موته ، ولكن الحاصل منها كل سنة يقسم بين الورثة

زوجات الشيخ

تزعم صحيفة الخليج الفارسي أن الشيخ كان مزواجاً ، تزوج نحو عشرين مرة ، وكان له ثمانية عشر ولداً بين ذكور وأناث .

وليس بين يدينا ، في الكتب العربية ، إثبات لهذه الرواية ، ولكننا لا نملك نفيها أيضاً !

والمعروف أن الشيخ تزوج ، في أول شبابه ، في العيينة ، في حياة والده ، وقبل رحلته .

ويقال أيضاً – وتلك رواية اللمع – إنه تزوج في بغداد امرأة غنية .

ولما انتقل إلى العيينة ، من حريملا ، تزوج « الجوهرة » بنت عبدالله بن معمر ، وهي التي نزل محمد بن سعود بأمانها من مكان كان صعد اليه وتحصن فيه ، بعد مقتل زيد بن مرخان ، أمير الدرعية .

أبناء الشيخ

كانوا ، في نجد ، اذا قالوا : الشيخ ، مجردا من كل اسم أو لقب ، عرف كل انسان ان المقصود بذلك ، هو : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولذلك سموا أولاده : أولاد الشيخ

وتعرف ذرية الشيخ الى اليوم في البلاد باسم : آل الشيخ .

وأولاد الشيخ المذكور ، هم : حسن وحسين وعبد الله وعلي وابراهيم وعبد العزيز .

وقد مات ابراهيم وعبد العزيز ، في حياة والدهما ، ولم يعقبا .

وسنتحدث قليلاً عن أولاده الأربعة الأوائل .

١ – حسن

لا يذكر ابن غنام ولا ابن بشر شيئاً عن ابن الشيخ : « حسن » ، ولكن ابنه عبد الرحمن بن حسن كان أكبر علماء نجد في زمانه ، وكذلك ابن ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، كان أجل علماء نجد في وقته .

٢ – حسين

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة « ١٢٢٤ هـ . » :

« وفيها اشتد الوباء والمرض ، خصوصاً في بلد الدرعية ، ومات في الدرعية خلق كثير ..

وتوفي في هذا الوباء من الأعيان :

العلامة المفيد ، مفتي فرق أهل التوحيد ، الشيخ القاضي حسين ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان له معرفة في الأصل والفرع والتفسير وغير ذلك ..

كان الشيخ حسين هـــو القاضي في بلد الدرعية ، والخليفة بعد أبيه في القضاء والامامة والخطبة .

كان اماما في مسجد البجيري الكبير الذي في منازل الدرعيــة الشرقية ، وكان صيتاً بحيث أنه يسمع تكبيره في الصلاة أدنى المسجد وأقصـــاه .. وهو الخطيب والامـام يوم الجمعـــة في مسجد الطريف الكبير ، الذي تحت قصر آل سعود في المنازل الغربية .

وكان ضريراً بصره . . »

.. وله عـــدة بنين ، ومعرفتي منهم : علي وحسن وعبد الرحمن وحمد وعبد الملك .

ومن مشاهير ذرية حسين : ابن ابنـــه : عبد الله بن حسن بن حسين ، قاضي قضاة المملكة العربية السعودية ، في وقته .

٣ – عبد الله

يقول ابن سحمان ، في كتابه : « كشف غياهب الظلام » :

« كان القائم بعد الشيخ بهذه الدعوة : ابنه عبد الله ، لما خصه الله تعالى به من العلم والمعرفة ، وكان اخوانه من آل الشيخ معاضدين له .

وكان الامام عبد الله هو الامـام الذي ترجع اليه الأمور في وقته ، ثم لمـا نقل ابراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ الى مصر ، مكث عبد الله بهـــا مدة طويلة ثم مات بمصر » .

وهذا الكلام قد يبدو مناقضاً لقول ابن بشر إن الخليفة بعد الشيخ محمد هو

ابنه حسين ، والراجح أن الشيخين عبد الله وحسين توزعا الأعمال ، فكان الشيخ حسين خطيبا مع القضاء ، وكان الشيخ عبد الله يقوم مع القضاء بسائر الشؤون الدينية ، المتفرعة عن الدعوة .

تولى الشيخ عبد الله القضاء لعبد العزيز وسعود وعبد الله بن سعود .

ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية نفى عبد الله ، مع من نفاهم ، الى مصر ، فمات فيها .

وكان لعبد الله ولدان مشهوران : سليمان وعبد الرحمن

أما سليمان ، فمات قبل أبيه ، شهيدا ، وذلك أن ابراهيم باشا أمر باحضاره الى مجلسه « وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر ليغيظه — وكان ابراهيم باشا أحضر معه الى الحجاز ونجد المغنيات وآلات اللهو والمسكرات — ثم أمر جنوده باطلاق الرصاص عليه فأردوه قتيلاً [1] .

وأما عبد الرحمن بن عبد الله ، فقد عاش منفياً في مصر ، ومات فيها سنة ١٢٧٤ هـ .

وكان عبد الرحمن هذا عالماً يشار اليه بالبنان ، وكان يدرس في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر بالقاهرة ، واستوطن أولاده في مصر .

ويظهر أن المؤرخ الفرنسي « مانجان » اخذ اكثر معلوماته عن نجد من الشيخ عبد الرحمن ، خلال أقامته في مصر ، بمهمة علمية .

---

١ — انظر مقدمة « تيسير العزيز الحميد في شرح التجويد » ، للمفتي الاكبر سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم .

تلاميذ الشيخ

ذكر ابن بشر من تلامذة الشيخ المشاهير أحد عشر شيخاً ، وهم :

١ — أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .

٢ — عبد العزيز بن عبد الله الحصين .

٣ — سعيد بن حجي .

٤ — محمد بن سويلم .

٥ — عبد الرحمن بن خميس .

٦ — عبد الرحمن بن نامي .

٧ — محمد بن سلطان العوسجي .

٨ — عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا الحسين .

٩ — حسن بن عبد الله بن عيدان .

١٠ — حمد بن راشد العريني .

١١ — عبد العزيز بن سويلم .

الوهّابية في بعض الكتابات الغربيّة الحديثة

هنري لاوست

Henri Laoust

يقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » إن « السلفيـــة الجديدة » لقب يطلق على حركة الإصلاح والتجديد الديني التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن يقول بقولهما ، وقـــد سبق لهذين الزعيمين أن اجتمعا في باريس عـام (١٨٨٣) ووضعا معاً أسس حزب ديني عصري متحرر .

ويطلق لقب السلفية أيضاً على الحركة الوهابية ، لأنها أرادت إعادة الاسلام إلى صفائه الأول ، في عهد السلف الصالح، ولكن كلمة السلفية ليست خاصة بالوهابيين أو الحنابلة ، ففي كل المذاهب السنية سلفيون .

كان ابن تيمية يستعمل كلمة السلف (أو السلفية) ، ولكنه كان يستعمل أكثر من ذلك كلمة « محمديين » ، وأمـــا الوهابيون فيرجحون استعمال كلمة « الموحدين » .

وهناك فرق واضح ، في الحقيقة ، بين الوهابية والسلفية الجديدة .

فالوهابيون حنابلة ، في العقيدة والفقه ، وهم في الفروع يتبعون أفكار موفـق الدين بن قدامة أكثر مما يتبعون ابن تيمية وابن القيم الجوزية .

ولكنهم، لشدة تمسك بعضهم بأقوال علمائهم السابقين، خالفوا الفكرة التي شاعت عنهم – بفضل مؤسس الحركة الوهابية الاصلاحية – والتي تتلخص في أنهم ثاروا على التقليد، ورجعوا بالاسلام الى صفائه الأول .

ان السلفية الجديدة « تتميز » عن غيرها ، بأن نظرياتها أدنى الى العقل ، وأنها تفتح باب الاجتهاد ، وتكافح الخرافات ، والغلو في الدين ، وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب العصر .

لامانس

Henri Lammens

يقول المستشرق ، البلجيكي الأصل، الأب «لامانس» في كتابه : «الاسلام»، ان محمد بن عبد الوهاب « تبنى » كل أفكار ابن تيمية، وفهم « القرآن » كما يفهمه أهل الظاهر ، ولم يكن راضياً عن آراء الأشعريين ، وكان عدواً لكل جديد، مهما يكن شكله .

وكان يرى أن تكون المساجد في منتهى البساطة ، فلا فسيفساء ولا طلاء ... ولا منارة ولا محراب .

والوهابية و « السنوسية » في المغرب تتشابهان من حيث دعوتهما المشتركة العودة الى بساطة الاسلام الأولى ، ولكنهما مختلفتان الآن .. فالسنوسية هادنت « الصوفية » – أو حالفتها – فنشأت في ظلها الطرق والزوايا ، التي يسمونها « الخوان » – ولعلها تحريف الاخوان – كما نشأت طرق «الخلوتية» و «الرحمانية» و « التيجانية » ، التي ينتمي اليها أكثر من مائتي ألف رجل ..

القبور – ومما أخذته الوهابية عن ابن تيمية مكافحتها لتقديس الموتى ، والبناء على القبور ، ومن المفارقات العجيبة ان (ابن تيمية) له ضريح في دمشق، بين الأضرحة الصوفية ، المبنية !

مسألة الاجماع – أخطر ما عند الوهابيين مسألة : « الإجماع » ، فهم يعرّفون الإجماع بأنه إجماع الصحابة والتابعين فقط .. بينما قبل « الغزالي » إجماع الأمة ، الممثلة في علمائها المجتهدين ، ولو كان ذلك في العصر الحاضر . وبهذه الوسيلة قُبلت أمور كثيرة ، لم تكن موجودة في عهد الصحـــابة وتابعيهم ، كالمولد النبوي ، وأخيراً .. التصوير « الفوطوغرافي » .

وكذلك خلافة العثمانيين ، مع أنهم ليسوا من العرب ولا من قريش ، قبل بها الناس ، فاعتبر إجماعهم كافياً لجعلها شرعية .

قد يكون الوهابيون على شيء من الحق في مناهضتهم للاجماع الذي يقول بـه غيرهم من أهل السنة ، ولكنهم بحصرهم الإجماع بالصحابة والتابعين فقط ، ضيقوا الدائرة .. أمام «التطور» الذي يستوجبه انتشار الإسلام في العالم وتغير الأزمنة ..

والوهابية في هذا الموقف تشبه الكنيسة اليونانية الشرقية التي لا تقبـــل إلا « تعريفات » المجامع « الأوكومونية » السبعة الأولى ، وتقف عندها !

الأتراك والحنابلة

شجع السلاجقة ، ثم الأتراك ، المذهب الحنفي ، الذي كان يدعى بحق مذهب الرأي ، وكانوا يسمون مؤسسه أبا حنيفة : « الإمام الأعظم » .

وهكذا ضعف شأن الحنابلة .

ثم ظهر في الشام ابن تيمية ، وقاوم الصوفية ، وكافح البدع وأعطى الحنبلية رواء جديداً ، ولكنه اضطهد وعذب ومات مقهوراً .

وجاء بعده ، بأربعة قرون ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فسار على نهجه ، ولعله إنما بدأ بقراءة كتبه أثناء إقامته في « المدينة » فأحبه وأعجب بـــه وجدد أفكاره وبعثها بعثاً قوياً ووفق في حركته ..

ويندر

R . B . Winder

ويقول ر . ب . ويندر في كتابه : « العربية السعودية في القرن التاسع عشر » :

كما سموا أريسطو : « المعلم »
هكذا سموا محمد بن عبد الوهاب : «الشيخ . »

ومما قاله: إن الشيخ علم الناس المبادىء الوهابية في وقته، ولم يدخل عليها أتباعه من بعده إلا تغييرات قليلة .

ثم قال : إن رئيس الحكومة الوهابية – أو الإمام – يجب عليه تنفيذ أحكام الشرع .

.. وعندهم (مطوعة) يكرهون الناس على الصلاة في المساجد ونحو ذلك .

ونحن لا نعرف إن كانت الوهابية تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء ، ولكن أحداً لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الاسلامي الحديث ، وأنها استطاعت الانتقال من « الواقعية » الى « المثالية » ، ومما كان عليه الاسلام الى ما يجب أن يكون عليه ، وبقيت محتفظة « بحيويتها » وفكرتها التحريرية .

لقد صدم الوهابيون الأوائل بتشددهم سائر المسلمين ، ولكن الوهابية في الحقيقة كانت نعمة على المسلمين بساهمتها الواسعة في تنبيه المسلمين الى مظاهر الوثنية وتحذيرهم منها .

ولم يقتصر فضل الوهابية على خدمة الدين بتطهيره من آثار البدع ، وإنما كانت لها ناحية قومية ، لأنها وقفت أيضاً في وجه الدولة العثمانية وحررت منها قسماً من جزيرة العرب ودعت الشعوب العربية بذلك الى التحرر أيضاً .

ولا شك ان الوهابية حققت فكرة ابن خلدون القائل ان العرب البدو يستطيعون ان يؤلفوا قوة لها شأنها متى انقادوا الى الدين .

ومن يقارن بين مراحل ظهور الدين الاسلامي وانتشاره ، وبين مراحل ظهور الحركة الوهابية وانتشارها وما سبق ظهورهما من جاهلية يجد أوجه الشبه واضحة».

ماسه

H. Massé

ويقول هنري ماسه في كتابه « الاسلام » :

ولدت الوهابية من نزعة مضادة تماماً للنزعة التي نشأت عنها حركة « أكبر » ، لأنها أرادت الرجوع الى الماضي ، وزادت (أو زايدت) على توحيد المسلمين ، وكلهم في الحقيقة ، موحد .

رأت الوهابية في كثير من العادات والأعمال الممارسة منذ وقت طويل نوعاً من الشرك : كتقديس الأنبياء والأولياء والقبور، وفي نظرها ان الأنبياء والأولياء لا يملكون معرفة الأشياء الغيبية ، واعتبارهم شفعاء أو وسطاء هو اعطاؤهم سلطاناً لا يملكه إلا الله وحده ، ومحمد نفسه لا يعطى حق الشفاعة إلا في الدار الآخرة .

إن الوهابيين لا يجيزون تقديس شيء مخلوق ، مثلاً السجود أمام القبر ، ولو كان قبر النبي ، ولا الطواف حوله بخشوع ، ولا تقبيل حجر يعتبر مقدساً ، وهم ينكرون الطيرة (كالاعتقاد بأيام سعد وأيام نحس) وتصديق الكهان ، وهم كذلك ينكرون الحالف بالنبي أو بأهل بيته، كما أنهم يحرمون المشروبات الكحولية والدخان والموسيقى والرقص واللهو ..

والوهابية تستعير اسمها من ابن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧ م، ولم تنشأ عن أفكار كأفكار الخوارج – كما يتوهم بعض الجهلاء – وإنما نشأت عن الأفكار الحنبلية .

ولقد بعثت الحنبلية عملياً في أوائل القرن الرابع عشر بفضل فقيه عظيم هو ابن

تيمية ، الذي هوجم كثيراً ومات في السجن . ولكن في القرن الثامن عشر ، ظهر ابن عبد الوهاب ، وتشبع من أفكار ابن تيمية ، واستخرج منها « الوهابية » التي تتلخص في أنها رد فعل عنيف جداً ضد فكرة « التقديس » المسيطرة يومئذ .

معلمة الإسلام

كتبت معلمة الإسلام ، في نسختها الأنكليزية ، تحت عنوان « الوهابية » ، ما يأتي :

غاية الوهابيــة تطهير الإسلام ، وتجريده من البدع التي أدخلت عليه بعد القرن الثالث الهجري ، ولذلك نراهم يعترفون بالمذاهب الأربعة وبكتب الحديث الستة .

أما أعظم الأشياء التي ينكرونها ، فهي الأمور الآتية ، نستعيرها من كتاب « اللمع » :

١ ـ كل انواع العبادة ، ما عدا عبادة الله ، باطلة ويستحق فاعلها القتل .
٢ ـ من الشرك إدخال اسم نبي أو قديس أو ملك في الصلاة ..
٣ ـ من الشرك طلب شفاعة أي إنسان عند الله .
٤ ـ من الشرك الدعاء لغير الله .
٥ ـ من الكفر تأويل القرآن .
٦ ـ من الكفر اتباع رأي لا يستند إلى القرآن أو الحديث أو القياس .
٧ ـ من الشرك تقديس الأولياء والصالحين وتعبد القبور .
٨ ـ إنكار القدر في كل الأفعال إلحاد .

ويختلف الوهابية ، مع انهم حنابلة ، عن ابن حنبل بما يلي :

١ ـ حضور الصلاة في المساجد إجباري .
٢ ـ لا يكفي التلفظ بالشهادة لجعل الإنسان مسلماً وجعل ذبيحته حلالاً ، وإنما

يجب استقصاء أحواله .

٣ – الزكاة تؤخذ عن الأرباح الخفية ، كأرباح التجارة ، بينما يستوجبها ابن حنبل على الأرباح الظاهرة .

٤ – التدخين محظور (ويجلد) صاحبه (٤٠) جلدة على الأكثر ومن يحلق لحيته (يعزر) ..

وزاد « زويمر » : انهم لا يستعملون « المسبحة » وإنما يذكرون اسم الله على أصابعهم ، وأن مساجدهم بسيطة وليس فيها مآذن .

معجم هاستنغ

وجاء في معجم « هاستنغ » الشهير ، المسمى « الدين والأخلاق » في بحث « الوهابية ما يأتي :

إن أصحاب هذا المذهب يقولون :

١ – ان الله له شكل جسماني ، أي له وجه ويدان الخ ..

٢ – لا موضع عندهم للرأي في المسائل الدينية ، وإنما يجب حل هذه القضايا بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما .

٣ – لا يعترفون « بالإجماع » مصدراً للأحكام .

٤ – لا يعترفون كذلك « بالقياس » .

٥ – المسلمون الذين لا يدخلون معهم في جماعتهم يعتبرون كفاراً .

٦ – لا الرسول ولا أي ولي يستطيع أن يكون واسطة بين الخالق والعبد !

٧ – يحرمون زيارة قبور الأولياء .

٨ – لا يجوز الحلف إلا بالله وحده .

٩ – النذور محرمة إلا لله ، ولا يجوز تقديم الذبائح إلى أضرحة الأنبياء أو الأولياء .

لوثروب ستودارت

Lothrop Stoddard

يقول لوثروب ستودارد ، في كتابه : « حاضر العالم الاسلامي » ، الذي نقله الى العربية عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان :

« في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعمـق دركه .. وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات والقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات ..

وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجعته اذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه جزيرة العرب ، مهد الاسلام، ويوقظ المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل ، فكان صاحب هذا الصوت الصارخ انما هو : المصلح المشهور محمد ابن عبد الوهاب، الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي ، ثم أخذ هـذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد ، فتبدت تباشير صبح الاصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

تشدد الوهابيين في أول الأمر

.. قام عدد من النقدة ، اتخذوا الوهابية دليلاً لكلامهم ، وقالوا ان الاسلام بجوهره وطبائعه غير قابل للتكيف على حسب مقتضيات العصور ومماشاة أحوال الترقي والتبدل ، وليس الفا لتطورات الأزمنة وتغيرات الأيام .

بيد ان نقدهم هـذا فاسد باطل ، ولا مسوغ له ، اذ قد فاتهم أن الدور الأول لكل اصلاح ديني انما هو الرجوع الى حالة أصـل ذلك الدين المراد اصلاحه ، والاستمساك به على حالته الأولى استمساكا لا يحتمل نقد ناقد ولا اتهام متهم،

فالمصلح الديني لا يرى سبيلا للقيـــام بالاصلاح وبلوغ الغاية الا بنسخ جميع البدع والأوهام اللاصقة بالدين دون اعتبار صفاتها وماهيتها .

ليعتبرن العاقل اللبيب : انه لما بدأ الاصلاح البروتستانتي عندنا انما كان مبدأه على هـذه الطريقة .. فقـد نبـذ المتعصبة المتشددة من البروتستانت المعروفين باسم « المتطهرين » المصلح الكبير « أراسيموس » ، واتهموه بالباطـــل وشددوا عليه النكير متعامين قائلين ان الحركة الاصلاحية انما هي افتراء على الدين الصحيح ، ولا شأن لها سوى ابدالها « البابا » المعصوم بالتوراة .. المعصومة . »

جان ريفوار

Jean Rivoire

كتب « جان ريفوار » ، الذي أسلم وتسمى باسم : « حيدر بامـــات » ، في كتابه « مجالي الاسلام » ، الذي نقله الى العربية المرحوم عادل زعيتر :

« تحمـــل أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر طابع أعظم سقوط مني به الاسلام، وكانت الامبراطورية العثمانية وفارس وأمبراطورية المغول بالهند في دور الانحلال ..

وعـاد الدين ، الذي أثقـــل بالخرافات المخزية ، لا يمتّ الى توحيد محمد (ص) بغير صلات بعيدة ، فقـــد حلّت محله باطنية باطلة وعبادة للأولياء والأضرحة ، استغلت بمهارة من قبل مشايخ جاهلين موزعين لتمائم وتعاويذ ..

وكان البلدان المقدسان ، مكة والمدينة ، يعرضان مظهراً مكدراً من الفسق والفسـاد في موسم الحج من كل سنة ..

وفي هذه الأحوال المنكدة للاسلام كثيرا ، حين كان يظهر أن روحه تهجره ، حدث رد فعل شاف ، وقد انطلق رد الفعل هذا من جزيرة العرب ».. وكان محمد بن عبد الوهاب ذاك النذير ..

وتحف بتعاليم هـــذا الرجل ، الذكي الفؤاد ، والمتـين الخلـق ، والذي يشبه بـ « كالفين » أحيانا ، قلوب بني قومه ، فقـد نفخ فيهم حماسة الأيام الأولى من الهجرة .

وما قام به من دعوة للعودة الى نقاوة الاسلام الأولى دوّى حتى أقاصي العالم الاسلامي ، فكان خميرة فعالة أحيت جميع حركات الاصلاح التي حدثت منذ ذلك الحين . »

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رحلة الشيخ ومكافحته للبدع ،ثم يقول ان الوهابية هي الحنبلية نفسها ، ولكنها في مظهر أكثر تشددا ، وان جماعة من النقاد رأوا أن الوهابية ستحول دون سير البلاد في طريق النهضة لتمسكهـا بالحالة التي عليها القوم وتخوفها من روح العصر ، ولكن نهضة المملكة العربية السعودية الحاضرة أثبتت فساد أقوال هؤلاء النقدة ، ويعد ما حققته حتى الآن « دليلا بيناً على أهلية الوهابية الملاءمة مقتضيات الأزمنة الحديثة » ، ولقادة المملكة في سياستهم الاصلاحية قاعدة حكيمة وهي الأخذ بالجوهر والمفيد ، وطرح العرض وكل مـا كان فاسدا ، وقد أحسن الضابط « أرمسترونغ » بقوله :

« عزم ابن سعود على ألا يقتبس من الأوربيين غير أصلح ما يقدمون اليه ، فهو لا يريد أن ينتحل غير مـــا يحققونه عمليا ، من سيارات وطائرات ونحو ذلك ، ولكنه يضرب بمبادئهم عرض الحائط ..

وهو سيحمل رعاياه على الطريق السوي ، ولكنه لن يعجزهم مطلقا ..

وهو يفضـــل تحولا في المزاج الذهني وفي طراز العيش على انتحـــال الأزياء الأوربية .. »

ما كتب عن الوهابية حديثاً في اللغة العربية

كثرت الكتابات عن الوهابية قديماً وحديثاً .

وفيها ثناء ، وفيها تجريح !

وكانت الكتابات في زمن العثمانيين كلها تقريباً حملات جائرة ظالمة ، ثم أخذ الناس يتشككون في حقيقة هذه الكتابات ، ويتفهمون الأسباب السياسية والدوافع الشخصية التي كانت تمليها على أصحابها .

وأخيراً بدأ العلماء المنصفون يعطون الحركة الوهابية حقها من الانصاف والتقدير ، وان لم يكونوا من أتباعها وأنصارها ، واذا اختلفوا معها في أشياء، فهم يعرفون لها فضلها ومزاياها ، ولكنهم انما يخشون عليها من الغلاة الذين يريدون فرض آرائهم « المتطرفة » على الآخرين ، لتوهمهم أن الحق معهم وحدهم !

وها نحن نقتطف شيئاً مما كتبه المؤلفون العرب عن الوهابية ، ومما ترجم من كتب الغربيين الى اللغة العربية :

طه حسين

الوهابية أيقظت النفس العربية

قال طه حسين ، في محاضراته «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» :

« يعنينا من هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب ، وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ، ووضع أمامها مثلاً أعلى أحبته وجاهدت في سبيله بالسيف ، والقلم ، واللسان ، وهو قد لفت المسلمين جميعاً ، وأهل العراق والشام بنوع خاص، الى جزيرة العرب » .

عباس محمود العقاد

اثر ابن تيمية واضح

ويقول عباس محمود العقاد في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » :

« المنبع الذي صدرت عنه الحركتان : حركة ابن تيمية وحركة ابن عبد الوهاب واحد : هو مذهب ابن حنبل ..

ولكن ابن عبد الوهاب تأثر كذلك بحركة ابن تيمية ، وقرأ كتبه ورسائله وفتاواه ، وتفهمها وأخذ عنها ، وترسم خطاه ، وأخذ بآرائه ، كما تأثر كذلك بكتب تلميذه ابن القيم الجوزية وآرائه ، ومما يثبت هذا كله أن بعض رسائل ابن تيمية الموجودة في المتحف البريطاني مكتوبة بخط محمد بن عبد الوهاب ، فهي مما كان ينسخه لنفسه ،وهو في رسائله التي كتبها لشرح دعوته أو لمناقشة معارضيه يعتمد كثيراً على آراء ابن تيمية وابن القيم الجوزية ويستشهد بأقوالهما » .

ويرجع العقاد أسباب فشل حركة ابن تيمية الى كثرة الفرق الدينية في الشام وكون العالم الاسلامي يومئذ كان في عنفوان ثورته على الصليبيين ، ثم لم تكن له قوة سياسية وحربية تسانده..بل كان هناك العكس،وكان القضاة والولاة ضده.. بعكس ما كان الحال مع محمد بن عبد الوهاب .

كانوا مخطئين في مسألة التكفير

وقال العقاد أيضاً: « ومما أخذه المعارضون على الحركة الوهابية كذلك تزمتها

الشديد واتهامها لكل من لا يأخذ بمبادئها بالكفر والمروق ، ثم يقول : إن الاجماع منعقد أو يكاد على استنكار البدع والخرافات التي ذكرها ابن عبد الوهاب ، ولكن الخلاف على الشرك والتكفير أو على درجة الشرك الذي يخرج صاحبه عن الملة .

وأكبر من خالف الشيخ في ذلك أخوه الشيخ سليمان صاحب كتاب « الصواعق الالهية » وهو لا يسلم لأخيه بمنزلة الاجتهاد والاستقلال بفهم الكتاب والسنة ويقابل تفسيراته بتفسيرات تذهب في غير مذهبها ، ويعتمد على ابن تيمية وابن القيم في مناقشة أخيه ،فيقول إن من أصول أهل السنة المجمع عليها ،كما ذكراها: «أن الجاهل والمخطىء منهذه الأمة يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحا لا يلتبس على مثله أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من أركان الاسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعيا يعرفه كل من المسلمين » .

ويرى أن البدع التي مر بها الأئمة جيلاً بعد جيل ولا يكفرون أصحابها ، لا يكون الكفر فيها من اللزوم الذي يوجب القطع به ويستباح من أجله القتال.» .

أحمد أمين

تحدث المرحوم الاستاذ أحمد أمين ، في كتابه : « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » ، حديثاً طويلا عن المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بدأه بالكلام عن نشأته ورحلته، فقال إنه « طوّف في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة ، وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان وسنتين في همدان ثم رحل الى اصفهان حيث درس الفلسفة والتصوف ، ثم تحدث عن التوحيد الذي قامت عليه حركة ابن عبد الوهاب ، وعن شدة تأثره بآراء ابن تيمية في مكافحة البدع ، وفسر نجاحه بأنه نتيجة التعاون الوثيق بينه وبين الأسرة السعودية ثم انتقل الى الحديث عن موقف الحكومة السعودية الراهن من رجال الدين، وكان الأجدر به أن يفرق بين رجال الدين وبين الغلاة الذين لا يخلو منهم بلد ، فقال :

طريق وسط بين تيارين

رأت « الحكومة » نفسها أمام قوتين قويتين لا معدى لها عن مسايرتها : قوة رجال الدين في نجد المتمسكين أشد التمسك بتعاليم ابن عبد الوهاب والمتشددين أمام كل جديد فكانوا يرون أن التلغراف السلكي واللاسلكي والسيارات والعجلات من البدع التي لا يرضى عنها الدين .

وقوة التيار المدني ، الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من وسائل المدنية الحديثة ، كما يتطلب المصانعة والمداراة .

فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً وشاقاً بين القوتين ، فقد عدلت نظرها الى الأقطار الاسلامية الأخرى وعدتهم مسلمين ، وبدأت تنشر التعليم المدني بجانب التعليم الديني ، وتنظم الادارة الحكومية على شيء من النمط الحديث ، وتسمح للسيارات والطيارات واللاسلكي بدخول البلاد واستعمالها وما الى ذلك ..

وما أشقه عملاً : التوفيق بين علماء نجد ومقتضيات الزمن ، وبين طبائع البادية ومطالب الحضارة .

محمد عبده .. تلميذ ابن عبد الوهاب

وينهي أحمد أمين بحثه بالتحدث عن أثر الوهابية في الحركات الاصلاحية الحديثة ، فيقول ، على سبيل المثال:

« .. في مصر شب الشيخ محمد عبده فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو ، فرجع الى هذه التعاليم في أصولها من عهد الرسول الى عهد ابن تيمية الى عهد ابن عبد الوهاب ، وكان أكبر أمله أن يقوم في حياته بعمل صالح ، فأداه اجتهاده وبحثه الى هذين الأساسين اللذين بنى عليهما محمد بن عبد الوهاب تعاليمه ، وهما :

١ – محاربة البدع ، وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد بإشراك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى .

٢ – فتح باب الاجتهاد ، الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين .

أبو زهـــرة

تحدث الشيخ محمد أحمد أبو زهرة في كتابه « المذاهب الاسلامية » الذي ظهر في سلسلة « الألف كتاب » بمصر ، عن الوهابية حديثاً مستفيضاً، بدأه بالكلام عن جمود العقل وتقديس الفقهاء والصالحين، قال :

الوهابية ضد تقديس الاشخاص ..

« لقد اتسمت العصور التي جمد فيها العقل بتقديس آراء الأئمة المجتهدين كما أشرنا ، وكان من مظاهر ذلـــك : تقديس الصالحـــين في حياتهم وبعد مماتهم ، وزيارة أضرحتهم والطواف حولها بما يشبه الطواف حول بيت الله الحرام ، وكان من أثر ذلك أن قامت طائفة تحارب هذا وتشدد في محاربته متبعة في ذلك آراء ابن تيمية ، وقد أخرجتها من مرقدها ، بعد أن طمرتها السنون .

ظهرت الوهابية في الصحراء العربية ، نتيجـــة للافراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ونتيجـــة لكثرة البدع التي ليست من الدين ، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدنيوية .

فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحيت مذهب ابن تيمية .

ومنشيء الوهابية .. درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره ، وتعمق فيها ، وأخرجها من حيز النظر الى حيز العمل ، وانهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد ، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية ، لأنها لم تشتهر في عهده ، ويتلخص ذلـك فيما يأتي :

١ – لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الاسلام في القرآن والسنة وكما ذكر ابن تيمية ، بل أرادوا أن تكون «العادات» أيضاً غير خارجة عن نطاق الاسلام، فيلتزم المسلمون ما التزم ، ولذا حرموا الدخان وشددوا في التحريم حتى ان العامة

منهم يعتبرون المدخن كالمشرك ..

٢ – وكانوا في أول أمرهم يحرمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها، ولكن يظهر أنهم تساهلوا فيها فيما بعد .

٣ – ان الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة بل عمدت الى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع وهي منكر تجب محاربته ..

٤ – انها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً، حتى لقد أطلق بعض الكتاب الأوربيين على الوهابيين وصف : « هدامي المعابد »، ولعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة ، لأن الأضرحة ليست معابد ، ولكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح أخذاً من الخبر الذي استنكر فيه النبي(ص) عمل بني اسرائيل إذ اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد .

ولم يقف عنفهم عند هذا فانهم جاؤوا الى القبور الظاهرة فهدموها ...

وتعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي الى الوثنية وأعلنوا استنكارها ، مثل التصوير الفوتوغرافي ، ولذا وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي يكتبها علماؤهم وان كان أمراؤهم لا يلتفتون في هذا الى أقوالهم ويضربون بها عرض الحائط .

وانه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب بل انهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية ..

ولقد كان ذلك لا ضرر منه أيام أن كانوا قابعين في الصحراء لا يتجاوزونها .. وليس الأمر كذلك الآن .. وقد تصدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ، وجعل آراءهم لأنفسهم دون غيرهم ، وسار في هذا شوطاً بعيداً » .

قلنا : وهنا أيضاً كان الأحرى بالمؤلف أن يتكلم عن الغلاة ، الذين يوجدون في كل مكان ، وفي كل مذهب ، لا عن جمهور العلماء .

عبد الكريم الخطيب

وقال عبد الكريم الخطيب ، في كتابه : « محمد بن عبد الوهاب . العقل الحر والقلب السليم » المطبوع في مصر عام ١٩٦٠ ، في مقدمة الكتاب :

« ان الدم الذي أريق في سبيل الدعوة الوهابيـــة دم غزير عزيز على الاسلام والمسلمين ..

.. غير أن الحروب الوهابية .. قد كان جانب الربح فيها أكثر من جانب الخسارة ، فيما عاد على الاسلام والمسلمين بسببها من خير كثير .

لقد أيقظت هذه الحروب مشاعر الأمة الاسلامية التي كانت قد خمدت ، وفتحت منها العيون التي عاشت زمنا طويلا في وطأة نوم ثقيل ..

كانت الحروب الوهابية معركة رأي

فما قاتل أصحابها وما قتلوا الا دفاعا عن رأيهم الذي لم يحتمله العالم الاسلامي يومئذ فرماهم بالكفر والمروق عن الدين ، ورموه بالكفر والمروق عن الدين أيضاً ...

ولقد برئت الدعوة الوهابية من أن يختلط بها هوى أو يطيف بها زيف أو تمويه انها دعوة باسم الدين وللدين ، ما كان صاحبها ولا كان مناصروه يطمعون في شيء أكثر من تحرير العقل الاسلامي ، وتنقيـــة العقيدة الاسلامية من شوائب الشرك والضلال .

ويقول المؤلف ، في أواخر كتابه :

« دعوة محمد بن عبد الوهاب من الدعوات الناجحة بغير شك ، اذا كان مقياس النجاح مقدراً بالنتائج التي تجنى ، والثمرات التي تقتطف ، دون نظر الى الأخطاء التي وقعت عبر الطريق الى الغاية ...

.. اذ خلقت في المجتمع الاسلامي وعيا كان ضائعا ونبهت احساسا كان خامدا

وفتحت بصائر كانت مغلقة ..

... ثم ان الدعوة الوهابية من جهـــة أخرى حملت الناس على أن يقلبوا وجوه الرأي وان يرجعوا الى ما خلف السلف من آراء وسنن فكان أن انتهوا آخر الأمر الى الينابيـع الأولى للاسلام يصدرون عنها جميعاً فبدأت وجهات النظر تتلاقى على حين أخذت شقة الخلاف تضيق ، حتى صار الأمر الى مـــا نراه اليوم من وحدة تتلاقى عندها جميـع الأنظار .

وغير خفي أن الدعوة الوهابية قد اشتطت كثيرا في حملتها على جمهور المسلمين وفي تسفيه كل ما كان عليه المجتمع الأسلامي مما يتصل بالعقيدة ، ونستطيع أن نقول إن هذا الشطط ربما كان شيئا لازما، بل ربما كان أمرا مقصودا دعا اليه الحال التي بلغها المسلمون يومذاك، وربما كان صاحب الدعوة قد أدرك أنه اذا أخذ بدعوته طريقة الاعتدال لم ينتبه اليه أحد ممن غشيتهم الغفلة وران عليهم الجهل ..

وأنه لكي يلفت أنظار المسلمين في كل مكان ، كان عليه أن يبالغ في مقررات الدعوة ... وأن يشتط في تغليظ البدع والمنكرات .. »

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن أسباب نجاح الدعوة ، فيلخصها في ايمان صاحب الدعوة ، وثبات أنصاره ، وبيئة الدعوة .

لويس شيخو

كتب الأب لويس شيخو ، مقالا في مجـــلة « المشرق » ، التي يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، عام ١٩٢٠ ، تحدث فيه عن نجد ، ومما قاله :

« .. كان الدين بينهم في انحطاط حتى أضحى اسماً فارغاً..وبقوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى قـــام بينهم « محمد بن عبد الوهاب » .. ينفـخ في مواطنيه روحا جديدة ، اقتبسها من أصول الدين الاسلامي مجرداً عمـــا نسبوه اليه من النوافـل

والبدع .

وينحصر مذهب الوهابيين في الاقرار بوحدانيـة الله ، واتباع سنة النبي ، وهم في مسائل الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج كسائر المسلمين . »

ثم تحدث الأب شيخو عـــن الأشياء التي انفرد بها الوهابيون فجاء بالعجب العجاب ، مع أنه عربي ويعيش في القرن العشرين ، فقال ان الوهابيين يمنعون عن ذكر النبي في الشهادتين ، ويحظرون على الناس اكرام النبي والأولياء ، ويمنعون شرب القهوة .. ثم قال :

« كان « الشيخ » اتخذ له شورى متألفة من ٢٤ صاحبا يتجولون في أحياء البلد ويوقفونه على أدنى مخالفة لهـــذه الفرائض ، فيوجب على المذنبين الحد ويضربهم بالسياط ويغرمهم الغرائم الطائلة [1] .

ولما رأى مـا قام في وجهه من العوائق لبلوغ غايته .. عرف أنه لن يفوز الا بامتشاق الحسام ومراعاة أخلاق العربان.. بالحض على شن الغارات وتهييج المطامع في اغتنام الغنائم .. »

جمال الدين الشيال

وتحدث الدكتور جمال الدين الشيال عن الحركة الوهابية حديثاً غير قصير في كتابه: « محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث » .

ومما قاله :

« الحركة الوهابية أولى الحركات الاصلاحية التي ظهرت في الدولة العثمانية، أو

---

١ - يعني الكاتب بالشوري : المطوعين ، ولا وجه لتسميتهم بهذا الاسم .

بمعنى أصح بين الشعوب العربية الخاضعة للدولة العثمانية وستتلوها حركات إصلاحية أخرى تنبثق في أجزاء أخرى من العالم « الاسلامي » ، بعضها مشابـــه للحركة الوهابية وبعضها متأثر بها آخذ عنها ...

وظاهرة أخرى تميز هذه الحركة هي ظهورها في إقليم نجد ، في تلك المنطقة الصحراوية المباركة حيث انبثق نور الاسلام الأول ، والبيئة الصحراوية كانت دائماً أصلح البيئات لظهور الدعوات الاصلاحية وخاصة تلك التي تدعو الى دين جديد ، أو التي تقوم على أساس من الدين ، فهذه البيئة تكون عادة بعيـــدة عن مؤثرات المدنية ، وعن حياة الحضر التي أفسدها الانغماس في الترف ، وسكان هذه البيئة يكونون عادةً – لبساطتهم وبداوتهم – أكثر تقبلاً لمثل هذه الدعوات الإصلاحية التي تدعو الى التقشف والبساطة والجهاد والمثل العليا » .

أمين سعيد

ويقول الاستاذ أمين سعيد ، في كتابه : « هذا هو كتاب سيرة محمد بن عبد الوهاب » :

« حققت الدعوة لنجد آمالها ، وقد بدأت في محيطها ، أول ما بدأت، فأنشأت لها مجتمعاً إسلامياً سليماً ، يؤمن بالتوحيد ويعظم شأنه ويسير على هداه ولا يدعو مع الله أحداً .

ولا يزال هذا حاله ، لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هـذا ، فهو يصدع بالحق ويؤمن به .

وانبثقت عن هذا المجتمع دولة عربية كريمة ، نشأت في ظل الدعوة وآمنت بها ، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيرتهم بعـد دولة الخلفاء الراشدين ، فاتبعت طريقهم وترسمت خطاهم ، فسادت وشادت .. »

ملاحق الكتاب

الملحق الأول

رواية "لمع الشهاب"
عن قبائل نجد وبلدانها وعاداتها

نورد في الصفحات الآتية نص الفصلين اللذين تحدثت فيهما مخطوطة « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب عن قبائل نجد ، وبلاد نجد ، وحدودها » .

فصل في ذكر القبائل النازلين بنجد

قال مؤلف « لمع الشهاب » :

« منهم من لها شعب في الحجاز وشعب في نجد ، فمن ذلك :

عنزة

وهي ترجع الى وائل من ربيعة ، وهم في اصطلاح اليوم أكبر قبائل العرب كما يقال : كل « قوم دون عنزة » ، مثل مشهور ، وهي ثلاث فرق ، تحت كل فرقة واحدة شعوب وفخوذ وعشاير ، وعدد الكل يبلغ قريباً من ستين ألفاً ، وعنزة قبيلة معروف رجالها في ركض الخيل والفراسة ، وليس في أرض نجد أحد يقاومهم ، فأحد طوايفهم تسمى « بني وهب » ، وهي تفترق الى فرقتين ، احداهما يقال لها : « ولد علي » وفيها رئيسان كبيران ، وهي تسكن هذا الزمن ببرية الشام بين البلقاء وحوران ، والآن يعدونهم من توابع دمشق وحالهم في النزول والارتحال هذه اذا وقع البرد والثلج خرجوا بابلهم وخيلهم وبقية مواشيهم وتزودوا من الحنطة ما يمونهم أيام البرد ونزلوا مواضع بين دومة الجندل والشام ، تسمى « وادي السرحان » ، والحماد ، فاذا دخل الصيف ارتحلوا راجعين الى مساكنهم المعهودة .

والفرقة الثانية من « بني وهب » يسمون : « المنابهة » ومشايخهم أهل قدر وشأن ، يقال لهم « آل فاضل » فهذه الفرقة ينزلون الآن أيام الصيف في مواقع الى

جهة حلب وحمص وحماة وتعرف تلك الارض عند بادية الشام بالشنبل ، وكثيرا ما ينزلون على نهر العاصي الذي عليه «حماة» المعهودة ، وأما زمان البرد والشتاء فيذهبون شرقي منزلهم من أطراف العراق والحماد المذكور سابقاً ، وأيام الصيف يرجعون الى الشنبل ، وهاتان الفرقتان من بني وهب لهما تعيينات وخرج من ولاة الشام وحلب يعطون من الدراهم والحبوب لمشايخهم وانما يعطون ذلك لحفظهم السبيل وأرض الفلاحة والزرع عن أن يمسها أحد قومهم وقبائلهم والمترددون هناك ويمنعون أيضا بعض قبائلهم من عنزة الساكنين نجدا الآن الآتي ذكرهم عن « التعارضات » والغارات في أطراف الشام وحلب ، وأيضا بعض بني وهب يسكن خيبر من أرض الحجاز ولهم فيها نخيل يقدر بنصف نخيل خيبر ، اذ خيبر مشهورة بكثرة النخيل جاهلية واسلاما ، وهذه الفرقة زمن الربيع يرعون ماشيتهم من شمر الى تيماء الى حجر ثمود الى مناهل من أرض الشام الى جهة قرب « ينبع » .

وطائفة أخرى من عنزة بن وايل من ربيعة تسمى « الجلاس » ، وطايفة ثالثة تسمى « الرولة » ، وهم شجعان جزيرة العرب ، وهم أهل إبل كثير ، ربما يملك الشخص منهم أربعمائة أو خمسمائة ، وهم في الصيف يقطنون في بصرى والازرق وقد ينزلون « النقرة » الواقعة بين بلقاء وحوران ، وهم يجلبون أبلهم للبيع الى حلب فيبيعونها على التركمان ، يأتونهم من طريق ديار بكر ، ثم ان طائفة الجلاس اذا تم الصيف وبدأت أيام حصول التمر ساروا الى اطراف كورة القصيم ثم استكالوا تمرا وحنطة .

وطايفة رابعة من عنزة من وائل من ربيعة يقال لهم : « بشر » ، وعدد رجالهم اكثر من بقية عنزة ، وهم يفترقون الى شعوب : الشعب الاول يسمى : « العمارات » ، وشعب يقال له « آل جبل » ، والعمارات عشيرتان : الصقور والمطارفة ، ومشايخ العمارات أهل بيت يقال لهم : آل هذال ، كان لهم قبل أيام دولة آل سعود شأن عظيم وقوة غريبة ، وكانوا يرعون جميع أراضي نجد اينما شاؤوا ، ولا أحد يمكنه معارضتهم ، الا « مطير » خاصة ، فانهم يمانعونهم ، نعم اذا قامت عنزة كلها ذلت مطير حينئذ .

وأيضا شعبان من بشر ، أحدهما « الدمامشة » وفي عرف أهل نجد يقال لهم « الدهامشة » ، وهم يملكون الحايط والحويط المسمى بفدك ، في سابق الزمان ، وهم عدد كثير ، وغالب سلاحهم البندق .

وشعب آخر من بشر يقال لهم « السبعة » وهم غير السبيع الآتي ذكرهم .

ثم شعب آخر من بشر يقال له « ولد سليمان » ، وشعب آخر « البجايدة » ثم عشيرة منهم اسمها « آل شملان » وهم يملكون نصف أرض خيبر ونخيلها، ولهم هناك فلح تتولى الزراعة وهم أنفسهم أهل بيت شعر يسكنون ديار نجد ، وأما آل هذال الذين هم مشايخ بشر من عنزة ، فلهم أرض « الحناكية » .

واعلم أن هذه الطوايف التي قدمنا ذكرهم على التفصيل من عنزة وممن سكن اليوم بجوالي الشام ومن هو باق بنجد خاصة ، اذا قحطت أرض نجد ، التجأوا الى اخوانهم الذين ينزلون ديار الشام فيقومون لهم بالواجب ولا يساومونهم ، فلا يتركونهم فقراء أصلا ، وتلك الشيمة معهودة في عنزة أكثر من بقية قبائل العرب واذا أخصبت نجد رجعوا بأهاليهم اليها لان أرض نجد مع الخصب لا يساويها في المرعى وطيب المشرب واعتدال الهواء أرض من غيرها .

واعلم أن عنزة كلها دخلت تحت طاعة آل سعود اكثرهم بغير حرب ، بل رأوا أحقية هذا الدين فقبلوه شوقا .

ثم ان طائفة من بشر من عنزة من وائل يقال لها « الفدعان » ارتدت عن حكم آل سعود وتعلقت ببني خالد أيام دولتهم فجلت من نجد وسكنت أرض الحوالد ثم عادت الى نجد بعد ذهاب ملك بني خالد .

هذه أحوال عنزة من وائل .

وأما قبيلة شمر ، فهي عدداً عشرون ألفاً ، ولكنهم تحت طاعة ابن سعود ، وقع من بعضهم بعض الخلاف آخر أيام عبد العزيز فأجلاهم من أرض طي الى العراق، وكبير تلك العشيرة يقال له مطلق الجربا ، ولم تبرح الآن هناك أيضاً ، وشمر نسبهم يرجع الى قحطان ، وهم من طي القدماء ، تغير اسمهم .

وأما قبيلة حرب فهي قبيلة منها بدو وحضر ، أما الحضر فينزلون مواضع

مخصوصة من أرض الحجاز بين مكة والمدينة وهو غير فرع نجد ، ولهم بادية تسكن « العوالي » من توابع المدينة المنورة، والعوالي على فرسخ من المدينة جنوبا شرقا، وبعضهم سكن نجد أعني البداة ، فيصل الى أطراف القصيم ، وأولئك أهل الخيل والابل الكثيرة ، لأن أرض نجد للخيل والابل أعفى من غيرها ولان عشبها دائم، ومياهها كثيرة بين مصانع وآبار .

وقبيلة حرب بكليتها تبلغ ثلاثين ألفا .

وأما قبيلة «مطير» ، فهم من سكان نجد أيضاً ، وعددهم يبلغ أربعة عشر ألفاً ، وهم يرجعون نسبا الى قحطان ، وهم فرسان نجد ، وشجاعتهم معروفة بين أهل نجد ، وليس لمطير قرى وحضر بل هم بداة صرف ، ويسمون أهل « الردات » عند الانهزام لانهم مهما انكسروا وتبعهم العدو ، ردوا عليه وغلبوه .

ومطير هذه تتبع جميع قصبان نجد في مرعى وليس لهـــا راد عن ذلك ، الا عنزة ان اجتمعت عشايرها كلها ، وغالب مساكنهم بين العارض ومكة في الفيافي المسماة حزم الراجي والنير ، وأهل الغنم منهم ينزلون غالبا قريب « الحرا » عندما يسمى « العمق » وهناك قصر صغير يسمى « صفينة » ، وأكثر كيلهم من حبوب وتمر من العارض والقصيم والاحساء وفخذ مشايخ مطير يقال لهم « الدوشان » ، واليوم كبيرهم : فيصل بن وطبان الدويش.

وأما قبيلة «عتيبة» فهي قبيلة كبيرة ، سابقا تسمى «هوازن» ، وكانت تسكن حينئذ باطراف مكة موضعا يقال له « حنين » ، وهي تبلغ اليوم أربعين ألفا وهي ترجع الى قحطان نسبا فاما اهل الابل الكثير والخيل كذلك فينزلون غالب السنة نجداً الى اطراف القصيم ، وغالب اهل الغنم منهم من ينزل ارض الحجاز عن مكة ثلاث مراحل ولهم ثلاثون قرية عن الطائف بستة فراسخ الى جهة اليمين شرقاً قليلا .

وامـــا قبيلة البقوم فهم بادية يبلغون اربعة آلاف وهم بـــداة وسكان تربة وملاكها خدامهم ومن التحق بهم ، وتربة تقع شرقا من حضن الآتي ذكرها ، وينحدر السيل الى تربة من ارض الحجاز .

واما قبيلة سبيع فهي قبيلة كبيرة منهم طائفة تسمى « بني عامر » .

وسبيع ينقسمون قسمين : قسماً منهم ينزل قبلة عن العارض ولهم بلدة يقال لها : « رنية » تقع شرقاً من تربة بيومين ولها واد أعلاه في الحجاز وهي تحسب من نجد .

وعلى هذه القبيلة أمير من قبل ابن سعود يجلس في رنية أيام الصيف وفي الربيع يرحل مع جماعته والقسم الآخر من سبيع يسكن في نفس العارض ولهم فيه أملاك عديدة من نخل وغيره وهم في عين الطاعة والانقياد لآل سعود وهم معهم في الحمية والتعصب كاللحمة وأبناء العم ، ودائماً مهما ركب أحد من آل سعود الحروب فهم معه ، ولا يأمنون أحداً مثلما يأمنونهم ولهم شجاعة معروفة في نجد ، ولهذه الفرقة من سبيع عطايا كثيرة ومساكنهم أيام الربيع العرمة والدهناء ومجموع سبيع يبلغ اثني عشر ألفاً ، غير توابعهم وخدامهم وسبيع ترجع نسباً الى ربيعة .

واما «السهول» : فهم طائفة برأسها ، وقيل إنهم يرجعون نسباً إلى سبيع وقيل غير ذلك ولكن الحق الذي نقله الينا بعض المخبرين انهم أصل على حدة ، يرجعون الى ربيعة أيضاً ، ولهم إبل وغنم عديدة وأكثر السمن الذي يجلب الى الدرعية منهم ، ولهم مناهل مياه على ثلاثة أيام من الدرعية ، وبلادهم جبل يسمى «العرض»، كثير المياه والأودية ، وأراضيهم قريبة من «الشعرا » و «الدوادمي» وهم يقيظون في بلدة يقال لها « القويعية » كثير النخيل ، وأهل تلك البلدة اسمهم « بنو زيد » وعدد السهول يبلغ عشرة آلاف .

وطائفة كبيرة: «قحطان»، وهي باقية على هذا الاسم، لأنها من قحطان القدماء وهم خلق كثير ، يبلغ عددهم خمسين ألفاً ، بل أزيد ، ولهم قوة عظيمة ، وكانوا قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب لا يمكن أحد الحرب معهم ولهم أرض واسعة من حدود السراة وهو جبل عال بين بيشة ونجران ولهم واد يسمى « تثليث » يهبط سيله الى وادي الدواسر الآتي ذكره ، ومنهم من ينزل الهضب الذي هو شرقاً عن رنية ، وأكثر قحطان أهل الخيل والإبل يسكن نجداً باطراف العارض ، ولهم نصح عظيم في هذا الدين الذي أخرجه محمد بن عبد الوهاب ولهم مبالغة تامة فيه ، وهم لما تبعوا آل سعود قالوا لهم : نحن علينا تطويع تهامة واليمن وأطراف

حضرموت والشحر وما ناسبنا من أرض الحجاز . وكان الأمر كذلك لانهم ما فتروا عن الغزو منذ دخلوا في الدين، وكان آنئذ شيخهم وكبيرهم «هادي بن قرملة» واليوم ابنه محمد بن هادي بن قرملة ، وقحطان يتصرفون أينما شاؤوا من بلاد نجد وتوابعها والاحساء .

وأما العجمان فهم في الأصل من طوايف اليمن ، ولكنهم منذ مائة سنة حلوا نجداً يمشون في أي موضع شاؤوا منها لقوتهم وشجاعتهم ، وعددهم خمسة آلاف رجل ، وهم يرجعون نسباً من « يام » ، وبداة بلدة نجران ، ويرجعون نسبهم أصلاً منتهى الى قحطان أيضاً .

وطائفة أخرى من يام يقال لهم: « آل مرة » ، تارة يسكنون اليمن وأخرى نجداً بحسب ما يصلح أحوالهم لمواشيهم وهم أهل إبل فقط وشجعان ولشجاعتهم لا ينازلهم أحد ولا يخالفهم وان كانوا قليلين وربما نزلوا أرض « الاحقاف » الربع الخالي ، من مشارق اليمن مما يلي عمان ، وهم يبلغون ألفي رجل أو أكثر ، وتلك الديار التي يسكنها هؤلاء أرض فيافي وقفار شديدة الحر جداً ، وأما الماء فيها فعزيز الوجود ، وربما وجد فيها ماء أملح من البحر ، ولكن يشربه هؤلاء ، وغالب قوتهم من لبن الابل ، وبينهم وبين الدرعية مسافة اثنين وثلاثين يوماً للراكب المجد السير ، وهم في طاعة آل سعود .

وأما «بنو خالد» فهم قوم كرام ، أهل شيمة ومجد وصيانة عرض ، وحكامهم منهم وهي طايفة تسمى آل حميد وهم ولاة أرض كثيرة معروفة مما يلي نجد الى القبلة حتى تمضي شرقاً الى البحر وشمالاً الى الجهرة وجنوباً الى أرض الصير من عمان ، وعدد بني خالد مع توابعهم ثلاثون ألفاً أو يزيدون .

وسيأتي ذكرهم بكيفية حكومتهم مع عدد شعوبهم في الباب الخامس ان شاء الله .

ونسب بني خالد فيما حدثنا النسابون يرجع الى ربيعة ، والله أعلم .

فصل في بيان حدود ملك نجد
وذكر بعض أسماء البلاد المشهورة فيها

قال مؤلف لمع الشهاب : (وفي ذكره للبلدان أخطاء كثيرة).

« أخبرنا رجل ثقة من أهل الدرعية قد رأى تلك البلاد عياناً » فقال :

أعلم أن أول نجد وحدها من جانب الشمال : جبلا طيء وهما المسميان أجا وسلمى ، وهما يشتملان على بقعة واسعة ، مسافة خمس مراحل من سير العرب ، وهو ممشى يوم كامل بسير الذلول والمطية –وقد حدده الراوي باثني‌عشر فرسخاً– وهذه الارض مستوية ، طولاً وعرضاً ، وشمال هذه الأرض يقع رمل عالج متصلاً بالدهناء ، وهي رمل يقع شرقي اليمامة على ثلاث مراحل ، لكنها تعد من نجد أيضاً .

وباقي بلاد طيء ، من المشاهير: حائل، وفيها تسكن قبيلة شمر الحضر والبدو. وفيها مدينة أخرى تسمى: قفار، وهي من حائل بمرحلتين ـ كذا ـ وفيها بلد: موقق، وهي عن قفار بيوم من جانب القبلة.

وبلد (المستجدة)، وهي على ثلاث مراحل من حائل، من جهة الجنوب قليلاً . .

وغير ذلك من القرى التي لم يشتهر اسمها . .

وأرض طيء هذه كثيرة الخير من المزارع والفواكه ، لذلك تسمى عند أهل نجد قاطبة : شام نجد ! وبين هذه الأرض وبين طريق الحاج الوارد على المدينة خمسة أيام ، تقع عنه شرقاً قليلاً الى جهة الشمال ، وهذه المسافة مفازة لا غير .

ثم اعلم أنه يلي أرض طيء ، من جانب الشمال على خمسة أيام ، بلدة تسمى : دومة الجندل ، وهي بلد أكيدر الجاهلي ، ويقال لها اليوم : جوف آل عمرو ، وليست هي من نجد .

وبين أرض طيء ، وبين بغداد، ثلاث عشرة مرحلة ، وبينها أيضاً وبين دمشق

خمس عشرة مرحلة ، وعرض رمل عالج أربعة أيام ، لا يوجد فيه ماء قط .

والأرض التي بين بغداد وبين أرض طيء تسمى الحجر ، وهي أرض صماء ، ليس فيها ، سوى المصانع والغدابر التي عملتها زبيدة امرأة الرشيد العباسي .

وأما بلد « تيماء » المعروفة، فواقعة بقرب الأرض التي بين طيء وطريق الحاج الشامي الوارد على المدينة ، فهي عن بلد حايل من طيء بأربعة أيام ، وعن طريق المذكور بيوم ... و « تيماء » ، هذه بلد السموأل صاحب القصيدة الغراء، كان قبل بعثة النبي بسنيات قليلة .

القصيم

وأعلم أن في حدود أرض طي مما يلي جهة الجنوب كورة ثانية من نجد، تسمى : القصيم. وهي تحتوي على بلدان كثيرة، منها:

مدينتان كبيرتان جدا : هما « عنيزة » و « بريدة » .

وكذا من مشاهيرها : بلدا « الرس » و « الخبرا » وهما عن الرس مسافة يومين غربا، و « التنومة » و « قصيبة » و « الشماسية » و « الهلالية » .. و « المذنب »، وغير تلك من القرى .

والقصيم كورة كبيرة كثيرة الخير من حواصل التمر والحبوب ، ومياه عذبة لا تحصى كثرة، ومقدار كورة القصيم سكنى وفيافي أربع مراحل طولا وعرضا، وفيها من القطن شيء كثير، وفيها تلول رمل أكثر من بقية نجد .

الجنوب كورتان أحداهما «الوشم» والأخرى «سدير» وشرقا عن الوشم بيوم إلى جهة الشرق.

الوشم

والمعروف من كورة الوشم :

بلد « شقراء » ، وهي دار الإمارة ، وكذا : « وشيقر » .

وأيضاً بلد من الوشم تسمى « الفرعة » قريبة من وشيقر على أربعة فراسخ من جانب الشرق .

وبلدان يسميان « القرائن » لتقارنها ، أحدهما يسمى « الوقف » والآخر « غسلة » .

وبلد أخرى تسمى « ثرمدا » .

وقريب منها يقال لها « مرأة » – مرات – على ثلاثة فراسخ من جانب القبلة.

وكل الوشم بأجمعه مسافة أربعة أيام طولاً وثلاثة أيام عرضاً .

سدير

وأما كورة سدير فواد بين جبلين ليسا بطويلين ، وطول أرض سدير قريب من مسافة يومين ، وهو يشتمل على بلدان كبار وقرى كثيرة ، ومن مشاهيرها :

بلد جلاجل « وهي بلد الامارة » .

و « المجمعة » ، و « حرمة » وهما قريتان بينهما ثلاثة فراسخ .

و « الزلفى » ، وأهلها مشهورة بالشجاعة والكرم بين جميع أهل نجد .

ما عدا ما ذكر من بلدان سدير في حدود الجنوب من جلاجل :

بلدة « الروضة » ، وكذا « الحوطة » و «الداخلة» و « الحصون » و « العطار » وأيضاً بلد « العودة » ، ووادي سدير أحياناً لا يمطر ، فيسبب قحطاً عظيماً بحيث يجلو أهله كافة ، وهي تعرف « بعريف نجد » لأجل ما تحتوي عليه من الزروع والفواكه الطيبة ، وطيب الفلاة والعشب .

وأيضاً بلد كبيرة تسمى « رغبة » تقع منفردة عن سدير في جنوب الوشم وبعدها عنه بسير نصف نهار .

وفي حدود سدير من جانب الجنوب مدينة يقال لها « حريملاء » وهي بلدة طيبة الماء والهواء جداً وفي أسفل واديها إلى جهة الشرق ، قدر سير ساعتين ، بلد خراب اليوم ، تسمى « ملهم » ، وفي القديم تسمى القرينة ، وهي بلدة أبي علي الحنفي

الذي ولاه كسرى أنو شروان العادل على قومه بني حنيفة ، وهو قد أسلم وصحب النبي ، و « حريملا » لها عدة قرى غير مشهورة .

وفي حدودها من الشمال قرية كبيرة تسمى « ثادق »، وهي ملحقة بسدير أيضاً.

العارض

ثم يلي ما ذكر من جهة الجنوب كورة « العارض » ، متوسطة في بلاد نجد ، وهي مقر إمارة ابن سعود اليوم ، وبلدانها معروفة مشهورة لأن رجالها خير رجال نجد وأدواهم وأغناهم .

وفي حدود العارض من الشمال بما يلي حريملا : قرية حسنة كثيرة الفوكه والزروع تسمى « السدوس » نسبة إلى قبيلة من بني حنيفة ، كان يقال لهم بني سدوس .

ويليها من جهة سدوس : « العيينة » ، وهي بلد معروفة قديمة ، ولما تولى عليها آل سعود خربت ، ثم يليها جنوباً شرقاً بيوم « الدرعية » ، وهي منشأ آل سعود ومقر إمارتهم حتى اليوم فهي بلدة كبيرة كثيرة النخل والفواكه عذبة الماء وفيها خلق عظيم وكلهم متمولون ، ودار تجارة تقصدها الناس من أنحاء جزيرة العرب وغير تلك النواحي أيضاً . وفي وادي الدرعية هذه عدة من القرى والزروع والرساتيق شيء كثير ، وفي غربها مسير يوم بلدة كبيرة في وادٍ متسع طولاً وعرضاً يهبط اليه من جبل العارض مع طريق طويل وهي تسمى « ضرمى »

وهناك أيضاً قرية كبيرة يقال لها « عرقة » ، والمسافة بينها وبين الدرعية مسير ساعة ولها وادٍ يشتمل على زروع كثيرة من البطيخ الذي لا يحصى وذلك أحلى ما يكون ...

ثم يلي الدرعية من الجنوب قليلاً إلى الشرق مدينة تسمى اليوم : « الرياض » ، وهي أكبر بلدان نجد كله ، وفيما سلف يقال لها « حجر اليمامة » .

ويلي الرياض من الجنوب بلاد كثيرة لها تبع قرى ورساتيق ، تسمى تلك البلاد « منفوحة » .

ثم يلي منفوحة من جهة الجنوب إلى الشرق قليلاً بسير نصف نهار كورة وادي الخرج ، وهو يحتوي على بلاد كثيرة ، ومشاهير بلادها :

« الدلم » و « السلمية » ، وبلد تختص باسم « اليمامة » ، وغير ذلك .

وفيها عيون جارية وزروعها عظيمة وخصبها كثير ، وفيها فلاة ، وفيها قيعان ، ورمل ، ومسيل وادي العارض يهبط اليها .

الفرع

وأيضاً مما يلي الدرعية إلى جانب الجنوب غرباً عن الخرج المذكور : واديا « بريك » و « نعام » ، وفيها عدة رساتيق ومزارع ، وفيها مدينتان كبيرتان إحداهما : « الحريق » ، وبقربها مسافة ساعة بلدة تسمى : « نعام » ، وفي هذين الواديين المذكورين مدينة كبيرة تسمى « الحوطة » ، وهي كثيرة النخل ، وقريب من هذه بلدة تسمى « الحلوة » جنوباً عنها بأربعة فراسخ ، ومجموع هذه البلدان المسماة بالحريق والحوطة ونعام والحلوة تسمى : « بالفرع » ، وهي من أطول أرض نجد آباراً وأكثرها بركة .

الافلاج

ومما يلي الفرع من الجنوب بمقدار ثلاثة أيام كورة « الافلاج » ويليها أيضاً في الجبل المتصل اليها من العارض قبلة عن الفرع عدة قرى في ذلك الجبل ، من مشهورها : « الفيل » و « الحمر » و « المدار » وغيرها ، تلك من القرى .

وأما كورة الافلاج ، فهي أرض فسيحة واسعة كثيرة الآبار وفيها عدة عيون غزيرة عميقة غير جارية بل معطلة ولم يجر منها اليوم إلا البعض ، لأن الخراب مستول عليها وقد صاحب أهلها القلة من مال ورجال ومن جملة مشاهير مدنها الكبار التي استولى الخراب عليها : « ليلى » و « البديع » ، وكانا في القرن العاشر

والحادي عشر في غاية القوة وفي زمن قوة الافلاج المذكورة ما جرت العيون المشار اليها بل غالب قوتهم وحرثهم بماء الآبار ، وكانت هذه تسقي المزارع في الأيام السابقة من ملوك حمير ، وقد تعطلت بعد دولتهم وفي زماننا هذا قد وجد في بعض الخرابات بعض الدنانير ملقاة على وجه الأرض فيها مكتوب : « لا إله إلا الله موسى كليم الله » ، وخط هذه الدنانير بالقلم الحميري . « ؟؟ »

الدواسر

ومما يلي نجد، من جهة الجنوب : « وادي الدواسر » ، وهو كورة تشتمل على مدينة تسمى «اللدام» ، وعلى قرى كثيرة وفيها من النخل شيء كثير ، وأما الزرع فقليل فيها والقطن موجود فيها بكثرة ومن مشاهير بلدانها قرية تسمى « السليل » فيها مقدار ألف رجل أو يزيد ، وهي تقع جنوب اللدام شرقاً مسافة يوم ...

ووادي الدواسر هذا آخر كورات نجد وقصباته من جهة الجنوب .

وجميع نجد بكليتها طولاً ست وعشرون مرحلة بالسير المذكور فيما مر ، وعرضاً من أرض « حضره » التي هي أول الحجاز من جانب الشرق إلى الدرعية مسافة أربع عشرة مرحلة ، بما ذكرناه من السير ، وحضره أربع مراحل شرقاً عن مكة .

العرمة

ثم نرجع إلى بيان ما هو شرقاً عن الدرعية ، وهو من نجد أيضاً ، وهذا برية طيبة العشب والكلأ ، تسمى « العرمة » ، وهي عن الدرعية ، شرقاً بنصف نهار ، وعرض العرمة يومان وطولها خمسة أيام من الجنوب إلى الشمال .

وحدود نجد مما يلي المدينة النبوية ، من طريق الدرعية ، موضع يسمى « الحناكية » ، وفيما سلف كانت تدعى « ببطن نخل» ، وعن الدرعية بخمس عشرة مرحلة،وفي حدود الحناكية من الشمال على أربعة فراسخ موضع يسمى«الربذة» .

في ذكر عامة أحوال نجد

الحضر والبـــدو

أما الحضر فلهم أحوال تخصهم دون البدو ، فنذكرها أولا .

أهل نجد الحضر ، بيوت سكانهم كلهـــا جدران ، وليس بنيان بيوتهم طبقات عالية ، فانهم لا يحبون علاء البيوت ، بل اذا أحب الشخص منهم بناء غرفة بناها بأدنى علو ، وليس بناء الغرف للكل ، بل نادر ، يوجد في ألف بيت مثلا عشرة بيوت للمتمولين والعلماء وأهل المنصب ، فلو بنى غير المتمول والعالم وذو المنصب غرفة عابوا عليه ، لإنه خلاف عادتهم ، وبيوتهم لها فضاء كبيوت أهل فارس، ومن عادتهم أنهم يجمعون أثاثا للبيوت كثيرة جداً من الفرش من الزوالي والبسط ، هذا ولو كان حـــال الشخص ضعيفا بحسب المعاش فانه يقلـــل على نفسه من اللبـاس والمأكول ولا يرضى بقلة فرش البيت إلا ان عجز عن الكل كأن يكون فقيراً مضطرا .

وأما لحافهم فقلما يوجد المضرب بالقطن عندهم بل أكثر اللحف وغالبها هو الزل والبسط ولا يستعملون الاسرة ، الا الملوك منهم يتخذون أسرة من خشب تصنع عندهم في أرض نجـــد ، تسطع من الليحان أيضاً ، وغالب ظروف مأكولاتهم : الصفر النحاس ، وظروف مشربهم القداح الخشبية وسفرهم التي يوضع عليهـا اكلهم جلود ، تستعمل على هيئة مدورة ، وهي تصنع في نجد ، لكنه جلد مدبوغ .

ومن جملة أحوال نجد عامة أن غالب نسائهم لا يلبسون الا الكرباس الاخضر

أو الأسود ، وكثيراً ما يلبسون الخز الاحمر ، يجلب لهم الخز الاحمر من أطراف حلب وبغـــداد ، والكرباس من نواحي الاحساء والقطيف والبحرين وجوانب اليمن ، وأما لباس رجالهم فالغالب هو الكرباس يلبسونه قميصا ، وقلما يلبسون القباء ، وأكثر لون الكرباس الذي يلبسونه الاديمي اللون يجيء اليهم من نواحي عمان أيضا .

وكل من الرجال والصبيان يلبس الكفيّة شتاء وصيفا ، وهي تصنع من غزل القطن ، وصناعها في نفس نجد قليلون ، بل أكثر ما يوجد عندهم منهـا من جانب العراق ، ومن الأحساء والقطيف كذلك .

ومنهم من يلبس على الكفية أيام الصيف عمامة حمراء مخططة بلون أبيض تسمى « الرميلي » وهي تصنع كثيرا في نجد ، وكذا تجلب من الاحساء .

ولبس العباءة عند أهل نجد واجب الرجال والنساء وهي العباءة القيلانية لكنها تختص للاغنياء منهم وسائر الناس يلبسون عباءة شقراء تصنع من سائر الصوف أو عباءة مخططة بأبيض وأسود ومثل هـــذه العباءة تصنع في بلدان نجد ، لكن قليلا واكثر مجيئها من ملك العراق ومن الاحساء أيضا قليلا . وقد تلبس نساء الاغنياء منهم الحرير الهندي الذي يبلـــغ كل ثوب منه قيمته عشرين ريالا وأكثر بألوان عديدة من أحمر وأصفر وأخضر ونحوها من الالوان ، وكذا يجيء لهم بعض البز من ملك العجم من يزد وهو حرير طيب خالص يبلـــغ الثوب عشرة ذهوبه أو أكثر فتلبسه نساء المتمولين .

وأما صيغهم في أمر حلي النساء فذلك شيء لا يضبط بالعدد لانهم يبالغون في ذلك جدا حتى الفقراء منهم لا بد أن يصيغوا شيئا من الزينة الذهبية لنسائهم قطعا ، وأغنامهم يطلبون الجواهر النفيسة مثال الياقوت والزبرجد والفيوزج يطلبونه طلباً حثيثاً وكل هـــذه الاحجار يستعملونها على نسائهم ، وأمـــا الرجال فيزينون سيوفهم بكثير من الفضة ، وكذا بنادقهم يلبسونها من أطواق الفضـــة كثيرا ، وهكذا خناجرهم ورماحهم يطيبونها بالفضة ، وقد يجعلون بعض زينـة السلاح من الذهب لان الذهب لا يباح في الشرع للرجال حتى القليل منه ، والمسألة فيها خلاف

بين أرباب المذاهب من المسلمين بخلاف الفضة للسلاح فجائز استعماله .

وأمـــا اتخاذ الخيل فقد شاع بين أهـل نجد ولو كان الرجل عديم المـــال احترف وأتعب نفسه حتى يشتري له فرسا يركبها ، اذ عندهم ركوب الخيل ألذ من كل شيء ولا يتخذون للركوب الا الخيل النجاب ، ومن عاداتهم ان الفرس لا يخدمها الا صاحب البيت بنفسه ، فلا يوكل بخدمتها امرأته ولا جاريته أصلا الا ان عجز ، واتخاذ ركض الخيل صار مثل الواجب عندهم ولا سيما لما أمرهم عبد العزيز فانه تأكد بأمره ، وأيضا من جملة أحوالهم أن اكثرهم يستعمل التفق والبندوق لكن صفة « تفقهم » انه غير ذي خزنة وأن أخشابه كأخشاب تفق «اروباني» على هذا الطرز وله فتيلة ، وهذا يصنع في نجد وكان قبل ذلك يصنع تفق أدنى من هذا في نجد ، وأخشابه متينة وطرحه غير حسن وله خزانة وكان قليل الوجود في نجد ولكن لما استمر أمر محمد بن عبد الوهاب استخرج بعقله وخياله هذا التفق ، وعلم الناس باستعماله له وحمله فشاع في جميع بلدان نجد حتى أنه اليوم جلب الى بلدان اليمن والى أطراف بلد جية وكثير من أرض الحجاز بل أكثر الحجاز مولع بحمله وصار له شأن عظيم فيما بين الحضر والبداة وهو لطيف الصنعة سريع الرمي قليل الخطأ بعيد الرمية خفيف الحمل بين افراط الطول وتفريط القصر وسط يبلغ قيمة العالي منه عشرة أريل والداني ستة أو خمسة والوسط السائر ثمانية أريل واليوم مـا بقي أحد من الناس حمالة السلاح حتى الفرسان إلا وحمل تفقاً واستعمله كذلك لانهم يقولون جربنا فعل التفق فوجدناه نعم الناصر الدافع ، واعلم أن رمي التفق صار اليوم شعار أهل نجد في ما بين كافة العرب وهكذا غيرهم من عرب الحجاز وتهامة اليمن ومن سواهم أعراب عمان وبني خالد وأهـل قطر قاطبة اتخذوا التفق ورغبوا فيه وربما عرفوا صنعته فيصنع عندهم ، لكن صناعه في نجد أكثر .

وهكذا شأنهم كل يوم أو كل يومين من ليس في الحرب أو الغزو يجعلون لهم خارج البيوت موضعا فيرمون به ويمرنون صبيانهم عليه ، فعندهم متى بلغ الطفل الذكر خمس عشرة سنة أمروه بضرب التفق ومرنوه عليه جزما .

والباروه يصنع عندهم منه شيء كثير، وبارودهم اطيب بارود، فلا يحتاج أهل

نجد الى جلب البارود لهم من ملك آخر ، وكان فيما سلف قبل خروج محمد بن عبد الوهاب واشتهار عبد العزيز بالسلطان كان بارود نجد يأتيهم من أرض اليمن وبعض من عمان ، لكن بعد هذا علمهم الشيخ محمد بعض صفات البارود وأجزاءه ، كما تعلمه هو من أرض الروم وفارس ، فصارت الحالة هذا الزمن بأن يذهب بالبارود من نجد الى بقية جزيرة العرب لانه أطيب بارود فيها .

ومن جملة عاداتهم أنهم لا تأكل نساؤهم ورجالهم معاً ، وكذلك الاولاد الذكور إذا وصلوا حد البلوغ لا يأكلون مع أمهاتهم بل مع آبائهم ، وأما البنات مهما كبرن بأن وصلن حد البلوغ يجلسن مع أمهاتهن على الخوان وقبل ذلك إن شئن أكلن مع أمهاتهن أو مع آبائهن لا فرق حينئذ .

وغالب قوتهم الحنطة المجروشة تطبخ كالرز وتدهن بالدهن الكثير ، وأكلهم في الدهن والسمن مفرط لا يوصف ويأكلون اللحم كثيراً وهو أيضاً غالب قوتهم بعد الحنطة ، إلا أن أكثر لحومهم لحوم الجزور ، فانهم يفضلونه على سائر اللحوم ، فاعلم ان الابل التي تنحر عند أهل نجد وتباع لحومها ويرغب فيها الخاص والعام وهي العادة المستمرة في سائر الايام ، هي أبل مخصوصة ، تسمى في اصطلاحهم بالفطر يكون سنة واحدة سنتين أو سنة ونصف أنثى تتخذ بالمرعى دائماً وتعلف علفاً جيداً ، وإنما سميت الواحدة فطرى، لأنها متى نحرت وسلخت، تجد سنامها كله قطعة شحم وكذا غالب بدنها شحم ضخم كأنما تقصر لحمها بالشحم .

وقد يكون الخبز من دقيق الحنطة لكنهم يثردونه اما بمرق اللحم أو بالحليب أو الروب أو يعتونه ويجعلون عليه السمن والعسل عند من يوجد له ، أو بدل العسل الدبس ، وهو رب التمر .

ومن صفات أهل نجد التجارة ، فان كثيراً منهم تجار يسفرون إلى أطراف الروم وبقية جزيرة العرب ولا يذهبون بسلعة من نفس نجد إلى ملك الروم وإنما يحملون معهم الدراهم النقدية خاصة ويأتون من حلب أو الشام بالبز الحرير وغيره وكذا بالنحاس ظروفاً وغيرها ، والحديد والرصاص أكثر ما يجلبونه من أرض الروم وقد يسير أهل نجد بخيل عتاق إلى أطراف ملك الروم بالتجارة لأن خيلهم

مرغوب فيها عند الاروام لشدة عدوها وهكذا يجلب أعراب نجد إبلاً كثيرة إلى حلب والشام للبيع وقد قال لي بعض الناس أنا شاهدت تجار أهل نجد أهل القصيم منهم يبيعون تمراً في دمشق الشام وعرفت أنهم يجلبونه من بلادهم وقد يسافرون إلى مصر لكنهم لا يشترون منها إلا السلاح والمرجان .

واعلم أن تجارتهم في بقية بلاد العرب كذلك غالب ما يذهبون إلى هذه النواحي هو الدراهم ويأتون من اليمن بالقهوة كثيراً وبالورس والميعة واللبان ، واعلم أن ليس عند تجار أهل نجد خانات معينة للبيع والشراء بل جميع أموال التاجر في بيته ، لكن بيت على حدة عن حرمه في جانبه ، وأما أهل بيع القليل منهم فلهم دكاكين وليس سوقهم مسقف مثل سوق أهل فارس ولا ضيق كضيقه بل سوقهم مكشوف لا سقف له ، والطريق واسع جداً بحيث تمر القوافل المحملة بحمولتها فيه واعلم أن أجناس الهند مثل سكر وبلوج وهيل وقرنفل وقرفة وفلفل وكركم ونحو ذلك الاجناس كلها مرغوبة عند أهل نجد وأكثر هذه يجلبونها من بنادر اليمن ، وقلما يأتون به من ساحل عمان ، نعم يأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير .

واعلم أن أنواع هذه التجارات كلها الغالب في جلبتها هم أهل نجد خاصة فانهم تعبية النفوس والابدان وأهل أشغال كثيرة وقلما يوجد فيهم من يحب الراحة ولهم اشتياق ، يمكن الشخص منهم أن يتغرب عن أهله ووطنه مدة عشرين سنة أو أكثر أن يسافر إلى ملك الصين مثلاً كما أن كثيراً من تجارهم اليوم جلوس ونزول في حلب وفي دمشق الشام ومنهم من هو في مصر ولكل واحد مدة عشرين سنة بل أكثر .

وأيضاً من جملة أحوال أهل نجد الحضر منهم أنهم يتعاطون الزروع كثيراً ويستعملون غرس الأشجار والنخيل ويتعبون أنفسهم عليها جداً ، وكذلك لأهل الحضر منهم غنم وبقر وابل وان لم تكن كثيرة لكن لا بد لهم منها بقدر ما يسع المعاش لأجل الحليب واللحم والركوب .

وأما أحوال بدو نجد فانهم أهل بيت شعر خاصة وليس لهم غير المواشي شيء

ولا يردون البلاد بأهاليهم البلاد أصلاً ، ولا يأتي الرجال منهم لأجل التجارة إلا إذا قحطوا فانهم يدخلون المدن والقرى بأهــاليهم نعم بعض العرب منهم من يذهب بامرأته أو أخته أو أمه أو بنته معه إلى حيث شاء في السفر لأجل استكالة الطعام وبيع بعض سلفهم من السمن والصوف والحيوان لأنهم يقولون نظر المرأة في ذلك أقوى .

ولا يحبون أن يفعلوا شيئاً بغير رضاه نسائهم من أمور البيت والمعــاش لا غيرها . وأيضاً اعلم أن أكل البدو لا فرق فيه عن أكل الحضر وشربهم كشربهم بتلك الالة .

وأما لباسهم فانه كلباسهم ، إلا أن بعض نساء البدو يلبس درعاً من الصوف، والحضر لا يستعملونه أصلاً ، وأما أحوالهم من حيث الصنـايع فان السيف يصنع عندهم ، وغالب ما يصنع في الدرعية اليوم وفي بريدة وبـلاد سدير ، وهكذا أسنة الرماح يصنعونها ، والخناجر كذلك ، ومن جملة صناعهم الذين يصنعون سروج الخيل ومنهم من هو نجار الابواب ونحوها ، ومنهم صاغة الذهب والفضة ، ومنهم خياطون للعباء وغيرها من الثياب ، لكن العادة جرت بينهم حسب الاصطلاح أن لا يخيط ثياب النساء إلا النساء خاصة ، وأما بعض النساء فيخيط ثياب الرجال كما هو الشأن عند كل العرب بل العجم والروم ، ونقل لنا أن كافة المسلمين على ذلك ومن بعض صنايع أهل نجد الحياكة ، إذ فيهم حياك للعباءة والكرباس أيضــاً ولكنهم قليلون.

هذا ما تبين لنا من أحوالهم والله أعلم . »

المُلحق الثَّاني

أقوالُ لمع الشهابْ عن أفكار محمّد بن عبد الوهّاب ومُناقشتها

أنواع الشرك عند الشيخ

قال صاحب « اللمع » :

« لنذكر أولاً مسائل من عقيدتهم .

المسألة الاولى . قال محمد بن عبد الوهاب : كل معبود من دون الله تعالى باطل وطاغوت . قال الله تعالى : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وجه الاستدلال بهذه الآية أن جهال العرب كانوا يعبدون الأصنام وغيرها ويتقربون اليها فلما بعث محمد (ص) تبعه من تبعه منهم فجعل الكفار يعذبون من أسلم به حتى يفتنوهم عن دينهم وقد فتنوا بعض المسلمين ، ولما هاجر النبي(ص) واجتمع بالمؤمنين في المدينة فأمر (ص) بعموم قتال الكافرين مع أنهم كفوا آنئذٍ عن إيذاء من أسلم ولولا بطلان عبادة غير الله وفسادها لما جاز قتلهم بغير ذنب فهو الذنب الاكبر الذي لا يغفر إلا بالإسلام والتوحيد .

المسألة الثانية . قال : عامة الناس اليوم غير موحدين لأنهم يعبدون غير الله تعالى فاستوجبوا القتل لذلك ، كما استوجب كفار العرب عند بعثة النبي (ص) سواه ، ومما يدل على كفر الناس وإشراكهم انهم يتقربون الى الله بزيارة قبر الرجل الصالح من نبي أو ولي ويدعون بعضهم بعضاً بالدعاء المختص بالله سبحانه من طلب جلب المنافع ودفع المضار التي لا يقدر عليها سواه والدليل على أن هذا التقرب شرك قوله تعالى : « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله » . وجه الاستدلال ان الله تعالى أمر نبيه وحبيبه محمد (ص) بأن يتحاشى عن اعتقاد جلب النفع وبلوغ الضرر لنفسه من نفسه فكيف حال من هو تابع له في اعتقاد حصول النفع وسلب الضر لنفسه من عند غير الله تعالى ، فهذا أولى بالإبعاد عن هذا الاعتقاد .

المسألة الثالثة . قال : ومن الشرك المحرم ادخال اسم نبي أو ولي وملك في

الدعاء لله مثل ان يقول الشخص : اللهم إني أسألك بحق محمد أو علي أو جبرائيل ونحوه . والدليل عليه قوله عز من قائل : « إنما الحكم آله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً . » وجه الاستدلال أن الله هو المعبود الحق،والعمل الصالح هو العبادة ولا يرضى الله تلك العبادة إلا بأن تتمحض له فأذا ذكر غيره في دعائه فقد أشرك بعبادته لأن الدعاء مخ العبادة لقوله تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » ، أي تعبدوا كما قال المفسرون .

المسألة الرابعة . قال : ومن الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره والدليل على ذلك قوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه » الآية . وقوله جل وعلا « لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا » وجه الاستدلال بهاتين الآيتين ان تعالى نفى أن يشفع أحد من خلقه للعصاة منهم الا بعد أن يأمره بالشفاعة ، ولم يتحقق أمره لأحد بها في الدنيا ، فطلبها اذاً ممن لا يملكها إشراك لله في ملكه .

المسألة الخامسة . قال: ومن الشرك بالله النذر لغيره ، لقوله تعالى: « وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » بيان هذا الدليل ان الله سبحانه قرن الأمر بأيفاء النذر بالأمر بالطواف ، والطواف بالكعبة عبادة لا تكون الا لله ، فكذا النذر يتمحض له ، لمحل المقارنة المذكورة ، فمن أضاف النذر لأحد من الخلق فقد أدخل في عبادة الله غيره قطعاً .

المسألة السادسة . قال : مما يوجب الكفر ادعاء علم لا دليل عليه من الكتاب والسنة أو قاطع من العقل بالضرورة فأنه غيب ولا يعلم الغيب الا لله ، قال الله تعالى : « ولا يظهر على غيبه أحداً » وقال عز من قائل : « ولله غيب السماوات والأرض » فقد جعل نفسه شبيهاً لله في علمه ، ومن صير لله شبيهاً فقد كفر .

المسالة السابعة . قال : منكر القدر في جميع الأشياء كافر ملحد ، والدليل عليه قوله تعالى « وكل شيء عنده بمقدار » وقوله عز شأنه « وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين » فقد دلت هاتان الآياتان صريحاً على ان الله مقدر الكائنات في الأزل الى وقتها فمن نفى ذلك فقد أنكر صريح القرآن ، ولا ريب في كفره جزماً .

المسالة الثامنة ، قال : كل من يذهب الى تأويل القرآن فقد كفر لقوله تعالى « ولا يعلم تأويله إلا الله » فاذا قال أنا أعلم تأويله فقد كذّب القرآن و كفر .

ردود صاحب اللمع

رد صاحب « اللمع » على أقوال الشيخ في « كتاب التوحيد » ، ونسب اليه أنه يكفر عامة المسلمين ، وذلك محض افتراء ، فالشيخ لم يقل بتكفير المسلمين ، ووضع للتكفير شروطاً يصعب توافرها إلا في الندرة .

ويقول صاحب اللمع ان الذين يدخلون اسم نبي أوولي في الدعاء لله لا يقصدون بدعائهم إلا الله وحده، وليس توسلهم بالنبي أكثر من طلبهم التقرب الى الله بذكر بعض أحبائه ، كما توسل يوسف الى ربه بآبائه يعقوب واسحق – كذا – .

ويتكلم عن النذر ، فيقول إنه يجب النظر إلى قصد صاحبه ، فمن نذر لرجل آوولي بعينه فهو مشرك ، وأما من ينذر لله ويريد جعل ثواب نذره لولي أو نبي فلا يعد مشركاً .

وقال في ادعاء علم لا دليل عليه ، ان ادعاء علم الغيب حرام ، لا شك فيه، إلا ادعاءه ممن أطلعه عليه الله سبحانه – كذا – .

وقال عن منكري القدر ، إنه لا يجوز اتهامهم بالشرك ، وأقصى ما يقال فيهم إنهم مبتدعة ..

وقال في تأويل القرآن ، إن الأئمة الثلاثة ، مـا عدا الإمام أحمد ، يقولون بتأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم .

وأنهى صاحب اللمع كتابه بفصل خاص سماه « الخاتمة » ذكر فيه مسائل انفرد فيها على زعمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم رد عليها .

بدأ صاحب « اللمع » بالرد على المسألتين الأولى والثانية فقال إن المسلمين كلهم موحدون وليس بينهم من يعبد غير الله ، ثم قال :

(وأما زيارة قبر الصالح تقرباً الى الله فحق يطلب به الزائر التقرب الى الله أي طلب الثواب من الله لا من القبر وصاحبه بل جعل زيارته وسيلة لزيادة الأجر عند الله من حيث تعظيمه تربة وليّه أو نبيّه ولا ريب في أن تعالى يحب أولياءه وأنبياءه فأذا عظمها أحد لوجه الله لا غير فماذا عليه ليستوجب الذم عند الله من عظم حبيبه لأجله مع أنه لم ينهه عن الزيارة والأصل في الأشياء الحلية والإباحة حتى يرد النهي، على أن رسول الله (ص) كان يزور قبور أصحابه. والسلف كذلك ، وأما قوله ولأنهم يدعو بعضهم بعضاً بما هو مختص بالله تعالى : فليس أحد من المسلمين يدعو أحداً من الصالحين بما اختص الله به بل يطلب عله من الله خاصة ! قوله ومن الشرك المحرم ادخال اسم نبي أو ولي في دعاء الله. . فجوابه: لا يتصور عاقل أن ادخال اسم نبي أو ولي في الدعاء والطلب من الله: شرك، لأن إدخاله على وجه التوسل به الى الله تعالى لمحض إجابة الدعاء منه عز وجل فالمدعو هو المقصود بارادة الخير منه لا الواسطة في الاجابة، ومن المعلوم أن الدعاء تضرع وخشوع لمن هو بالغ في العزة ، وهو الله تعالى و كلما جعل واسطة من أحبائه إليه كان الدعاء أقرب للاجابة مع أنه جاء في شرع نبي اسرائيل من قبل موسى . ان يوسف بن يعقوب لما أنزل الجب وسجن ، دعا ربه متوسلاً بآبائه يعقوب واسحق وابراهيم عليهم السلام فلو كان التوسل بذكر عباد الله الصالحين في الدعاء إليه شركا لما فعله نبي الله يوسف لأن الشرك محرم قبيح في كل شرع على الإطلاق وإن الأنبياء عليهم السلام انما بعثوا لتقرير التوحيد وإفراد الله بالعبادة فهم متحدون بأصول الشرايع وان اختلفوا في فروعها كما هو الواقع ولنا أيضاً أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يدعون الله متوسلين إليه بنبيه محمد (ص) في عهده وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام وهذه كتب الأحاديث والسير ناطقة بذلك . »

قوله: ومن الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره، إعلم أن الشفاعة طلب العفو ممن وقعت في حقه الجناية وقد أجمع أمة محمد على ثبوتها ، ووقوعها للنبي محمد (ص) وجواز طلبها منه في الدنيا في حياته وبعد مماته عليه الصلاة والسلام كما أن طلبها منه

جائز يوم القيامة بالاتفاق ولم يخالف في ذلك الا المعتزلة لنفيهم الشفاعة عقلاً وردّهم مبسوط في كتب الكلام وإجماع أهل كل عصر حجة على أهل عصر بعده الى انقراض الدنيا كما تحقق في فن أصول الفقه على الصحيح وقد دلت الآية الشريفة على وقوع الشفاعة لمحمد وإعطائها له وهو قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» ، وخبر الله محقق لانتفاء الزمان عنه لكن حصول أثرها موقوف الى يوم الدين اذ لا مؤاخذة عندنا في غيره كما تضافرت به النصوص كتاباً وسنة .

قوله ومن الشرك بالله النذر لغيره ، هـذا محل تفصيل في الجواب ، فنقول النذر لغة الوعد بشرط ، وشرعاً التزام قربة لم تتعين في أصل الشرع ، اذا عرفت هذا فالنذر هو لله لأن القربة له لا لغيره بالإجماع فاذا نذر الشخص نذراً لمخلوق نظر الى قصده ونيته اذ الأعمال بالنيات ، فأن قال قصدت بهـذا النذر وجه الله لكنني أريد ثوابه لهـذا الولي أو النبي مثلاً ليثيبني الله أعظم من ذلك لحصول نفع دنيوي أو أخروي فمثل هذا لا يكون نذره لغير الله اذ النية معتبرة أولاً وبالذات، وإن أطلق ولم ينو النذر لله بل قال عليّ نذر أو قال لفلان انصرف لله تعالى جزماً لأن القرب اذا أطلقت ولا تعبد انصرفت إليه اذ لا قربة الا لله، وإن قال الشخص قصدت بنذري هذا لفلان تقرباً اليه فنذره على ذلك التقدير حرام شرك باطل لا ينعقد وتجب توبته في الحال اتفاقاً ولكن هذه الحالة لا تختص بالنذر بل كل عبادة نص عليها في الشريعة كذلك .

قوله ممـا يوجب الكفر ادعاء علم لا دليل عليه الخ .. لا يخفى على من له مسكة ان ادعاء علم الغيب حرام نهى الشارع عنه الا ادعاءه ممن اطلعه الله عليه من رسول أو ولي لقوله عز من قائل : « الا من ارتضى ..»الخ. الآية، فإذا عرف من حال الشخص بقرائن عقلية ودلائل نقلية انه من أهل الله عز وجل علم قطعاً أن ما يقوله حق وان لم يسنده الى دليل وحجـة ، ان الكشف والإلهـام والإطلاع وراء ما تطلع عليه عقول الأنام ثابت شرعاً بغير كلام لقوله تعالى « وعلمناه من لدنا علماً » ، وقوله « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » فإذا كان المؤمن هذا شأنه أن يرى بنور الله ما لا يراه غيره فما بالك بالولي المقرب .

قوله منكر القدر في جميع الاشياء كافر الخ .. القدر في عرف الشرع هو ارادة الله الاشياء في الأزل على وجه مخصوص وقدر معين مثل القضاء ومنكره إن كان عن شبهة اسنده إليها فلا يكفر على الصحيح بل هو مبتدع بالإجماع وإن لم يكن عن شبهة اعترته بالنظر في الأدلة الشرعية ، بل أنكره عناداً ، أو جحده لما عرفه من الأقيسة العقلية المحضة ، فقد كفر لمخالفة الشرع الشريف بغير متمسك منه ولا اشتباه فلا يعذر إذن بالاتفاق ، فتعميم الكفر لمنكر القدر لا يطابق ما عليه علماء الإسلام كما تقرّر في علم الكلام وقد نبّه على هذا التفصيل الشيخ ابراهيم اللقاني في الجوهرة ، وقد كانت المعتزلة تنفي كثيراً من القدر مع ذلك لم يكفرهم المسلمون وإنما نهاية ما قالوا فيهم إنهم مبتدعة .

قوله كل من يذهب الى تأويل القرآن الخ . التأويل لغة تفعيل من الأول بمعنى الرجوع وعرفاً صرف اللفظ عن ظاهره لما يحتمله عقلاً لقرينة ، وقد جوز تأويل ما ليس بظاهر الدلالة في الحديث بلا خلاف لتوقف الجميع بين الأحاديث عليه عند التعارض ، وأما التأويل في القرآن فلا يخلو إما تأويل المحكم منه وهو ما دلالته على معناه ظاهرة أو تأويل المتشابه وهو ما دلالته على المقصود غير ظاهرة فالأول ممنوع بالإجماع ولهذا قبّح أصحابنا على الباطنية وقالوا ببدعتهم ، بل قالت الحنابلة بكفرهم قطعاً ، والثاني اختار الأئمة الأربعة عدم التأويل فيه وتبعهم البعض على ذلك وسموا بالمفوضة ، وكانوا يحرمون التأويل ويتحاشون عنه جداً ، ولكن أتباع الإمام أحمد كلهم على ما كان هو عليه من نفي التأويل والحكم بتحريمه وتبديع مرتكبه ، هكذا اشتهر عنهم ، وأما جمهور تبعة الأئمة الثلاثة فقد أخذوا بتأويل المتشابه وجوزوه بل أوجبوه للتوفيق الواجب بين الأدلة اتفاقاً مع الإمكان فلا ينبغي لمسلم عرف قواعد الشريعة وأصول الله أن يحرمها والله المستعان .

رأي محمد بن عبد الوهاب
في إلزام الناس بالصلاة في المساجد وتحريم الدخان

ويختم صاحب اللمع كلامه بالقول إن إلزام محمد بن عبد الوهاب للناس بالصلاة جماعة ، لا ضرورة له ، مع إقراره بأنها هي الصلاة الأفضل بالإجماع .

ثم هو ينكر عليه تحريمه شرب التتن ، وضرب شاربه بالسياط وحلق لحيته وسبه - كذا - .

ويزعم صاحب اللمع أن الجمهور على ان التتن حلال .. أو مع الكراهة .

وينكر عليه كذلك إلزامه الناس بزكاة أموالهم الباطنة كالنقود ومال التجارة ..

وسنورد في الصفحة التالية نص كلام « اللمع » .

الفصل الثاني

في بعض المسائل التي مشى فيها خلافاً لمذهب الإمام أحمد

قال صاحب « اللمع » : « مما أوجبه محمد بن عبد الوهاب على الناس عيناً الصلاة جماعة ، ولم ينقل هذا من مذهب الإمام أحمد ولا غيره .

ومما أفتى به تحريم شرب التتن ، ووضع له حداً أن يضرب الشارب قدر أربعين سوطاً أو أقل وأن تحلق لحيته أو يسب حسبما يقتضي رأي القاضي من أحد هذه الثلاثة ، وهذه بدعة ما حكيت عن مذهب أحمد ولا عن غيره، نعم اختلف العلماء في شرب التتن فقال بعضهم حرام ولم يرتب له حداً بل زجراً ونصيحة ، وقال جمهورهم بحليته إما مع الكراهية أو مطلقاً .

وكان يوجب على الناس دفع زكاة أموالهم الباطنة كالنقود ومال التجارة الى الإمام ، أي سلطان المسلمين وهو يفرقها لمستحقيها .

وكان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال الباطنة ليأخذ الإمام زكاتها قهراً منهم مع ان هذا غير المعهود من مذهب الإمام أحمد ، بل المندوب فيه هو دفع زكاة الأموال الظاهرة خاصة للامام ليصرفها لأهلها إذ هو أجدر بالتفحص ، والأموال الظاهرة: الحبوب المحصلة من الزروع والثمار الحاصلة كل عام من الأشجار والابل والبقر والغنم .

وقد حكم بتحريم ذبيحة من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأحلها أحمد بن حنبل وأصحابه اكتفاء بظاهر الاسلام عملاً وهو الحق .

انتهى ما في الخاتمة ونسأل الله حسن الخاتمة . »

الملحق الثالث

في جغرافية جزيرة العرب واليمامة ونجد

- ١ -

جزيرة العرب

جزيرة العرب ، هي ، في الحقيقة ، « شبه » جزيرة ، لأن أمواج البحر تضربها من ثلاث من جهاتها فقط ، ولكنها سميت « الجزيرة » اختصارا وتجوزاً [١] .

تبلغ مساحة الجزيرة العربية مليون ميل مربع ، ويتبعها عـــدد من الجزائر الصغيرة في البحر الأحمر وفي الخليج العربي . ويحدّها :

غرباً : البحر الأحمر . « أو بحر القلزم » .

جنوباً : المحيط الهادي . « أو بحر الهند » .

شرقاً : بحر عمان « أو بحر العرب» والخليج العربي. « أو الخليج الفارسي ».

شمالاً : العراق والشام .

ويدخل فيها القلقشندي قطعة من بادية الشام وقطعة من بادية العراق .

تقسيم الجزيرة عند الأغريق والرومان

كان اليونان والرومان القدامى يقسمون الجزيرة العربية الى ثلاثة أقسام :

١ ـ العربية السعيدة Arabia Félix ـ أي اليمن وحضرموت وعدن الخ ...

٢ ـ العربية الحجرية أو الصخرية Arabia pétra وهي شبه جزيرة سيناء « ولا يعدونها الآن من الجزيرة » .

---

١ - كان الأتراك يسمون جزيرة العرب : عربستان .

٣ – العربية القفرية أو الصحراوية Arabia Deserta وهي سائر بلاد الجزيرة العربية ، كالحجاز ونجد .

ولم يعرف المؤلفون العرب ، القدامى ، هذا التقسيم ..

تقسيم الجزيرة عند العرب

متى تصفحنا كتب التاريخ العربي ، وجدناها ، في كثرتها ، تقسم الجزيرة العربية ، الى خمسة أقسام :

١ – اليمن .
٢ – الحجاز .
٣ – تهامة .
٤ – نجد .
٥ – اليمامة .

ويجمع الهمداني « اليمامة والبحرين » باسم « العروض » ويجعلها أحد الأقسام الخمسة ، فيقول ، في كتابه : « صفة جزيرة العرب » :

« .. فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب ، وفي أشعارها : تهامة ، الحجاز ، نجد ، العروض ، اليمن .

وذلك أن جبل السراة ، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها ، أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب « حجازاً » لأنه حجز بين « الغور » وهو هابط ، وبين « نجد » وهو ظاهر ..

١ – تهامة :

فصار ما خلف ذلك من الجبل في غربيه الى أسياف البحر ، من بلاد الأشعريين وغيرها ، ودونها إلى ذات عرق والجحفة ، وما صاقبها وغار من أراضيها ، الغور ، غور تهامة ، و « تهامة » تجمع ذلك كله .

٢ - نجد :

وصار ما دون الجبل من شرقيه ، من صحارى نجـــد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ، و « نجد » تجمع ذلك كله .

٣ - الحجاز :

وصار الجبل نفسه ... وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر الى ناحيـة فيد وجبلي طيء الى المدينة الى أرض مذحج من تثليث وما دونها الى ناحية فيـد : الحجاز ..

٤ - العروض :

وصارت بلاد اليامة والبحرين وما والاها : « العروض » ، وفيها نجدٌ وغور، لقربها من البحـــار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ، و « العروض » يجمع ذلك كله .

٥ - اليمن :

وصار ما خلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما والاها الى حضرموت والشحر وعمان وما يليها : « اليمن » ، وفيها التهائم والنجد ، واليمن تجمع ذلك كله .

تاريخ اليمامة القديم

وجغرافيتها

يقول دوفرجه ، في كتابه « الجزيرة العربية » :

« .. اليامة جزء من نجد .. وهي اقليم لم يعد يذكره الجغرافيون الجدد ، مع كثرة الاشارة اليه في الكتب القديمة ، ولعل السبب في ذلك أن اليامة اندمجت في الدول التي جاءت بعدها ، وهي تشمل ، فيما نظن ، منطقتي العارض والخرج .

ويقول الادريسي ان واديا يقسم اليامة الى قسمين ، وعلى جانبيه قرى معمورة ونخيل وشجر واراض مزروعة . وكانت بلدتا حجر والخضرمة من أشهر بلدان اليامة ولكنهما تهدمتا وضاعت معالمها . » .

ويقول القزويني : « اليامة ناحية بين الحجاز واليمن ، أحسن بلاد الله ، وأكثرها خيرا ونخلا وشجرا » . ويقول الطبري ان اليامة من « أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرا ، فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة » .

أعراض اليامة

يعدّد « خرداذبة » ، في كتابه « المسالك والممالك » أعراض اليامة – أي قراها وأوديتها – كما يأتي :

« حجر ، الخضرمة ، العرض ، منفوحة ، وبرة ، عرقة ، غبراء ، مهشمة ،

العامرية ، فيشان ، برقة ضاحك ، توضح ، المقراة ، المجازة ، قران » .

ويذكر « الهمداني » ، بالاضافة الى هذه الأسماء « أباض ، المدار ، القرية ، ماوان ، عقرباء ، السدوسية ، الملحاء ، الخرج ، النقيرة ، العوينة ، الدخول .. »

ويقول البيهقي ان اليمامة « يحدّها من جهة الشرق : البحرين ، ومن الغرب: أطراف اليمن والحجاز ، ومن الجنوب : نجران ، ومن الشمال : نجد والحجاز .

وأرضها تسمى العروض ، لاعتراضها بين الحجاز والبحرين » .

أقسام اليمامة

يتوسع بعضهم في مدلول « اليمامة » ، بحيث نتساءل : وأين بقيت نجد ؟

فالهمداني ، مثلا ، لا يكتفي بالعارض والخرج ، ولكنه يعدّ الوشم والقصيم من اليمامة أيضاً .

أما ياقوت فيوافق الهمداني في الوشم ويخالفه في القصيم ..

وهكذا تعني اليمامة عند بعضهم : العارض والخرج ، وعند بعضهم : العارض والخرج والوشم ، وهي ، عند الهمداني : العارض والخرج والوشم والقصيم ..

هل اليمامة اقليم مستقل؟

اختلفوا في اليمامة : هل هي اقليم مستقل .. أم هي جزء من أقليم ؟

اقليم مستقل — يقول البيهقي ان اليمامة « ملك منقطع بذاته » .

ويقول ياقوت ، في كلامه عن البحرين : « وربما عدّ بعضهم اليمامة من أعمالها ، والصحيح أن اليمامة عمل برأسه .

وربما ضمت اليمامة الى المدينة ، وربما أفردت ، هذا كان في أيام بني أمية ، فلما ولي بنو العباس صيّروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحدا .. »

جزء من الحجاز — ويقول القلقشندي : « اليمامة قطعة من جزيرة العرب ، من الحجاز ، وعليه جرى الفقهاء ، فحكموا بتحريم مقام الكفر بهـا ، كما بسائر أقطار الحجاز . »

جزء من نجد – وقال ياقوت : تسمى اليمامة : جوا والعروض .. وهي معدودة من نجد ، وقاعدتها : حجر . » .

قاعدة اليمامة

كانت قاعدة اليمامة قديما تعرف باسم « جو » أو القرية ، ولما خربها « حسان » ملك حمير ، كما روى ذلك ابن الكلبي ، أطلق عليها اسم اليمامة .

وبقيت اليمامة خراباً وبقايا قصور دوائر ، حتى جاءها بنو حنيفة فعمروها وأعطوها اسماً جديداً ، هو : « حجر » .

وكان اسم اليمامة يطلق على الإقليم ، وأما اسم حجر فيطلق على قصبة الإقليم وقاعدته – « أي عاصمته ، في لغة هذه الأيام . » .

اشتهر اسم حجر كثيراً ، وكانت لها سوق عظيمة في الجاهلية ، وبقيت إلى أواخر العصر الأموي ، فإن كانت سوق حجر لا تساوي في الشهرة سوق عكاظ ، فقد تأتي بعدها .

قال الهمداني : « أرض اليمامة : حجر ، وهي مصرها ووسطها ومنزل الأمراء منها واليها تجلب الأشياء .. »

ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني، في « أسواق العرب » عن حجر إنها : « ذات شهرة في العرب .. اشتهرت منها زرقاء اليمامة .. واشتهر أيضا عرافها .. قال الشاعر :

« جعلت لعراف اليمامة حكمه وعرّاف نجد ، إن هما شفياني »

ثم صار لها في الإسلام ذكر .. وكانت في مأمن من السلطان لبعدها .. »

وكانوا يطلقون على حجر نفسها اسم اليمامة ، كما يقال اليوم ، مثلا ، الشام ، ويريدون بذلك عاصمتها : دمشق ، وربما أضافوا اليها اليمامة ، فقالوا : حجر اليمامة .

وقد زار ابن بطوطة ، الرحالة المشهور بلدة حجر ، فسماها اليمامة وحجرا ، قال :

« .. سافرنا الى مدينة اليمامة ، وتسمى أيضا بـ « حجر » ، مدينة حسنة خصبة،

ذات أنهار وأشجار ، ويسكنها طوائف من العرب ، أكثرم من بني حنيفة ، وهي بلدهم قديماً . »

ظهور الخضرمة ، وكسوف حجر

استطاعت حجر الحفاظ على شهرتها أو بعض شهرتها حتى استيلاء الأخيضريين على السلطة في اليمامة . وذلك أنهم جعلوا قاعدة ملكهم ، في اليمامة : « الخضرمة » .

ويقول الهمداني إن الخضرمة تقع على يوم وليلة من حجر ، وانهـا كانت لبني عبيد من حنيفة ثم لآل أبي حفصة ، ثم غلب عليهـا الأخيضر بن يوسف العلوي فسكنها ، وهي مدينة وقرى وسوق .

ويقول ابن حوقل ، في كتابه « صورة الأرض » : « أما اليمامة فواد، والمدينة به تسمى الخضرمة ، دون مدينة الرسول ، وهي أكثر نخيـلاً من المدينة وسائر الحجاز . »

وقد ذكر الهمداني ان الخضرمة كانت ديار « هوذة بن علي السحيمي الحنفي »، الذي توجه الفرس ملكاً على العرب في اليمامة، قبيل ظهور الاسلام، ومن المعروف ان مقامه كان في اليمامة ، بالخرج ، وهي طبعاً غـير بلدة اليمامة التي في العارض ، وقامت على أنقاضها مدينة حجر .

زوال أسماء اليمامة وحجر والخضرمة

واليوم لا يعرف اسم اليمامة علماً على إقليم، فقد غاب هذا الاسم وظهرت مكانه أسماء جديدة متعددة : كالعارض والخرج.

وكانوا في زمن محمد بن سعود ، مثلاً ، يسمون أنصاره وأنصـار محمد بن عبد الوهاب : أهل العارض ، لا أهل اليمامة !

والعارض هو جبل اليمامة ، ولم يعرفوه ، في القديم ، اسماً لإقليم أو منطقة .. نعم ، بقيت في الخرج بلدة صغيرة تحتفظ باسم اليمامة ، ولكنها ليست الاقليم

المعني بكلامنا ، ولا قصبته التي عرفت باسم حجر .

ولا نعرف على التحقيق متى اختفى اسم اليمامة ، واسم قصبتها حجر ، ولكننا رأينا ابن بشر يذكرهما عند كلامه عن تأسيس الدرعية عام ٨٥٠ ، وكانت حجر ، يومئذ ، ملكا لأحد رجال عشيرة الدروع .. وهذا دليل واضح على أن حجراً خربت وانكمشت وأصبحت قرية أو مزرعة .. وهي اليوم جزء مندمج في الرياض .

نجـــد

نجد في اللغة والاصطلاح

قال الأصمعي : يقول الأعراب : إذا خلفت « عجلزا » مصعداً ، فقد أنجدت.

ونجد ، في اللغة ، الأرض المرتفعة ، وفي « معجم البـــلدان » : النجد ... لا يكون إلا قفاً أو صلابة من الأرض ، في ارتفاع من الجبل ، معترضاً بـــين يديك ، يرد طرفك عما وراءه .
فقد أنجدت .

... وسمعت الباهلي يقول :

« كل مـــا وراء الخندق الذي خندقه كسرى ، فهو نجد ، إلى أن تميل إلى الحرة فاذا ملت اليها فأنت في الحجاز ! »

وقيل : نجد ، إذا جاوزت « عذيبا » ، إلى أن تجاوز « فيد » وما يليها .

وقيل : نجد ، هو اسم للارض العريضة التي أعلاهـــا تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام .

قال السكري : حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معهـا إلى جبال المدينة .

وقال عمارة بن عقيل : ما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجـد ، إلى أن يقطعه العراق ، وحد نجد أسافل الحجاز وهودج وغيره .

والذي قرأته في كتاب « جزيرة العرب »: ما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد.
وفي تاريخ نجد ، للألوسي :
« أعلى نجد تهامة واليمن ، وأسفله العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز ذات عرق ، فهو بين تهامة واليمن والعراق والشام والحجاز .

اول غربي يتحدث عن نجد

ذكرنا ، قبل ، أن الرحالة « نيبهر » كان أول من تحدث عن نجد بعد ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهذا ما يقوله عن نجد :
« تمتد نجد من الأحساء والعراق غرباً ، إلى الحجاز ، ومن نجران وقحطان « أو اليمن » في الشمال ، إلى بادية الشام .
والقسم الاكبر من هذه المنطقة مأهول بالبدو ، أو العرب الرحل .
ان الجزء المعروف الآن باسم « نجد » ، خاصة ، منطقة كثيرة التلال ، ممتلئة بالمدن والقرى والإمارات الصغيرة ، بحيث أن كل بلدة صغيرة ، تقريباً ، يحكمها شيخ مستقل .
وفي الفترة التي كان فيها شرفاء مكة أقوياء ، كان بعض هؤلاء الشيوخ الصغار يدفعون اليهم الأموال « أو الزكاة » .
وأراضي نجد خصبة جداً ، وفيها كل أنواع الثمار ، وخصوصاً التمور ، وفيها قليل من الأنهار ، وهي في حقيقتها وديان أو سهول لا ترى فيها المياه إلا في أعقاب الأمطار الغزيرة ...
وأهالي نجد مضطرون ، بسبب قلة الماء عندهم ، إلى حفر آبار عميقة ، ولذلك كانت الزراعة عندهم صعبة جداً .
وفي منطقة نجد ، بالمعنى الخاص أو الضيق ، مقاطعتان ، وهما : العارض والخرج .
وفي العارض تقوم « الدرعية » ، قصبة وادي حنيفة ، الذي يعرف حتى اليوم بهذا الاسم ، وفيها « العيينة » ، التي أصبحت مشهورة ، بفضل ظهور عبد الوهاب

فيها . »

ويذكر نيبهر ، بعد هذا ، أسماء بلاد العارض والخرج كما سمعها ، فيخلط بها أسماء بلدان ليست منها ، لكننا ننقل ما قاله بنصه ، قال :

« وفيه : المنفوحة ، وأشيقر ، والغـاط ، والزلفي ، والتويم ، والقصب ، وبريدة ، والجمعة ، وحرمـة ، والجـلاجل ، والروضة ، وثرمداء ، وشقراء ، والمذنب ، وجبرين ، وهذه الأخيرة على حدود هجر .

و « الخرج تقع في القسم الجنوبي الغربي من نجد على حدود اليمن ، وتمتد إلى شرقي الحجاز ... وتقع فيها : اليمامـة ، التي كانت مشهورة في زمن النبي محمد ، بسبب ظهور مسيلمة ، مدعي النبوة ، فيها ... وتشتمل الخرج على الدلم والحريق والأفلاج وليلى والبديع والحوطة والسلمية ...

وهناك مجرن « أي : مقرن » ، و « معكال » ، وهمـا في القسم الشمالي من نجد ، ويقع جبل شمر على بعد عشرة أيام من بغداد ، ويشتمل على حـايل ومقيق وقفار وغيرها . »

ويعدون من نجد منطقة جبلية تسمى « الجوف ـ السرحـان » ، بين جبل شمر والشام ، وتشتمل على : سكاكة ، دومة ، ويسميها أبو الفداء «دومة الجندل» ، ويقول بوشنغ إن هذه المدينة تستعير اسمها من اسم ابن لاسماعيل .

ليس عرب نجد أقل « انسانية » في معاملة الغرباء من سائر العرب ، وليسوا أقل منهم اكراما للضيف ، ولكن نجد موزعة بين دول كثيرة صغيرة مستقلة ، ولكل دولة منها شيخهـا ، وبسبب ذلك لا يجد المسافرون في نجد الا قليلا من الأمان ، لأن كل أمير يريد أن ينتزع منهم أقصى مـا يستطيع انتزاعه ، وأول أمير يظفر بالمسافرين الأغراب هو أول من يسلبهم ، حتى لا يترك لجيرانه المعادين له فرصة للانتفاع منهم .

لا يجازف التجار الأغنياء والغرباء بحمل بضائعهم الى هـذه المناطق ، وقوافل الحجاج التي تذهب كل عـام من عمان والأحساء الى مكة ، تتألف في كثرتها من الفقراء أو من أشخاص يظهرون خلال هذه الرحلة أنهم فقراء ، أما القافلة التي تسافر

كل سنة من بغداد الى مكة وفيهـــا عدد من الأثرياء فيؤخذ منهـــا في نجد من الرشوات والهدايا والتكاليف مثل الذى تدفعه القوافل التركية والمغربية والمصرية في الحجاز نفسها .

ومع ذلك كله ، يمكننا القول إن تجارة عظيمة تقوم بين بلدان نجد ، كما تقوم تجارة كبيرة بين بلاد نجد وبين الحجاز واليمن ، ومن مصلحة الرحالة الأوروبي أن يعرف هذا القسم الداخلي من جزيرة العرب .

وقد قيل لي في البصرة إن الفتى العـربي لا يسمح له بالزواج إلا بعد أن يقيم البرهان على رجولته وشجاعته بقتله واحداً من الأعداء ..

ويبدو لي أن هـــذا الزعم مبالغ فيه ، إلا إذا اعتبرنا الحيوانات المتوحشة من الأعداء ، وهذا الشرط على كل حال ليس نظاماً متبعاً .. »

دراسات مانجان عن نجد

نشر المؤرخ الفرنسي «مانجان» دراسة عن نجد، استمدها من المصادر الآتية:

أولاً – أقوال الشيخ عبد الرحمن ، حفيد الامام محمد بن عبد الوهاب .

ثانياً – تقارير طوسون باشا وابراهيم باشا عن مسيرهما في الحجاز ونجد .

ثالثاً – تاريخ الوهابيين لكورانسيز .

رابعاً – وثائق وزارة الخارجية الفرنسية .

خامساً – رحلة بركارت ووصف البلاد العربية لنيبوهر .

ومما قاله :

« إن مناطق نجـــد هي : الحساء وسدير والعارض والقصيم والافلاج والوشم والحريق والخرج وجبل شمر ، والأودية الأربعة : وادي الدواسر ، وادي سبيع، وادي تثليث ، وادي شهران . ومن بلدان الحساء : العيون ، الشعبة ، الشقيق ، حفير ، الجفر ، الجشه ، غريميل ، حنيد ، الكوت ، المبرز ، العمران ، القطيف ، سيهات ، وقاعدتها : الهفوف .

ومن بلدان العارض : الرياض ، العيينة ، الدرعيـة ، « منفوحة » ، حريملاء ، العمارية ، ابا الكبـاش ، عرقة ، الحاير ، سدوس ، بنبان .

ومن بلدان القصيم : عنيزة ، بريدة ، البكيرية ، الهلالية ، الخـــبرا ، الرس ، الحجنوي ، الشنانة .

ومن بلدان سدير : جلاجل ، الحوطة ، الجنوبية ، المجمعة ، الروضة ، العودة، الزلفي .

ومن بلدان الخرج : الدلم ، نعجان ، السلمية .

ومن بلدان الوشم : ضرمى ، الشقراء ، الحريق ، ثرمداء ، أشيقر .

احصاء السكان

المنطقة	عدد المقاتلين	النساء والشيوخ والاطفال العاجزون
الحساء	١٥،٠٠٠	٧٠،٠٠٠
العارض	٥،٥٠٠	١٧،٠٠٠
الخرج	٢،٠٠٠	٧،٠٠٠
الوشم	٢،٤٠٠	١٠،٠٠٠
سدير	٦،٠٠٠	٢١،٠٠٠
القصيم	٣،٠٠٠	١٤،٠٠٠
جبل شمر	٢،٠٠٠	٧،٠٠٠
الأفلاج	٣،٦٠٠	١٠،٠٠٠
الحريق	٣،٠٠٠	٩،٠٠٠
وادي الدواسر	٦،٠٠٠	٢٢،٠٠٠
بيشة	٧،٤٠٠	٢٦،٠٠٠
سبيع	٨٠٠	٢،٤٠٠
تثليث	٥٠٠	١،٧٠٠

وكانت الدرعية ، مركز العارض ، تستطيع تقديم (٣،٠٠٠) مقاتل ، وفيها (١٠،٠٠٠) غير مقاتل . وفي مدينة ضرمى (١،٢٠٠) مقاتل ، و (٦،٥٠٠) غير مقاتل .

وجملة السكان القادرين على القتال: (٥٠،٩٤٥) وعدد غير المقاتلين (٢٣١،٠٢٠) ويلاحظ أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، فجملة سكان نجد (٣٠٠،٠٠٠) تقريباً !

ويجب أن يضاف إلى سكان المدن : أفراد العشائر ، وهؤلاء يعطون نحو نحو (٩،٠٠٠) فارس ، وأكثر من أربعين ألفاً من المشاة .

اسم القبيلة	عدد المشاة	عدد الفرسان
بنو خالد	٢٬٥٠٠	٢٬٠٠٠
مطير	٣٬٠٠٠	١٬٦٠٠
عتيبة	٤٬٠٠٠	٣٠٠
حرب	١٬٥٠٠	٢٠٠
السهول	٢٬٠٠٠	٢٥٠
(هذه العشائر الخمس كانت موالية للترك)		
قحطان	٧٬٠٠٠	٨٠٠
العجمان	٣٬٥٠٠	٢٠٠
الدواسر	٥٬٠٠٠	٢٠٠
عنزة	٣٬٠٠٠	٦٠٠
ظفير	٢٬٤٠٠	٨٠٠
سبيع العارض	١٬٢٠٠	١٠٠
سبيع القبلة	٢٬٥٠٠	٢٬٠٠٠
مرة	١٬٥٠٠	١٢٠
	جملة المشاة : ٣٩٬٠٠٠	جملة الفرسان : ٨٬١٧٠

الجيش

كان شعب نجد – وملحقاته – في عهد سعود ، خاضعا كله لخدمة الجيش . وكان هو الذي يقدر عدد المقاتلة الذي يجب على كل منطقة أن تقدمه ، فيقوم احد رؤساء المنطقة بقيادة مقاتليها الى المكان المحدد لهم ، ويبقى قائداً لهذه الفرقة طول مدة الحرب ، وهكذا تتجمع الفرق المحاربة تحت قيادات أمرائهـــا ، ومع كل فرقة إمامها وعدد من الكتبة والحسبة

يأتي كل محارب بأسلحته ومؤونته وذخيرته . والفقير يعينه الغني ، وقد ينيب

الرجل المدعو الى القتال شخصاً آخر مكانه ، فيقوم بتجهيزه .

لا يأخذ المشاة وراكبو الجمال شيئاً ،وأما الفارس فله ولفرسه مخصصات شهرية ، توزع الغنائم بين المقاتلين بالتساوي . والخمس لبيت المال .

وكان لمقاتلة الدرعية المكان الأول ، وكان رئيسهم هو الذي يتولى القيادة في المدن .

وكانت صيحتهم في الحروب : الله أكبر ، ونحوها ..

وكان أكثر طعامهم التمر ، وربما غمسوه في لبن النوق ، وقلما يأكلون لحماً وخبزاً ..

وكانت بندقياتهم من ذوات الفتائل ، وهم « يحشونها » بسرعة ، وكثيراً ما يحمل المقاتل الى ذلك ، خنجراً ورمحاً وسيفاً ، وأحياناً مسدساً أيضاً ..

وحينما يقيمون مخيماً أو معسكراً ، يعرف كل واحد مكانه ، أما القائد ففي الوسط ، والفرسان حوله .

ولهم شعارات يتعارفون بها في الليل ، وغالبا ما ينامون في النهار ويقضون الليل في السهر والسمر .

نجد الجنوبية

تقول صحيفة الخليج الفارسي إن « القصيم » هي نجد الوسطى ، وقد استقلت أحياناً عن سائر بلاد نجد ، وأما جبل شمر فيستحق اسم « نجد الشمالية » ، وكان مستقلاً أيضاً .

وأما بلاد نجد التي بقيت دائماً تحت ظل الأمراء السعوديين فنستطيع تسميتها بـ « نجد الجنوبية » ، وإن كان العرب ينكرون هذه التسمية !

إن حدود نجد ، من جهة الشمال ، كانت تتغير دائماً . أما حدودها الجنوبية ، فهي حدود طبيعية ثابتة ، لأنها تنتهي مع نهاية الصحراء الكبرى أو الربع الخالي !

وفي الشرق : يفصل نجد عن مقاطعات الخليج الفارسي شريط من صحراء الدهناء ضيق ، طويل ، واضح المعالم تماماً ..

وفي الغرب : يحدها وادي السر ووادي الرمة ..

ونستطيع تقسيم هذه المنطقة إلى ثلاثة أقسام :

أولاً – المنطقة التي تمتد من جبل طويق إلى الدهناء شرقاً ، وفيها العارض (الذي يخترقه وادي حنيفة ، الوادي الوحيد العظيم في العربية الوسطى) وسدير ، والحريق والحوطة والخرج .

ثانياً – المنطقة التي تمتد ما بين جبل طويق والصحراء الكبرى الجنوبية ، وهي : « الافلاج » .

ثالثاً – المنطقة التي تمتد على الطرف الثاني الشرقي من طويق ، وفيها : (الدواسر .. والوشم ..)

منتوجات الإقليم – هذا الإقليم صحي في الأراضي المرتفعة ، والمرعى فيه كثير ، وشجره قليل . ومحصولاته : التمر والقمح والذرة ، وربما زرعوا القطن . وتنتج مناطق منه أثماراً ، كالتين والخوخ والليمون والبطيخ والبصل والملوخيا الخ .

وقد اشتهر نخيل وادي حنيفة بضخامته وجودة تمره . وأما نخيل الحوطة فرقيق ولكنه كثير الحمل ، فقد تحمل النخلة الواحدة أحياناً (١٤٠٠٠) باوند من التمر !
والخيل يربيها البدو ويرسلونها إلى بريدة وعنيزة في القصيم .
والجمال كثيرة ، وهي في بعض المناطق أصغر من جمال جبل شمر .
وعندهم ماعز ، وبعض الأغنام ، خاصة في الخرج ، وهناك غزلان أيضاً ..

السكان

القبائل العربية التي ينتمي اليها السكان المقيمون في هذه المناطق هي :
عنزة ، الدواسر ، سبيع ، وبنو تميم .
ويضاف اليهم الفضول والسهول .
الدواسر: توجد في كثير من المناطق ، وتتجمع في وادي الدواسر والأفلاج، ولا أثر لها في وادي السر ، وتثليث .
السبيع : موزعة كذلك .
بنو تميم : غير موزعة في كل مكان ، وأكثر تجمعها في سدير .
وهناك قبائل أقل عدداً وشأناً ، مثل : الأشراف ، عتيبة ، بقوم ، بني هاجر، حرب ، حاتم ، بني خالد ، مطير ، قحطان ، شمر بن زيد . وعــدد الأشخاص المنتمين اليهم قليل .
وكثرة نجد الجنوبية الكاثرة : وهابية .
والسكان يعيشون إجمالاً طويلاً ، وأكثرهم تعميراً بنو تميم ·.

البــدو

بدو نجد الجنوبية هم :
– عتيبة : في القصيم ووادي سبيع ووادي السر والوشم وسدير .
– مطير : في سدير ، الوشم ، وادي الدواسر ، والدرعية .

– قحطان : في وادي تثليث ، وادي سبيع ، الوشم ، سدير .
سبيع : في وادي سبيع ، الخرج ، العارض .
ويمكن ان يضاف اليهم البدو الذين أتوا من جهات أخرى ، مثل :
العجمان ، الذين ينزلون في الخرج .
والبقوم ، الذين يأتون إلى وادي سبيع .
والصلبة ، الذين تجدهم في نجد الجنوبية .

احصاء نجد الجنوبية

المنطقة	عدد السكان
الأفلاج	٢٢،٠٠٠
العارض	٣٠،٠٠٠
وادي الدواسر	٢٧،٠٠٠
الحريق	٤،٠٠٠
الحوطة	٦،٠٠٠
الخرج	٣،٠٠٠
وادي سبيع	١٦،٠٠٠
سدير	٢١،٠٠٠
وادي السر	١،٥٠٠
الوشم	٦،٥٠٠
المجموع :	١٣٧،٠٠٠
	البدو
قحطان	٨،٠٠٠
عتيبة	٦،٠٠٠
سبيع	٥،٠٠٠

دواسر	٥٬٠٠٠
مطير	٤٬٠٠٠
عجمان	١٬٠٠٠
بقوم	١٬٠٠٠
صليب وغيرها	٣٬٠٠٠
المجموع :	٣٣٬٠٠٠

المجموع العام للحضر والبدو : ١٧٠٬٠٠٠

يلاحظ أن البدو أقلية صغيرة .

ومساحة المنطقة : (٥٠٬٠٠٠) ميل مربع . فنسبة السكان هي : ٤ في الميل المربع .

التجارة

صادرات المنطقة قليلة ، ومنها الخيل ، يصدرونها الى الهند بصورة خاصة .

ويستوردون الأسلحة والذخائر عن طريق الأحساء والكويت والحجاز ، وربما ذهب تجارهم الى « قطر » لشراء الأسلحة . وقد يجلبون الأدوية الأنكليزية من الهند ، وكذلك بعض منتجات الهند .

وحدة الوزن عندهم هي الوزنة ، وتساوي : ٣ ليبرة وأنصة وستة أعشار الأنصة .

وحدة الكيل : المد والصاع .

وحدة القياس : الذراع .

فضيلة نجـــد

وجهاد أهلها في سبيل الاسلام

والرد على من قــــال : انهـــا مصدر الفتنة

قام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، بالرد على خصوم الوهابية في كثير من خطبه ورسائله ، وقد لخص لنا « الألوسي » في « تاريخ نجد » منـاظرة جرت ، تحريراً ، بين الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس صاحب كتاب « صلح الأخوان » وبين الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مؤلف كتاب « منهـــاج التأسيس والتقديس » في كشف شبهات داود بن جرجيس » . وتدور المنـــاظرة حول ثلاث مسائل :

أولاً ــ تكفير أهل نجد للمسلمين واستباحتهم قتالهم .

ثانياً ــ جعل الحرمين الشريفين دار حرب ... واستباحتها .

ثالثاً ــ جعل دار مسيلمة الكذاب دار هجرة وإيمان ، مع مـــا ورد فيها من الحديث : انها مواضع الزلازل والفتن .

وقد ذكرنا أجوبة المسألتين الأولين في موضع آخر من هذا الكتاب ، وأمـا السؤال الثالث ، فأجاب عنه الشيخ عبد اللطيف بما يأتي :

« أيها السائل . إنك لـمّحت أن المراد من مواضع الزلازل والفتن هي أرض نجد وبلادها ...

أما الحديث فهو قوله (ص) في الدعاء : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا .

قالوا : وفي نجدنا يا رسول الله ؟

فكرر ثلاث مرات يدعو للشام واليمن .

وهم يقولون : وفي نجدنا .

فقال في الرابعة : تلك مواضع الزلازل والفتن !

وقد استجيبت دعوته (ص) وحصل من البركات بسبب هذه الدعوة في الشام واليمن ما هو معروف ومشهور ...

ولكن لا يحتج به على صلاح دين أهلها ، إلا من عزبت عنه الحقائق ، وعدم الفهم لأصول الدين فضلاً عن الفروع والدقائق .

وقد تقدم قوله تعالى : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها .

وجمهور أهل نجد كتميم وأسد وطي وهوازن وغطفان وبني ذهل بن شيبان ، صار لهم من الجهاد في سبيل الله والمقام بالثغور، والمناقب والآثار، لا سيا في جهاد الفرس والروم ، ما لا يخفى ... ولا يشك عاقل أنهم أفضل من أهل الأمصار قبل استيطان الصحابة وأهل العلم والإيمان .

وأما بعد ذلك فالفضل والتفضيل باعتبار الساكن يختلف وينتقل مع العلم والدين ، فأفضل البلاد والقرى في كل وقت وزمان اكثرها علماً واعرقها بالسنة والأثار النبوية ، واشر البلاد أقلها علماً وأكثرها جهلاً وبدعة وشركا .. وأقلها تمسكاً باثار النبوة وما كان عليه السلف الصالح ، فالفضل والتفضيل يعتبر بهذا في الأشخاص والسكان ، وقد قال تعالى :

« واذ قال ابراهيم رب أجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ! »

وكما أن الحسنات تضاعف في البلد الحرام ، فكذلك السيئات تضاعف لعظيم حرمته وفضيلته ..

وقد جاء في فضل بعض أهل نجد كتميم ما رواه البخاري عن أبي هريرة :

« أحب تميا لثلاث سمعتهن من رسول الله (ص) ، قوله لما جاءت صدقاتهم :
هذه صدقات قومي .
وقوله في الجارية التميمية : أعتقها ، فانها من ولد اسماعيل .
وقوله : هم أشد أمتي على الدجال .
هذه في المناقب الخاصة .
وأما العامة للعرب فلا شك في عمومها لأهل نجد ، لأنهم من صميم العرب » .

*

ثم قال :
ليس المراد في الحديث بنجد القطعة المعروفة الآن بنجد ، وإنما المراد العراق « لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق ، يوضحه أن في بعض طرق هـذا الحديث :
« وأشار إلى العراق »
... وفي مسلم عن ابن عزوان ... عن ابن عمر ، قال : يا أهل العراق مـــا أسالكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ! سمعت رسول الله (ص) يقول إن الفتنة تجيء من هنا ...
وأومأ بيده إلى المشرق .
فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق !..

الملحق الرابع

نجد في الشعر العربي

ما قيل في نجد من الشعر شيء لا يحصى كثرة ، وسنذكر هنا بعض ما وجدناه من هذا الشعر في الأغاني ومعجم البلدان والحماسة وتاريخ نجد للألوسي وغيرها من الكتب .

تمتع من شميم عرار نجد

قال الصمة بن عبد الله القشيري

« أقول لصاحبي والعيس تهوي[1] — بنا بين المنيفة فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد — فما بعد العشية من عرار

ألا يا حبذا نفحات نجد — وريّا روضه بعد القطار

وأهلك اذ يحل الحي نجدا — وأنت على زمانك غير زاري

شهور ينقضين وما شعرنا — بانصاف لهن ولا سرار »

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد — لقد زادني مسراك وجدا على وجد

أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى — على فنن غضّ النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن — جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي

---

١ – . وفي رواية : تخدي . والعرار بهار البر، نبت طيب الريح، قال ابن بري هو النرجس البري .

وقـد زعموا ان المحب اذا دنا … يمل ّ وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا … على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع … اذا كان من تهواه ليس بذي ود »

وقالت رامة بنت حصين الأسدية

« ألام على نجد ومن يك ذا هوى … يهجه للشوق شتى يرابعه . »

وقال جرير بن عطية بن الخطفي :

هوى بتهامـة وهوى بنجد … فيلتمُ التهـــائم والنجـود

وقال مجنون ليلى :

ألا ليت شعري عن عوارضتي قبا … لطول الليـــالي هل تغيرتا بعدي
وهـل جـــارتانا بالنشيل إلى الحمى … على عهدنا أم لم تدوما على العهد
وعن عـــلويات الرياح إذا جرت … بريح الخزامى هل تهب على نجد ؟
وعن أقحوان الرمل ما هو فـاعل … إذا هـــو أسرى ليلة بثرى جعد

وقال الحطيئة :

ألا طرقتنا بعد مـا هجعوا هنـد … وقد جزن غوراً واستبان لنا نجد
وان التي نكبتها عـن معـاشر … علي فضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأي وإنمـــا … أتاهم بهـا الأحلام والحسب العـدّ
فـأن الشقي من تعـادي صدورهم … وذو الجد من لانوا اليه ومن ودّوا
يسوسون أحلامـــاً بعيداً أناتها … فان غضبوا جـــاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم ، لا أبـاً لأبيكم ، … من اللوم، أو سدّوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنـا … وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها ، … وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا !
وان قال مولاهم على كل حادث … من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا !
مطاعين في الهيجا ، مكاشيف للدجى … بنى لهـم آباؤهم وبنى الجـــد !

وقال الصمة بن عبدالله :

حننت إلى « ريا » ونفسك باعدت ... مزارك من ريا ، وشعباكما معا
قفا ودعا « نجدا » ومن حل بالحمى ... وقل لنجــد عندنا أن يودعا
بنفسيّ تلك الأرض ما أطيب الربى ... وما أحسن المصطاف والمتربعــا
وليست عشيات الحمــى برواجع ... عليك ، ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

وقال جرير :

أحب ثرى نجد ، وبالغور حاجة ... فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا

وقال المرار الفقعسي :

إذا تركت وحشية النجد[1] لم يكن ... لعينيك مما تشكوان طبيب

اشعار الأعراب في نجد

أورد « معجم البلدان » بعض ما قاله الأعراب من الشعر في نجد ، وهو شيء لا يحصى كثرة .

قال أعرابي :

أكرر طرفي نحو « نجد » وانني ... اليه وان لم يدرك الطرف أنظر
حنيناً الى أرض كأن ترابها ... اذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه ... ونور الأقاحي وشي برد محبّر
أحنّ الى أرض الحجاز وحاجتي ... خيام «بنجد» دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو « نجد » بنافع ... أجل لا ، ولكني الى ذلك أنظر

---

١ – استشهدوا بهذا البيت على انهم يستعملون كلمة « نجد » معرفة بأل : النجد .

أفي كل يوم نظرة ثم عـــبرة لعينيك يجرى ماؤهـــا يتحدّر
متى يستريح القلب اما مجاور بحرب ، واما نازح يتـذكّر؟!

وقال أعرابي

فيا حبذا « نجد » وطيب ترابه اذا هضبته بالعشيّ هـواضبه
وريح صبا «نجد» اذا ما تنسمت ضحى ،أو سرت جنح الظلام جنائبه
بأجرع ممراع كأن رياحه سحاب من الكافور ، والمسك شائبه
وأشهد لا أنساه ما عشت ساعة وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
ولا زال هذا القلب مسكن لوعة بذكراه حتى يترك الماء شاربه.

وقال أعرابي آخر :

رأيت بروقاً داعيات إلى الهوى فبشرت نفسي أن نجداً أشيمها
إذا ذكر الأوطان عندي ذكرته وبشرت نفسي أن نجداً أقيمها
ألا حبذا نجـــد ومجرى جنوبه إذا طاب من برد العشي نسيمها
أجِدّك لا ينسيك نجداً وأهله عياطل دنيـــا قد تولى نعيمها !

وقال أعرابي آخر :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ويجلو ذرى الظلماء ذكرتني نجدا
ألم ترَ أن الليل يقصر طوله بنجد وتزداد الرياح بـــه بردا

وقال أعرابي من بني طهية :

سمعت رحيل القـــافلين فشاقني فقلت اقرأوا مني السلام على دعد
أحنّ إلى نجـــد وإني لآيس طوال الليالي من قفول إلى نجد
تعزّ فلا نجد ولا دعد فاعترف بهجر إلى يوم القيـــامة والوعد

وقال نوح بن جرير الخطفي :

ألا قد أرى أن المنايا تصيبني فما لي عنهن انصراف ولا بُدّ

فذا العرش لا تجعل ببغداد ميتتي ... ولكن بنجد حبذا بلداً نجـــد
بلاد نـأت عنهـا البراغيث والتقى ... بها العين والآرام والعفر والربد

وقال اعرابي آخر :

ألا هــل لمحزون ببغداد نازح ... إذا ما بكى جهـد البكاء مجيب
كأني ببغداد وإن كنت آمنــاً ... طريـد دم نائي المحــل غريب
فيا لائمي في حب نجــد وأهله ... أصــابك بالأمر المهمّ مصيب

وقال اعرابي آخر :

تبدلت من نجــد وممن يحــله ... محلة جند ، ما الأعاريب والجند ؟
وأصبحت في أرض البنود وقد أرى ... زماناً بأرض لا يقال لها بند ! [1]

وقال اعرابي آخر :

خليـليّ هل بالشام عـين حزينة ... تبكي على « نجد » لعلي أعينها !
وهل بائع نفساً بنفس أو الأسى ... إليهـا فأجلاها بذاك حنينهــا
وأسلمها الباكون إلا حمامـة ... مطوقة قد بان عنها قرينهــا
تجـاوبها أخرى على خيزرانــة ... يكاد يدنّيها من الأرض لينها
نظرت بعيني مؤنسين فـلم أكد ... أرى من سهيـل نظرة أستبينهـا
فكذبت نفسي ثم راجعت نظرة ... فهيّج لي شوقاً « لنجد » يقينها !
ألا يا حبذا « نجد » وطيب ترابه ... وغلظة دنيا أهل نجد ، ودينها .

وقال اعرابي آخر :

سقى الله «نجداً» من ربيـع وصيّف ... وماذا ترجى من ربيـع سقى «نجدا»
بــلى إنه كان للعيش مرّة ... وركناً بهـا والبيضِ منزلةً حمدا

---

١ – البنود بأرض الروم كالأجناد بأرض الشام والكور بالعراق والمخاليف في اليمن.

وقال اعرابي آخر :

ومن فرط إشفاقي عليك يسرني سلوكِ عني خوفَ أن تجدي وجدي
وأشفق من طيف الخيال اذا سرى مخافة أن يدري به ساكنو « نجد »
وأرضى بأن تفديك نفسي من الردى ولكنني أخشى بكاءك من بعدي
مذاهب شتى للمحبين في الهوى ولي مذهب فيهم أقول به وحدي

وقال اعرابي آخر :

لعمري لمكاء يغني بقفرة بعلياء من نجد علا ثم شرّقا
أحب إلينا من هديل حمامة ومن صوت ديك هاجه الليل أبلقا

وقال عبد الرحمن بن دارة :

خليليّ ان حانت بحمص منيتي فلا تدفناني وارفعاني إلى نجد !

وأدخل على عبد الملك بن مروان عشرة من الخوارج فأمر بضرب رقابهم وكان يوم غيم ومطر ورعد وبرق ، فضربت رقاب تسعة منهم ، وقُدّم العاشر ليضرب عنقه فبرقت برقة ، فأنشأ يقول :

تألّق البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول
بذلة العقل حيران بمعتكف في كفه كحباب الماء مسلول

فقال له عبد الملك : ما أحسبك إلا وقد حننت إلى وطنك وأهلك ، وقد كنت عاشقاً !

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين !

قال : لو سبق شعرك قبل أصحابك ، لوهبناهم لك ! خلوا سبيله !

فخلوه .

وقدم بعض أهل هَجَر إلى بغداد فاستوبأها فقال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة وأزداد من نجد وصاحبه بعدا
ألا إن بغداداً بلاد بغيضة إليّ وإن كانت معيشتها رغدا
بلاد تهبّ الريح فيها مريضة وتزداد خبثاً حين تمطر أو تندى

اليمامة في الشعر

ورد اسم اليمامة كثيراً في الشعر . فالأعشى يذكر قصة زرقاء اليمامة . وعمرو ابن كلثوم يذكر بلاد اليمامة في معلقته فيقول:

تذكرت الصبا واشتقت لما   رأيت حمولها أصلا حدينا
وأعرضت «اليمامة» واشمخرت   كأسياف بأيدي مصلتينا

وقالت شاعرة بدوية ، لما ذكر لها اسم اليمامة :

تذكرني بلاداً خير أهلي   بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الإله أجش صوبا   يسح بدره بلد « اليمامة »

ومن قصيدة لابراهيم بن علي بن هرمة يمدح فيها السري بن عبد الله[1]:

(فقل للسري،الواصل البر ذي الندى   مديحاً إذا ما بثّ صدّق قائله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله   فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة   بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه   ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا أرض حجر وغيرها   من الأرض حتى عاش بالقبل آكله
وأنت تُرجّى للذي أنت أهله   وتنفع ذا القربى لديك وسائله .)

وقال يحيى بن طالب الحنفي ، وهو من اليمامة ، اضطر الى النزوح عنها الى بغداد :

أقول لموسى والدموع كأنها   جداول فاضت من جوانبها تجري
الاهل لشيخ وابن ستين حجة   بكى طرباً، نحو «اليمامة»من عذر؟
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة   دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
تغربت عنها كارهاً وهجرتها   وكان فراقيها أمرّ من الصبر[2]

---

١ – الأغاني .
٢ – معجم البلدان ، تحت اسم « قرقرى » .

شعراء نجد في الجاهلية وأول الاسلام

الحديث عن شعراء نجد في الجاهلية ، وأوائل الإسلام ، حديث طويل ، لأنه يكاد يكون حديثاً عن الشعر العربي كله ، أو جلّه .

وليس يتسع هذا الكتاب لمثل هذا الحديث الطويل ، فليرجع من أراد التوسع فيه إلى كتب الأدب العربي . وحسبنا أن نقول ، هنا ، إن الشعر العربي يبدأ في نجد واليمامة ، منذ عهد طسم وجديس ، وقد رأينا في الفصول السابقة شعراً لعفيرة وزرقاء اليمامة ، ولكننا نشك كثيراً في صحة هذا الشعر ، لأنه لا يختلف في شيء عن الشعر الأموي أو العباسي ، إلا أن يكون كلام « طسم وجديس » العاربة ، فيما زعموا ، ككلام من يسميهم المؤرخون : « المستعربة » .. ولغتهم كلغة القرآن ، وبذلك تنقلب الآية فيصبح العاربة هم : المستعربة !

شعراء المعلقات العشر

أول ما يلفت النظر ، بل ويبهره .. ان شعراء الجاهلية الأوائل ، أصحاب المعلقات العشر ، كلهم من نجد ، فان كان اثنان أو ثلاثة منهم لم يولدوا في نجد فقد عاشوا فيها وتغنوا بمرابعها .

وأولهم : امرؤ القيس ، ابن حجر ، ملك كندة ، الذي أضاع العرش،ولكنه لم يضع عرش .. الشعر ، فلقبوه : بأمير الشعراء .

يقولون إن امرأ القيس يماني ، قحطاني ، لأنه من كندة . ويقول «ابن بليهد» إن بلد امرىء القيس : ذو جرة ، قرية بمخلاف « السكاسكك » في اليمن !

والحقيقة هي أن امرأ القيس « نجدي » ، بكل معاني الكلمة . فقد ولد في

نجد ، وأبوه ولد في نجد ، وجده ولد في نجد ، وأمه في أصح الروايات ربعية ، من نجد ، فماذا يريدون من الرجل ، أكثر من هذا ، حتى يكون نجدياً ؟

فإن قيل : أصل قبيلته من خارج نجد . قلنا : ما أكثر القبائل التي جاءت إلى نجد ، من خارج نجد ، وأصبح أبناؤها نجديين !

إن لغة امرىء القيس لغة أهل نجد ، والبلدان والمياه والمواضع التي ذكرها في شعره هي أماكن معروفة في نجد ، أما ما نسب اليه من الشعر اشدّه إلى اليمن ، فهو أضعف الشعر شبهاً بشعره ، وأقله ، وأدناه قيمة ، كقوله :

(دمون ، اننا معشر يمانون وإننا لأهلنا محبون) !!..

وسواء أصح هذا الشعر أم لم يصح ، فانه لا يخرج امرأ القيس من نجديته ، لمجرد أن آباءه : قحطانية الأصل ، بـــل هناك من يذهب الى القول ان « كندة » نفسها عدنانية !

اشتهر امرؤ القيس بمعلقته المشهورة ، التي مطلعها :

«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل »

وكان شعره أول الأمر ، في الغزل والخمر والوصف ونحو هذا ، فلما بلغه مقتل أبيه ، حرم على نفسه الخمر حتى يدرك ثأره ، وقال في رواية ، قوله المشهور :

اليوم خمر ، وغـــداً أمر . لا صحو اليوم، ولا شرب غدا .

وأنشد في رواية ثانية :

«خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد، اذا كان ما كان، مشرب»

وأصبح أكثر شعره ، بعد ذلك، مفاخرة ومدحا وهجاء ونحو ذلك. وانطلق امرؤ القيس يجمع الجموع ، ويستنصر العشائر على قتلة أبيه ، فنصرته قبائل بكر ، وتميم ، فقال في تميم :

« تميم بن مر ، وأشياعهـــا وكندة حولي جميعـــا صبر
اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر »

ولما أدرك ثأره من بني أسد وحلفائهم رضي ، فقال :

قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل

وطلبه المنذر بن ماء السماء ليقتله كما قتل إخوته ، فهرب منه ، ولجأ أول الأمر الى زعيم من « تميم » هو المعلى ، فأجاره ، فقال فيه :

« كأني اذ نزلت على المعلّى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ، ولا الملك الشآمي » !

ثم لجأ الى الروم ، وهناك أصيب بمرض ، ومات في طريق عودته ، وقيل إن قيصر الروم قتله لتشبيبه بزوجته ، وسموه : ذا القروح ، لقروح انتشرت في بدنه وسببت وفاته ، وقيل إنها الجدري .

ويأخذ عليه بعض المؤرخين التجاءه الى الروم واستنصاره بهم ضد قومه العرب ، ويعدون ذلك خيانة ، ويقول قاموس « المنجد » إن « جوستنيان » ولاه إمارة فلسطين ..

وأرجح الظن أن قصته مع جوستنيان ما تزال غامضة ، وان أمرأ القيس الذي ولاه جوستنيان على فلسطين هو رجل آخر ، يحمل اسم امرىء القيس ، ومن هناك حصل الالتباس !

وأمـا استنجاد امرىء القيس بالروم ، فذلك لأن خصمه المنذر كان ينصره الفرس .

ان شعر امرىء القيس مشهور ، ومنزلة صاحبه بـين الشعراء معروفة ، ولم نذكره هنا الا للتنويه « بنجديته » ، ولتصحيح بعض أخباره التي يكثر فيها الخطأ والتشويه .

وشعراء المعلقات العشر ، غير امرىء القيس ، هم :

١ — طرفة بن العبد ، صاحب معلقة :

« لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد »

٢ — الأعشى — ميمون بن قيس — صاحب معلقة :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

٣ ـ الحارث بن حلزة اليشكري ، صاحب معلقة :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يُمَلُّ منه الثواء .

وهؤلاء الشعراء الثلاثة من بكر بن وائل .

وطرفة عند بعض النقاد ، أشعر الناس ، وعند بعضهم أشعرهم واحدة ، أي بعلقته . وقد قتله الملك عمرو بن هند ، وكان عمره عند وفاته ستاً وعشرين سنة . وكانت أخته شاعرة ، قامت برثائه ، وخاله هو الشاعر الكبير : المتلمس .

٤ ـ عمرو بن كلثوم ، صاحب معلقة :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهو من تغلب بن وائل ، وكان من فرسان العرب وفتاكها ، ومن أشهر أبياته :

وقد علم القبائل غير فخر إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا العاصمون إذا أطعنا وأنا الغارمون اذا عصينا
وانا المانعون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا أتينا

*

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا
اذا بلغ الفطام لنا وليد تخر له الجبابر ساجدينا

وبذلك يكون أربعة من شعراء المعلقات من ربيعة !

٥ ـ عنترة بن شداد العبسي، صاحب معلقة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

٦ ـ لبيد بن ربيعة ، صاحب معلقة :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

٧ ـ النابغة « زياد بن عمرو » صاحب معلقة :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

٨ ـ زهير بن أبي سلمى ، صاحب معلقة :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

٩ - عبيد بن الأبرص ، صاحب معلقة :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيـــات فالذنوب

وهؤلاء الشعراء الخمسة ابتداءً من عنترة هم: مضريون. أربعة من قيس عيلان، وواحد من أسد بن خزيمة . (وهو عبيد) .

وأشهر هؤلاء الشعراء : عنترة ، وقد بلغ من شهرته أن سيرته ، وهي قصة شعبية ، بل ملحمة طويلة جداً ، تتخللها أبيات من شعره، كانت تنشد في الندوات الخاصة والعامة ، في مجالس متعاقبة يقبل عليها الناس مثل إقبالهم اليوم على حضور المسرحيات الكبرى وأكثر ، وقد ترجمت « سيرة عنترة » إلى أكثر اللغـــات الأوربية ووضعت مسرحيات وقصص وأغان باسم عنترة . وعنترة يستحق هـذا التقدير ، لأنه كان فارساً وشاعراً وجواداً كريماً ، بلغ الذروة في ولائه لقومـه ، وحبه الرفيـع « لعبلة » ، ويعتبر عنترة أول ثائر كبير على « شبهة اللون » أو مـا نسميه اليوم « التمييز العنصري » .

وقيل ان النبي (ص) قال:ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة!

ولعنترة أبيات مشهورة ، ذهب بعضها مذهب الأمثال ، لكثرة ما يستشهد بها الناس في كلامهم ، ومنها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

*

ان كنت تعلم يا نعمان أن يدي قصيرة عنـــك فالأيام تنقلب

*

خلقت من الحديد أشد قلبـــا وقد بلي الحديـــد وما بليت

*

اذا بلغ الفطام لنـــا صبي تخر له أعادينـــا سجودا

*

وسيفي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

*

لا تسقني مـــاء الحياة بذلة		بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
مـاء الحيــاة بذلة كجهنم		وجهنم بالعز أطيب مـنزل

*

ولقد ذكرتك والرماح نواهل		مني وبيض الهند تشرب من دمي
فوددت تقبيـل السيوف لأنها		لمعت كبارق ثغرك المتبسم !

شاعرات نجد

ليس شعراء المعلقات ، الذين يدرس شعرهم في البلاد العربية كلها ، هم وحدهم رؤساء الشعر في نجد قديماً ، فهناك شعراء غيرهم كثر، ولدوا وعاشوا في نجـــد ، يسامونهم أو يأتون بعدهم في المرتبة ، ومن أشهرهم ، في الجـاهلية : « المهلهل » ، وفي الإسلام : « جرير » .

ولم يكن الشعر في نجد قاصراً على الرجال ، فقد كان فيها شاعرات مجيدات ، منهن : صفية الشيبانية ـ التي أجـارت « هند بنت النعمان » على كسرى ، ولهـا ذكر في موقعة « ذي قار» ـ وتماضر السلمية ، وسمية العبسية ، وغيرهن كثيرات، ويلاحظ أنه كانت في نجد أسر « شعرية » أو شاعرة ، كان الشعر سليقة في رجالها ونسائها على السواء ، كأم الأغر أخت المهلهـــل ، وسلمى بنته ، والخرنق أخت الشاعر طرفة .

ومن الشعر الذي يتغنى به حتى اليوم لامرأة من نجد ، ما قالته ليلى العفيفـة بنت لكيز ، وكانت فتاة بارعة الجمال ، فذهب بها أبوهـا الى فارس ، فأعجب بهـا ملك من ملوك الفرس ، فأراد بها سوءاً ، فتمنعت ، فاضطهدها وحبسها ، فكتبت الى ابن عم لها بكري يدعى « البراق » ، قصيدة تصف فيها حالها لينقذها ، ففعل، ومما جاء فيها :

(ليت للـــبراق عيناً فترى		ما ألاقي من بلاء وعنـــا
يا كليباً وعقيـلا اخوتي		يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت أختكم يا ويلكم		بعذاب النكر صبحاً ومسا

غللوني ، قيّدوني ، ضربوا ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ومعي بعض حشاشات الحيا
فأنا كارهة بغيكم ويقين الموت شيء يرتجى) الخ.

والشاعرة كرمة بنت ضلع هذه الأبيات المشهورة ، التي تنسب أحياناً الى غيرها :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي القطي البارق المسك في المفارق
والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق
عرس المولّي طالق والعار فيه لاحق !

وكانت النساء ينشدن هذه الأبيات في الحروب للحض على الثبات والإقدام .

أيام العرب وبلدان نجد وامكنتها في الشعر

كما تغنى الشعراء بنجد في جملتها ، تغنوا كذلك بكثير من بلدانها وأماكنها التي لا يزال أكثرها معروفاً بأسمائها القديمة حتى اليوم .

وهذا الحديث يسوقنا الى الكلام عن « أيام العرب » ، التي خلدوها في ملاحمهم وأشعارهم ، فان أكثرها يدور في بلاد اليمامة ونجد ، ويحمل أسماء أمكنة فيها ، ومن أعظم أيام القبائل العربية في نجد على غيرها : يوم « ذي قار » الذي غلبوا فيه العجم ، ويوم « حزازى الذي فضوا به جموع اليمن وهزموها .

ومن أشهر أيام القبائل العربية ، فيما كان بينها من الوقائع : الوقائع بين تغلب وبكر ، وبين تميم وحنيفة وبين عبس وذبيان ، الخ ..

حروب « البسوس »

عرفت الوقائع بين تغلب وتميم ، باسم حرب « البسوس »[1] .

وكانت تغلب ظاهرة في أيامهـــا الأولى – الذنائب ، واردات ، عنيزة – على بكر ، ثم غلبتها بكر في يوم « قضة » ، ويوم « تحلاق اللمم » .

والى ذلك يشير طرفة العبد بقوله :

سائلوا عنـــا الذي يعرفنا ما لقوا في يوم « تحلاق اللمم » !
يوم تبدي البيض عـــن أسواقها وتلف الخيـــل أنواع النعـــم

وقيل أن تغلب لو بقيت مستمرة في حروبها لأفنت الناس،ولذلك قال بعضهم: لو أبطأ الاسلام ، لأكلت بنو تغلب الناس !

لا نريد هنا التبسط في الحديث عـــن أيام العرب ، فليرجع الى كتب الأدب والتاريخ للوقوف عليها واستقصاء ما يتصل منها بنجد خاصة ، وهي تراث ملحمي رائع جداً .

وحسبنا الآن أن نورد ، على سبيل المثال ، طائفة من الشعر القديم فيها ذكر لأماكن وبلدان معروفة في اليمامة ونجد :

---

١ – كان السبب الذي هاج الحروب الموصولة بـــين تغلب وبكر ، فـــيما رووا ، أنه كان لكليب ، زعيم تغلب – ويقال له كليب وائل ، وكان يضرب به المثل في العزة والمنعة ، فيقال: « أعز من كليب وائل » – حمى لا يجرؤ أحـــد على استباحته، بل كان يجير الوحش والطير فلا يتعرض أحد لصيده ، حتى لقبوه مجير الطير ، فنفرت ناقة لامرأة من تميم تدعى « البسوس » ، كانت نازلة عند أخت لها متزوجة في بكر ، فدخلت حمى كليب وقيل انها كسرت بيض حمامة هناك ، فرآها كليب فرماها « أي الناقة » بسهم فقتلها ، فذهبت البسوس الى بكر شاكية باكية، فخرج ابن اختهـا « جساس بن مرة ، الى كليب فجـأة وقتله ، فقـــام أخو كليب « عدي » ، الفارس الشاعر المشهور باسم « المهلهل » بالثأر له ، واتصلت المعارك بين تغلب وبكر عشرات السنين ، بسبب ناقة .. البسوس .

وكان جساس قاتل كليب ، من بني شيبان ، ولم تنصره قبائل بكر أول الأمر ، لظلمه ، ثم تجمعت ضد تغلب ، بعد أن كثر بغيهـا ...

فمن أيامهم التي ورد ذكرها في شعرهم :

« يوم القصيم »

قال زيد الخيل الطائي :

(ونحن الجالبون سباء عبس الى الجبلين من أهل « القصيم »
فكان رواحها للحي كعب وكان غدوها لبني تميم)

وقيل في القصيم ذماً :

ان القصيم بلد محمة أنكد ، أفنى أمة فأمة !

« يوم فلج »

وقال القحيف :

سلوا « فلج الأفلاج» عنا وعنكم وأكمة اذ سالت سرارتها دما

« يوم ملهم »

وقال داود بن متمم :

ويوم أبي حر (بملهم) لم يكن ليقطع حتى يدرك الزحل ثائره
لدى جدول النيرين حتى تفجرت عليه نحور القوم واحمر حائره

*

ومما قيل في بعض بلدان نجد وأمكنتها :

لعمري لنور الأقحوان « بحائل » ونور الخزامى في ألاء وعرفج
أحب إلينا يا حميد بن مالك من الورد والخيري ودهن البنفسج

وقال جرير :

أنظر خليلي بأعلى « ثرمداء » ضحى والعيس جائلة أعراضهـــا جنف

وقال ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بـين « جلاجل » وبين النقا ، آأنت أم أم سالم ؟

وقال ابن دريد :

لمن طلل كالوحي عافٍ منـازله عفا (الرس) منه و (الرسيس) فعاقله

وقال شاعر :

يضربن بالأحقاف قاع « الحرج » وهن في أمنيـــة وهرج

ويقول شاعر في أثيفية – أثيثية اليوم – وكان يقال لها أثيفية وأثيفيات وذات الأثافي :

دعونا قـلوبنا بأثيفيات وألحقنا قلائص يعتلينا

وقال عقبة بن سوداء :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وربـع خلا بين (السليل) و (ثادق)

وقال امرؤ القيس :

تراءت لنا يومـاً بسفح عنيزة وقد حان منها رحلة وقلوص

وقال جرير :

ان الفؤاد مع الذين تحملوا لم ينظروا بعنيزة الاشراقا[1]

---

١ – أكثر هذه الأبيات في « معجم البلدان » لياقوت .

وإذا اعتبرنا بلاد طيء – جبل شمر – من نجد ، وهي كذلك ، فيجب أن نضيف الى شعراء نجد في الجاهلية : اسمي حاتم الطائي ، والسموأل بن عاديا، وهما من هما في الوفاء والكرم ، الى شاعريتهما .

وكان بين فرسان العرب وحكامها وكهانها عدد غير قليل من سكان نجد .

ولكن العرب يومئذ لم يكونوا ينتمون الى البلاد ، وإنما ينتمون الى القبائل ؛ ولم نسق هذه الأمثلة إلا تبديداً للوهم العالق ببعض الأذهان .. من أن « نجداً » كانت تعيش ، لبداوتها وبعدها ، على هامش الحياة العربية ، مع أنها كانت في صميمها ، وكانت تحمل مثل غيرها بل أكثر : ألوية الشعر ، والفروسية ، والكرم .

أسماء ولاة اليمامة

قدمنا « ملازم » الكتاب بعد الفراغ من طبعها ، وقبل جمعها وتجليدها ، الى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيها ، ففعل ، وتلطف باعطائنا « قائمة » أعدّها لنفسه بأسماء ولاة اليمامة في العهدين الأموي والعباسي ، وأذن لنا بنشرها في كتابنا ، وها نحن نفعل شاكرين له فضله ، وقد ذكرنا في الصفحة ٢٨ من كتابنا أسماء عدد من ولاة اليمامة، لم ترد في قائمة الجاسر.

قائمة ولاة اليمامة للاستاذ الجاسر

١ – في العهد الأموي

١ – في عهد عبد الملك : ابراهيم بن عربي .
٢ – في عهد الوليد : اقر ابراهيم بن عربي على ولايته .
٣ – في عهد سليمان بن عبد الملك : سفيان بن عمرو العقيلي ثم نوح بن هبيرة .
٤ – في عهد عمر بن عبد العزيز : زرارة بن عبد الرحمن .
٥ – في عهد يزيد بن عبد الملك : رد عليها ابراهيم بن عربي .
٦ – في عهد هشام : ابراهيم بن عربي ثم المهاجرين ابن عبد الله الكلابي ثم ابنه علي .

٧ – في عهد الوليد : علي بن المهاجر ثم حدثت ثورة داخلية فغلب على اليامة المُهَيْرُ بن سُلْمي الحنفي ، وبعده عبد الله بن النعمان .
٨ – في عهد مروان بن محمد : يزيد بن هبيره وقتله جيش بني العباس .

٢ – عهد بني العباس

١ – داوود بن علي بن عبد الله بن العباس .
٢ – زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح .
٣ – السري بن عبد الله بن الحارث .
٤ – قثم بن العباس .
٥ – الفضل بن صالح .
٦ – جعفر بن سليمان .
٧ – عبد الله بن مصعب الزبيري .
وحدثت ثورة في البلاد عزلتها عن الخلافة برهة .
٨ – سويد القائد الخراساني .
٩ – محمد بن سليمان بن علي .
ثم اثناء الخلاف بين الأمين والمأمون استولى طاهر بن الحسين على اليامة .
١٠ – وفي عهد المأمون داوود بن منجور
١١ – اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب في عهد المعتز
١٢ – محمد ابو عون
١٣ – وفي عهد الموفق سعيد بن صالح الحاجب وبعده يارجوج
١٤ – اسندت ولاية اليامة الى موسى بن بَغَا فولاها عبد الرحمن بن مفلح .
١٥ – وفي عهد المعتضد عباس بن عمرو الغنوي
١٦ – وفي عهد الراضي استولى عليها القرامطة وانفصلت عن الخلافة منذ ذلك العهد .

ملاحظات الشيخ حمد الجاسر

قدمنا « ملازم » الكتاب ، بعد الفراغ من طبعها وقبل جمعها وتجليدهـا ، إلى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيها ، ففعل ، وتلطف مشكوراً بكتابة هذه الملاحظات (وسنذكر نحن رأينا في ملاحظاته في الهوامش) :

الملاحظة الأولى

جاء في الصفحة (٣٧) ، في وصف أهل نجد : « أهملوا القرآن وما عـادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج » .

هذا الوصف غير صحيح !

إن نجداً منذ أن انتشر فيها الاسلام بعد وقعة اليمامة بقيت محافظة على التمسك بالدين والتقيد بتعاليمه ، حتى انتشر الجهل في القرون الأخيرة وامتزجت في الدين عادات سيئة ليست منه من الخرافات وتقديس القبور .

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله،بالدعوة إلى تعاليم الدين الصحيحة والرجوع إلى ما كان عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وأصحابه والصدر الأول من الأمة عارضه من عارض اعتقاداً منهم ان ما يفعلون من دعاء الأموات هو من الدين،وكان الخلاف بين الشيخ رحمه الله وبين مخالفيه على أساس التوحيد أما بقية أعمال الاسلام فانه لم يعارضه أحد بشأنها .

وعند قيام الشيخ وقبله كان في نجد عدد من العلماء الذين كانوا يتلقون العلم في

البلاد الاسلامية في مصر والشام والهند وغيرها منهم :

الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرقي قاضي العُيَيْنة (توفي في ١١٢٥) .

والشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب قاضي العُيَيْنة سنة ١٠٣٩ .

والشيخ حمد بن براهيم بن حمد بن عبد الوهـاب الذي صاهر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الامام المجدد وتزوج ابنته وانتقل عنده الى الدرعية(توفي ١١٩٤) .

ومن علماء نجد الشيخ عثمان بن حمد بن قائد (توفي ١٠٩٩) وله مؤلفات منها شرح العمدة وحاشيته على المنتهى، وكتاب التوحيد ونجاة الخلف في اعتقاد السلف وقد درس في الشام ومصر .

والشيخ محمد بن أحمد بن سمعيل في أشيقر (توفي ١٠٥٨) .

والشيخ محمد بن عبد الله بن اسماعيل (توفي ١١٠٩) من أشيقر أيضاً .

والشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر المشرفي قاضي الرياض (توفي ١٠٤٩)

والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان الخالدي قاضي الرياض (توفي ١٠٩٩) .

والشيخ أحمد بن محمد المنقور مؤلف المجموع وقاضي سدير (توفي ١١٢٥).

والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير من اشيقر (توفي ١١١٤) .

هؤلاء لهم آثار في الفقه الحنبلي ، ولبعضهم صلات قوية بعلماء الشام ومصر مثل الشيخ ابن العماد ، والشيخ مرعي الكرمي ، والشيخ الحَجّاوي ، والشيخ أحمد ابن النجار ، والشيخ منصور البهوتي وغيرهم من العلماء .

وهناك علماء من أهل نجد غلب عليهم الشقاء فعارضوا الدعوة الاصلاحيـة التي دعا اليها الشيخ أمثال راشد بن خنين قاضي الخرج ومحمد بن سلوم وأحمد بن فيروز ابن بسام والمويس وغيرهم من العلماء الذين لهم آثار في العـلم إلا أنهم من حيث العقيدة من مخالفي الطريقة السلفية الصحيحة .

ردنا : إن كلام الاستاذ الجاسر إنما ينصرف إلى قول نقلناه عن بلغريف ، لا نؤاخذ به ، وقد قلنا رأينا في كلمتنا المذكورة في توطئة الكتاب ، فليرجع إليها .

وعلى كل حال ، ففي استعراض أسماء هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الجاسر نفع غير قليل .

الملاحظة الثانية

جاء في الصفحة ٢٨ : (من أمراء اليمامة أبو حفصة من قبل مراون ، ومروان ابن أبي الجنوب) .

وفي عهد مروان بن الحكم ، لما كان خليفة ، كانت اليمامة خارجة عن حكمه ، تحت حكم ابن الزبير وقد تولى مروان المدينة في عهد معاوية ، وقد تكون اليمامة في ذلك العهد مضافة اليه ولكن لم ار فيما اطلعت عليه نصاً يدل على ولاية ابن حفصة والذي رأيته هو ان عبد الملك ارسل ابا حفصة ليكون على بيت المال في اليمامة وارسل ابراهيم بن عربي ليكون والياً ، وهذان الرجلان لهما يد على مروان عند وقعة الدار ولهما اثر كبير في حوادث اليمامة فقد استوطنت ذرية ابي حفصة اليمامة من عهد عبد الملك وبقيت معروفة بما نبغ منها من شعراء منهم مروان بن ابي الجنوب الذي لم ار من نص على توليه اليمامة مع شهرته وكثرة ذكره هو وآله .

ردنا : ولاية ابي حفصة أخذناها عن الأغاني ، وليس هذا الكتاب تحت يدنا لندل على الصفحة التي ذكر فيها الخبر .

أما ولاية مروان بن أبي الجنوب، فوجدنا بين أوراقنا قطعة منقولة عن «معجم الأدباء » وهذا نصها :

« .. عقد المتوكل لأولاده الثلاثة ، فدخل « مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة » ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

« بيضاء في وجناتها ورد ، فكيف لنا بشمه ؟ »

فسر المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً ، وأمر فنثر عليه بدرة دنانير .. وأمره بالجلوس ، وعقد له على اليمامة والبحرين . . »

ملاحظات أخرى

وذكر الاستاذ الجاسر ملاحظات أخرى قيمة ، تؤيد أقوالنا في الكتاب ولا

تنقضها ، كقوله إن ابن بشر ، كتب في النسخة الثانية من كتابه ، أن ما ذكره في النسخة الأولى « عن أمر ابن معمر تقبل الشيخ » غير صحيح .

ويقول الشيخ الجاسر إن ما ذكر عن وجود قرية في القطيف باسم (الدرعية) إنما كان الأعتماد فيه على مصدر واحد ..

ويقول إن آل مشرف طارئين على العيينة ، وأصلهم من بلدة أشيقر .

ونحن لم نقل إنهم معرقون في العيينة ، ولكننا قلنـــا إنهم كانوا أسرة الزعامة الدينية فيها ، بسبب اقامة سليمان بن علي وابنه عبد الوهاب فيها مع أسرهما .

ويقول ان بعض علماء نجد كانوا يعرفون التوحيد ، مثل الشيخ ، ولكنهم لم يقوموا بمثل عمله ، كالشيخ عثمان بن أحمد ، صاحب كتاب « نجاة الخلف في اعتقاد السلف» وقد ذكرنا نحن أيضاً اسم هذا الشيخ، نقلاً عن صلاح العقاد،الذي زعم ان كتابه مفقود ، ويقول الجاسر إن كتابه موجود الآن في القاهرة .

وينكر الاستاذ ما جاء في كتابنا من ان الشيخ أمر بحلق لحية رجل ، وهي رواية للمع الشهاب ، لا نستطيع تغييرها ، ويقول إن الوهابيين لا يخالفون ابن تيمية إلا في مسألة طلاق الثلاث ، ورأيه كرأيهم في الوقف والنذر (وقـــد جاء ذلك في نص الشيخ عبد الله أوردناه في الصفحة ٢٣٩) .

ويقول أيضاً نقلاً عـــن كتاب مختصر تاريخ الكنيسة إنه كان في قطر أسقفية تشمل نجران واليمامة ، رداً على مـا نقلناه عن المعجم الكنسي الفرنسي من أن المسيحيـــة تسربت الى نجد في القرن السادس الميلادي (صفحة ٢٢) والمعجم الكنسي يعني بالمسيحية ، على الأرجح ، الكنيسة الكاثوليكية ، ثم هو يعني وجود أعداد من المسيحين تستحق الذكر ؛ وليس أحد هذين الكتابين أولى من الثاني بالتصديق !

ونحن ، على كل حـــال ، نشكر للاستاذ الجليل فضله الكبير ، ونقدر علمه الغزير ، وقد حرصنا على نشر ملاحظاته القيمة ، وإضافاته المهمة ، وتصويباته ، وهو في علمه وخلقه خير ناصح ومعين .

مصادر الكتاب [٨]

سنذكر أسماء جميع الكتب والمصادر التي رجعنا اليها ، عند تأليف الكتاب ، سواء أخذنا عنها أم لم نأخذ ، في آخر الجزء الخامس .

ونكتفي الآن بذكر بعض الكتب التي رجعنا اليها في هذا الجزء الأول .

فمن المصادر العربية :

اسم المؤلف	اسم الكتاب
عثمان بن بشر	عنوان المجد في تاريخ نجد
حسين بن غنام	تاريخ نجد
حسن الربكي	لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (مخطوط)
عثمان بن سند	مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (مختصراً بقلم الشيخ أمين المدني)
ابراهيم الحيدري	عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد
محمود شكري الألوسي	تاريخ نجد
أحمد بن زيني دحلان	١ ـ الفتوحات الاسلامية ٢ ـ الدرر السنية في الرد على الوهابية
عبد الرحمن الجبرتي	عجائب الآثار في التراجم والأخبار
إبراهيم بن صالح بن عيسى	١ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد. ٢ ـ عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر.
أحمد السباعي	تاريخ مكة.

المؤلف	الكتاب
فؤاد حمزه	١ ــ البلاد العربية السعودية
	٢ ــ قلب جزيرة العرب
	٣ ــ في ربوع عسير
أمين الريحاني	١ ــ تاريخ نجد الحديث وملحقاته
	٢ ــ ملوك العرب
محمد حامد الفقي	أثر الدعوة الوهابية
سليمان بن سحمان	١ ــ الضياء الشارق
	٢ ــ الصواعق المرسلة الشهابية
	٣ ــ كشف غياهب الظلام
	٤ ــ الألسنة الحداد
	ــ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية
	ــ الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية
	ــ كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب
	ــ خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب
	ــ مجلة لغة العرب ،
	ــ مجلة الأبحاث ،
	ــ مجلة المشرق ،
	ــ جريدة « أم القرى » الخ ...
أمين سعيد	١ ــ تاريخ الدولة العربية السعودية الجزء (١)
	٢ ــ سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أحمد عبد الغفور العطار	نبذة من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
عبد الكريم الخطيب	محمد بن عبد الوهاب
طه حسين	الحياة الأدبية في جزيرة العرب
عباس محمود العقاد	الإسلام في القرن العشرين
أحمد أمين	زعماء الاصلاح في العصر الحديث
سليمان الدخيل	تحفة الألباء في تاريخ الأحساء.

جمال الدين الشيال	محاضرات عن الحركات الإصلاحية
أبو زهرة	المذاهب الإسلامية
أبو شبهة	أعلام المحدثين
خير الدين الزركلي	قاموس الأعلام
جرجي زيدان	تاريخ العرب قبل الإسلام
دوسو	العرب في سورية قبل الإسلام « ترجمة »
جاكلين بيرين	اكتشاف جزيرة العرب « ترجمة »
لوتروب ستودارد	حاضر العالم الإسلامي « ترجمة »
غولد تسيهر	العقيدة والشريعة في الإسلام « ترجمة »
ريفوار (حيدربامات)	مجالي الإسلام « ترجمة »
عبد الله فيلبي	تاريخ نجد « ترجمة »
جورج أنطونيوس	يقظة العرب
حافظ وهبة	جزيرة العرب في القرن العشرين
محمد آل عبدالقادر الأحسائي	تاريخ الأحساء (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والحديث).
الشيخ حسين خزعل	تاريخ الكويت السياسي
أحمد وصفي زكريا	عشائر الشام
عباس العزاوي	عشائر العراق
عمر رضا كحالة	معجم القبائل
المغيري	الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب

وهناك أيضاً الكتب العامة ــ الأمهات :

العقد الفريد ، لابن عبد ربه

معجم البلدان ، لياقوت

معجم ما استعجم ، البكري

صبح الأعشى ، للقلقشندي

الأخبار الطوال ، للدينوري

صفة جزيرة العرب ، الهمذاني
تاريخ الدول والملوك ، الطبري
تاريخ القرماني
الأغاني ، للأصفهاني
فتوح البلدان ، البلاذري
جهان نامه ، لحاجي خليفة ، كاتب حلبي .
كتاب الملوك ، للمقريزي

بالغة التركية :

أحمد جودت باشا	تاريخ جودت
أيوب صبري	١ – مرآة الحرمين
	٢ – تاريخ وهابية .

جدول الخطأ والصواب

وقعت في هذا الجزء أغلاط مطبعية يسيرة ، لا تغيب عن فهم القارىء اللبيب ، ولكننا نحب أن ننبه إلى أخطاء في أرقام التواريخ (السنوات) ، ملتمسين من كل قارىء أن يصححها في مواضعها من الكتاب ، وهي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٨	٣	في عام (١١٠٧)	في عام (١١٢١)
٥٨	٥	خمساً وعشرين سنة	إحدى عشرة سنة
١٣٥	٦	انتهى عام ١١١٤	انتهى عام ١٢١٤

وجاء عنوان الصفحة السادسة : « اليمامة في الاسلام » ، والصحيح : « اليمامة قبل الاسلام » .

وهناك أخطاء أخرى يحسن الانتباه إليها وتصحيحها أيضاً ، نذكرها كما يأتي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	١	حصر	حصن
١٣	٧	درسو	دوسو
١٥	١	العدانية	العدنانية
١٥	١٣	جحر	حجر
٢٩	١	ونفوه من مصر	ونفوه إلى مصر
٥٢	٤	وأنباؤه	وأبناؤه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٣	٩	لادي	لادي بلنت
٦٨	٦	حنين	خنين
٧١	١٩	عجيل بن لجيم	عجل بن لجيم
٩٩	١٤	بتعلم الناس	بتعليم الناس
٩٩	١٥	بتعليم معن	بتعلم معنى
١٢١	١٨	سيف محمد بن عبد الوهاب	سيف محمد بن سعود
١٤٢	١	قصة العينية وأميرها	قصة العيينة وأميرها
١٨٠	٦	آل شرف	آل مشرف
٢٠٧	٦	ومفاتوها	ومفاتيها
٢٢٥	١١	كالزياره	كالزبارة
٢٣٣	١	ودأبوا	وأدبوا
٢٤٠	٢١	السياسة الحكمية	الطرق الحكمية
٢٤٢	٢	وبعدها	وبعدها
٢٤٧	٢	عزلا	غزلا
٢٩٩	٧	كارستك	كارستن
٣٣٣	٢	قفي واسألني	قفي واسألي
٣٦١	١٥	الأدبية في جزيرة العرب	الحياة الأدبية في جزيرة العرب

تصويبات الاستاذ الجاسر

هناك أخطاء وقع أكثرها في أصول المصادر التي نقلنا عنها مقاطع في هذا الكتاب ، وخصوصاً « لمع الشهاب » ، وقد تلطف الاستاذ الكبير حمد الجاسر بتصحيحها وتصويبها ، نثبتها هنا شاكرين :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠	١٥	القصيب	القصب
١٠٠	٥	القصيم	الوشم
١٦٣	١١	ليس بجحم	ليس بجسم
٢٥٠	٩	الزلازل	الزلال
٢٥٨	١٤	تعهدهم بها	تعبدهم بها
٣٢٧	٥	وضرب موسى العصا بالحجر	وضرب موسى بعصاه الحجر
٣٣٣	١٠	نجد	النجدي
٣٣٣	٢٠	مكة	المدينة
٣٣٨	١٦	عبد الهادي	ابن عبد الهادي
٣٤١	١٥	ملحمة عيد الرياحين	ملحمة عيد الرياض
٣٤٣	٥	عمادالدين بن كثير البصرى	العماد بن كثير البصروي
٣٥٠	٨	عبد المحسن أبا الحسين	عبد المحسن أبا حسين
٣٧٨	١٣	الحرا	الحرة
٣٧٨	١٦	الدوشي	الدويش
٣٧٩	٢١	التثليث	تثليث
٣٨١	١٢	القفار	قفار
٣٨١	١٤	المسجدة	المستجدة
٣٨١	١٤	الحايل	حائل
٣٨٢	٢	الحجر	الحجرة
٣٨٣	١٦	داخلة	الداخلة
٣٨٤	٩	السدوس	سدوس

وجاء في فقرة لجرجي زيدان نقلناها من الصفحة العاشرة ، السطر السادس :
« وفي اليمامة بلد اسمه « جعدة » » .

ويقول الاستاذ الجاسر ، وهو على حق ، إن جعدة اسم رجل ، هو جعدة بن

كعب ، والمقصود بلد جعدة .

وذكرنا في الصفحة (٢٣) السطر الثالث : إن مقر هوذه بن علي في موضع الخضرمة أو اليمامة ، ويقول الاستاذ الجاسر إنه في القرنية ، وهذا ما ذكره « لمع الشهاب » ، ويضيف : وقيل في جو الخضارم ، شرقي اليمامة ..

ونقلنا عن معجم البلدان لياقوت في الصفحة السادسة، السطر ٩: « قالوا : كان اسم اليمامة قديماً جوا والقرية والعروض » .

ويقول الاستاذ الجاسر إن « جو » اسم موضع لا اسم الإقليم ، والقرية يراد بها « سدوس » ، والعروض تطلق على اليمامة والبحرين .

أما العروض، فإطلاقها على اليمامة والبحرين معاً، بحيث يغيب فيها هذان الاسمان أو يجتمعان ، لا يمنع من القول بأنها تطلق على اليمامة .. ولو مجازاً .

أما « جو » فنرجح أنها كانت اسم بلدة اليمامة وجاء اسمها هكذا في الشعر ، والقرية .. بمعنى البلدة، لا يمتنع إطلاقها على بلدة اليمامة أيضاً وإن كانت بلدة سدوس اختصت بها .

ولسنا هنا في معرض الدفاع عن « ياقوت » ، بل نحن أميل إلى النزول عند رأي الاستاذ الجاسر ، وتصحيح السطر السابع من الصفحة السادسة ، الذي جاء فيه : « قالوا : كان اسم اليمامة قديماً : جوا والقرية والعروض وكانت منازل » بما يأتي :

« قالوا : كانت اليمامة قديماً منازل لطسم وجديس » الخ ..

وقد قمنا بتصحيح كل هذه الأخطاء، التي وقعت في كتاب «لمع الشهاب» وغيره.

مقدمات الكتاب

جعلنا صفحات القسم الأول التي تشتمل على كلمة المؤلف والمدخل حروفاً خاصة، وهذا فهرسها:

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

كتب المؤلف

الدستور السوري، باللغة الفرنسية
عبقرية الإسلام في أصول الحكم
الحقوق الدستورية
الحقوق الرومانية
الحقوق المدنية الفرنسية
الحقوق الجزائية الخاصة
أوراق
تاريخ البلاد العربية السعودية :
١ ـ عهد التأسيس
٢ ـ عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد
٣ ـ عهد الإمام سعود
٤ ـ عهد الإمام عبدالله بن سعود
ـ فيصل، تاريخ مملكة في سيرة زعيم
ـ الإمام تركي بن عبدالله
ـ رجل في جلد آخر، وقصص صغيرة

كتب معدة للطبع أو قيد الإعداد

ـ أوراق الذهب
ـ معاوية
ـ الأسطول الإسلامي
ـ ابن خلدون
ـ خالد بن صفوان
ديوان شعر
الصلات الدولية في الإسلام
أيوب
الخ . .
مسرحيات :
ـ زنوبيا
ـ كليوباترة
ـ بلقيس ـ ملكة سبأ
ـ المطلقات

المؤلف

- ولد في دمشق، ونـال الشهادة الثانوية في سن مبكرة جداً، وتكاد لا تصدق.
- نال شهادة الحقوق في دمشق، وشهادة الحقوق من كلية الحقوق في باريس، ودكتوراة الدولة في الحقوق العامة والخاصة من جامعة باريس، وشهادة في فقه اللغة، وشهادة في الأخلاق وعلم الاجتماع من السوربون، وشهادة في الصحافة من معهد العلوم الاجتماعية العليا بباريس.

مناصبـه السابقـة:

- نائب دمشق مراراً.
- وزيـر الشبـاب والدعاية (الإعلام)، ووزير العدل ووزير المعارف مراراً.
- أستاذ ذو كرسي في كلية الحقوق بدمشق، ورئيس الجامعة بالوكالة مراراً.
- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- كبير المستشارين في وزارة المعارف، بالمملكة العربية السعودية، ومستشار في دارة الملك عبدالعزيز
- رئيس تحرير المجلة العربية.
- وقـد أصـدر في دمشق مجلة «الحياة الأدبية» ثم جريدة «النضال» وترأس تحرير جريدة «الجزيرة» وكتب مقـالات وبحـوثاً أدبية في مجلات وصحف كثيرة في سوريا ولبنان ومصر.





طبـع بمـطابـع دار الشبـل للنشـر والتـوزيـع والطبـاعـة
ص ب ٢١٢٩١ الرياض ـ ١١٤٧٥ ـ تليفون ٠ فاكس ٤٨٨٠٠٤٧